





Princeton University Library



32101 057499285

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*



# بدائع الكلام

في تفسير آيات الاحكام

تأليف العالم الفاضل المحقق

الحاج الشيخ محمد باقر الملكي

الميانجي

---

جمادى الاخرة ١٤٠٢



M. al-Malaki

'''

BADAI AL-KALAM FI tafsir  
AYAT AL-AHKAM

## بدائع الكلام

في

تفسير آيات الاحكام

تأليف العالم المحقق المدقق

الحاج الشيخ محمد باقر الملكي

الميانجي

آزماه ۱۳۶۰

---

المطبعة العلمية - قم

(RECAP)

BP 130

4

M34

1981

## مقدمة الكتاب

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احمدك اللهم يا من انزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، احمدك اللهم انزلته نوراً وهدى وضياء و شفاء و جعلته مصدقا لكل وحى ارسلته ومهيماً على كل كتاب انزلته وفرقانا بين حلالك وحرامك وفرائضك و سننك وتهدى من اتبعه ويهتدى بهداه من ظلم الجهالة وتخرجه بنوره من مهاوى الخرافة والضلالة. وصل اللهم على اشرف انبيائك و اكرم احبائك محمد الخطيب به وعلى آله الاوصياء الخزان له وصل اللهم على ملائكتك المقربين وعلى انبيائك ورسلك المكرمين .

يقول اقل الخليفة محمد باقر الملكي : لما كان القرآن اكبر الثقليين واعظم الخليفتين لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو جوامع الكلم وفيه امهات الاحكام الدينية واصول الشرايع الالهية فالرجوع اليه والتفقه فيه فرض على كل من يريد التفقه فى الدين ويحاول استنباط الاحكام والفرائض ، الحلال والحرام و السنن وانى لقصور باعى وضيق مجالى وان لم اكن من اهل هذا الشأن الخطير الا ان مالا يدرك كله لا يجوز ان يترك كله فشرعت فى تفسير الايات المشتملة على الاحكام بالبحث والتدريس والتحقيق فهذه لباب دروس وخلاصة ابحاث القيتها الى عدة



من اخوانى المحصلين والفضلاء المتفهمين .

فأحبت ان اجمعها فى صحائف كى يكون تذكرة لى فى مستقبل دهرى  
وظننت ان ادعها مهملة يعرض عليها النسيان فيضل سعى وقد تحريت فى توضيح  
الايات وتجزيتها بكل جهدى وبذلك فى تفسيرها و تحقيقها غاية سعى و اوردت  
فيها من الروايات المأثورة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ما لايجوز للفقيه  
الاستغناء عنها من تخصيص العمومات وتقييد المطلقات وغيرها وعمدت فى تفسير  
آية احيانا الى تفسير جميع ماتحتويه الاية من المعارف و الحقائق غير الاحكام  
كما سيأتى انشاء الله من ابحات الامامة والشفاعة واتضرع الى الله تعالى وانصب اليه  
سبحانه مسالتي ان يجعل ذلك دون من سواه وما سواه وان يوفقنى لاتمامه بالصلاح  
والسداد . وسميته ببدايع الكلام فى تفسير آيات الاحكام .

فى شهر رجب المرجب فى قم المشرفة سنة ١٣٩٨ .



84-1348432

## الاية الاولى

قال تعالى : «يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم و ايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم و ارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون» (المائدة ٦) .

قوله تعالى : «ياايهاالذين آمنوا»الاية استشكل في توجيه الخطاب الى المؤمنين بأن موضوع الخطاب عندنا اعم من الكفار والمؤمنين واجاب عنه الفاضل المقداد (قده) وكذا الجزايري (قده ) ان توهم الاختصاص بالمؤمنين متوقف على حجية مفهوم الوصف وهو ليس بحجة عندنا ووجه الاختصاص بالمؤمنين انهم المتهيثون للامثال المنتفعون بالاعمال وقال الجزايري : ويمكن ان يكون وجه ذلك كونهم الاشرف والاجدر بأن يوجه الخطاب اليهم انتهى .

اقول: قدنسب الى الامامية ان الكفار مكلفون على الفروع كما انهم مكلفون على الاصول خلافا لابي حنيفة و الظاهر ان مورد البحث هو الاحكام الشرعية التبعية لا الاصول والاحكام الفرعية العقلية لامطلقا وفي نسبة ذلك الى المشهور نوع خفاء و ابهام فان الظاهر من كلماتهم كما صرح به الشيخ العلامة الانصارى

فى كتاب الطهارة فى بحث غسل الجنابة ووجوبه على الكافر باقسامه ان مرادهم ان الكفار مكلفون بالفروع عقابا لاختطابا توضيحه ان استبعاد توجيه الخطاب اليهم مع انهم منكرون للصانع واصول الايات وامهات الشرايع وعدم صحة العبادات منهم مع كفرهم لاينافى صحة عقابهم ومؤاخذتهم فان الممتنع بالاختيار لاينافى الاختيار وقد بالغ الشيخ (قده) واصر فى ابطال ادلة القائلين بعدم توجه الخطاب الى الكفار منهم المحقق الكاشانى والمحدث البحرانى فى الحدائق فى البحث عن غسل الجنابة .

وقد استدلل للمشهور بايات منها قوله تعالى «يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون» (البقرة ٢١) .

وفيه ان مورد الاية الحكم العقلى والدعوة الى التوحيد والنهى عن الشرك والتذكر ان يتدبروا فى اسرار الخليفة وفى آيات التدبير العمدى و الربوبية .

ومنها : قوله تعالى « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (آل عمران ٩٧) .

وفيه ان المستدل قد غفل عن ذيل الاية «ومن كفر فان الله غنى عن العالمين» والمراد من الكفر كفر الطاعة لا الكفر بالربوبية .

ومنها : قوله تعالى «يا ايها الناس اتقوا ربكم» (النساء ١) .

وفيه ان الاتقاء والمراقبة التامة بجلاله تعالى وكبريائه فريضة عقلية .

ومنها: قوله تعالى : ومن يفعل ذلك يلق اثمًا (الفرقان ٤٨) .

وفيه أن صدر الاية هكذا والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس

التي حرم الله الابالحق ولايزنون الاية فان الشرك وقتل النفس من الكبائر العقلية .

ومنها : قوله : «ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين» (المدثر ٢٣)

والاستدلال بها متوقف على ان المراد من المصلين هو الصلوة المفروضة ويحتمل

ان المراد منها انا لم نك من اتباع السابقين من الانبياء المقربين والائمة الموحدين

واما لو قيل ان المراد فى الاية هى الصلوة المكتوبة فالاستدلال بها فى غاية الضعف

فان جواب اهل سقر « لم نك من المصلين » انما قالوا انا لم نك من المصلين اى من الفريق الذين نجوا من النار لصلاتهم وصالحات اعمالهم فان الصلوة من شعار المؤمنين وخصائصهم وكانت عليهم كتاباً موقوتاً .

فى البرهان عن الكافى مسنداً عن امير المؤمنين (ع) كان اذا حضر الموت يوصى اصحابه بكلمات يقول تعاهدوا الصلوه (امر الصلوة - نسخة نهج) وحافظوا عليها واستكثروا منها (وتقربوا بها- وسائل) فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً وقد علم ذلك الكفار حين سئلوا ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين . . الحديث . ولا يخفى ان مرجع كلا التفسيرين الى امر واحد .

ومنها : قوله تعالى « ولا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى » (القيامة ٣١) والاستدلال بها متوقف على ان المراد من قوله تعالى - صلى - هى الصلوات المفروضة ولكن الظاهر بقرينة قوله تعالى « ولكن كذب وتولى » اى ما صدق ما يجب تصديقه ولا تتبع دعوة الحق بل كذب وادبر اليها وتولى والمنقول فى شأن نزولها انها نزلت فى شأن معاوية ومغيرة بن شعبة فحيثئذ يخرج عن محل البحث .  
ومنها : قوله تعالى « فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون » (فصلت ٤) .

اقول: طرح البحث فى الاية الكريمة نفيًا واثباتًا يحتاج الى بسط من الكلام وستعرض انشاء الله لتفسيره فى البحث عن آيات الزكوة . ويحتاج ايضا الى تعيين المراد من لفظ المشركين لشيوع اطلاقه على من اتبع المبدعين كما فى قوله تعالى « اتخذوا اجدارهم وrehبانهم اربابا من دون الله » الاية وعلى المناقين وعلى من نصب نفسه اماماً من غير اذن الله فأطاعه فيما يأمر وينهى وغيرها من الموارد . فالعمدة فى اثبات المدعى هو الاجماع والدليل العقلى بأن يقال : انه لا يجوز للكفار الاصرار على الكفر والادامة عليه وسلب الصلاحية عن انفسهم بالتقرب الى الله سبحانه بالعبادات فيجب عليهم بضرورة العقل التوبة من الكفر والايان بالله المعروف بالفطرة والظاهر بآياته والمتجلى بخلقه لخلقه فيحصل لهم الصلاحية لتوجيه

الخطاب اليهم .

فعلى هذا يصح ان يقال لامانع من شمول الخطابات عقابا لاخطابا لوقام دليل شرعى او عقلى على ذلك فان الممتنع بالاختيار لا ينافى الاختيار وليس فى البين دليل تعبدى يعتمد عليه فان الوجوه الاعتبارية التى أوردناها فى صدر البيان عن كنز الفرقان وغيره فى نهاية الضعف ، والاجماع لم يتحقق وعلى فرض تحققه هو اجماع تعبدى مستند الى الأدلة التى أوردناها فى المقام من الايات وغيرها واما الايات التى استدلووا بها على ذلك قد عرفت عدم دلالة بعض منها وعدم ظهور بعض منها . قوله تعالى : «اذا قمتم الى الصلوة» - الاية قالوا اذا اردتم القيام الى الصلوة قيام التهيؤ لا قيام الدخول وقد اقيم المسبب مقام السبب واستشكل عليه فى كنز العرفان ان تأويل القيام الى ارادة القيام تحليل عقلى خروج عن اللغة فان الى للغاية الزمانية او المكانية فالاولى تقدير الزمان اى اذا قمتم زماناً ينتهى الى الصلوة انتهى ملخصا . أقول : والاولى ما عليه المشهور صرح به الشيخ (قده) فى التبيان والمحقق الاردبيلي والجزائرى فى آيات الاحكام وهذا استعمال شايع مثل اذا قرأت القرآن فاستعذ بالله. قوله تعالى «فاغسلوا وجوهكم» الاية الغسل من اوضح المفاهيم العرفية لايحتاج الى بحث وتدقيق الاكمل والكامل والاسبغ والسابغ ولا بأس بالاخذ باطلاقه اى ما يسمى غسلا من اى مرتبة و اى فرد اختار المكلف .

واطلاق الامر بالغسل يدل على الوجوب واما القول بأن الامر حقيقة فى الوجوب كما صرح به بعض المفسرين فليس فى محله وقد ثبت فى محله ان الوجوب مستفاد من اطلاق الامر لمن هيئته .

اقول : اختلفوا فى تفسير الاية فقال بعض من العامة بوجوب الوضوء عند القيام الى كل صلوة اخذاً بالاطلاق محدثا كان او متطهرا ونسبوه الى على عليه السلام ايضا وقال بعضهم : اذا كان محدثا لا مطلقا وهو قول كثير منهم والحق فى المقام ان المطلقات الكتاب والسنة ، وعموماتها لا يجوز الاخذ بهما قبل الفحص عن المخصصات والمقيدات فان العمومات والمطلقات المسوقة لبيان الاحكام الكلية على نحو القضية

الحقيقية كلها في معرض التخصيص والتقييد سيما على ما هو المختار عند المحققين من جواز التخصيص والتقييد بالخبر الواحد الواجد شرائط الاعتبار فضلاً عن تخصيصها بآيات اخرى في الكتاب فعليه يجب تقييد الاية بما علم من فعله (ص) وبما علم بالضرورة من عدم وجوب الوضوء للصلوة على من كان متطهراً ومنه يعلم ما في قضية النسخ فان الواجب ليس هو المطلق كي ينسخ بل الواجب بمعونة المخصصات هو الوضوء على من لم يكن متطهراً، فتبين ان القول بوجوب الوضوء عند كل صلوة متطهراً كان او محدثاً من دون تبيين من البيانات المنفصلة جزاف واضح والله الهادي .

فلنخص في المقام وجوب غسل الوجه واليدين بمعونة ماورد في تخصيص الاية وتقييدها على من لم يكن متطهراً وهل هذا الوجوب غيرى او نفسى ظاهر الاية هو الاول وحيث ان هذا الوجوب من ناحية العبادة المشروطة بالوضوء يأتى به المكلف بقصد امر تلك العبادة كما هو الحال في جميع الاجزاء والشرائط في كل عبادة مؤتلفة من عدة اجزاء و شرائط فيكفى في تحقق عبادية كل شرط وجزء اتيانها بقصد امر تلك العبادة وكذلك ايضاً لو كانت من تلك الاجزاء والشرائط شيئاً عبادياً من ناحية امر آخر مثل قراءة القرآن و الاذكار و التسبيحات والسجدة فلا بد ايضاً من اتيانها بقصد امر تلك العبادة لا بقصد الاوامر المتعلقة بها انفسها .

ثم لا يخفى انه لا يمكن تحقق العبادية في شىء من الافعال غير ما كانت عبادة بالذات لا بقصد الامر واما الدواعى الاخرى مثل خوفاً من ناره و رغبة في جنته وما فوقها من الغايات فلا يمكن تحقق العبادية بها فان تلك الغايات كلها يقصدها المكلف بعد تحقق العبادية لانحصار الربط و اضافة العبادة اليه تعالى بقصد امثال امره سبحانه فقط .

نعم بعد تحقق العبادية يكون كلها بالنسبة الى تحقق الاخلاص في العبادة في عرض سواء وان كان بينها تفاضل بحسب الفاضل والافضل فقصد الامر من بين الدواعى يتحقق به الاخلاص ايضاً كما يتحقق به العبادية .

قوله تعالى: «وجوهكم و ايديكم» قيل الوجه مأخوذ من المواجهة فالاية الكريمة

تدل على وجوب غسل ما يواجه به منه قال العلامة المجلسي (قده) قال والذى (قده) بل الامر بالعكس والمواجهة مشتق من الوجه انتهى ما اردناه ، فالمتحصل من كلمات المفسرين ان الحد الذى ذكره فى الوجه من قصاص الشعر الى آخر الذقن طولا وما دارت عليه الابهام والوسطى عرضا هو القدر المتيقن من حيث وجوب الغسل وما زاد على ذلك لم يعلم وجوب غسله سواء قيل انها من الوجه كما عن بعض فى الصدغين والاذنين او مابين الاذنين كما عن بعض آخر هذا بحسب مجادلانهم مع العامة واما بحسب فقه الامامية فهو المتعين .

اليدين وهو على اطلاقه يشمل من رؤوس الاصابع الى اطراف المنكب والحد الذى يجب غسله مانص عليه الاية الكريمة من المرفق الى رؤوس الاصابع قال فى المرآت : اليد لغلها معان منها معناها المتعارف اى الكف او من اطراف الاصابع الى الكف انتهى ما اردناه .

قوله تعالى: «الى المرافق» جمع مرفق قال فى البحار: بكسر اوله وفتح ثالثة او بالعكس وهو مجمع عظمى الذراع والعضد لانه يرتفق به فى الاتكاء ونحوه انتهى . اما القراءة فقراءة الجمهور الى المرافق على ما هو المثبت فى المصاحف واما قراءة اهل البيت سلام الله عليهم من المرافق كما فى بعض الروايات والى المرافق كما فى بعض آخر ايضا فعلى قراءة من المرافق لاشكال فى دخول المرفق فى المغسول و اما على قراءة الى فحيث انها رأس عظمى العضد و الذراع فشىء منه داخل فى الذراع وشىء منه داخل فى العضد فقد اختلفوا فى وجوب غسله اصاله فذهب جمع ان الى بمعنى مع مثل قوله تعالى: «من انصارى الى الله» (آل عمران آية ٥١) .

وقوله تعالى «ويزدكم قوة الى قوتكم» (هود - ٥١) .

وقوله: «لاتأكلوا اموالهم الى اموالكم (النساء-٢) فعليه يجب غسل المرفق مع اليد فيه ان الى فى الايات ليس بمعنى مع فماعتنى قوله من انصارى مع الله فهل يتوهم احدان عيسى الصديق و هو من اعظم الموحدين ان يتفوه ويقول من انصارى غير

الله مع الله بل مراده صلوات الله عليه من انصارى فى الدعوة الى الله والسلوك الى بابہ والعكوف الى حضرته كما قال ابراهيم (ع) «انى ذاهب الى ربي سيهدين».

و اما الايتين الاخيرتين فهما ايضاً تضمنين معنى الاضافة فعليه يكون دخول المرفق فى المغسول استناداً الى ظاهر الاية مورد الاشكال قال فى كنز العرفان والحق انها للغاية ولا يقتضى دخول ما بعدها فيما قبله ولاخروجه لوورده معهما اما الدخول فكقولك حفظت القرآن من اوله الى آخره ومنه «سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى» (الاسراء-١) واما الخروج فاتموا الصيام الى الليل وفتظرة الى ميسرة وحينئذ لادلالة له على دخول المرفق انتهى .

وقال المولى المحقق الاردبيلي (قده) ولايبعد وجوب غسل المرفق وان كان غاية وخارجاً من باب المقدمة لانه مفصل وحد مشترك كما ثبت فى الاصول انتهى . وقال العلامة المجلسي (قده) ومجىء الى بمعنى مع كما فى قوله تعالى «يزدكم قوة الى قوتكم» وقوله «من انصارى الى الله» لاينتفع فنحن انما استفدنا ادخال المرفق فى الغسل من قول ائمتنا وقد اطبق جماهير الامة ايضاً على دخوله ولايخالف فيه الاشرذمة شاذة من الامة لايعتد بهم انتهى .

اقول : الظاهر ان الشائع فى الاستعمال الدخول اذا كان ما بعد الى وما قبله شيئاً واحداً بالحقيقة او بالاعتبار مثل قرأت القرآن من اوله الى آخره واغسل بدنك من قرنك الى قدمك وهل الاية الكريمة سيقت ليعلم كيفية الغسل من رؤوس الاصابع الى المرفق اول بيان حد المغسول الظاهر القطعى هو الثانى بداهة ان طور الغسل وكيفيته من سنن العامة البديهية الفطرية عند عامة البشر مستغن عن التعليم والتعلم والعجب انهم كيف رضوا ان ينسبوا الى شارع الاسلام سيما مع تصريح الرسول وآله عليهم السلام اليه وتذكيرهم به وتعبيرهم كثيراً - بوضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بياناتهم ولو كان مراد الشارع التعليم بكيفية الغسل استثناء من سنة الفطرة لوجب الردع ردعا شديداً بعناية اكيدة بالغة .

قوله تعالى : « وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين » وفى بعض



القراءآت المنسوبة الى اهل البيت عليهم السلام فامسحوا بالفاء وعن القاموس كما فى البحار فى سياق معانى الباء وللتبويض «عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً» «وامسحوا برؤوسكم» انتهى .

وقال ابن هشام فى ترجمة الباء الحادى عشر للتبويض اثبت ذلك الاصمعى والفارسى والقتيبى وابن مالك قيل والكوفيون وجعلوا منه «عينا يشرب بها عبادالله» وقوله : شربن بماء البحر ثم ترفعت وقوله شرب النزيف ببرد ماء الحشرج قيل ومنه «وامسحوا برؤوسكم» انتهى . قال فى كنز العرفان ص ١٠ : والتحقيق انها تدل على تضمين الفعل معنى اللصاق فكأنه قال الصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضى للاستيعاب ولا عدمه بخلاف امسحوا رؤوسكم فانه كقوله «فاغسلوا وجوهكم» انتهى .

وفيه اولاً انه لا محصل لالصاق المسح بالرأس و ثانياً ان قوله لا يقتضى الاستيعاب ولا عدمه غير ناهض لاثبات ما يحاول من افادة التبويض فان الاية ليست مهمة ولا مجملة بالنسبة الى افادة التبويض والاستيعاب .

والذى يمكن فى توجيه كلامه قدس سره ان الاية الكريمة مسوقة لافادة تشريع اصل المسح لافى مقام تشريع الاستيعاب او التبويض بل الاستيعاب والتبويض لابد ان يستفاد من دليل خارج وعلى فرض عدم الدليل فاطلاق الاية لايتأبى عن الاستيعاب والتبويض وهو كما ترى ضرورة انه على فرض سوق الاية فى مقام اصل التشريع - للمسح لا يعقل فرض اطلاقها بالنسبة الى الاستيعاب والتبويض .

و التحقيق ان يقال : ان الاية الكريمة ليست لافادة تشريع المسح فقط من دون عناية الى مقدار المسح وكيفيته وليست ساكنة عن وظيفة العمل بل لابد ان يقال بالفرق لوجود الباء وعدمه فعلى فرض وجودها ظاهرة فى التبويض وعلى عدمه فى الاستيعاب .

فتحصل مما ذكرنا ان ( مسح ) لكونه متعديا لايحتاج فى تحقق اللصاق بالمسوح الى الباء فانه يفيد اللصاق مستوعبا لجميع الرأس من غير احتياج الى

الباء الا ان يقال ان المفعول لأمسحوا هو الضمير الذى كناية عن الايدى والرؤوس مفعولا ثان لا بد من التعدية اليها من الباء فحينئذ يفيد الباء معنى الالتصاق كما ذكره فى كنز العرفان وغيره فى غيره وهذا غاية التوجيه بهذا البيان يتفرع على ما ذكره ان اطلاق رؤوسكم يقتضى كفاية المسح عليه فى اى جزء منه وكفاية المسح عليه بمقدار ما سيصدق عليه المسح .

وهكذا من حيث كيفية المسح مبتدئا من الاعلى او منكوسا وقد ذكرنا فى صدر البيان ان هذه الاطلاقات حيث انها فى معرض التقييد لايجوز الاخذ والعمل بها الا بعد الفحص والياس عن مقيداتها فيضم اليها المقيدات لو ظفرنا بها والا فالاطلاقات هى المرجع والحاكم الفاصل .

قوله تعالى: «وارجلكم الى الكعبين» فالمنقول عن الكسائى وابن عامر وحفص عن عاصم بنصب ارجلكم وحمزة وابوعمر و ابوبكر عن عاصم بجرها فالقائلون بالجري عطفها على رؤوسكم وهم كافة الامامية .

فى الوسائل عن الشيخ مسندا عن غالب بن هذيل قال سئلت ابا جعفر (ع) عن قول الله عزوجل وامسحوا . . . «وارجلكم الى الكعبين» على الخفض هى ام على النصب؟ قال بل هى على الخفض . وجماعة من العامة الا انهم قالوا بالاستيعاب ، وابن عباس وقد قال : ان الوضوء غسلتان ومسحتان من باهلنى باهلته وانس ابن مالك قال حين سمع قول الحجاج اغسلوا القدمين وخللوا بين الاصابع صدق الله وكذب الحجاج وعكرمة والشعبى وجماعة من التابعين واعترف بذلك جماعة من الزيدية القائلون بوجوب الجمع بين الغسل والمسح ان الكتاب ورد بالمسح والسنة بالغسل فوجب الجمع بينهما .

واما القائلون بالنصب ، فمنهم من عطف الارجل على محل الجار والمجرور فان محله نصب على الجار والمجرور وهو امر شايع قد تلقاه النحاة بالقبول نحو مررت بزيد وعمر ومن القائلين بالنصب من عطف الارجل على وجوهكم او على ايديكم كما عن الزجاج او باضمار عامل آخر تقديره واغسلوا ارجلكم كما فى قول

الشاعر «علقتها تبنا وماء باردا» وتكلفوا فى الجواب عن قراءة الجرح وتوجيهه بجر الجوار يعنى ان الارجل و ان كان منصوبا باغسلوا لكنه مجرور بمناسبة جوار المجرور مثل عذاب يوم اليم .

وقال بعضهم : ان الارجل معطوفة على رؤوسكم فى تعليم الوضوء الذى فيه المسح على الخفين فلا بد حينئذ من المسح على الخفين لالبيان تعليم مطلق الوضوء واعجب ما فى المقام ما عن الكشاف قال فان قلت فما نضع بقراءة الجرح ودخول الارجل فى حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهى فعطفت على الرابع الممسوح لالتمسح ولكن لينبه على و جوب الاقتصاد فى صب الماء عليها فقيل الى الكعبين فجاء بالغاية امانة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم يضرب له غاية فى الشريعة انتهى .

وبه قال البيضاوى بعدما حكم بوجوب الغسل قال : ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد والمسح لم يحد وجره على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى «عذاب يوم اليم» (١) و حورعين : (٢) بالجر فى قراءة حمزة و الكسائى الى ان قال و للنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقصر فى صب الماء عليها و يغتسل غسلا يقرب من المسح انتهى ما اردناه .

اقول : فاعتبروا يا اولى الالباب كيف عملت العصية عملها النكير وليس هذا التلاعب بالقرآن واحكامه الاالتحفظ الشديد والدفاع عن سلفهم وما وقع منهم عن الجهل بكتاب الله واحكامه والحال ان القرآن هو المرجع لكل ما قيل ويقال .  
أقول : و بالله التوفيق اما عطف الارجل على الوجه قال المحقق الاردبيلى فمعلوم قبحه سيما فى القرآن العزيز انتهى . و قال العلامة المجلسى : و ما تمحلّه

(١) سورة هود آية ٢٦ .

(٢) سورة الواقعة آية ٢١

القائلون فى توجيه قراءة النصب من عطف الارجل على الوجوه يوجب خروج الكلام عن حلية الانتظام لصيرورته بذلك من قبيل قول القائل ضربت زيدا وعمرا واكرمت حامدا وبكرا يجعل بكرا معطوفا على زيد بقصد الاعلام انه مضروب لامكرم ولا يخفى ان هذا الكلام فى غاية الاستهجان عند اهل اللسان فكيف يحتج اليه او يحتمل الاية عليه انتهى .

واما تكلفوا فى توجيه النصب وايجاب الغسل باضمار اغسلوا ففيه ان التقدير خلاف الاصل فلا يصار اليه الا عند الاضطرار وعدم المندوحة لا بالتكلف العمدى وقد عرفت ان العطف على الرؤوس واضح ومذهب راجح .

واما جر الجوار فلا يلىق بكرامة القرآن والمجوزون بجر الجوار انما جوزوه بشرطين عدم وجود حرف العطف فى الكلام وعدم الالتباس والمقام فاقد لكلا الشرطين كما لا يخفى .

واما التوجيه ان الاية فى مورد الوضوء الذى فيه المسح على الخفين وتعليمه على الامة لالبيان مطلق الوضوء وتعليمه فلا يخفى ما فيه من الوهن والركاكة فانه قول بغير علم على الله ولم يثبت عنه ﷺ المسح على الخفين .

قال الصدوق فى الفقيه : ولم يعرف للنبي ﷺ خف الا خفا اهداه له النجاشى وكان موضع ظهر القدمين منه مشقوقا فمسح النبي على رجليه وعليه خفاه ، فقال الناس انه ﷺ مسح على خفيه على ان الحديث فى ذلك غير صحيح الاسناد قال وروى عنها انها قال لان امسح على ظهر بقر بالفلاة احب الى من ان امسح على خفى .

واما ما اوله الزمخشرى و البيضاوى ان المراد من المسح الغسل الخفيف امر الله تعالى به وعبر عنها بالمسح رعاية للاقتصاد وتحذيرا من الاسراف المذموم تأويل ركيب لا يقبل ويرد الى قائله واما الشائعة فى اعضاء الغسل غاية دون المسح فجىء بالغاية فى الارجل اعلاما بانه من الاعضاء المغسولة لا يخفى ما فيه من البرودة فانه اول الكلام والتعليل الذى ذكره غير تام فان الوجه من الاعضاء المغسولة ليس له غاية مثل الرؤوس من الممسوحة واما تأتى الغسل بقراءة الرفع كما نقل عنهم فى

كنز العرفان بقطع ارجلكم عن العطف وجعله مبتدءا . اى وارجلكم مغسولة فلا دليل على هذا الاضمار ولا مجوز شرعا وعقلا .

قوله تعالى : «الى الكعبين» تنقيح البحث فى المقام فى ضمن مسائل :

### المسئلة الاولى :

الكعب فى اللغة هو العظم الناشز ظهر القدم وفى اقرب الموارد «الكعب : بالفتح : كل ما ارتفع وعلا» قال الشيخ الانصارى (قده) وادعى فى الذكرى كما عن المدارك ان لغوية الخاصة متفقون على ان الكعب هو الناشز ظهرا لقدم الى ان قال وعن نهاية ابن الاثير ان قوما ذهبوا الى انهما الكعبان اللذان فى ظهر القدم و هو مذهب الشيعة ومنه قول يحيى بن الحارث : رأيت القتلى يوم زيد بن على فرأيت الكعاب فى وسط القدم . وعن المصباح انه ذهب الشيعة الى ان الكعب فى ظهر القدم وحكى هذه النسبة فى مجمع البحرين عن بعض آخر ايضاً انتهى .

وفى القاموس قال كل مفصل للعظام والعظم الناشز فوق القدم والناشز من جانبيها وبالضم التدى انتهى .

اقول : ومن العجيب ما فى كنز العرفان قال : والناشز لاشاهد لهما لغة ولا

عرفاً ولا شرعاً انتهى .

نعم القول بأن الكعب هو العظم الناشز فى آخر القدم ملتقى الساق والقدم هو مذهب العامة الا الشاذ منهم كما عرفت من القاموس تفسيره الكعب بقوله كل مفصل للعظام الشامل بهذا القول ايضا وقال الراغب فى مفرداته : كعب الرجل العظم الذى عند ملتقى القدم والساق قال وارجلكم الى الكعبين انتهى . ولا يخفى ان بناءً على شمول الكعب على العظمين الناشزين من جانبي العقب كما هو المستفاد من تفسير القاموس لا يصح ان يكون مراداً فى الآية فى الكعبين ولو كان المراد فى الآية هما الناشزان من جانبي العقب لكان الواجب ان يقال الى الكعاب او الكعبين من كل رجل من المكلفين فتعين ان يكون المراد هما الناشزان ظهر القدم والمفصل بين الساق والقدم الظاهر هو الاول لما عرفت من تصريح اللغويين من الخاصة بحيث

لم ينقل منهم خلاف فى المقام واما بناء على تفسير القاموس الشامل لكلا الموضوعين فكذلك ايضا لتحقق الامتثال بالكعب الاول وتوقف الامتثال على المسح الى الكعب الثانى والغاء الكعب الاول محتاج الى عناية زائدة فى المقام .

واما ما ينسب الى العلامة الحلى (قده) من المخالفة قال الشيخ (قده) ما حصله ان التشنيع على العلامة ممن تأخر عنه انه خالف الاجماع فى هذه المسألة ليس فى محله ثم اخذ فى شرح كلمات العلامة وعدم صحة نسبة المخالفة اليه على نحو الكلية واما ما ذكره الراغب فانما هو تفسير على مذهبه وقد ناقض ذيل كلامه مع اوله فتلخص مما ذكرنا ان الكعب هما العظامان الناشزان فوق القدم كما ذهب اليه المعظم من الفقهاء قدس الله اسرارهم .

#### المسألة الثانية :

ان الى فى قوله تعالى الى الكعبين هل هى لبيان حد الممسوح او لبيان حد المسح وبيان طوره فالانصاف ان الاية غير ظاهر فى شىء منهما بخصوصه ولا يقاس ذلك بما اسلفناه فى تفسير قوله تعالى الى المرافق فان سنة الغسل سنة ضرورية بديهية عند كل احد فلا يجوز حمل الاية على تعليم الغسل بخلاف المقام فليس للمسح طور متعين عادى فطرى عند الناس فلو كانت الاية فى مقام بيان حد الممسوح من الرجلين فيجوز الاخذ باطلاق الاية من حيث طور المسح فيجوز المسح من رؤوس الاصابع الى الكعبين وبالعكس ايضا ولو قلنا ان الاية لبيان المسح فيتعين المسح من رؤوس الاصابع الى الكعبين الا ان الظاهر بحسب الأدلة المنفصلة عند بعض ان الاية لبيان حد الممسوح من الرجلين فعليها يجوز المسح من رؤوس الاصابع الى الكعبين كذلك لابس بالمسح من الكعبين الى رؤوس الاصابع ايضا .

#### المسألة الثالثة :

هل المسح على الرجلين الى الكعبين على الاستيعاب بحسب العرض قال الشيخ (قده) فى الخلاف : والكعبان هما الناتيان فى وسط القدم وقال : من جوز المسح من مخالفتنا انه يجب استيعاب الرجل بالمسح وقالوا كلهم ان الكعبين هما

عظم الساقين الأماحكي عن محمد بن الحسن فإنه قال هما النابتان ظهر القدم مع قوله بال غسل انتهى .

اقول : حيث ان الأرجل معطوفة على رؤسكم المجرور بباء التبويض فيكفي مسمى المسح طولا كما حققناه في تفسير قوله تعالى برؤسكم فلا يجوز الاستيعاب فإنه خلاف التبويض المستفاد من الباء قال الشيخ (قده) في الخلاف وقد ثبت ان الباء يقتضى التبويض لانه لا بد من ان يكون لدخولها في الكلام المفيد المستقل بنفسه فائدة وليست فائدتها الا التبويض ايضاً ويأتى في المقام النزاع المتقدم فى الى ودخول الغاية فى الممسوح وخروجه وما اخترنا . ثم ان دعوى الظهور فى دخول الغاية فى المغيبى اذا كانا من جنس واحد لا يخلو عن قوة .

## فروع

**الاول :** مقتضى حكم الشرط فى قوله تعالى «إذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم» الآية. الابتداء بغسل الوجه عملاً بالشرط وهكذا غير الوجه المذكور الاول فالاول سواء قلنا ان الواو العاطفة لمجرد افادة الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه كما نسب الى المشهور من النحويين او قلنا انها تفيد الترتيب كما هو المحكى عن بعض ضرورة ان المقام مقام ترسيم الوظيفة وتعيين التبعيد فلا يجوز ان يقال ان الترتيب المذكور فى الآية ليس فيه عناية به بل وقع تصادفاً وجزافاً وان الترتيب المذكور من احد افراد الواجب ولا يخفى فى الآية اطلاق بالنسبة الى تقديم اليمين على اليسار فى غسل اليدين ومسح الرجلين فلا بد فى تقديم اليمين على اليسار من دليل منفصل خارج فتحصل انه لا بد ان يبدأ بما بدء الله سبحانه به . وان تقديم اليمين على اليسار المفتى به عند الاعلام انما استفيد من دليل خارج دون الآية .

**الثانى :** اطلاق الامر بغسل الوجه عدم وجوب تخليل اللحية والحاجبين واشفار العينين اذا كانت البشرة مستورة باللحية والحاجبين .

**الثالث :** اطلاق الامر بالغسل والمسح يقتضى استيعاب اعضاء الغسل والمسح

فلا يجوز التبعض فيما يجب غسله ومسحه ..

**الرابع :** ايجاب الغسل والمسح على الاطلاق يقتضى غسل البشرة والمسح عليها فلا يصح الغسل والمسح وعلى الاعضاء حائل ما عدا الوجه والحاجبين على تفصيل تقدم .

قال تعالى «وان كنتم جنباً فاطهروا الاية» وهل الجملة معطوفة على الشرط وهو قوله تعالى «اذا قمتم الى الصلوة» فيكون جملة مستقلة تقديره اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الاية وان كنتم جنباً فاطهروا، اوهى معطوفة على الجزاء يعنى اذا قمتم الى الصلوة ان كنتم محدثين فتوضؤوا وان كنتم جنباً فاطهروا .

قال العلامة المجلسى فى البحار فى كتاب الطهارة الطبعة القديمة ص ٩٨ : فالجملة الشرطية فى قوله سبحانه وان كنتم جنباً فاطهروا يجوز ان تكون معطوفة على جملة الشرط الواقعة فى صدرها وهى قوله عز وجل اذا قمتم، فلا تكون مندرجة تحت القيام الى الصلوة بل مستقلة برأسها والمراد «يا ايها الذين آمنوا ان كنتم جنباً فاطهروا» وتجوز ان تكون معطوفة على جزاء الشرط الاول اعنى فاغسلوا وجوهكم فيندرج تحت الشرط ويكون تقدير الكلام اذا قمتم الى الصلوة فان كنتم محدثين فتوضؤوا وان كنتم جنباً فاطهروا .

وعلى الاول يستنبط منها وجوب غسل الجنابة لنفسه بخلاف الثانى وقد طال التشاجر بين علمائنا قدس سرهم فى هذه المسألة لتعارض الاخبار بين الجانبين واحتمال الاية الكريمة كلا من العطفين انتهى ما اردناه . قال بعضهم : والاولى انها جملة شرطية معطوفة على مثلها الى ان قال ويؤيده قول على عليه السلام فى قضية الانصار اتوجبون عليه المهروالحد ولا توجبون عليه صاعاً من الماء . وقول الصادق عليه السلام اذا أدخله فقد وجب الغسل انتهى ما اردناه .

وقال المولى المحقق الاردبيلى بعد استظهار الوجوب النفسى : وعطف الجملة على الجملة ويدل عليه الاخبار ايضاً مثل اذا التقى الختانان وجب الغسل انتهى .



اقول : الحق في المقام عدم صحة الاستدلال بالاية على الوجوب النفسى وما فى سياقها من الروايات ايضاً فان الروايات مثل الاية الكريمة مطلقات وعمومات فى معرض التقييد والتخصيص سيقت لبيان اصل التشريع والادلة دالة على ان الغسل واجب لاجل العبادات تكون مخصصة ومقيدة بها لامعارضة بها. هذا على فرض دعوى ظهور الاية فى عطف الجملة على الجملة واما بناء على ظهور عطفها على جزاء الشرط الاول فالاية ناصة على ان الغسل واجب لاجل الصلوة وهو الظاهر والمختار. قال المحقق الاردبيلي : ويؤيده كون باقى الطهارات كذلك ويشعر به بعض الاخبار ويؤيده قوله تعالى (ان) والا كان المناسب (إذا) انتهى .

يؤيده ذيل الاية الشريفة فان التيمم سواء كان بدلا عن الغسل او عن الوضوء لا يجب الا لاجل غاية وهكذا يستحب عند غاية مندوبة وسيجىء الكلام فيه ان وجوبه للصلوة والعبادات مستفاد من الاية او عن ادلة منفصلة عنها .

قال بعض المحققين : ان البحث عن الوجوب النفسى لغسل الجنابة قليل الجدوى فى مقام العمل فانه ليس واجباً فوراً ان قلنا بوجوبه ومن قال بوجوبه قال بانه واجب موسع وتظهر فائدة الخلاف بين القولين فيمن أتى به عند خلوصه من العبادة المشروطة به هل يأتى به بنية الوجوب او الندب ؟ وفى عصيانه فمن كان جنباً ويظن او يعلم انه يموت قبل حلول وقت عبادة واجبة مشروطة بالغسل فلوتركه مات عاصياً وتاركا لهذا الواجب. وقد نقوش فى كلنا الفائدتين وقالوا الاشكال فى مشروعية الغسل قبل حلول الوقت، ونية الوجه لم يعلم وجوبه فيصح الاتيان بغسل الجنابة بقصد امره من غير قصد نية الوجه سواء قلنا انه واجب او مندوب . وأما الفائدة الثانية فقلما يتفق موردها ولو اتفق احياناً. قال العلامة المجلسى (قده) يوقعه خروجاً عن الخلاف انتهى .

ثم انه لا ينافى الوجوب النفسى بناء على القول به مع الوجوب الغيرى واخذ الغسل شرطاً فى صحة الصلوة مثلاً كما انه كذلك بالنسبة الى الاستحباب النفسى . فتحصل فى المقام ان الاية الكريمة تفيد ايجاب الغسل للصلوة لا ايجابه لنفسه

وان استحبابه النفسى على ما هو التسالم عليه عند الفقهاء قدس الله اسرارهم انما هو بحسب الادلة الاخرى غير الاية الكريمة .

قوله تعالى «جنباً» قال الراغب فى مفرداته بعد تفسيره بالابعاد : وقوله تعالى (وان كنتم جنباً فاطهروا) اى اصابتمك الجنابة الى ان قال: وسميت الجنابة لكونها سبباً لتجنب الصلوة بحكم الشرع وقريب منه ما فى بعض العبارات حيث قالوا انه فى اللغة بمعنى الابعاد وشرعاً هو البعد عن احكام الطاهرين .

اقول : قد اشتبه الامر على الراغب ومن قال بمثل مقالته ولازم ما ذكره هو القول بالحقيقة الشرعية فى لفظ الجنب وهو بمكان من الوهن ، ضرورة ان الجنابة امر واقعى ومن كان به جنابة بماله من اللغوى فهو موضوع بعده من الاحكام الشرعية الواجبة او غيرها فلحافظ البعد والابعاد انما هو بحسب الوضع اللغوى لابلحاط حكم الشرع واخذة قيدياً فى المعنى اللغوى .

والتحقيق ان الجنب قد استعمل فى معان كثيرة منها البعد المكانى مثل قوله تعالى «وبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون» (القصص آية ١١) وقوله تعالى «والجار الجنب» قال فى القاموس بضممتين اى اللازق بك من غير قومك والجار الجنب بضممتين اى البعيد ، وفى أقرب الموارد : والجار الجنب اى جارك من غير قومك ومنه «وبالوالدين احساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب» الاية (النساء آية ٣٤) اى البعيد وفى المفردات جنب فلان خير او جنب شرأ قال تعالى «وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى» (الليل ١٨-١٩) واذا اطلق فمعناه بعد عن الخير .

اذا تمهد ذلك فنقول: معنى الجنب والجنابة والعناية الملحوظة فى الوضع فى المقام ان الانسان بعد عمل الاختلاط بالنسوان او بعلل اخرى يحتاج الى تنظيف وطهارة فى الجملة وفيه نوع من الاستقذار وهذه القذارة منها ما كان محسوساً ومنها ما ليست بمحسوسة لضعفها وخفتها .

وفى أقرب الموارد جنب : الرجل من باب ضرب تنجس وفى القاموس

الجنابة المنى وفي الروايات ايضا اشعار بذلك فى البحار عن الاحتجاج الطبعة القديمة عن الصادق عليه السلام الى ان قال السائل فما علة غسل الجنابة انما اتى الحلال وليس من الحلال تدنيس؟ قال الى ان قال ان النطفة دم لم يستحكم ولا يكون الا بحركة شديدة وشهوة غالبية فاذا فرغ الرجل تنفس البدن ووجد الرجل رائحة كريهة، الخبر. عن القاموس تنفس الفرج نضح الماء .

وفيه ايضا عن العلل والعيون مسندا عن محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام قال وعلة غسل الجنابة النظافة وتطهير الانسان نفسه مما اصابته من اذاه وتطهير سائر جسده لان الجنابة خارجة من كل جسده الخبر. فتبين مما ذكرنا ان الجنب هو المستقدر والبعيد بحسب الواقع لا بحسب لحاظ حكم الشرع فى المعنى اللغوى ، وفى ما ذكرنا فى الاستظهار كفاية فى تأمين المدعى وان العناية المأخوذة فى وضع هذا اللفظ للمعنى اللغوى غير محتاج الى لحاظ الحكم الشرعى وان ابيت مما ذكرنا وصعب عليك قبوله فعبّر عن هذه الحالة المستقدرة بالحدث المعنوى وقد كشف عنه امر الشارع ان الانسان الجنب بماله من المعنى اللغوى موضوع لعدة من الاحكام الشرعية من الوجوب والتحريم وغيرهما .

قوله تعالى (فاطهروا) الطهارة والنظافة من المفاهيم الواضحة عند كل عاقل وحسن الطهارة والنظافة وكذلك رداة القذاراة مما يستقل به العقل بالضرورة وليست لهما حقيقة شرعية او متشعبة . فاطهارة على اطلاقها وبحسب مراتبها ممضاة فى نظر الشرع وفى التذكر بها والارشاد اليها وردت آثار كثيرة الا ان الواجب منها فى موارد قام الدليل بخصوصه على وجوبها وعلى اشتراطها صحة او كمالا فى بعض العبادات .

اذا تقرر ذلك فنقول: المأمور به فى الآية الكريمة هى الطهارة ومقتضى اطلاق الطهارة وعدم تقييدها بواحد من الاعضاء هو غسل تمام البدن من قرنه الى قدمه فمرجع هذا الاطلاق بالحقيقة هو الاطلاق فى المتعلق اى متعلق التطهير لافى نفس التطهير فان الاطلاق فى التطهير غير وافى لافادة المطلوب كما لا يخفى .

## فروع

١ - مقتضى الاطلاق فى التطهير هو الاستيعاب والاتبان بالغسل على تمام البدن من دون تبعض فى الاعضاء، بل وجوب التخليل فى اللحية والحاجبين وايصال الماء الى البشرة .

٢ - مقتضى الاطلاق ان يكون فعل الطهارة عملا عمديا اختياريا له فلو غمسه فى الماء او انغمس بنفسه من غير التفات لم يكن مجزيا .

٣ - مقتضى اطلاق الامر بالتطهير عند القيام الى الصلوة ان يكون الفعل صادراً بقصد امر الصلوة اذا اتى بالغسل بعد دخول الوقت وهل يصح بعد دخول الوقت بقصد امره النفسى ، الظاهر الصحة اذا لم يقصد خلاف الامر الغيرى .

٤ - مقتضى اطلاق الامر بالتطهير عند ارادة الصلوة صحة اتيان الصلوة بالغسل من غير احتياج الى الوضوء والظاهر ان هذا الاطلاق لم يرد به دليل منفصل كى يكون مقيدا لاطلاقه قال الشيخ (قده) فى الخلاف : وروى محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلام ان اهل الكوفة يروون عن على عليه السلام انه كان يأتى بالوضوء قبل غسل الجنانة قال كذبوا على على (ع) ما وجدوا ذلك فى كتاب على قال الله تعالى «وان كنتم جنبا فاطهروا» .

٥ - مقتضى اطلاق الاية عدم وجوب الموالاتة وعدم وجوب الترتيب الا ان الاخذ بهذين الاطلاقين متوقف على عدم ورود دليل منفصل يقيد به الاية الكريمة من حيث اطلاقها بالنسبة الى الترتيب والموالاتة فى معرض التقييد .

قوله تعالى : «وان كنتم مرضى او على سفر» الخ . . عطف على المحذوف من متعلقات الشرط الاول اى ان كنتم صحاحا حاضرين محدثين فتوضؤا وان كنتم جنبا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر الاية، والاية وردت لبيان حكم ذوى الاعذار فتنقيح البحث هنا فى ضمن مسائل :

الاولى : ان الاية متعرضة لحكم المحدث والجنب بالعنوان الثانوى وفى مرحلة

كونهما ممدورين ومسوقة في مقام الامتنان والارفاق ولا يخفى ان عنوان المريض والمسافر من باب الاغلبية وليس للوصف فيهما مفهوم كى يتوهم منه اختصاص الحكم الارفاقى بهما والمنقول عن الشافعى ان الحاضر يتيمم ويصلى ثم يعيد اذا وجد الماء. وفيه انه ان كان من باب الاخذ بالمفهوم وان غير المسافر لا يجوز له التيمم فلاوجه لتيممه وان صح تيممه فلاوجه لاعادة صلواته .

**الثانية :** صرح بعض الاعيان ان المراد من المريض من يتضرر باستعمال الماء والذي لا يجد الماء لعجزه عن السعى اليه وطلبه .

اقول : وفي شمول الاية لكلا القسمين من المريض ابهام وخفاء فان المستفاد من الاية الكريمة وجوب التيمم على المريض الذى لم يجد الماء واما المريض الذى يتضرر باستعمال الماء فخارج عن مفاد الاية ولذا اول عدة من الاعاظم قوله تعالى «ولم تجدوا ماء» اى لم تقدرُوا على الطهارة المائية صرح بذلك المولى المحقق الاردبيلى والعلامة المجلسى فى احد الوجهين والفاضل المقداد وحيث ان المتبادر من قوله «ولم تجدوا ماء» هو فقدان للماء لاعدم القدرة عليه على اى وجه كان فيشكل استفادة وجوب التيمم على المريض المتضرر باستعمال الماء من الاية بل يطلب حكمه من الادلة الاخرى .

وقد التجأ بعضهم ان قوله تعالى « ولم تجدوا ماء» قيد للمسافر فقط فيكون المريض على عمومه موضوعا لوجوب التيمم . غاية الامر ان المريض الواحد للماء الغير المتضرر باستعماله يخرج عن التيمم بالمخصصات المنفصلة فعليه يدور وجوب التيمم مدار المرض الا ماخرجه الدليل والتحقيق ان الموضوع هو المريض الفاقد للماء لامطلق المريض فلا تعميم ولا تخصيص .

قال فى الحقائق بعد نقل الوجه الاول: وان المراد من قوله تعالى «لم تجدوا ماء» فى تأويل لاتقدرُوا وقيل : ان المراد كما هو ظاهرها الذى لا يحتاج الى ارتكاب تجوز ولاتأويل انما هو كون المكلف غير ووجد للماء بأن يكون فى موضع لاماء فيه فيكون ترخيص متى وجد الماء ولم يمكن من استعماله فى التيمم لمرض ونحوه

مستفاداً من السنة المطهرة ويكون المرضى ونحوهم غير داخلين فى خطاب فلم تجدوا لانهم يتيممون وان وجدوا الماء والظاهر انه الاقرب كما لا يخفى انتهى . وسيأتى مزيد توضيح بذلك فى تفسير قوله تعالى « فلم تجدوا » وفى تفصيل كلام الرازى .

فان قيل : ذيل الاية الكريمة وهو قوله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج » الاية فيه اشعار بان المراد المرضى على العموم سواء كانوا واجدين للماء او فاقدين فان ايجاب الطهارة و الغسل والوضوء للمريض المتضرر باستعمال الماء مرفوع من ناحية الحرج .

قلت : كلا فان نفى الحرج فى مورد فقدان الماء لا مطلقا ولو كان خارجاً عن مفاد الاية وسيجىء مزيد بيان لذلك فى تفسير الحرج المنفى على نحو الكلية وبيان تطبيقه على مورد البحث وما أرسله فى المجمع قال : والروى عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام جواز التيمم فى جميع ذلك انتهى . ليس فى مقام تفسير الاية بل بعد نقل الاقوال فى جواز التيمم وعدمه فى اقسام المرضى قال : والروى الخ وقد توهم بعض ان الغرض من ايراد هذه المرسله تفسير الاية بها وهو كما ترى .

**الثالثة :** هل المراد من المسافر من كان موضوعا لوجوب التقصير او للاعم منه بمن لم يقصر الظاهر : هو الثانى ضرورة ان من خرج من بيته و تسفر وتبرز يعد مسافرا لغة ووجوب القصر وعدمه شرعا اجنبى عن اطلاق اسم المسافر عليه كالعاصى بسفره ومن كان كثير السفر .

**الرابعة :** هل يجب على المسافر السعى و الطلب بحيث يصدق عليه انه لم يجد ماء او ان المراد انه بحسب الغالب يسير فى الصحارى والبرارى و كان فاقد الماء بالطبع ولا يجب عليه السعى والطلب ولو مع احتمال وجوده لانه حينئذ يصدق عليه انه لم يجد ماء ، وسقوط السعى والطلب ارفاق له . الظاهر الاول لعدم صدق عدم الوجدان مع عدم السعى والطلب ولا يكون مشمو لا للامتنان والارفاق بمحض عدم وجدانه الماء من غير طلب و سعى ، و ادلة نفى الحرج وغيرها من ادلة الامتنان والتسهيل لا يبنى هذا المقدار من الطلب بل لا بد من طلب الماء والسعى اليه بمقدار

متعارف بحيث لم يبلغ مبلغ الحرج والضيق .

قوله تعالى: «اوجاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء» الاية: او بمعنى الواو فان المعجىء من الغائط ولمس النساء ليسا قسيما للمريض و المسافر بل من كان به حدث او جنابة مقسم للمسافر والمريض وغيرهما ايضاً، والغائط الارض المنخفض التى يقصدونها للتخلى بهاعما يخرج من احد السبيلين تجوزا وتستر او الكناية عن الاحداث المعلومة اما بايراد الجملة اى جاء احد منكم من الغائط كما هو ظاهر بعض الكلمات او المراد منها الفراغ من التخلى والخروج عن المحل المعلوم وان المراد من الغائط الحدث المعلوم عبر عنها بالغائط تسميئاً للحال باسم محله .

ومن قال : ان المراد فى الاية هو الوجه الثانى تكلف فيها بتقدير موضع او جعل من للتبيين اى جاء موضعا من الغائط، ويكون المراد بناء على ذلك التأويل دخوله فى الخلاء قاصداً للتخلى ولا يخفى ان التحقيق هو الوجه الاول ولا وجه لتصحيح الوجه الثانى ولا محصل لهذا التأويل، ثم ان الاية شاملة على اطلاقها لجميع الاحداث الواقعة فى الخلاء بحسب الغالب والعادة لا الغائط المصطلح عند الناس .

قوله تعالى: (اولامستم النساء) وقرء بعضهم لمس والمعنى واحد كما صرح به بعض المفسرين و هل المراد من الملامسة ما يوجب الجنابة او المراد به هو المس والغسل باليد ونحوه والمنقول عن عمر بن الخطاب و عبدالله بن مسعود وعطاء والشعبى هو الثانى واختاره الشافعى وقال : انه يوجب الوضوء وقال مالك: انه المس واللمس بشهوة والحق هو الاول ويشهد على ذلك ويستأنس به التعبير بأوالدالة على التنويع ومقابلة الملامسة وجعلها قيما للمعطوف عليه وهو المعجىء من الغائط ويؤيده ايضاً ان المذكور فى صدر الاية وجوب الوضوء للاحداث ما سوى الجنابة والغسل للجنابة وفى وجوب التيمم بدلا عن الغسل والوضوء لا ينطبق على الجنابة الا الملامسة فيدور الامر بين ان يقال : ان الاية ساكتة عن حكم التيمم للجنب بدلا عن الغسل او ان المراد من الملامسة هى التى توجب الجنابة، والقول بان الاية ساكتة عن حكم التيمم للجنب خلاف ظاهر الاية وهى تصريح سياقها كما لا يخفى .

وانما عبر تعالى عما يوجب الجنابة بالملامسة تسترا وتعففا قال الباقر (ع) :  
ان الله تعالى حى كريم عبر عن مباشرة النساء بملامستهن، وفى المجمع اختلف  
الموالى والاعراب فيه فقالت الموالى: المراد به الجماع وقالت العرب المراد به  
لمس المرأة فارتفعت اصواتهم الى ابن عباس فقال: غلب الموالى المراد به  
الجماع انتهى .

قوله تعالى : « فلم تجدوا ماء » قد مر تفسيره فلا وجه لتكراره و هى قيد  
للشرط المذكور فى اول الكلام وهو قوله تعالى « ان كنتم مرضى » وبعبارة اخرى  
قيد لاسم كان وهو الضمير المتصل فى كنتم وجواب الشرط قوله « فتيمموا » واحتمال  
كونه قيداً للمسافر فقط كما توهمه الرازى ساقط جدا اذ ليس قيداً للمرضى  
والمسافر معا فكيف يكون قيداً لاحدهما وقياس ذلك بصوره تعقب الجمل المتعددة  
قيداً فى آخر الكلام ولم يعلم ارتباطه بأحدها قياس مع الفارق كما لا يخفى وكذلك  
الامر بالنسبة الى المجيء عن الغائط والملامسة كما أشرنا اليه سابقا .

قوله تعالى : « فتيمموا صعيداً طيباً » التيمم فى اللغة بمعنى القصد اى التصدى  
الى العمل مشرفاً على الاخذ به لا القصد الباطنى قال الراغب: تيممت كذا وتيممته  
قصدته قال فى القاموس التيمم التوخى والتعمد والياء بدل من الهمزة وتيممته  
قصدته .

اقول : لادليل على ان تيمم يائها بدل عن الهمزة وان اصلها كانت امم غير  
استعمال كلاهما بمعنى القصد .

قوله تعالى : « صعيدا طيبا » اختلف اهل اللغة فى معنى الصعيد فعن الجوهري  
انه التراب الخالص ونقل ابن فارس عن ابي عبيدة انه التراب الخالص عن السبخ  
والرمل وفى القاموس انه وجه الارض وترباها ، وفى مرآت الانوار انه وجه الارض  
او ما ارتفع منها او خالطها من خلط السبخ وغيره ، والمنقول عن ابن الاعرابي  
والخليل والزجاج انه وجه الارض واستظهر ان العناية فى اطلاق الصعيد على وجه  
الارض انه الصفحة والسطح المتصاعد منها اى السطح الاعلى منها ويقرب ذلك ،



ويؤيده ما في الصافي عن المعاني عن الصادق (ع) قال الصعيد الموضع المرتفع والظاهر من القرائن والشواهد ان الصعيد هو وجه الارض وبه صرح من المفسرين الفاضل المقداد في كنز العرفان وهو الظاهر من الطبرسي والجزائري والمحكي عن الرازي والبيضاوي وصريح تفسير نفحات الرحمان .

قال تعالى : «فعسى ان يأتيك ربي خيراً من جنتك ويرسل عليكها حسابانا من السماء فتصبح صعيداً زلقة» ( الكهف ٤٠ ) فالجنة التي عليها اشجار ونخيل بعدما ارسل الله عليها حسابانا من السماء يصير صعيداً اي ارضا ملسا يزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها كذا قيل قال تعالى : «وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا» كهف-٨ القمي خراباً وعن الباقر (ع) لانبات فيها وفي القاموس ارض جرز الى ان قال : لانتبت او اكل نباتها اولم يصبها مطر انتهى .

فتلخص ان الصعيد هو وجه الارض الذي لاتعلو عليها ولا تغلبها سبخة ولا ينافي ذلك ان الله سبحانه جعل لهذه الامة الارض و ترابها طهوراً، وفي بعض منها ان التراب احد الطهورين فان جواز التيمم على التراب بحسب السنة لا ينافي جوازه على الصعيد بحسب الكتاب ضرورة عدم التنافي والتخالف بين المثبتين وانما التنافي بين المثبت والنافي على ان التراب من مصاديق الصعيد ومما ينطبق عليه فلا تنافي بين العام وبعض مصاديقه الغالبة، وان آبيت الا ان تقول بالتخالف والتكاذب بين الدليلين فالجواب ما ذكرناه من عدم التنافي بل يعمل بكل منهما في مورده وهو دليل على كثرة التوسعة والتخفيف على هذه الامة .

قوله تعالى : «طيباً» اقول : فسره قوم بالحلال في مقابل الحرام وقوم بالطاهر في مقابل القذر والنجس ، وفسره بعض بأنها التي تنبت واستشهدوا بقوله تعالى « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا » والظاهر ان الطيب يقابل الخبيث وهو ما يكون للنفس تمايل اليه طبعاً يقال ريح طيب و غذاء طيب وفي ذيل رواية المعاني عن الصادق (ع) قال : الطيب الموضع الذي ينحدر عنه الماء ومثله بعينه عبارة الفقه الرضوي في تفسير الصعيد الطيب ولعل الكتاب

المنسوب الى الفقه الرضوى هو رسالة الصدوق الاول :

وكيف كان فالصعيد الطيب هي الاراضى البعيدة عن العوامل العمومى بقيت  
بكرها تنزل عليها الامطار تجرى عليها الرياح وتطلع عليها الشمس فتوصيف الصعيد  
بكونها طيبا من باب افضل المصاديق وافضل الافراد، لايجوز الاخذ بمفهوم الطيب  
والقول بعدم الجواز فى غير موارد الصفة كما لا يخفى .

فالتيمم من ربي الارض وعواليها الافضل ثم الافضل الى ان يبلغ مرتبة  
لاتميل اليه النفوس طبعاً ويشتمز منها بما فيها من العوامل العمومى من الجص  
المطبوخ والاحجار الملقاة فيها وغيرها حتى كاد أن يخرج من اطلاق الصعيد  
والتراب .

قوله تعالى «وامسحوا بوجوهكم وايديكم منه» الاية وهذه هي الطهارة الترابية  
التي من الله تعالى على هذه الامة بدلا عن الطهارة المائية ارفاقا وتسهيلا وتخفيفا  
فاسقط منها المسحات مسح الرأس والرجلين واثبت طهارة الوجه واليدين بالتراب  
والصعيد مع تخفيف بين واضح بحيث اكتفى فيهما بالمسح فى الجملة .

توضيح ذلك ان التيمم بدلا عن الوضوء والغسل بعد اسقاط المسحات فى  
الوضوء اى المسح على رأس الرجلين انما هو على الوجه واليدين فقال الزهرى  
انه يمسح من المناكب الى رؤوس الاصابع والمحكى عن بعض الاعاظم المسح  
على اعضاء الوضوء كله الوجه من قصاص الشعر الى الذقن وعلى اليدين من المرفقين  
الى رؤوس الاصابع .

والمشهور هو المسح على بعض الوجه وبعض اليدين وهو القول الفصل والحق  
المبين ، اما القول الاول فبطلانه غنى عن البيان فان نص الكتاب فى الوضوء هو  
الغسل من المرفقين فايجاب التيمم من المنكبين بدلا عن الوضوء خروج عن مقتضى  
البديلة ولادليل على مدعاه غير الاية الموجبة للتيمم بدلا عن الوضوء وكذلك فيما  
هو بدل عن الغسل، واما القول الثانى وهو المسح على اعضاء الوضوء قضاء لحكم  
البديلة .

ففيه ماقدمناه فى البحث فى مسح الوضوء ان (مسح) متعد بنفسه الى الممسوح من غير احتياج الى اداة التعدية وبعد دخول الباء لابد اما من القول بزيادة الباء واستيعاب المسح اى القول بالتبعيض حفظا وصونا لكلام الحكيم عن اللغوية والهدر فتكون الاية بمكان الباء نصا فى التبعيض فيبطل قول القائل بالمسح من المناكب وقول من قال بالمسح من المرافق ، وتعين مما ذكرنا ان ما يجب غسله فى الوضوء مستوعبا يجب مسحه فى التيمم مبعضا غاية الامر عروض الاجمال فى المقدار الممسوح فلا بد فى تعيين المقدار الممسوح من الرجوع الى السنن المعتبرة الا ان يقال ان الاية الكريمة فى مقام بيان المقدار الممسوح فسكوتها عن بيانه دليل على عدم التعيين من ذلك الحث فيتخير فى مسح اى قدر شاء من اى جهة من اعضاء الوضوء .

والتحقيق هو الاول لتعرض الروايات المفسرة والروايات البيانية للمقدار الممسوح وينسب الى المحقق التخيير فى المعتبر بين المسح الاستيعابى والتبعيضى وعبارته فى المعتبر تفيد الترخيص والجواز فى مسح الذراعين بعد الافناء بالمسح التبعيضى ومارخصه من مسح الذراعين انما هو للعمل ببعض الاخبار، ونسب الى المنتهى استحباب الاستيعاب ولم تحصل من المنتهى الاوجوب استيعاب المسح على المقدار المفروض لاستيعاب المسح على العضو كله فيحتاج الى الفحص البالغ فى عبارته .

( قوله تعالى « منه » ) الظاهر ان « من » للتبعيض و الضمير يرجع الى ما يتيمم به اى امسحوا بوجوهكم وايديكم بعض ما يتيمم به، والظاهر عدم دلالة على وجوب غلوق شىء من التراب او الصعيد باليدين عند التيمم وقيل ان من للسببية كما فى قوله ( مما خطيئاتهم اغرقوا الاية ) والضمير راجع الى الحدث كقولهم تيممت من الجنابة وقيل انها للبدلية والضمير راجع الى الماء اى تيمموا صعيدا طيبا بدلا عن الماء وقيل انها لابتداء الغاية والمعنى ان المسح يبتدء منه اى من الصعيد او من الضرب على الارض والحق ما ذكرناه من التبعيض .

فافادت الاية الكريمة وجوب الوضوء والغسل من الجنابة للصلوة وان الجنابة

موجبة للغسل، والبول والغائط والريح موجبات للوضوء وان فقد الماء مبيح للتميم وان التيمم يباح به كل ما يباح بالغسل والوضوء وكفاية التبعض في التيمم وعدم وجوب الاستيعاب وعدم وجوب التخليل فيه والبدئة في الوجه في التيمم كما في الوضوء «قوله تعالى «ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين» الاية أقول : الحرج الضيق والظاهر انه لا ريب في اشتراط موضوع الاحكام وتقييدها بالقدرة والاستطاعة انما الكلام ان الناس مكلفون على قدر استطاعتهم العقلية اودون ذلك والمدعى هو الثاني وان الاحكام وضعت على قدر استطاعتهم العرفية والعادية وما فوق ذلك فهو موضوع ومرفوع عنهم تحقيقا وتسهيلا وامتنانا على هذه الامة وما فوق ذلك وان كان مقدورا لهم ويتمكنون من اتيانه وامثاله الا ان فيه ضيقا واصرا فبدل الله الضيق بالوسع والاصر والمشقة بالتخفيف والراحة وما كلفهم الا بدون سعتهم .

قال تعالى «وما جعل عليكم في الدين من حرج» (حج ٧٧) قال تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (بقرة ١٨٥) قال تعالى «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لانكلف نفس الاوسعها» (بقرة ٢٣٣) قال تعالى «لايكلف الله نفسا الاوسعها» (٢٨٦) «قال ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به» الاية (بقرة ٢٨٦) قال تعالى «ولانكلف نفسا الاوسعها» (انعام ١٥٢) قال تعالى «ولانكلف نفسا الاوسعها» (مؤمنين ١٦٢).

في تفسير العياشي عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن احدهما قال في آخر البقرة لمادعوا اجيبوا لايكلف الله نفسا الاوسعها قال : ما افترض الله عليها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، الحديث ، وزاد في الحقائق كما حكى عنه اى الامايسه قدرتها فضلا ورحمة .

وعن الكافي عن حمزة الطيار في رواية شريفة عن الصادق عليه السلام الى ان قال ما امروا الا بدون سعتهم وكل شيء امر الناس به فهم متسعون له وكل شيء لا يتسعون له فهو موضوع عنهم ولكن الناس لاخير فيهم والروايات المفسرة في هذا الباب كثيرة والمتحصل من الايات واطلاقاتها وصريح الروايات ان جعل الاحكام على موضوعاتها

انما هو على السعة والارفاق وهو الحرج المنفى فى الدين سواء كان لزوم الحرج فى اصل التشريع او بحسب العناوين الثانوية .

وعروض الحرج والشدة بحسب الاوضاع والاحوال فيرتفع الحكم الاصلى ويقوم مقامه الحكم الاضطرارى كما فى الاية المبحوثة عنها ولا يخفى ان نفس الحرج انما هو فى اتيان الواجبات واما فى المحرمات فمورد الحرج النفسى فى تركها والاضطرار اليها فعند الاضطرار الى ارتكابها فيرتفع ايضاً ولا يخفى ايضاً ان الحرج النفسى سواء كان فى ارتكاب المحرمات المستقلات او فى اتيان الواجبات انما هو فى الواجبات والمحرمات الشرعية التعبدية ، واما الاحكام العقلية اى المستقلات العقلية ففيها طور آخر من البحث ولعل الله يوفقنا للبحث عنها فى الابحاث الاتية ان شاء الله .

فتحصل فى المقام ان الحرج المنفى هو مطلق الحرج سواء بحسب اصل الشرع او بحسب الاحوال والاضطرار الطارئة وينطبق انطباقاً تاماً على الاية المبحوثة عنها اى الحرج الطارىء بطر والعناوين الثانوية ويشمل ايضاً باطلاقها جميع انواع الحرج فى الموارد كلها فلا يمكن أن يتوهم ان الحرج المنفى بالاولوية والاولوية ما كان لازماً بحسب اصل التشريع كما لا يخفى .

قوله تعالى «يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون» . ففى الكلام ابراز عطف وحنان منه سبحانه على المكلفين وتطبيب لقلوبهم (فسبحانه من اله ما ابره وما وصله) فذكرهم انه سبحانه ما يريد فى جعل الاحكام الاماهو الاسهل والاخف والافق لشأنكم وحالكم لالضيق والحرج وقيل ان المراد فى الاية انه ليس غرضه تعالى فى تشريع الدين ايجاد الحرج وايجاب الضيق والظاهر هو الوجه الاول ولكن يريد ليطهركم بالطهارات الثلاث بايجابها وتشريعها عليكم . قيل ان المراد التطهير من الذنوب وقيل التطهير من الحدث بالتراب وقيل تنظيف الابدان بالوضوء والغسل وعن الحنفية انها الطهارة عن النجاسة الحكمية وورد عليه الشافعية بعدم امكان الالتزام بالنجاسة الحكمية فان حكم النجاسة وجوب غسل ملاقيها وبطلان

صلوة من حملها واجاب عنه الفاضل المقداد بان الشافعية لم يدركوا معنى النجاسة الحكمية وماذكروه من التوالى هي آثار النجاسة العينية الى ان قال فاذا الاولى ما ذكره الحنفية ويمكن ان يكون الثانى ايضا مراداً انتهى .

اقول : مراده من الثانى طهارة القلب الذى ذهب اليه الشافعية والحق فى المقام والمناسب للتفسير واللغة هو النظافة والنزاهة الحاصلة بالطهارات الثلاثة امر الله تعالى بها وجعلها من شرائط الصلوة .

قوله تعالى : - «وليتم نعمته» الاية - المراد من النعمة هو الدين تفضل له سبحانه على عباده وهداهم به الى سعادتهم العاجلة والاجلة وهو تام كامل بحسب الاصول والفروع بحسب الازمان والادوار والظواهران المراد من اتمامه تعالى هذا الدين جعله تعالى الاحكام الاضطرارية ، وتبديل ما يلزم من اتيانه الحرج بالاخف والاسهل كى لا يقع المكلف فى مضيقه الحكم الاولى لو امتثله ولا يقع فى مخمصة مخالفته وعصيانه ولا يكون المورد خالياً عن الحكم كى يحرم المكلف من فضيلة العبودية ونور الطاعة وتمامية الدين واشتماله على حكم كل واقعة وحادثة فى جميع شؤون المكلفين من الفارقات بين مذهب الامامية وغيرهم من الفرق ، فبناء على مذهبهم لا يخلو واقعة من الحكم الشرعى لا بد من استنباطه وتفهمه من الكتاب والسنة .

قوله تعالى : «ولعلكم تشكرون» - ذكر بعض المفسرين فى تفسيره ما خلاصته ان شكره تعالى ان يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى . اقول : هذا على مراتب الشكر وصرف كل نعمة منه تعالى فى عبادته وطاعته .

### الاية الثانية

قال تعالى : «ولاتقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً الا عابري سبيل حتى تغتسلوا» الاية النساء (٤٣) .

قوله تعالى : - «وانتم سكارى» - حال من فاعل لاتقربوا وهو صريح على

اطلاقه في حرمة الدخول في الصلوة واختلفوا في المراد من السكر في الاية الشريفة فقيل: ان المراد من السكر سكر الخمر وان الاية نزلت في شأن جمع من الصحابة كانوا على مأدبة في منزل عبد الرحمان ابن عوف فشربوا وسكروا وقاموا الى الصلوة وتقدم احد منهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ماتعبدون وانتم عابدون ما عبد فنزلت وكانوا لا يشربون اوقات الصلوة ، واذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون .

وعن ابن عباس نزلت في جماعة من اكبر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم يأتون المسجد للصلوة مع رسول الله ( ص ) فنهاهم الله عنه .

وعن ربيع الابرار للزمخشري قال انزل الله في الخمر ثلاث آيات «يسئلونك عن الخمر والميسر» الاية (بقرة ٢١٩) فكان بين شارب وتارك الى ان شربها رجل فدخل في صلوته فهجر فنزل «يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى» الاية فشربها من يشربها من المسلمين حتى شربها عمر فاخذ لحي بغير فشح راس عبدالرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يغفر (الاشعار) فبلغ ذلك رسول الله (ص) فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيئا كان في يده ليضربه فقال اعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله فأنزل سبحانه «انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء» الاية (مائدة ٩٠).

اقول : وبهذا المعنى روايات عند اهل السنة وكلماتهم ورواياتهم في غاية الاضطراب لا يلائم صريح الايات وظواهرها وازعموا ان الصحابة وخاصة عمر بن الخطاب لم يفهموا من الايات المنع والتحريم الى ان نزلت الاية في سورة المائدة وقالوا ان الخمر كان حلالا بمكة يشربونها الصحابة ثم نزل التحريم ونسخت الاباحة تدريجا كانوا يستقلون امثاله وطاعته فلذلك نسخت الحلية تدريجا بالتحريم التدريجي فالاية المبحوثة عنهادلة على جواز شربها وتحريمها في حال الصلوة فنسخت بالايات الدالة على التحريم .

وفيه : اولا ان حرمة الخمر فمن المستقلات العقلية والايات التي وردت في

تحريمها انماوردت بلحن التذکر وبيان المفاسد لابعنوان التبعيد المولوى الشرعى  
 فاوّل آية اعلنت بتحريمها قوله تعالى «يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم  
 كبير ومنافع للناس» الاية (بقرة ٢١٩) والاثم فى اللغة الجنابة وهو فى عداد الفواحش  
 والمنكرات والقول بغير علم والشرك بالله قال تعالى «قل انما حرم ربه الفواحش  
 ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا»  
 الاية (الاعراف ٣٣) وكذلك قوله تعالى «قل انما الخمر والميسر والانصاب والازلام  
 رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» الاية (مائدة ٩٠) فهى ناصّة على  
 انها فى عداد الازلام والانصاب وانها صد عن سبيل الله وعن ذكر الله - الى آخره -  
 وفى صريح روايات ائمة اهل البيت انه ما بعث الله نبيا الا بتحريم الخمر .  
 وثانياً : مع قطع النظر عما ذكرنا من التحريم الواقعى فلامعنى للنسخ ايضاً فان آية  
 التحريم فى سورة البقرة وآية الحلية فى سورة النساء وهى متأخرة عن البقرة نزولاً .  
 ومن عجيب ما قيل فى المقام حين نزل التحريم فى سورة البقرة قال عمر :  
 اللهم انزل علينا بياناً شافياً ولما قرأ عليه قوله تعالى «ولاتقربوا الصلوة» الى آخره  
 قال اللهم انزل علينا فى الخمر بياناً شافياً ولما نزلت الاية فى سورة المائدة الى  
 قوله «فهل انتم منتهون» قال اللهم انتهينا .

فانظر واقض العجب كيف انزل الله القرآن باقتراح عمر ولو كان له فقه  
 بآيات القرآن يفهم التحريم من الاية فى سورة البقرة ولو كانت فى الايات ابهام  
 واجمال لوجب عليه الاستيضاح من رسول الله ﷺ وهو ﷺ مبين وناطق عن الله  
 وشارح لكلام الله فلا يصح له ان يقترح على الله فى تشريع الاحكام وبيانها فتبين  
 مما ذكرنا ان ما قيل فى الاية المبحوثة انها منسوخة بآيات التحريم فى نهاية الوهن  
 والسقوط لما عرفت من التحريم الواقعى اولا والاية فى البقرة نزلت قبلها وعرفت  
 انها لو سلم ان هذه الاية قبل آية البقرة فلا دلالة فيها على الاباحة فغاية الامر انها  
 لم تجهر ولم تعلن بتحريمها فكم فرق بين الحلية والاباحة الشرعية من الله وبين عدم  
 الاجهار وعدم الابلاغ بتحريمها فغاية ما يقال فى تفسير الاية انها باطلاقها تدل على



تحريم التلبس بالصلوة سكرانا وبطلان صلواته وسيجيء ما فيه ايضا فى بيان القول الثانى وبطلان ما قبل فى تحريمه ايضا .

ثم انهم استشكلوا فى توجيه الخطاب الى السكران حيث لا يعقل فلا يعقل الخطاب واجاب بعضهم ان المراد من السكر التمثيل وهو ما لم يبلغ الى حد يزيل العقل واجيب تارة بأنه بسوء اختياره جعل نفسه بحيث لا يعقل الخطاب فهو مأخوذ بالخطاب فان الممتنع بالاختيار لا ينافى الاختيار والحق فى الجواب ان ما ذكره من الجوابين على فرض كون القضية شخصية واما اذا قلنا ان القضية حقيقية مفروضة فلا يلزم الاشكال المذكور كما لا يخفى .

القول الثانى : ان المراد من السكر سكر النوم لاسكر الخمر توضيح ذلك ان القائل بأن المراد هو سكر الخمر اخذ بمفهومه البدوى العوامى حسب ما استأنس به الاذهان العامة وحمل اللفظ عليه اقتراحاً بلا دليل وحمل النهى الوارد على النهى التحريمى والحكم التكليفى وهذا الدعوى باطل فى حد نفسه بحسب مقام الثبوت فلا يحتاج الى ابطاله فى مرحلة الاثبات واما القائل بأنه سكر النوم وغلبة النفس اخذ بمفهومه العام الشامل لجميع انواع السكر ولا يدعى التبادر فى سكر النوم ولا يدعى التجوز فيه بخصوصية وقيام قرينة على المجاز بل يدعى ان المنهى عنه عام مخصص ومرجع دعواه الى تخصيص العام وتقييد المطلق فالمنهى نوع خاص من العام او المطلق بحسب الدليل الشرعى وهذه الدعوى امر معقول فى حد نفسه وبحسب مقام الثبوت فيجب الاخذ به لو قام عليه دليل فى مقام الاثبات .

قال فى اقرب الموارد : سكر الاناء سكرأ ملاه و النهر سدفاه - و الريح سكورأ وسكرانأ سكنت بعد الهبوب - وعينه تحيرت وسكنت عن النظر - والحر والحر فتر - سكر الباب وسكره سده - سكرت ابصارنا مجهولا الى ان قال ولهم على سكر: اى غضب شديد الى ان قال سكر سكرانا نقيض صحى انتهى ما اردناه وصرح ببعض ما ذكره فى القاموس فالقدر المسلم عن هذه المعانى اذا نسب الى الانسان انسداد مشاعره وعروض حالة تعترض بين الانسان وعقله ودركه قال

تعالى «لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون» (الحجر ٧٢) .

قال تعالى « انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون » (حجر ١٥) قال تعالى «وجاءت سكرة الموت بالحق» ( ق ١٩ ) قال تعالى « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » فارادة واحدة من هذه المعاني وترك ما سواه يحتاج الى دليل ومخصص بخصوصها فالقرينة العامة على انه لم يرد سكر الشراب تشيرفهم بخطاب «يا ايها الذين آمنوا» وبعد التصريح فى آية سورة البقرة بأن فى الخمر اثم كبير وصرح فى الاعراف وهى مكية بأن الله حرم الاثم فى قوله تعالى «قل انما حرم ربي الفواحش» (الاعراف ٣٢) فلا يلائم ولايناسب بأن المؤمنين يسكرون وفى هذا تهجين وازراء عليهم .

قال المحقق الاردبيلى (قده) وفى الاية دلالة على عدم خروج المؤمن عن الايمان بشرب الخمر فتأمل فيه انتهى . اقول : ما ذكره (قده) فى غاية الضعف سيما بناء على مفاد الادلة القوية ان الايمان كله عمل والقول والاذعان ايضاً من العمل سيما بملاحظة ما ورد فى خصوص الخمر وانه يعمل فى ايمان الرجل مايعمل من الافكار ولعل مراده عن الامر بالتأمل ما ذكرناه .

وقال الفيض (قده) فى توجيه هذا التشنيع على المؤمنين ماخلاصته بأن هذه الاية نزلت ولم يستقر حرمة الخمر بعد والاكاف تهجيناً لهم واما بعد استقرار التحريم على نحو الجزم فلا يصلح ان يخاطبوا بمثل هذا الخطاب وهو عجب منه مع حداقته ودقته فى النظر وقد اتى موسى بن جعفر عليه السلام فى جواب مهدى العباسى استناداً الى الايتين فى سورة البقرة ٢١٩ والاعراف ٣٣ بالتحريم الجزمى وبالجملة لابد من الالتزام بلزوم هذا التشنيع والتهجين والذى ذكروه من التوجيهات لاينفع فى الجواب .

ويؤيد ما ذكرناه ايضا مارواه العياشى فى تفسيره عن الحلبي قال سألت عن قول الله « يا ايها الذين آمنوا » الاية قال لاتقربوا الصلوة وانتم سكارى الى ان قال وليس كما يصف كثير من الناس يزعمون ان المؤمنين يسكرون من الشراب و

المؤمن لا يشرب مسكرا ولا يسكر و الذى يترجح فى النظر ان المراد من السكر هو سكر النوم، والنهى الوارد لا يستفاد منها الا الحكم الوصفى وهو اشتراط صحة الصلوة بكونهم غافلين شاعرين لا الحكم التكليفى وعلى ذلك عدة من الروايات المصرحة بان المراد سكر النوم وهى كافية فى صحة تقييد العموم او الاطلاق وما يقابله من المرسلات والضعاف لا يقاوم ما ذكرناه فلا بد من طرح ما يخالفه ويقابله او تأويله وتوجيهه والعمل بما ذكرناه كما لا يخفى :

فان قيل فإى مانع لشموله النوم والخمر ايضا قلت : لا يمكن فان النهى عن سكر النوم شرط فى صحة الصلوة وحكم وضعى والنهى عن الصلوة تحريم التلبس بالصلوة سكرانا نعم لا مانع من تعميمه بغير الخمر من المرقدات وغيرها ان لم يكن لحن الروايات المفسرة لحن الاختصاص .

قوله تعالى «ولا جنبا الا عابرى سبيل» اى لاتقربوها جنبا قيل الضمير الى الصلوة وقوله تعالى الا عابرى سبيل اى مسافرين مع اشتراط التيمم بحسب ادلة اخرى وضعف فى المجمع هذا الوجه وان عنوان المسافر والمرضى قد ذكر فى ذيل الاية مع كمال العناية بهما والتوضيح لاحكامهما فالقول به فى صدر الاية مع انه لا دليل عليه ولا اشعار به مستلزم للتكرار .

وقيل ان المراد مواضع الصلوة والالتزام باضماره واضح هناك اهون من اضمار التيمم فى الوجه الاول وفى كلمات بعض الاعيان ان القول بان المقصود فى المقام هى مواضع الصلوة وان كان مخالفا للظاهر الا انه لا بأس بالالتزام به لمكان دلالة الروايات المعتمدة على ذلك .

اقول: واحسن ما قيل فى هذا الباب ما ذكره الجزائرى نقلا عن الصنفى الحلى (قده) فى كتاب الصناعات البديعية وهو ان يكون المراد فى صدر الاية معناها الحقيقية ويراد بها عند قوله تعالى «ولاجنباً» مواضعها الغالبة اعنى المساجد وهذا نوع ثالث للاستخدام وعدم شهرة هذا النوع بين المتأخرين من اهل المعانى والبيان غير ضار فان صاحب هذا الكلام من اعلام علماء المعانى والبيان انتهى .

اقول: فبناء عليه لاتقربو الصلوة وبكم نعاس وسكر من غلبة النوم ولا تقربوا مواضعها وانتم جنب وهو المؤيد بالروايات عن ائمة اهل البيت (ع) واضعف النفاسير ماتكلفه بعض المفسرين ان المراد من الصلوة المساجد عبر كناية عن المساجد بالصلوة لغلبة وقوعها فيها ووجه الضعف ان صراحة التعليل وهو قوله «حتى تعلموا ماتقولون» ظاهر بل نص في ارادة نفس الصلوة لاما كنها قوله تعالى: وان كنتم مرضى الاية قد مر تفصيل القول فيها .

### الاية الثالثة

قال تعالى: وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة (البينة ٥) .

استدلوا بهذه الاية على وجوب النية في العبادات وفي الطهارات والظاهر انهم ارادوا وجوب الاخلاص فيها فلا محالة يدل وجوب الاخلاص في النية على وجوب النية ايضا ومع قطع النظر عن هذا التوجيه ليس في ظاهر الاية ما يدل على وجوب النية في العبادات بالمعنى الذى ذكره في نية العبادات في ابواب الفقه . وقد استظهر بعضهم اصالة العبادية في كل ما امر به من الواجبات بمعونة الحصر الوارد فيها الا ماخرجه الدليل وسيجىء التعرض الى وهن هذا القول في ذيل البحث انشاء الله تعالى .

قوله تعالى «مخلصين» حال من فاعل يعبدوا ومعنى الاخلاص كما في قلائد الدرر عن بعضهم انه تنزيه العمل من ان يكون لغير الله فيه نصيب وقيل هو اخراج الخلق عن معاملة الحق وقيل هو ستر العمل عن الخلائق وتصفيته عن العلائق وقيل : هو ان لا يريد عامله عليه عوضا في الدارين وفي كنز العرفان فصل معنى كونه له تعالى ان يفعله خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وقيل: يفعله حياء منه او حبا له وقيل: تعظيما له ومهابة وانقياد ولا يخطر بباله عوض آخر سواه الى ان قال في تأييد القول الاخير وهو الاقوى لان عدا ذلك شرك مناف للاخلاص انتهى ما اردناه . ولا يخفى

ما فيه من الضعف .

ففى الكباب والسنة تصريح بان من اتى بالعبادات خوفا من ناره وطمعا فى جنته وغيرها من الدواعى التى يرتبط بالآخرة اليه تعالى فلا اشكال فى صحتها قال تعالى «تجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا» (السجدة ١٧) قال تعالى «ويدعوننا رغبا ورهبا» (انبياء ٩٠) قال تعالى «امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه» (زمر ٩) .

فالمتيقن عند اعظم الفقهاء قدس الله اسرارهم تنزيل تلك الايات والسنن الكثيرة على مراتب مقامات العابدين المتقين من حيث الايمان واليقان وهذا هو الحق الذى احق ان يتبع .

وقد اسلفنا فى بحث الوضوء و عباديته ان بعد تحقق العبادية بقصد الامر و ارتباط المأمورية وانتسابه و اضافته الى المولى الامر يتحقق الاخلاص بجميع الدواعى التى فى طول قصد الامر ويتحقق الاخلاص بقصد الامر ايضا فقصد الامر من بين الدواعى كما انه يتحقق به العبادية يتحقق به الاخلاص ايضا بخلاف الدواعى الاخر فلا يتحقق بها الا قصد الاخلاص فقط، فتبين ان الدواعى المذكورة لاريب فى كفاية كل واحد منها فى صحة العباداة وتحقق الاخلاص .

قوله تعالى (له الدين) قالوا الدين بمعنى الجزاء اى مخلصين ما يوجب الجزاء والعبادة وسيجىء تفسير الدين بالمعنى المتعارف الذى يجب التدين به .

قوله تعالى «حنفاء» الحنيف اى المائل الى الحق والمعرض عن الباطل وهو حال ايضا من الفاعل اى مخلصا ما يلا الى الحق ومعرضا عن الباطل .

قوله تعالى «وذلك دين القيمة» اضافة الدين الى القيمة للاختصاص والموصوف محذوف اى دين الملة القيمة وفى المجمع قال النضر بن شميل سألت الخليل عن هذا يقال: القيمة جمع القيم والقيم القائم واحد فالمراد دين القائم لله بالتوحيد وناقش فى ذلك المحقق الاردبيلي وقال يحتمل كون الاضافة بيانية اى وذلك دين الذى هو القيمة. اقول: والانصاف ان الاية الكريمة اجنبية عما ذكره من دلالتها على وجوب

النية ووجوب الاخلاص فيها بل هي في مقام التويخ على الذين أوتوا الكتاب وأنهم ماتفرقوا او ما اختلفوا الامن بعد ماجاءتهم البينة وتمت عليهم الحجة في امر الدين والاية الكريمة في سياق قوله تعالى «ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم العلم بغيا بينهم» (الاية) «آل عمران» قال تعالى «وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم» «البقرة ٢١٢» .

فالذين اوتوا الكتاب ما اختلفوا الا بعد البينة وما أمروا بذلك وانما أمروا ان لا يعبدوا الا الله وحده لا شريك له مخلصين في الدين، الدين هو الاسلام الذي ارتضاه لانبيائه ورسله لا يقبل من احد غيره وهذا الدين هو التوحيد في ذاته تعالى وفي نعوته وكمالاته والتدين به وبما وضع من الشرائع وبما بين من الحقائق وهذا الدين خاص لله سبحانه لا نصيب لاحد فيه لافليلاً ولا كثيراً فيجب الاخلاص بان الدين لله سبحانه ويجب الالتزام بأن الحكم ماحكم والدين ماحرع والسبيل ما اوضح والطريق ما بين وكل من وضع ديناً او شرع حكماً او ادعى دعوة فهو افتراء وكذب وواضعه صنم وطاغوت يعبد من دون الله يجب ان يكفر به ويتبرء منه ، فتحصل ان الاية في مقام حصر العبادة لله ونفى الشركاء منه تعالى لا اخلاص العباد لله تعالى .

قال تعالى «واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فاذا هم يشركون» (عنكبوت ٢٥) قوله تعالى «مخلصين» اي موحدين له تعالى بالالوهية والتدين بدينه فقط قال تعالى . «وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين» (يونس ٢٢) قال تعالى : «واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين» (لقمان ٣٢) .

ويؤيد ذلك ما ذكره بعض المفسرين عطف قوله «ليقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة» عليه قال المولى العلامة الانصارى في كتاب الطهارة : فالاية ظاهرة في التوحيد ونفى الشرك من وجوه . منها : لزوم تخصيص العموم بأكثر من الباقي ، ومنها : عطف اقامة الصلوة وابتاء الزكوة على العبادة الخالصة عن الشرك وهو التوحيد

الى ان قال : وبما ذكرناه فسرہ جماعة، فعن مجمع البيان مخلصين له الدين اى لا يخلطون بعبادته عبادة من سواه وعن البيضاوى اى لا يشركون به وعن النيشابورى تفسيره بالتوحيد وجزم بذلك شيخنا البهائى فى الاربعين انتهى .  
ثم لا يخفى انه بناء على تسليم ما ذكره فى الاية «انها مسوقة لاثبات الاخلاص»  
انما هو لاثبات الاخلاص فى العبادة المفروغ من كونها عبادة فليس سياقها افادة  
تشريع الاخلاص وايجاب النية فى العبادات فينهدم ماتوهمه بعض عن اصالة العبادية  
فى الواجبات مضافاً الى سقوطه لسقوط اصل الدعوى وان الاية فى مقام اثبات التوحيد  
ونفى الشرك .

ولا يخفى ايضاً ان سبب هذا التوهم انما نشأ من لفظ يعبدوا ، وقد توهم  
المستدل ان المراد هى العبادة المصطلحة وظن ان الفاظ القرآن لا بد ان يحمل  
على المعانى اللغوية، والعبادة فى اللغة بمعنى التذلل والتواضع وهو معنى عام صادق  
بالاقرار والاعتراف بالله لتوحيده ويتحقق بالتسبيح والتمجيد وكذلك جميع العبادات  
الذاتية ويتحقق ايضاً بقصد الامر فى غير العبادات الذاتية فهذا التوهم ساقط بسقوط  
اصله اى كون المراد من العبادة هى العبادات المشروعة من قبل الشارع مع مالها  
من الشرائط والاجزاء .

### الاية الرابعة

قال تعالى : «انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسسه الا المطهرون تنزيل  
من رب العالمين» «الواقعة ٨٠» .  
استدلوا بهذه الاية على تحريم مس كتابة القرآن و خالف فى ذلك بعض  
المحققين على ما سنشير اليه فى ذيل البحث انشاء الله .

قوله تعالى «انه» قالوا ان الضمير المنصوب راجع الى المتلو اى ما تلوناه  
عليك «القرآن» وهو فعلا من قرء يقرء بمعنى المفعول سمي به الكتاب المجيد  
باعتبار كونه حروفاً والفاظاً يتلى ويقرء «كريم» قيل: اى كثير الخير والنفع لمافيه

من اصول العلم وامهات الشرايع وفي القاموس ما ملخصه كريم اى معظم ومنزه .  
قوله «فى كتاب مكنون» الكتاب بمعنى المكتوب، المكنون اى المستور قيل:  
المراد به اللوح المحفوظ وهو صفة للقرآن ايضا وفيه تصريح بأن المراد من الكتاب  
فى المقام ليس هو القرآن كما فى غير هذا المقام من اطلاق الكتاب على القرآن  
كثيرا ويحتمل ان يكون خبرا ثانيا لان قوله تعالى «لايمسه الا المطهرون» صفة للقرآن  
ايضا او خبر لان الجملة خبرية اريد بها الانشاء والشاهد القطعى على انها نعت للقرآن  
قوله «تنزيل من رب العالمين» .

فان التنزيل صفة للقرآن بلا ريب ، ولا معنى لكون التنزيل صفة ونعتاً  
للكتاب المكنون فيسقط ما احتمله بعض المحققين من رجوع الضمير الى الكتاب  
وكون الجملة نعتاً للكتاب ويشهد على ما ذكرنا لفظ المس ايضا فان المس هو اللصاق  
الظاهرى واطلاق المس على الادراك سيما ادراك الحقائق الغاية عن الحس غير  
معهود فى اطلاق القرآن المبين ومحاوراته والمس الظاهرى للكتاب المكنون  
لا محصل له .

و الظاهر ان هذا التعبير بالنفى اظهر واقوى فى افادة المنع والتحرير فحيث  
يكون المراد من المطهرين هم الراجدون للطهارة والنظافة الظاهرية ويشمل باطلاقه  
وعمومه لمن تطهر من الاحداث وقد ناقش فى ذلك المحقق الاردبيلي (قده) من  
احتمال رجوع الضمير الى الكتاب و قواه بعض بأن رجوعه الى الكتاب اولى لانه  
اقرب وقد غفل هذا المحقق عما ذكرنا انه لو كانت هذه الجملة نعتاً للكتاب لوجب  
ان يكون قوله تعالى «تنزيل من رب العالمين» نعتاً للكتاب ايضا وغفل ايضا عما  
ذكرنا من الاستبعاد من اطلاق لفظ المس على الادراك العلمى وأوهن من هذا ما ذكره  
فى فائد الدرر عن بعض ان قوله تعالى «لايمسه» الاية نعت للقرآن باعتبار ما كان  
فى الكتاب المكنون قبل التنزيل وهذا اخص من القول اذ لاشاهد عليه فى ظاهر  
اللفظ وظاهر الاية صرح ان القرآن غير الكتاب المكنون وليس بمرتبة من مراتب  
الكتاب المبين كما زعمه الاعاظم من الصوفية .



فان قلت: ان المستثنى وهو المطهرون اى الواجدون للطهارة والطهارة فى اللغة مطلق النظافة فأى دلالة فى الاية على اشتراط الطهارة من الاحداث .

قلت: نعم وانما تدل الاية على جواز مس كتابة القرآن لكل من كان مطهرا ويشمل لعمومه من كان مطهرا من الاحداث ايضا وهذا عام فى معرض التخصيص كغيرها من عمومات القرآن فيخصص بالادلة المنفصلة بالقربة والاخلاص وغيرهما من القيود فيتم ما ذهب اليه المشهور من الفقهاء و المفسرين من تحريم المس لغير المتطهر من الاحداث قال الشيخ فى التبيان (٥١٠ ص ج ٩ ط النجف) واستدل بهذه الاية على انه لايجوز للجنب والحائض والمحدث ان يمسوا القرآن الى ان قال وعندنا ان الضمير راجع الى القرآن و ان قلنا ان الكتاب هو اللوح المحفوظ فلذلك وصفه بأنه مصون ويبين ماقلناه قوله «تنزيل من رب العالمين» . انتهى .

وقريب منه عبارة الطبرسى فى الجمع قال وقالوا لايجوز للجنب والحائض و المحدث مس المصحف . عن محمد بن على الباقر (ع) و طاووس و عطا وهو مذهب مالك والشافعى فيكون خبرا بمعنى النهى، وعندنا ان الضمير يعود الى القرآن و لايجوز لغير الطاهر مس كتابة القرآن انتهى . ثم انه لاختفاء فى صحة اطلاق القرآن على الخطوط فلا محصل لما عن بعض من ان القرآن عبارة عما يقرء ويتلى و يشكل صدقه على المصحف و الكتابة .

فتحصل فى المقام انه لا ريب فى بحث الطهور افادة الاية عدم جواز المس للقرآن وعليه شواهد من الروايات ايضا فى الحدائق قال فى رواية ابراهيم بن عبد الحميد عن ابي الحسن (ع) قال المصحف لايمسه على غير طهرو ولا جنبا ولا يمس خطه ولا تعلقه ان الله يقول لايمسه الا المطهرون .

ورواه فى الوسائل مسندا، واشتمال الرواية على المنع فى غير الكتابة لا يضر فى دلالتها على التحريم فالمنع من تعليق من ان القرآن ما يقرء ويتلى ويشكل صدقه على المصحف والكتابة .

ثم انه لاختفاء فى صحة اطلاق القرآن على الخطوط فلا محصل لما عن بعض

من ان القرآن ما يقرء ويتلى ويشكل صدقه على المصحف والكتابة .  
 فتحصل في المقام انه لا ريب بحسب الظهور في افادة الاية عدم جواز المس  
 للقرآن وعليه شواهد من الروايات ايضاً وفي الحدائق قال: في رواية ابراهيم بن  
 عبد الحميد عن ابي الحسن (ع) قال المصحف لا يمسه على غير طهور ولا جنباً ولا يمسه  
 خطه ولا تعلقه ان الله يقول «لا يمسه الا المطهرون» ورواه في الوسائل مسنداً واشتمال  
 الرواية على المنع في غير الكتابة لا يضر في دلالتها على تحريم المس فالكراهة في  
 تعليق القرآن لقيام الادلة على جوازه لا ينافي المنع عن مس كتابته .  
 قال الشيخ (قده) في الخلاف: روى حماد عن حريز عن اخبره عن ابي عبد الله عليه السلام  
 قال: كان اسماعيل ابن ابي عبد الله عنده فقال يا بني اقرء المصحف فقال اني لست على  
 وضوء فقال لا تمس الكتابة ومس الورق واقرئه .  
 اقول : وهو مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة مع زيادة تحريم المس للحاشية  
 ايضاً عند الشافعي .

### الاية الخامسة

قال تعالى «فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين» (التوبة ١٠٨)  
 قوله تعالى (فيه) الضمير راجع الى مسجد قبا فان صدر الاية هكذا «لمسجد  
 اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه رجال» الخ .  
 قوله تعالى (رجال) هؤلاء قوم من الانصار كانوا يحبون التطهير بالماء والظاهر  
 انه كان من عاداتهم وسنتهم ذلك فنزلت الاية واحسن الله الثناء عليهم وربما يتوهم  
 في بدو النظر ان الاية نزلت في تشريع الاستنجاء بالماء اوفى مقام امضاء ما صدر  
 من اهل قبا في اول الامر وليس كذلك بل الظاهر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالاستنجاء  
 وابتلى رجل من الانصار فأكل طعاماً ولان بطنه و لم يستغن عنه الاحجار فاستنجى  
 بالماء فنزلت فيه قوله تعالى «ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» (البقرة ٢٢٢)  
 فالتحصن في المقام ان الناس كانوا يستنجون بالكرسف والاحجار فامر

رسول الله بالماء ثم نزلت الآية ( فى البقرة ) وهى اول ما نزل بالمدينة ثم نزلت بعد سنين الآية فى التوبة وقد اختلط تفسير احدى الايتين بالاخرى وكذا مورد نزولهما ووجه ذلك ان مطهريه الماء وطهارته كانت عند عامة البشر من فطرياتهم المعلومه لابد من ايقاظ فطرتهم و تربيتهم بالنظافة و الوضائة حتى ان اليوم لم يستكمل امر النظافة فى جميع الناس .

فى تفسير العياشى عن جميل قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول كان الناس يستنجون بالكرسف والاحجار ثم احدث الوضوء وامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزله فى كتابه ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . قال الجزائرى ونقل هذه الرواية فى الكافى بسند صحيح او حسن .

وعن دعائم الاسلام عن على عليه السلام قال الاستنجاء بالماء فى كتاب الله وهو قوله « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وهو خلق كريم .

وفى تفسير هذه الآية روايات اخرى ايضا . واما الآية فى سورة التوبة ففى تفسير العياشى عن الحلبي عن ابي عبدالله عليه السلام قال سألته عن قول الله عزوجل « فيه رجال يحبون ان يتطهروا و الله يحب المطهرين » قال : الذين يحبون ان يطهروا نصف الوضوء هو الاستنجاء قال قال نزلت هذه الآية فى اهل قبا :

وفى رواية ابن سنان عنه قلت له مازالك الطهر قال نصف الوضوء اذا خرج احدثهم من الغائط فمدحهم الله تعالى بتطهرهم - اقول: فى تفسير هذه الآية روايات من العامة والخاصة .

وههنا مسائل :

الاولى : المستفاد من اطلاق الايتين كفاية مطلق الوضوء و النقاء من غير احتياج الى الاحجار ومن غير احتياج الى تعدد الغسلات وتكرارها واما استحباب الجمع بين الماء والاحجار فبالادلة المنفصلة .

الثانية : اطلاق الايتين تشمل الطهارة المطلقة الحسية المعلومه سواء كان من الاحداث او من الاقدار و اما الطهارة المعنوية و هى الطهارة من درن الاثام و دنس

المعاصى كما ادعاه بعض فبديهي عدم صحة هذا الاطلاق فى الاية الاولى اعنى الاية فى سورة البقرة فان مقابلة التوابين بالمتطهرين قرينة واضحة على ان المراد من المتطهرين هى الطهارة من الاقدار و من الاحداث فان التوابين هم المتطهرون من قذارات الكفر والعصيان .

واما الاية فى سورة التوبة فقد توهم بعض ان المراد فيها هى المعنوية غير شاملة للطهارة الحسية استنادا الى ان الاية ناصة بالمدح والثناء لاهل مسجد قبا الذى اسس على التقوى فى مقابل مسجد ضرار الذى اسس ارسادا لمن حارب الله ورسوله فالذين فى مسجد قبا رجال صالحون كما ان الذين فى مسجد ضرار رجال مفسدون فهذه المقابلة بين المسجدين ينتهى بالآخرة الى مقابلة من يسكنون فيهما بالكفر والايمان والطهارة والخباثة والاصلاح والافساد فلامحالة تكون الاية ظاهرة «ان الذين يحبون ان يتطهروا» اى من المعاصى والقبائح والفضائح .

وفيه ان ما ذكر من البيان لا يصلح لصرف اللفظ عن معناه اللغوى وما ذكره من المعنى اى الطهارة من القذارات العقلية ليست فى عرض الطهارة الظاهرية الا يضرب من التأويل والمناسبة فغاية ما يقال: انها من المصاديق ومن انواع الطهارة فلا وجه لاختصاص اللفظ بها ورفع اليد عن العموم والاطلاق ، واما قولنا ان اطلاق الالفاظ فى مورد المعانى الظاهرية على المعنوية من باب التأويل فتخرج الطهارة المعنوية عن مصب الاطلاق والعموم فلا يصار اليها الا بدليل قطعى .

الثالثة : يستفاد من الاية استحباب الكون على الطهارة كما اختاره فى كنز العرفان و علله بان الطهارة شرعا حقيقة فى رافع الحدث . أقول : الحق انها من مصاديق المعنى اللغوى فقوله تعالى « والله يحب المتطهرين » ليس المراد حدوث الطهارة محضا بل المحبوب نفس الطهارة و كذلك يستفاد محبوبة مطلق النظافة واستمرارها .

قال المحقق الاردبيلى ( قده ) : وفى سبب النزول دلالة الى ان قال والمبالغة فى الاجتناب عن النجاسات انتهى . وهو كما قال فان الاية صريحة انه تعالى يحب

المطهرين .

الرابعة - قالوا محبة الله لعباده المتطهرين ان يرضى عنهم ويحسن اليهم وليس ببعيد فقد ورد في الروايات ان رضاه ثوابه وسخطه عقابه .

توضيح وتفصيل : قد تقرر ان القرآن الكريم وآياته الشريفة لم يجعل لزمان دون زمان ولا قوم دون قوم وعن ابي عبد الله عليه السلام ان القرآن حي لم يموت وانه يجرى كما يجرى الليل والنهار وكما يجرى الشمس والقمر الحديث . فان القرآن قضايه قضايا حقيقية ينحل فالاية النازلة في شأن افراد بخصوصها لا بد من تطبيق تلك الافراد على ذلك الكلى و كذلك لو نزلت الاية في شأن نوع خاص لا بد من تطبيق ذلك النوع على ذلك الكلى لاحمل الكلى على الفرد و النوع وهذا هو الاصل المسلم في باب التفسير ان النظر بعموم اللفظ لا خصوصية المورد وهذا معنى ما قالوا ان الموارد لا يكون مخصصا للعموم اصلا .

نعم لا بد من الالتزام ان لا يخرج شأن النزول ومورده عن هذا العموم ولا ينافي ارادة نوع خاص منها عند قيام القرآن و عند تخصيصها و تقييدها بالمخصصات والمقيدات فان للشارع اخذ نوع من العام و المطلق موضوعا لحكم او متعلقه او قيدا او شرطاً لحكم او لصحة عبادة او مانعا لتعلق عبادة او مبطلا لها فعلى عهدة الفقيه التحرى والاجتهاد فى الموارد الواردة بلحاظ الشرائط و المانع و غيرها على نحو المولية .

ولا يخفى ايضا ان استعمال لفظ الطهارة والنجاسة وما يشق منهما فى الطهارة و النجاسة المعنوية او فى الاعم منهما و من الحسية ليس من باب التاويل بل من باب استعمال الكلى فى انواعه او فى بعض انواعه و من باب تطبيق هذا النوع على هذا الكلى وان ابيت استعمالها فى المعنوية الا بعد التذكر والارشاد فلامضايقة .

فعلى هذا لو قلنا ان الاية الواردة فى شأن اهل قبا صريحة و ناصة فى الطهارة العقلية المعنوية لوجب الاخذ بعموم الطهارة بأنواعها واقسامها وكذا لو قلنا انها نص فى الطهارة الحسية او الاستنجاء بالماء لوجب الاخذ بعموم الطهارة حسية كانت او معنوية

ثم لا يخفى ان الطهارة كما نبهنا عليه غير مرة انها من الامور الحسية الواقعية وليس من الامور الانتراعية الاعتبارية وكذلك القذارة والخبائث، ففي حديث اربعمأة عن علي عليه السلام ان الله يبغض العبد القاذورة (الحديث) فحسن النظافة وقبح الخبائث من الضروريات البديهية العقلية والامر يزيد وضوحا وبيانا في الطهارة المعنوية مثل الطهارة من رجس الكفر والشرك والفسوق والعصيان وكذلك في الخبائث والنجاسة المعنوية فانها من المستقلات العقلية فيجب الاجتناب من الكفر والفسوق بالضرورة ويحسن النظافة والنزاهة من الرجس رجس الكفر والنفاق .

فكل ما ورد في الكتاب والسنة في هذا الباب فهو ارشاد وتذكير الى ما دركه العقل تدور تلك الخطابات مدار ما ارشد اليه العقل، فيسقط الاخذ بالعموم التعبدى فالخبائث قبيح ورجس بجميع اقسامها حسية كانت او معنوية بحسب مراتبها شدة وضعفا . وكذلك النظافة والوضائة حسن جميل بحسب مراتبها شدة وضعفا حسية كانت او معنوية .

### الاية السادسة

قال تعالى « وانزلنا من السماء ماء طهوراً لنحىي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما وانا سى كثيرأ » (فرقان ٤٩) المستفاد من موارد الاستعمال ان طهورأ قد استعمل في ثلاثة معان :

الاول : للمبالغة من الطاهر مثل اكلول وضروب ومعنى المبالغة فيه مع ان مادة طهر لازم غير متعد الى شدة الطهارة والوضائة فيه مثل قوله تعالى « وسقاهم ربهم شرابأ طهورأ » .

الثانى : بمعنى المصدر ومنه قوله (ع) لاصلوة الابطهور .

الثالث : انه اسم لما يتطهر به كالسحور لما يسحر به والوقود لما يوقد به مثل قوله تعالى : « فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة » (البقرة ٢٤) وذهب الى كل من هذه المعانى فريق فالحنفية الى انها بمعنى المبالغة لاغير .

والحق ان المعانى المذكورة كلها صحيحة وقدوردت فى الاستعمال وصرح به اساتيد اللغة فلاوجه لاثبات واحد ونفى ماسواه قال فى القاموس: الطهور المصدر واسم لما يتطهر به والظاهر المطهر . وفى اقرب الموارد الطهور المصدر واسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضؤ به ويوقد به (ماعندى طهوراً أتطهر به اى وضوء اتوضأ به يقال التوبة طهور للمذنب) .

وقيل: الطاهر المطهر ومنه «انزلنا من السماء ماء طهوراً» اى مطهراً اطلب لى ماء طهوراً اى بليغا فى الطهارة لاشبهه فيه، وعن الصحاح الطهور ما يتطهر به كالسحور وعن الفاضل الفيومى فى كتاب مصباح المنير حيث قال: وطهور قيل: مبالغة وانه بمعنى طاهر والاكثر انه لوصف زائد قال ابن فارس: قال تغلب: الطهور فى نفسه والمطهر لغيره وقال الازهرى ايضاً الطهور فى اللغة الطاهر المطهر وفعل فى كلام العرب لمعان منها فعول لما يفعل بل مثل الطهور لما يتطهر به انتهى ما أردناه .

اقول: وقد كثر التشاجر والاختلاف بين المتأخرين فى ان الطهور بمعنى الطهر وعندى ان هذا النزاع قليل الجدوى وقد عرضنا عن ايراده فى المقام فان الطهور بمعنى ما يتطهر به يرجع عند التحليل ان الماء طاهر ومطهر فلا ينبغى - بعد ثبوت ان المراد منه ما يتطهر به - النزاع فى ان طهوراً ليس بمعنى الطاهر المطهر وبصير النزاع لفظياً والحق فى المقام ان الظاهر من الاية هو المعنى الثالث والاية الكريمة وما فى سياقها من الايات والروايات امضاء لهذه الفطرة وارشاد اليها وتذكير بها وتحديد لحدودها .

فمن المستدرك من الجعفرىات بسنده الشريف عن على امير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء يطهر ولا يطهر - وبهذا السند عنه ايضاً قال: الماء يطهر ولا يطهر ورواه - فى البحار عن المحاسن عن ابى عبدالله عن امير المؤمنين عليه السلام ، ورواه ايضاً عن الراوندى عن موسى بن جعفر عن آباءه عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد استشكل على هذا الاستدلال بوجوه منها ان الاية تدل على مطهريه الماء

النازل من السماء فقط والدليل اخص من المدعى .

وفيه ان خصوصية المورد لاينافى الاطلاق بل يجب الاخذ به سيما بمعونة ما ذكرناه ان المقام مقام التذكرو الارشاد لامقام التشريع والتأسيس واجيب ايضاً ان المياه كلها نازلة من السماء فسلكها الله تعالى ينابيع فى الارض. وفيه ان هذه المسألة مسألة علمية طبيعية واثبات ان مواد المياه الموجودة فى العالم اونسف المياه كلها نازلة من السماء استناداً بالايات الكريمة مو كول الى محل آخر والجواب الفقهي ما ذكرناه .

والاشكال الثانى ان ماء نكرة فى سياق الاثبات فلاعموم فيها ولا اطلاق والجواب ان الظاهر من الماء بمعنى الجنس لا النكرة ومورد الامضاء هى طبيعة الماء وماهيته لا الفرد المبهم لابعينه واجاب فى الحدائق بأن النكرة فى سياق الاثبات وان لم يكن مفيداً للعموم الا انه سيق الكلام فى مقام الامتنان والتفضل للعموم فى جميع الحوائج الضرورية سيما بملاحظة ماورد من التهديد فى قوله تعالى «وانا على ذهابه لقادرون» وهذه النكرة مثل ما ذكره فى قوله تعالى «فيها فاكهة ونخل ورمان» وهذا الجواب لباأس به والاظهر ما ذكرناه .

والاشكال الثالث ان طهوراً كيف يكون بمعنى المطهر والحال ان طهر فعل لازم غير متعد والجواب ان استعمال طهور بمعنى ما يتطهر به سماعى قد تواتر فى استعمال العرب واجمع علماء اللغة بالتنصيص به ويستدل ايضاً على ما استظهرناه من العموم فى قوله تعالى (ماء) بقوله تعالى « وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ماءً فتميموا صعيداً طيباً » الاية فعلق جواز التيمم على عدم وجدان الماء و (ماء) فى هذه الاية نكرة فى سياق النفى فلايجوز التيمم لو وجد نوع من انواع المياه كما هو نص الكتاب والسنة القطعية واجماع علماء الاسلام فلايصغى الى ما نقل عن عبدالله بن عمر وابن عاص من جواز التيمم مع وجود ماء البحر وما عن سعيد بن مسيب عن عدم جواز الوضوء مع وجود ماء آخر ولادليل على مطهريه مايع آخر غير الماء كالنيبذ عند أبى حنيفة .



### الاية السابعة :

قال تعالى «اذ يغشيكم النعاس امانة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام» الانفال ١١ . المشهور عند المفسرين ان الاية نزلت في غزوة بدر وقد نزل المشركون على الماء ونزل المسلمون على كتيب تسيخ فيه اقدامهم وهم كانوا على خوف واضطراب حين رأوا كثرة المشركين وعدتهم (بكسر العين) وعدتهم (بضم العين) مع قلة عدتهم وضعف عدتهم ، وكان لهم فرسان وسبعون جملا يتعاقبون عليها - القصة - فسلط الله عليهم النعاس وانزل الله الامن والطمأنينة على قلوبهم واحتلم اكثرهم في تلك الليلة فأنزل الله عليهم من السماء ماء فسالت الوادى ، وجعل المسلمون الحياض والغدران فشربوا واغتسلوا من الجنابة فاطهروا من القذارات وتلبدت الارض ونبتت عليها اقدامهم .

قوله تعالى «ماء» الكلام فيه بعينه الكلام في الاية السابقة قوله تعالى «ليطهركم» الظاهر في الاية بحسب الاطلاق هي الطهارة من الاحداث والاقذار، والفرق بين هذه الاية وسابقتها ان السابقة ظاهرة في الطهارة والمطهرة وهذه نص فيهما . قوله تعالى «رجز الشيطان» الرجز بالضم والكسر القذارة كما في قوله تعالى «الرجز فاهجر» (المدثر- ٥) والشرك والعذاب وعبادة الاوثان والظاهر ان جميع هذه المعاني من مصاديق الرجز وافراده ولا مانع من تعميم الرجز الى جميعها الا ان المورد يتأبى بحسب الظاهر عن صدق الاية وتعميمها الى غير الاحداث والاقذار التي يتطهر منها بالماء .

هذا ان قلنا : انه عطف تفسير وتوضيح لقوله تعالى : «ليطهركم» وحيثئذ يكون المراد من رجز الشيطان الحدث بالجنابة والقذارات الحاصلة بالاحتلام فعليه يترتب ويتفرع قوله تعالى «ويذهب عنكم رجز الشيطان» بقوله تعالى : «وينزل عليكم ماء» وهذا هو الظاهر من الاية وقيل المراد من رجز الشيطان العذاب والوسوسة

التي يلقيها اليهم ويوجب لهم الحزن والخوف على ما هو المشهور في شأن النزول من تمثل الشيطان لهم فعلى هذا يكون عطفاً على قوله تعالى (امنة) ومتربباً ومتفرعاً على قوله تعالى «اذ يغشيكم النعاس» .

قوله تعالى : « وليربط على قلوبكم » ربط القلوب انزال الامن في قلوبهم وتشجيعها وسكونها بما وعد الله تعالى على رسوله واوليائه المجاهدين كي يثبتوا في مواقع الطعن والضرب ويصبروا صبر الكرام الاحرار في اعزاز اسم الله الكريم واعلاء كلمته سبحانه .

قوله تعالى «يثبت به الاقدام» والظاهر ان الضمير راجع الى الربط اي ربط القلوب ويثبت به اقدام المجاهدين بطمأنينة قلوبهم الزكية وعزيمة نفوسهم الطاهرة وقيل : ان المراد من تثبيت الاقدام ان السوادى كان رملاً يسيخ فيه اقدامهم فتبلل الوادى بنزول المطر وتثبت فيه اقدامهم وهذا الوجه انما يمكن بناء على ان قوله تعالى «وليربط على قلوبكم» مترتب ومتفرع على قوله «وينزل عليكم من السماء ماء» واما بناء على ما ذكرنا انه متفرع على قوله «اذ يغشيكم النعاس امنة» فيكون تثبت الاقدام عطفاً عليه فيكون ظاهر في الصبر والثبات القلبي .

### الاية الثامنة

«ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض فلا تقربوهن حتى يظهن فاذا ظهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» (البقرة ٢٢٢) .

قبل في وجه السؤال ان سنة اليهود في امر النساء والاجتناب عنهن في زمن الحيض كانت في طرف الافراط وقد سرت هذه العادة الى الاعراب الوثنيين المخالطين مع اليهود وكانوا يفارقونهن في المسكن والمطعم والمشرب وامثالها وكانت النصارى على طرف التنريط والتساهل ولا يبالون بشيء امرهن، فالمحيض مصدر من حاض يحيض فقد وقع السؤال عن نفس الحيض بلحاظ نفس الحيض

لاباعتبار احكامه وقوله اذى : جواب عن هذا السؤال فالمشهور في تفسير الاذى انه القذر والنجس وقوله : يشكل حمله على الحيض بمعناه المصدرى قال في آلاء الرحمن ص ١٩٨ ولا بد في قوله «بل هو اذى» نحو من الاستخدام فان الحيض بمعناه المصدرى ليس قذراً يجتنبه الرجال وانما القذر والاذى هو الدم ويحسن هذا بشدة الملايسة والاستغناء به عن التصريح باسم دم الحيض المتعذر انتهى .

وقيل : ان اذى بمعنى الضرر والحق ان اذى ليس بمعنى قذر ولا بمعنى الضرر والموارد المستعملة فيها اذى تشهد على خلافه قال لن يضركم الا اذى ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وغيرهما من الايات وقال في القاموس في تفسير اذى: هي المكروه وفي اقرب الموارد اذى يأذى وآذاه وصل اليه المكروه وما ذكره في معناه انه القذر او لمتقذر او الضرر من مصاديق المعنى الذي ذكرناه ينطبق عليه احياناً لامطلقاً .

فالمتحصل من موارد الاستعمال ومن تصريح اهل اللغة انه المكروه المنافر للطبع الغير الملايم به وكيف كان فهو جواب عن السؤال وهو نفس الحيض وفيه تعرض لما كان دائراً ورائجاً في الوقت من الغلو والافراط والخرافات في امر النساء والحيض وشدة الاجتناب عنهن واجاب واجمل في الجواب بالاخذ بالوسط الحق بين الغالين المفرطين وبين المتساهلين الذين لا يبالون بشيء من أمرهن ثم اخذ في بيان الحكم وبيان الوظيفة العادلة في الاجتناب عنهن وعبر عن هذا الاجتناب كناية بالاعتزال والنهي وعدم القرب منهن وهو الاختلاط الجنسي على ما سيحكيء بيانه فان المعلوم من سنة القرآن المبين الصريح عن التعريض بما يستقبح ذكره ومن العجيب ما في المنار ملخصاً ان اذى بمعنى الضرر وعلّة للحكم قدم على الحكم تسهيلاً لقبول المتساهلين .

وفيه اولا ان الاذى ليس بمعنى الضرر كي يكون علة للحكم ولو كان بمعنى الضرر فهو جواب عن السؤال مستقيماً لانه علة للجواب قدم على الجواب كي يتسارعوا الى قبوله ثم ان العلة المذكورة للاحكام في بعض الموارد في الكتاب

والسنة ليست علة للحكم يدور مدارها وانما هو لبيان شيء من مصالحها وحكمها وقد ذكر في الاثار المروية عن النبي والائمة عليهم السلام من مفاصد الوقاع في زمن الحيض فلا يكون الاذى علة منحصرة للحكم فلا يمكن ان يقال ان الضرر على فرض تسليمه علة للحكم فلا وجه للالتزام بهذا الوجه الردى كى ينحل نظام الاية ويختل ارتباط جملاته .

قوله تعالى « فاعتزلوا النساء فى المحيض » الاعتزال : هو التنحى والتباعد والمحيض كما ذكرنا فى صدر البيان مصدر من حاض يحيض بمعنى سال يسبل مثل مجيء ومبيت والجار والمجرور بتقدير المضاف متعلق باعتزلوا واسم زمان متعلق به ايضاً اى فاعتزلوا النساء فى حال الحيض اوفى زمان الحيض .

وعن الفخر الرازى وظاهر بعض المفسرين ان المحيض اسم مكان وهو موضع الدم وهو مفعول لاعتزلوا فيكون الاية نصاً فى تحريم موضع الدم من دون احتياج الى تقييد الاعتزال المطلق وتخصيصه بالادلة المنفصلة بتحريم موضع الدم وقواه بعض الاجلة بأن المحيض لا يخلو اما ان يكون مصدراً اذا اسم زمان او اسم مكان فعلى الاول يحتاج الى اضممار لمضاف والاصل عدم الاضممار وعلى تقديره فاضمار المكان اولى فان اضممار الزمان التزام بوجود الاجتناب المطلق عن النسوان بالكلية فى مدة الحيض وهو خلاف الاجماع وهذا من العجائب فان فى المحيض ظرف للاعتزال على جميع التقادير وليس مفعولاً به وما ذكره فى ترجيح كونه اسماً للمكان قد خلط فيه بين المفعول به والمفعول فيه فلا يرجع ما ذكره هؤلاء الافاضل الى معنى محصل .

نعم ذكر بعضهم ان العناية باعادة اسم الظاهر دون الاشارة بالضمير ان المحيض المذكور فى صدر الاية والمذكور فى المقام اسم زمان فالتيان بالضمير لا يكون وافياً لافادة المراد .

فتحصل ان تقييد وجوب الاعتزال بموضع الدم لا بد ان يلتبس عن الادلة المنفصلة او من قرائن اخرى وقد كثر القيل فى هذا الباب من ارادها فليراجع الى

## المطولات .

والظاهر ان الآية الكريمة بعد التأمل فيها صدرأ وذيلاً تدل على ان المراد هو الاعتزال الخاص وهو الوقاع عن موضع الدم لامطلق الاعتزال حيث قال تعالى «فاذا تطهروا فأتوهن من حيث أمركم الله» فالامر بالأتين ليس للوجوب بل مفاده رفع الحظر والارسال والاطلاق في أتانهن مثل قوله تعالى «فاذا حللتم فاصطادوا» فلسان التحليل ورفع الحظر صريح ان الممنوع في زمن الحيض هو الأتيان فقط لامطلق الاعتزال .

فتحصل في المقام ان قوله تعالى في المحيض اما مصدر بتقدير المضاف او اسم زمان فالآية الكريمة لاتدل على ازيد من تحريم موضع الدم واما كراهة ساير الاستمتاعا منهن او تحريمها فخارج عن مفاد الآية فلا بد ان يطلب من ادلة اخرى . قوله تعالى «ولا تقربوهن» عطف تفسير وتوضيح لقوله تعالى «فاعتزلوا» وقد عبر تعالى عن ترك الوقاع بالاعتزال وعدم القرب منهن مراعاة للادب البالغ في القرآن الكريم .

فالصفح عما يستقبح ذكره من سنة الكرام الابرار المتأدبين بأدب الله سبحانه . قوله تعالى «حتى يطهروا» قيد وغاية لوجوب الاعتزال وحرمة القرب منهن وظاهره الاطلاق وعدم توقف المسيس منهن بأمر آخر والمراد من الطهارة هو النقاء من الدم وانقطاعه فالطهارة مصدر طهر ووضده القذاراة وكلتاها فعل لازم غير متعد . قوله تعالى « اذا تطهروا فأتوهن » الآية فلما كان مفاد الجملة الاولى هو الاطلاق وجواز المس بهن من دون توقف بأمر آخر فلما محالة يقع المنافات بينهما وبين الجملة الشرطية التالية ، وحيث ان الشرط والقيد متصل فلما منع من تقييد اطلاق مفهوم الغاية بمفهوم الشرط الا ان ذلك متوقف على القول بحجية مفهوم الشرط ومتوقف ايضاً على أن لا يكون احد المفهومين اقوى ظهوراً من الاخر فمفهوم الغاية كالنص في انتهاء الحكم المعنى عند وجود الغاية ومفهوم الشرط مردد بين كون الطهارة قيداً استحبابياً او قيداً وجوبياً كى يحرم الأتيان بهن قبل هذا الشرط فعليها

يكون مفهوم الغاية قرينة وشرحاً لمفهوم الشرط فيكون الطهارة في المقام قيداً أو شرطاً استحبائياً فلا مانع من جواز المسيس قبل الطهارة وتوقفه على الطهارة استحباباً فيسقط ما ذكره الفخر الرازي وغيره من توقف الجواز على تحقق كلتا الجمليتين من دون تعرض لدفع التنافي بينهما .

ثم ان الطهارة امر ذو درجات فالتطهير المذكور شامل باطلاقه جميع مراتبها شمولاً بديلاً لشمولاً عموماً فيكفي في شمول الطهارة وصدقها غسل الموضع وجواز المسيس بعده، ودعوى انصراف الطهارة الى الطهارة الكاملة والاعتسال مدفوع بأن هذا الانصراف انصراف بدوى يرتفع بعد التأمل .

هذا كله بناء على قراءة التخفيف واما بناء على قراءة التقليل فقال الفخر الرازي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وامكن الجمع بينهما وجب الجمع بينهما انتهى . يريد الاستدلال عن طرف الشافعي ان قراءة التشديد يوجب الجمع بين النقاء والاعتسال لتعارضها بقراءة التخفيف فالترجيح لجانب قراءة التشديد .

اقول : معنى ما ذكره من ترجيح قراءة التشديد بالجمع بين القراءتين ليس استظهاراً من الاية ومرجع ما ذكره هو اجمال الاية والرجوع الى الاصل العملي وهو الاحتياط والحق ان ما ذكره من تواتر القراءتين ليس بشيء وانما هذا شيء نهجوا به في كلماتهم ومقالاتهم ولا سبيل لنا الى هذه القراءات الا آحاد غير واجدين للشرائط المعتبرة في حجية الخبر الواحد المقررة في الاصول . قال في آلاء الرحمان (ص ٢٩) الى ان قال : ماهي الا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامة المسلمين في السنين المتطاولة وان كلا من القراء لم تثبت عدالته ولا ثقته انتهى ما اردناه .

ويؤيد قراءة التخفيف ايضاً ما رواه في نور الثقلين عن الخصال عن موسى بن جعفر عن ابيه عليه السلام انه قال سئل ابي عما حرم الله من الفروج في القرآن وعما حرم رسول الله في سنته فقال الذي حرم الله من ذلك اربعة وثلاثين وجهاً سبعة عشر

فى القرآن وسبعة عشر فى السنة فاما الذى فى القرآن فالزنا الى قوله والحايض حتى تطهر لقوله تعالى حتى يطهرن .

فهذه الرواية الشريفة كما انها تؤيد قراءة التخفيف تصرح ايضاً بأن الغاية للتحريم هو النقاء ومما يؤيد قراءة التخفيف: مارواه فى تفسير العياشى عن عيسى بن عبدالله قال قال ابو عبدالله عليه السلام المرأة الحيض يحرم على زوجها ان يأتيتها فى فرجها لقول الله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن الحديث .

والقول الجامع فى الروايات الواردة عن ائمة اهل البيت سلام الله عليهم ان طائفة منها ناصة وصريحة فيما يستفاد من الاية الكريمة من جواز المسيس على استحباب الاجتناب حتى يغتسلن وطائفة منها مانعة عن المسيس وفيها قرائن الكراهة وهى قابلة للجمع مع الروايات الدالة على الجواز وطائفة منها صريحة فى المنع قبل الاغتسال الا انها لموافقته لمذهب علماء العامة المعاصرين لهم فلا يمكن الوثوق بها .

فتحصل فى المقام ان مفاد الاية الكريمة عند التأمل والتحليل عين مفاد الروايات الشريفة جواز الايتان بعد النقاء واستحباب الصبر على التطهير والاغتسال. قوله تعالى «فاتوهن من حيث امركم الله» - الامر باليتان للترخيص ورفع الحظر وهو مفيد الاباحة بالمعنى الاخص ولا وجه لما يقال انه يفيد الاباحة بالمعنى المطلق الشامل للوجوب والاستحباب والكراهة والاباحة كما لو صادف حين فراغها من الاغتسال لا خرايم الظهار والايلاء ونحو ذلك .

فان هذه العروض انما هى بالعناوين الثانوية والاية مسوقة بالعنوان الاولى وبالطبيعة المستمرة وثانياً بناءً على ما ذكرنا من ان الطهارة قيد استحبابى لجواز الايتان فلو صادف عنوان الوجوب بوقت النقاء فليس الاغتسال حينئذ قيداً استحبابياً لجواز المسيس .

قوله تعالى «من حيث امركم الله» ، اختلفوا فى هذا الامر وما المراد منه على اقوال الاول: الذى امر الله تعالى بالاعتزال والاجتناب منها والثانى: من قبل النكاح

لالفجور والثالث : ان يكون من جهة الحرام مثل ان لاتكن صائمات محرمت معتكفات وقيل المراد الامر التكويني اى الاهتداء طبعاً وتكويناً مع اعداد التجهيزات اللازمة للتوالد والتناسل لحفظ النوع وبقاء النسل وكلها مخدوش .

بل الظاهر ان المراد هى سنة التشريع وشرعية النكاح المرغوب فيه والمندوب اليه لاقامة سنة التكوين على ماسنه تعالى وقرره طبق الاسباب والمسببات ان خلق بينهما من العواطف الشريفة قال تعالى «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون» (الروم ٢١) . وما جعل فيهما من الميولات الغريزية للاختلاط الجنسى وماهياه الله واعده من تجهيز وسائل اللقاح من اختلاط الزوجين ما يدهش منها العقول فسبحانه من خالق ما احكمه فهذه السنة المقدسة الالهية مجارى قضائه تعالى فى امر الخليقة وبقاء هذا النوع وادامة هذا النسل وقد امر سبحانه عباده فى سنة التشريع لاقامة هذه السنة وايجاد الاسباب الموكولة اليها ومنها الاتيان عن المحل المعتاد .

قوله تعالى «ان الله يحب التوابين» الاية - لما كان حبه تعالى بعباده وبيان حقيقة الحب فيه سبحانه من اغمض المسائل الكلامية يحتاج الى بسط وتوضيح فى المقال يخرجنا عن البحث التفسيري وقد اعرضنا عن ايراده فى المقام .

اما التوبة فيقع الكلام فى وجوبها وبيان حقيقتها وفضلتها - اما الكلام فى الاول فقد تكاثرت الادلة فى الكتاب والسنة فى الامر به والحث عليه وقد توهم بعض على مانقله الشيخ العلامة الانصارى قدس سره عدم وجوب التوبة فى الصغائر استناداً بأن اجتناب الكبائر واتيان الطاعات والصالحات مكفرة للصغائر فلا يحتاج فى تكفير الصغائر الى التوبة ولعل القائل يستند فى هذه الدعوى الى قوله تعالى : «ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما» (النساء ٣١) والى قوله تعالى «ان الحسنات يذهبن السيئات وذلك ذكرى للذاكرين» (هود ١١٤) . وفيه اولا ان ظاهر الاية الاولى بقرينة ذيلها ان هذا التكفير فى يوم الحساب وعند دخول الجنة وظاهر الاية الثانية كما صرح به الشيخ (قده) اعم من الكبائر



والصغائر كما هو ظاهر غير واحد من الآيات الدالة على التكفير وأورد عليه أيضاً بأن آيات الطاعات واجتناب الكبائر لوقلنا انها مكفرة للصغائر لكن التوبة اسبق من الكل لانه يتحقق في الزمان المتصل بالمعصية لا يمكن فيه تحقق غيره غالباً .

والتحقيق في الجواب عن هذه المغالطة ان مرتبة تكفير المعاصي بالطاعات او باجتناى الكبائر ليست في مرتبة وجوب التوبة فان الكلام في وجوب التوبة من حيث الحكم التكليفى واما ما يفعل الله بعباده بفضل وكرمه فاجنبى عن محل الكلام فوعده تعالى وعد الصدق الذى وعده لاهل طاعته أن يغفر لهم ما سلف من الله والصغائر ليس ترخيصاً فى المعصية والاهمال فى التوبة والرجوع اليه تعالى والاعتذار اليه سبحانه من التجربى به وعن هتك حريمه وهذا الوجه بمكان من السقوط فوجوب التوبة من المستقلات العقلية وجميع ماورد فى الكتاب والسنة من الامر به والحث عليه ارشاد به وتذكراىه وتقريب ذلك ان الاحكام من الواجبات والمحرمات سواء كانت من المستقلات العقلية او من التعدييات الشرعية المولوية لا بد من امثالها والخروج عن عهدتها بالضرورة والاهمال فى ذلك غير مسقط لوجوب الامثال وهذا الوجوب باق بحاله كما كان وكذلك التصميم على المخالفة والعصيان فى المستقبل، فالتوبة واجبة بعين وجوب الامثال بالبدهة العقلية فهى تجديد ايمان والتزام واحكام عهد وتثبيت ميثاق كما صرح بذلك سيد العابدين صلوات الله عليه فى دعائه فى طلب التوبة قال: ولك يارب شرطى ان لا اعود فى مكر وهك وضماني الا ارجع فى مذمومك وعهدى ان اهجر جميع معاصيك . الدعاء (٣١) .

فتبين ان التكفير تكفير السيئات بالحسنات وتكفير الصغائر باجتناى الكبائر ليس فى مرتبة التوبة ولا فى عرضها فلا يمكن ان يكون من افراد الواجب التخبيرى ولا متزاحمين مع التوبة وليست ادلتها معارضة بأدلة وجوب التوبة فحيث أن الوجوب وجوب ارشادى قال الشيخ (قده) فلا يترتب عقاب على تركها غير العقاب الذى يتوجه على اصل المعصية وقال ان مرادنا بالامر الارشادى ليس الا ما يترتب عليه اثر الاما يترتب على اصل العمل فالواامر الارشادية يدور مدار المرشد اليه كالتعلم

الواجب للاحكام وامثاله .

اقول: هذا الوجه غير مرضى عمدنا فان التوبة لا يقاس بالتعلم وامثاله فالتوبة فى عين انها جبران لماخالف امر ربه تعالى التزام بالطاعة وهذا الالتزام واجب وتركه تفریط فى جنب المولى جل مجده وثانياً قد ذكرنا ان التوبة مصداق للامتثال الواجب وتغايرهما بحسب المفهوم والاعتبار لا بحسب المصداق فالكلام فى وجوب التوبة بعينه فى وجوب الامتثال واما حقيقة التوبة قيل هو الندم على مافات وظاهر بعض الكلمات اشتراط الاستغفار فيه .

اقول : الظاهر انه لا ينفك غالباً عن التشوق الى المغفرة والاستحياء من الله سبحانه واما اشتراط الاستغفار الانشائي باللسان فلم تحصل دليل على وجوبه واما بناء على ما ذكرنا فهو الندم والقيام بما يحققه من الاعمال لا الندم فقط مثلاً الحاس حقوق الناس لا بد له من الندم والتخلص من مظالم العباد وهكذا غيره من الاعمال . ثم لا يخفى ان التوبة تختلف مراتبه بحسب اختلاف مراتب التائبين فلامحالة تختلف مراتب التوبة وتنقسم الى الاكمل والكامل وعلى ذلك يحمل اختلاف الروايات الواردة فى بيان حقيقة التوبة .

### ( واما فضيلة التوبة )

قال تعالى «الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب» . (الشورى ١٣) فكفى بها فضلاً وشرفاً انها من اعظم الفرائض واجل العبادات والله سبحانه يهدي الى جنبه من ينيب اليه فأنا بة العبد الى الله ووقوفه موقف التسليم بين يدي ربه ووقوف المستسلم الدليل : وقوف من لارب له الا الله وحده ويسأله ويتضرع اليه ايفاء لوظيفة العبودية ورفع الغفلات عنه ونزول السكينة الالهية عليه عين الهداية الربانية قد دخل حريم الانس وجلس بساط القرب وقد قبض الله قلبه اليه واطلق لسانه بالتمجيد له حتى اقبل بكلمه وكنه همته الى الله مناجياً باكياً قلماً وقد أقبل الله تعالى اليه اقبال الشفيق ونصت اليه انصات الصديق ويجهه اجابات الاحياء ويناجيه

مناجاة الاصدقاء .

قوله تعالى «التوابين» اثبات الحب للتوابين لاينافي حبه للتائبين ولعل العنايةفيه عدم بأسه من الله سبحانه فاذا زلت قدمه بعد التوبة الاولى يرجع الى ربه ثانياً مرة بعد أخرى فاليأس بعد تكررتوبة وتكرر نقضها حرام بيّن ومن تسويلات الشيطان وتكرّر الرجوع الى جنابه وثوق بسعة كرمه وفوز حسان فلايضيق فضله عن مغفرة المذنبين .

ويحتمل ان يكون التواب مبالغة من حيث الكيفية اى من يكون قوياً فى التوبة شديد التمسك كما ذكره السيدالسند (قده) فى شرح الصحيفة المباركة وفى التعبير بان المؤكدة وتصدير الجملة بها فى قوله تعالى «انالله يحب التوابين» اشعار بكمال العناية للتوابين ولتثبيت محبته تعالى لهم . وفى شرح الصحيفة فى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ انك قلت فى محكم كتابك انك تقبل التوبة عن عبادك وتعفو عن السيئات وتحب التوابين فأوجب لى محبتك كما شرطت . الدعاء .

قال السيد: فان قلت لم قال فى هذه الفقرة وأوجب لى محبتك ولم يقل احبنى كما قال وأقبل توبتى واعف عن سيئاتى ومن أين فهم ايجاب شرطه تعالى محبة التوابين حتى عبر بذلك قلت : فهم الايجاب عن تأكيد النسبة وتحقيق الحكم بان المؤكدة فى قوله تعالى ان الله يحب التوابين وكان التأكيد مؤذناً بتحقيق مضمونها وموجباً للجزم بحصوله وانه واجب ثابت لامحالة انتهى ما أردناه .  
وقد مضى تفسير قوله تعالى : ويحب المتطهرين فى تفسير قوله فيه رجال (التوبة ١٠٨).

### الاية التاسعة

قال تعالى : «انما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم» (التوبة ٢٨) .

قوله تعالى : « انما المشركون نجس » ، الحصر في طرف المحمول اى حصر صفات المشركين بكونهم نجساً لاحصر الموضوع كما في بعض الكلمات بأن لا يكون غير المشركين نجس والحصر اضافي بالنسبة الى الطهارة . والمراد من المشركين الوثنيون من قريش وعبدة الاصنام فلاتشمل اليهود ولا النصرى ولا غيرهما من الفرق التى الحدوا فى ذاته تعالى وفى توحيدهِ ومعانى اسمائه جل مجده وثنائه لامن حيث عدم صحة اطلاق المشرك على غير الوثنى بل من حيث ان اطلاق الشرك على الفرق باعتبارات مختلفة وبعنايات ممتازة يشكل معها الاخذ بعموم المشرك واطلاقه ، يجد هذه العنايات الباحث المتأمل فى آيات القرآن قال تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله ألا وهم مشركون » .

صرّح تعالى فى حال ايمانهم على تحقق الشرك بلحاظ انهم يعصون ربهم ويطيعون للشيطان قال تعالى اتخذوا احبارهم وربهانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم « وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » (توبه ٣١) . فهؤلاء الاحبار وغيروا احكام الله وحرفوها ، فاليهود مع علمهم انه ليس لغير الله سبحانه حق التشريع والتحليل والتحريم قبلوا منهم واطاعوهم فيما ادعوا وشرعوا ، فاتخذوا بذلك هؤلاء الخائنين ارباباً من دون الله ، فسامهم سبحانه بذلك مشركين . والنصرى وان اطلق عليهم المشرك كما فى هذه الاية الا انه قد قوبل فى كثير من الموارد بالمشركين وعبر عنهم وعن اليهود بأهل الكتاب قال تعالى : « لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين » . . الاية (البينة ١) ولذا اعترف الاعاظم من الفقهاء بعدم صحة الاستدلال بهذه الاية على نجاسة أهل الكتاب .

قوله تعالى «نجس» بفتح العين أقول : المعروف عن فقهاء العامة ومفسريهم عدم القول بنجاسة المشركين ايضاً ونسب المحقق الاردبيلي القول بالنجاسة الى الفخر الرازى واستشكلوا فى دلالة الاية على النجاسة وقالوا ان نجسا مصدر فلا يمكن حمله على الاعيان فلا بد من تأويله بتقدير مضاف اى ذونجس يعنى ان

المشركين حيث انهم لم يجتنبوا من النجاسات ولم يغتسلوا من الجنابة فهم ذوقدارة و نجاسة وزاد البيضاوى ان ما كان الغالب فيه النجاسة تحكم بنجاسته قياسا على مورد هذه الاية .

فالمتحصل من كلماتهم ان المراد فى الاية نجاستهم بالعرض لا بأعيانهم كما هو المدعى واجيب عن هذا التأويل بأن كونهم ذا نجاسة غالباً لا يستلزم نجاستهم ولادليل عليه فضلا عن قياس غير مورد الاية عليه بل مقتضى الاطلاق الحكم بنجاسة اعيانهم والافلامسوخ لحمل نجس على الاعيان على الاطلاق بظهور الاطلاق فى النجاسة الدائمة لا الغالبية .

واستشكل ايضاً بان نجاسة اعيان المشركين انما هى نجاسة جعلية تعبدية لانجاسة تكوينية خارجية فعلية يتوقف صحة اطلاق لفظ نجس على ثبوت الحقيقة الشرعية فى زمان نزول الاية وهذا امر عجيب فأى تلازم بين صحة اطلاق نجس على المشركين وبين ثبوت الحقيقة الشرعية فان استعمال هذا اللفظ فى القدارات العرفية التكوينية والقدارات الجعلية التعبدية على نحو واحد وملاك واحد غاية الامر ان المصداق التعبدى صارت بمنزلة التكوينى فتكثير المصداق المفهوم اللفظ واستعمال اللفظ فيه ليس الاكاستعماله فى التكوينى وهو غير الحقيقة الشرعية فان الحقيقة الشرعية اخلاء اللفظ عن معناه الاول ووصفه ثانياً فى مقابل المعنى المستحدث الشرعى فالقول بتوقف استعمال لفظ نجس فى النجاسة التعبدية على ثبوت الحقيقة الشرعية ساقط جداً .

والحق فى المقام عدم صحة هذا التأويل لعدم الدليل عليه ولا مسوغ لاجراخ القرآن عن ظاهره ولا يجوز تأويله الابدليل قطعى وما ذكره من استحالة حمل المصدر على الاعيان فيندفع انه من باب زيد عدل وان حمل نجس على المشركين من باب المبالغة وهو مجاز شايح لابد من التزامه فلا يصل النوبة الى تأويل الاية واضمار المضاف فعليه تكون الاية ظاهرة فى نجاسة المشركين بأعيانهم .

فان قلت : ان اطلاق لفظ النجس على المشركين فى زمان نزول الاية ليس

الاطلاق لفظ الرجس على الميسر والانصاب والازلام فيكون المراد القذارة المعنوية كما ادعاه بعض الاجلة .

قلت: ان بين الاطلاقين فرقا بيّنا فان اطلاقها في الميسر، وامثاله مضافاً الى عدم صلاحية المورد للنجاسة الشرعية التعبدية تصريح بأن الميسر وعبادة الاوثان من عمل الشيطان يجب الاجتناب عنه فيكون كالنص في النجاسة المعنوية وفي بيان ان القذر هو عمل المكلف لاجسمة بخلاف المقام فليس اطلاقه واستعمال اللفظ فيه الاكاستعماله في الكلب والخنزير، فهذا الاستعمال كما صرح بعض الاعاظم اصرح بيان في افادة النجاسة ولو جاز التشكيك في المقام لجاز التشكيك في نجاسة الكلب والخنزير على انا قد ذكرنا في طي الابحاث انه يجب الاخذ في امثال المقام باطلاق اللفظ واسراء الحكم الى القذارة المعنوية الجسمية ما لم تقم قرينة على ارادة واحدة منها بخصوصها . والوارد التي ورد بها النص من باب المثل والمصداق والاكتفاء بالموارد التي صرح بها في لسان الروايات هو الاحوط والاولى .

قد تقدم ان مورد اطلاق لفظ الطهارة والنجاسة في الحسية وتعميم استعمالها في المعنوية من باب التذکر بالمصداق لامن باب التأويل والاكتفاء فهما بالموارد المنصوصة لاجل التذکر والارشاد هو الاولى .

هذا كله بناءً على ان لفظ نجس مصدر يشكل حمله على الاعيان اما بناءً على كونه صفة مشبهة لوحظ فيه معنى الوصفية فيكون بمعنى القذر بكسر العين اى ضد الظاهر كما صرح به في القاموس والمحكى عن الجوهرى والزهري وغيرهم من اساتيد اللغة فلا اشكال حينئذ في حمله على المشركين والاخذ بظاهر الاية والحكم بنجاسة المشركين باعيانهم قال في الكشاف وعن ابن عباس رضى الله عنه اعيانهم نجسة كالكلاب و الخنازير و عن الحسن من صافح مشركاً توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين و قرأ بكسر النون و سکون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعاً لرجس انتهى .

وغيره من تقدير الموصوف دفع ما يرد على الاستدلال انه لو كان و صفا  
لكان حق العبارة ان يقال انما المشركون نجسون او نجاس قال الشيخ (قده) واما بناء  
على كونه صفة مرادفة للنجس بالكسر الى ان قال و يكون افراد الخبر على تأويل  
انهم نوع او صنف نجس .

قال و التأمل في ثبوت الحقيقة الشرعية في غير محله اما بما ذكرناه في اول  
باب النجاسات ان النجاسة الشرعية هي القذارة الموجودة في الاشياء في نظر  
الشارع ولم ينقل عن معناه اللغوي انتهى .

فتلخص من جميع ما ذكرناه ان ظاهر الآية الشريفة نجاسة المشركين سواء  
كان لفظ نجس مصدرا او صفتا و سواء كان بوزن فعل « بفتحين » او فعل « بكسر  
وسكون » كما هو المتسالم عليه عند معظم الفقهاء واما اسراء الحكم الى غير المشركين  
من اصناف الكفار فخرج عن مفاد الآية الكريمة فليتمس من ادلة اخرى .

قوله تعالى « فلا يقربوا المسجد الحرام » الآية الفاء للتفريع الا انه ليس فيه دلالة  
على ما استظهرناه من نجاسة المشركين فان التفريع يصح على جميع الوجوه سواء  
قلنا بالنجاسة الشرعية او بالكشف عن النجاسة الواقعية كما ذكره الشيخ ( قده ) او  
قلنا بالنجاسة المعنوية اى خبث بوطنهم و سرائرهم بالكفر .

والنهي عن قرب المسجد نهى عن دخوله بطريق المبالغة و التأكيد كما في  
قوله « لا تقربوا مال اليتيم و لا تقربوا الزنا » و هذا النهى ليس نهيا تكليفيا كما ذهب  
بعض المفسرين و انما هو حكم وضعى مثل قوله (ع) لا يرث الكافر المسلم و امثاله  
فلا يصح الاستدلال به على تحريم دخول الكافرين في مسجد الحرام بل يمنعون  
منه و يطردون عنه و المخاطب باجراء هذا الحكم هم المؤمنون المخاطبون في صدر  
الآية و لا يصح ايضا الاستدلال به على ان الكفار مكلفون بالفروع كما انهم مكلفون  
بالاصول بل الامر بالعكس و منعوا عن حضور الموسم . قوله تعالى « المسجد الحرام »  
قيل : ان المراد ان المشركين منعوا عن الحج و العمرة و حضور الموسم و هو المحكى  
عن ابي حنيفة و قيل : المراد منعهم و عزلهم عن ولاية الحج و امارة الحاج و نظارتهم

فى شؤونهم كما كان قبل الحين .

وقيل : ان المراد المنع عن دخول الحرم والحرم كله مسجد بالنسبة الى هذا الحكم . اقول الاية الكريمة لاتدل على تحريم شىء مما ذكره وانما تدل على المنع من دخول المسجد الحرام وامام سوى ذلك فقد علم بعض منها من السنة .

قال المسعودى فى مروج الذهب ص ٢٩٧ : وفى سنة تسع حج ابوبكر الصديق رضى الله عنه بالناس وقرأ عليهم على ابن ابيطالب سورة براءة وامر ان لا يحج مشرك ولا يطوف بالبيت عريان انتهى .

وفى المجلد السادس من البحار ص ٤٣٤ : وروى عاصم بن حميد عن ابى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال خطب على الناس واخترط سيفه فقال لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك ومن كان له مدة فهو الى مدته ومن لم تكن له مدة فمدته اربعة اشهر وكان خطب يوم النحر انتهى .

وفيه ايضا وذكروا ابو عبد الله الجاحظ باسناده عن زيد بن بقيق قال سألنا عليا باى شىء بعثت فى ذى الحجة قال بعثت باربعة لا يدخل الكعبة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر فى المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فبعده الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر انتهى ما اردناه .

فالمدار هو دلالة اللفظ لا امكان انطباق القضايا الواردة فى المورد على الاية وما ذكره ليس الامن هذا الباب لامن باب دلالة اللفظ عليه .

قوله تعالى « بعد عامهم هذا » هى السنة التاسعة من الهجرة وفى الثامنة كان فتح مكة وكسر الاصنام .

### (فروع)

الاول : قيل يستفاد من الاية منع دخولهم المسجد اى مسجد كان لان وجه المنع هو نجاستهم وهو بعيد لان الاية تدل على منع دخول المشركين المسجد



الحرام و لم يعلم بعد ان تمام الملاك نجاستهم ولم يعلم ايضا انها بالنسبة الى كل مسجد والذى اوقعهم فى ذلك انهم استفادوا الحكم من ادلة اخرى من عدم جواز تمكين المشركين من دخول مساجد المسلمين فمع قطع النظر عنها فلا يمكن الاستدلال بالاية كما لا يخفى .

**الثانى :** استدلوا بالاية الكريمة على تحريم ادخال النجاسات فى المسجد الحرام وفى المساجد كلها فان الملاك هو منعهم عن دخول المسجد الحرام لكون اعيانهم نجسة فيحرم ادخال كل نجس فى المسجد الحرام والمساجد كلها. وفيه ما عرفت ان التفريع فى قوله تعالى «فلا يقربوا» ملايم مع جميع الاقوال قال قتادة فى قوله تعالى: فلا يقربوا المسجد الحرام لانهم جنب وقال قوم لانهم اخبث ارجاس وقال قوم انهم اعيان نجسة .

واما بناء على ما ذكرنا من اختيار نجاسة اعيانهم فلا يمكن التجاوز عن المسجد الحرام الى غيره من المساجد ولا عن المشركين الى غيرهم .

**الثالث :** استدلوا بالاية على منع دخول المشركين واهل الكتاب بالمسجد الحرام او المساجد كلها من اجل شمول المشركين الكتابى وفيه ان الاية لادلالة فيها على ازيد من منع المشركين عن المسجد الحرام و لادلالة فيها على منع الكتابى من المسجد الحرام و لامنع المشركين والكتابى عن المساجد ومستندهم فى هذا الباب اما الاجماع أو اخبار لا تخلو من قصور فى الدلالة او ضعف فى السند. فى البحار ج(١٨) طبعة كىمانى ص ١٢٧ عن نوادر الراوندى عن موسى بن جعفر عن آبائه قال رسول الله ﷺ ليمنعن احدكم مساجدكم يهودكم و نصاراكم و صبيانكم اولي مسخن الله تعالى قرده و خنازير ركعاً سجدا .

ولادلالة فيه ازيد من الكراهة بقريئة ذيل الحديث من ذكر الصبيان وقد دخل وفد نجران على رسول الله (ص) وهو مسجده وصلوا فيه على ما حكى فى التواريخ و التفاسير ونقل فى التواريخ عن طرق العامة ايضا ان اباسفيان دخل مسجد الرسول لتجديد عقد العهد فالنظر الى دلالة الاية، واما ما سواها فلا بحث لنا فى دلالة و عدمها.

## الاية العاشرة

قال تعالى : «يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» (المائدة ٩٠) «انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون» . (٩١)

ذكر بعض الباحثين ان الخمر فى اللغة هو الخمر المتخذ من العنب وغيره من المسكرات ملحقة من حيث الحكم وبلحاظ الملاك ولحقها اسم الخمر بلحاظ غايته واشتراكها معه فى الفساد .

وقال قوم ان المراد من الخمر هو مطلق المسكر المايح سواء اتخذ من العنب او غيره من الثمار والحبوب ولكل من الطرفين ادلة ووجوه تمسكوا بها فى اثبات مدعاهم والظاهر ان هذا النزاع قليل الجدوى بعد تسالمهم واعترافهم بأن المسكرات كلها قليلها وكثيرها حرام بالضرورة وليس هذا نزاعا فقهييا بل هو بحث لغوى فى تعيين متعلق التحريم ومتعلق التحريم معلوم بالضرورة وهو مطلق المسكر سواء كان اطلاق الخمر عليها على نحو الحقيقة او على بعضها بالحقيقة وعلى بعضها بالمجاز .

ومن القائلين بأن الخمر هو مطلق المسكر الفيروز آبادى فى القاموس قال : ماملخصه ان آية التحريم نزلت بالمدينة وليس اليوم خمرهم الا الخمر المتخذ من البسر والتمر فأراقوا آيتهم سميت بالخمر لانها تخمر العقل ويستره انتهى . وقد اصر فى كتاب افاضة الغدير فى حرمة العصير فى تايد القول الاول من ارادها فليراجعها .

اقول لوجه لاختصاص مفهوم الخمر بما يتخذ من العنب لى هو شامل لجميع الخمر ما كان دائرا ومعمولا فى عصر النزول و ما حدث فى القرون الاخيرة . نعم يمكن جريان هذا النزاع بالنسبة الى بعض الانبذة التى لها اسم خاص وعنوان خاص مثل الفقاع وامثاله فلا بد فى الحاقه بالخمر نوع من الملاك كما ورد انهما

خمر استصغرها الناس وقيل ان السكر فيه خفيف .

قوله تعالى «رجس» استند القائلون بنجاسة الخمر على ان الرجس في اللغة بمعنى النجس كما في التبيان ومجمع البيان وكنز العرفان قال في التبيان وفي الآية دلالة على تحريم هذه الاشياء الاربعة من اربعة اوجه احدها انه وصفها بأنها رجس و الرجس النجس و النجس محرم بلا خلاف و قريب منه عبارة المجمع وزاد في كنز العرفان لتراد فهمما ولذا يؤكّد الرجس بالنجس فيقال رجس نجس . بل يستعمل الرجس على الاغلب في القذارات المعنوية مثل الكفر .

اقول : الرجس ليس بمعنى النجس و عن القاموس ان الرجس هو القذر والمأثم وكل ما استقذر عن العمل والعمل المؤدى الى العذاب و الشك و العقاب ورجس كفرح و ككرم عمل عملا قبيحا انتهى . وعن اقرب الموارد رجس الشيطان وسوسته فليس الرجس مترادفا مع النجس فالرجس في العقائد والافعال والنجس في الاجسام والاعيان فالقذارة في الاول غير القذارة في الثاني فقولهم رجس نجس ليس للتأكيد بل للتوصيف من كلتا الجهتين او العناية والمبالغة في الثاني لكي يؤكّد به الاول والاستعمالات الواردة في القرآن الكريم شاهدة على ما ذكرناه من المعنى اللغوي .

قال تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» (الاحزاب ٣٣) فقد ورد في بعض الروايات عن الحسن بن علي عليه السلام تفسير الرجس بالشك وقال انالانشك في الله الحق ابداء . وبديهي ان هذا التفسير من باب التذكر الى المصداق فالآية الكريمة ناصة ان الله سبحانه طهرهم من كل عيب ومأثم و عصيان وكفر ونفاق قال تعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون (التوبة ١٢٥) .

قال تعالى «فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور» (الحج ٢٠) قال تعالى «وليجعل الرجس على الذين لا يعقلون» (يونس ١٠٠) وقال تعالى «وقد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب» (الاعراف ٧١) وامثالها كثيرة قال في مرآت

الانوار ص ١٦٠ الرجس هو اسم كما قيل لكل ما يستقذر من عمل وجاء بمعنى المآثم اى الاعمال القبيحة والعذاب والكفر ووسوسة الشيطان والشك فى الدين انتهى .  
 و قال فى المجمع فى تفسير قوله تعالى «قد وقع عليكم من ربكم رجس»  
 اى عذاب انتهى . فالاية الكريمة بمعزل عن دلالتها على نجاسة الخمر بل هى فى مقام تحريم الخمر وما عطف عليه من الميسر و الانصاب و الازلام فأورد الخمر فى عداد عبادة الاصنام على ما سيجىء بيانه انشاء الله ثم اكد ذلك انها من عمل الشيطان ثم ذكرهم بوجوب الاجتناب عنها ثم ذكرهم بان الشيطان يريد ايقاع العداوة والبغضاء بينكم فى الخمر والميسر و اكد الامر وشدده بقوله فهل انتم منتهون فطلب منهم الامتثال و الاطاعة و الانتهاء عما نهى الله سبحانه .

فقوله رجس خبر للخمر و لجميع ما عطف عليه من الميسر وغيره وهذا قرينة اخرى على ان المراد من الرجس هى النجاسة و القذارة العقلية اذ لا معنى للنجاسة الحسية فى الميسر و الانصاب و الازلام فان المراد عمل الميسر فعلى هذا لا بد من تقدير المضاف اى تناول الخمر و اللعب بالميسر و عبادة الاصنام او اكل ما ذبح على الاصنام و الاستقسام بالازلام رجس و من عمل الشيطان فالرجس نعت لفعل المكلف لانه صفة و نعت لاعيان اعنى الخمر و ما عطف عليه بالاجتناب و الانتهاء عن ارتكاب المذكورات لاعن مماستها .

قال الشيخ الاعظم الانصارى ( قدہ ) فى كتاب الطهارة ص ٣٢٢ ربما يتمسك فى نجاسة الخمر بقوله تعالى «انما الخمر و الميسر» الاية و فى دلالتها نظر حيث ان الظاهر من الخمر فى الاية بقرينة عطف الميسر عليها و جعلها من عمل الشيطان هو شربها فيصير الرجس شربها لاعينها فتعين حمل الرجس على الحرام انتهى .  
 فان قيل فإى مانع ان يقال ان رجاسة كل شىء بحسبه فالرجس فى الخمر هى النجاسة الحسية و فى غيره النجاسة المعنوية .

قلت : قال العلامة المجلسى فى البحار كتاب الطهارة ص ٢٢ لا يمكن حمل الرجس على النجس لاستلزامه استعمال الرجس فى المعنيين الحقيقين او الحقيقى

والمجازى ولا يمكن ايضا ان يجعل الرجس جزاء للخمر وتقدير خبر آخر لما عطف عليه فان المقدار لا بد ان يكون من جنس المذكور كى يدل عليه ولو اكتفيت بالمشاركة فى اللفظ وقلنا بصحته لكان احتمالاً مرجوحاً فيسقط الاستدلال به انتهى ملخصاً .

فان قلت: فاي مانع من الاطلاق فالرجس باطلاقه شامل للحسى والمعنوى . قلت: هذا الوجه ليس به بأس الا انه متوقف على احراز كون المتكلم فى مقام البيان كى ينعقد الاطلاق كما هو المقرر فى محله ففى المقام لما كان الاية فى مقام بيان التحريم و ليس فى مقام بيان النجاسة فبديهى عدم كونه فى مقام البيان من هذا حيث فينتفى الاطلاق بالضرورة.

تفصيل وتوضيح : ما ذكرنا من بحث الاطلاق و عدمه فى الرجس بالنسبة الى نجاسة الخمر انما يعجرى بناء على كون التحريم تعبدية شرعية و اما بناء على كون التحريم ارشادية عقلية ومعللة بفساده وقبحه فلامحصل لتوهم اطلاق الرجس الى النجاسة فالكلام فى الاوامر الارشادية والحقائق التى يعرفها الناس بارشاد القرآن والتذكربه يدور مدار الامر المرشد اليه طبق ما ناله العقول فلا اطلاق فيه ولا تقييد والظاهر ان هذا مما لاخلاف فيه بين اهل العلم والله الهادى .

قوله تعالى «والميسر والانصاب والازلام» الميسر فسره فى القاموس بمطلق القمار وفسره بالنرد وبالازلام ايضاً وذكر المسعودى فى مروج الذهب ج ١ ص ٨٠ مبدأ حدوث النرد والشطرنج وشرح فيه ما يتعلق بهما وانه كان دائراً فى الامم القديمة فقد ذكرنا انه لا بد من تقدير المضاف فى جميع المذكورات مثلاً يقدر اللعب فى الميسر والعبادة فى الانصاب كى يكون مبتدأ ويكون الرجس محمولاً وخبراً عنه انما الكلام ان المضاف هل هو جميع ما يتعلق بالمذكورات او امر خاص مثل ان يقدر اللعب فى الميسر او المعنى الاعم منه و من غيره مثل بيعه وشرائه واجارته وصناعته واتخاذها وامثال ذلك .

مقتضى الاطلاق هو الثانى ودعوى الانصراف الى الامور المختصة بكل واحد

من المذكورات غير مسموعة فانه انصرف بدوى عوامى يزول بالتدبر والتأمل فيحرم شرب الخمر وبيعه وشرائه - الخ - ويؤيده الاطلاق ويؤكد « والميسر » يحرم اللعب به وصناعته وبيعه - الخ - من الروايات الواردة فى تفسير الاية فى بعضها الميسر ما تقوم به وفى بعضها ما تقوم عليه وهو الثقل والرهن الذى بين المتقامين .

واجمع من الجميع ما عن تفسير على بن ابراهيم عن ابى الجارود عن الباقر عليه السلام قال فى قوله تعالى «انما الخمر والميسر» الاية واما الميسر فالنرد والشطرنج وكل قمار ميسر واما الانصاب فالاوئان التى يعبدونها المشركون واما الازلام فالاقداح التى كانت يستقسم بها مشركوا العرب فى الامور فى الجاهلية كل هذا بيعه وشرائه والانتفاع بشيء من هذا حرام محرم من الله وهو رجس من عمل الشيطان . فقرن الله الخمر والميسر مع الاوئان .

اقول: فيه تصريح بما ذكرنا من تعميم المضاف و ابو الجارود الراوى وان كان مرمياً بالضعف الا ان الشيخ (قده) اورد الحديث فى متاجره فى المكاسب المحرمة من دون تعرض الى ضعفه وبهذا المضمون رواية مرسله فى نور الثقلين ج ١ ص ٥ حديث ٣٣٣ فتحصل ان الميسر المحرم القرين مع عبادة الاصنام بحسب ظاهر الاية جميع اقسام القمار حتى اللعب بالجوز وجميع التقلبات المتعارفة فى تلك الالات المتخذة للقمار واما الانصاب فهى الاوئان المتخذة من الاحجار وغيرها التى اتخذوها آلهة تعبد من دون الله ليكون لهم شفعاء عند الله سميت بالانصاب لانصابه للعبادة و انتصاب الناس عندها للعبادة او اتعاب الناس انفسهم فى عبادتها ولا كلام فى حرمة العبادة اياها انما الكلام فى تحريم جميع ما يتعلق بها كما هو مقتضى الاطلاق فى بعض الروايات الانصاب تفسيرها بعبادتها وفى بعضها تحريم ما ذبح عليها ومن الواضح انه لاتنافى ولاتعارض بينهما بل جميع ما ذكر من مصاديق المعنى المحرم. ففى البرهان عن الكلينى باسناده عن الباقر (ع) قال لما انزل الله على رسوله «انما الخمر والميسر» الاية قيل يا رسول الله ما الميسر؟ قال كلما تقامرت به الى ان قال قيل يا رسول الله وما الانصاب؟ قال ما ذبحوها لالهتهم قيل وما الازلام؟ قال

قداحهم التي كانوا يستقسمون بها .

و فى بعض التفاسير انهم كانوا يعمدون الى جزور فيذبحونها و يجعلونها عشرة اجزاء و فى بعضها ثمانية وعشرين جزءاً ويستقسمونها بالاقداح و كانت الاقداح عشرة، سبعة لها نصيب و ثلاثة لانصيب لها و لكل واحد منها اسم خاص فيجيلون السهام حتى يخرج جميعها فيغرمون الثمن على التي لا نصيب لها فالاول لها نصيب واحد و للثانى اثنان و للثالث ثلاثة و للرابع اربعة و للخامس خمسة و للسادس ستة و للسابع سبعة فانزل الله تحريمها فى القرآن و هو من القمار الحرام و يحرم اكلها و جميع التصرفات و التقلبات فيها قال تعالى . . . و ان تستقسموا بالاالزام ذلكم فسق (المائدة ٣) .

فتحصل ان الميسر و الالزام فى عداد الخمر و عبادة الاصنام محرم بنص محكم الكتاب فهو من حيث الوضع الاجتماعى و بلحاظ التكسب و الارتزاق آكل لاموال الناس بلاعوض عقلاى و بلاعوض مشروع .

### الاية الحادية عشرة

قال تعالى «ياايها المدثر قم فانذر وربك فكبر و ثيابك فطهر و الارجز فاهجر» ذكر بعض المفسرين ان المراد من الطهارة هى الطهارة الشرعية اى ازالة النجاسة بالماء و استدلوا على ذلك بوجوه :

الاول : ان الامر حقيقة فى الوجوب و لا يجب شىء من الطهارة فى اللباس الا الطهارة لاجل الصلوة فوجوب تطهير الثياب اصدق شاهد و ادل امارة ان المراد هو التطهير من النجاسات .

الثانى : ان قوله تعالى «فكبر» المراد منه هو تكبيرة الاحرام و الافتتاح فهذا قرينة ان المراد من تطهير الثياب هو تطهيرها من النجاسات لاجل الصلوة .

الثالث : ان الامر لرسول الله (ص) فى مقابل المشركين و فى مقابل ما كان دائراً عندهم انهم لا يطهرون ثيابهم من النجاسات .

الرابع : ان قوله تعالى « والرجز فاهجر » كما سيأتى انشاء الله تعالى ان المراد من الرجز القذارة فيجب بمقتضى الامر ازالة النجاسة فهذه الجملة عطف تفسير على الجملة الاولى .

الخامس : يمكن ان يستدل عليه ايضا بأن الامر وان لم يكن حقيقة فى الوجوب لغة الا انه يفيد الوجوب من ناحية الاطلاق، والطهارة ايضا و ان كان بمعنى النظافة الا ان النظافة الواجبة منحصرة فى ازالة النجاسة عنها لاجل الصلوة فالمحصل من جميع ما ذكرنا من الوجوه فى الاية وجوب تطهير الثياب عن النجاسات والتجنب عن الرجز والقذر فى حال الصلوة وقد نسب ذلك القول (اى ان الاية تفيد وجوب الطهارة فى اللباس) فى كنز العرفان الى الاكثر .

اقول : اما الوجه الاول الذى استدل به من ناحية وجوب التطهير ففيه ان الامر اى صيغة الامر ليست موضوعة لغة للوجوب ولا قرينة هنا ان هذه الطهارة طهارة شرطية بل الاطلاق يحكى ويقتضى ان المراد هو مطلق النظافة المستحسنة او الالتزام بوجوب مطلق النظافة فاطلاق الطهارة و حملها على المعنى اللغوى الموضوع له للفظ قرينة على عدم الاطلاق فى صيغة الامر .

و اما الوجه الثانى فنقول ان هذه السورة اول ما نزلت على رسول الله (ص) او انها من أوائل ما نزلت قالوا ان اول ما نزل اقرء بسم ربك ثم نون والقلم ثم المزمّل ثم المدثر وفى بعض التواريخ ان المدثر نزلت عليه وهو فى بيت خديجة فأمره سبحانه بالانذار و بالتكبير فخلاصة القول ان هذا التكبير ليس التكبير لاجل افتتاح الصلوة به بل أمره سبحانه عند طليعة دعوته الحققة بالانذار وهو من اهم وظائف النبوة واعظم افعالها ومن اكبر اصولها .

كما قال (ص) انى لكم نذير بين يدى عذاب شديد فهو (ص) مأمور بالابشار بما يستقبل البشر من العوالم السرمدية بما فيها من السرور والصفاء والبهاء وبالانذار بما تستقبلهم من المحن و المصائب و البلاء و مأمور ايضا بالدعوة الى الله العزيز القدوس و ازالة الاوهام والظلمات الغاشية لافاق النفوس و العقول من انغمارهم



فى الشرك و سقوطهم بعبادة الاوثان فمعنى تكبيره تعالى فى قوله و ربك فكبر هو تنزيهه و تقدسه جل ثنائه عن كل ما يلحدون و تجليله سبحانه عن جميع ما يقولون و يصفون فمرجع قوله (ص) الله اكبر اى الله اجل و اكبر من ان يوصف فهذا التكبير خلع للانداد و ابطال لجميع الاصنام و الاضداد فهذا عين الدعوة الى الله و توحيده .

فقد حكى فى البحار ج ٦ ص ٣٤٦ فى قضية مبعثه انه لما دخل الدار صارت الدار منورة . فقالت خديجة ما هذا النور قال نور النبوة قولى لاله الا الله فأسلمت خديجة فقال يا خديجة انى لاجد بردا فدثرت عليه فنام فنودى يا ايها المدثر قم فانذر و ربك فكبر فقام و جعل اصبعه فى اذنه فقال الله اكبر الله اكبر فكان كل موجود يسمعه انتهى ما اردناه . و لا يخفى عند أولى الالباب انه لا تفاضل بينه تعالى و بين ما سواه من الموجودات فلا يقاس سبحانه بشيء من الموجودات كى يكون تفضلا بينه و بين ما سواه فليس غيره فى عرضه فلا بد من تجريد الفعل من معنى التفاضل و تفسيره ان يقال الله اكبر من ان يوصف و اجل من ان يتوهم او يحد كما فى قوله تعالى فيما يحكيه عن يوسف الصديق «رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه» .

قال السيد (قده) فى شرح الصحيفة المباركة فى تفسير قوله عليه السلام انت الله الكريم الاكرم الدائم الادوم قال الادوم اى البليغ الدوام و افعل هنا مجرد عن التفضيل اذ لا يقاس بدوامه سبحانه دوام دائم فيفضل عليه انتهى .

وقد ذكر شرحاً شافياً فى تفسير قوله الحمد لله الاول بلا اول كان قبله و الاخر بلا آخر يكون بعده الدعاء . وهو الدعاء الاول من الصحيفة و فى المجمع فى تفسير قوله تعالى و ربك الاكرم قال هو الذى لا يبلغه كرم كريم انتهى . و لو اردنا استقصاء البحث فى المقام لخرجنا عن البحث التفسيري و عن الصادق عليه السلام حين قال القائل الله اكبر من كل شيء قال عليه السلام اكان ثمة شيء فكان اكبر منه .

فاتضح ان معنى قوله « و ربك فكبر » تنزيه له سبحانه عن صفات ما سواه و كسر للاصنام و خلع للانداد و بيان لتوحده و تفرد سبحانه فى جميع نعوته و كمالاته لانه بيان لاجزاء الصلوة و وجوب تكبيرة الاحرام فى اول الصلوة كى يكون قرينة لتطهير

الثياب في قوله تعالى وثيابك فطهر بالتطهير الشرعى انتهى .

واما الجواب عن الوجه الثالث ففيه ان ثياب رسول الله ﷺ ليست نجسة حتى يؤمر بتطهيرها والقضية ليست شخصية بل يجب على كل موحد تنزيهه تعالى عن كل مايقول الملحدون وكذا تطهير الثياب قضية حقيقية على جميع المكلفين ان كان واجباً فواجب وان ندباً فنذب فلامحصل بان يقال ان رسول الله ﷺ امر بتطهير ثيابه في مقابل ما كان عند المشركين .

واما الجواب عن الوجه الرابع الذى ذكره بعض الاعاظم حيث قال: يكون تأكيداً لقوله « وثيابك فطهر » وتفسيراً له وهو هنا المناسب لتكبير الصلوة وطهارة الثياب انتهى .

اقول : الطهارة فى اللغة النظافة وهى شاملة لجميع مراتبها وانواعها بخلاف الرجز والهجر والاجتناب عنها فانه كالصريح فى الاجتناب عن الرجز وهذه الجملة اخص من الاولى لاشتمال الطهارة للطهارة عن الوسخ والقذر والثانية بالقذر والثانية اعم من الاولى من حيث ان الثانية تشمل الثياب والبدن وجميع المصارف كائناً ما كان فليس تفسير الطهارة ولا تأكيداً ايهاً وايضاً الطهارة من الاوساخ والانجاس بعد ما ابتلى بها بخلاف الهجر والاجتناب فانه التحرز والتحذركى لا يبتلى بها ولا يقع فيها .

والجواب : عن الوجه الخامس : ان الامروان كان بمقتضى الاطلاق يفيد الوجوب الا انه قبل الفحص عن المخصص والمقيد لا ينعقد الاطلاق وبعد الفحص يبطل الاطلاق ويتعين الاستحباب فالحق فى المقام بعد التأمل والتدبر فى الاية الكريمة بالتقريب الذى ذكرناه من البيان ان الاية ليست فى مقام جزئية التكبير للصلوة ولا شرطية طهارة الثياب لها . يؤيد ذلك ويؤكد الروايات الواردة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام وفى بعض منها ان ثيابه كانت طاهرة وانما أمره بالتشمير، فى القاموس شمرا الثوب تشميراً رفعه انتهى قيل المراد لا يكتن ثيابك حراماً .

قوله تعالى « والرجز فاهجر » فى القاموس الرجز القدر وعبادة الاوثان والعذاب

والشرك انتهى. وفي اقرب الموارد عبارة القاموس بعينه ولا يخفى ان ماسوى القدر من المعانى لا يناسب المقام الاضرب من التأويل فانه عنه كان معتصماً بالله ومعصوما بعصمته وقد كان مقدسا ومنزهاً عن الشرك وعبادة الاوثان فالمناسب فى المقام هو المعنى الاول للتذكير بحسن الاجتناب او لاجل التشريع فى بعض الموارد وبديهي ان الخطاب وان كان شخصياً الا ان الحكم عام لبداية حسنه . وعن ابن عباس وقتادة ومجاهد ان المراد منه عبادة الاصنام وقيل هما صنما «اساف وناثلة» وقيل اخرج حب دنيا دنية عن قلبك وقيل عن المعاصى والحق فى المقام ما ذكرناه .

### الاية الثانية عشرة

قال تعالى «واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين»/البقرة ١٢٤ .  
بيان- قال فى القاموس ج٤ ص٣٠٦ ابتليته اختبرته والرجل فأبلانى استخبرته فاخبرنى وامتحنته اخبرته كبلوته بلواء وبلاء واسم البلوى أقول ليس غرضه تعالى من الامتحان الاستطلاع على سرائر عباده واستكشاف مافى بواطنهم لاستحالة ذلك فى حقه تعالى فانه لا يخفى عليه نجيات الصدور وسرائر القلوب بل المراد منه هى العناية الخاصة والاهتمام الاكيد منه جل ثناؤه من سنته الحكيمة الحميدة فى تربية اوليائه وتكميل احبائه .

فعن الصادق عليه السلام (١) قال الى ان قال والابتلاء على ضربين احدهما مستحيل على الله تعالى ذكره والاخر جازى، اما ما يستحيل فهو ان يختبره فيعلم ماتكشف الايام عنه وهذا ما لا يصلح لانه عز وجل علام الغيوب والضرب الاخر من الابتلاء ان يبتليه حتى يصبر فى ما يبتليه فيكون على سبيل الاستحقاق .

قوله تعالى «بكلمات» بيان هذه الكلمات من كبار التكاليف وعظام الامور واشرف المواهب واعظم العطايا ضرورة ان ظرف هذا الابتلاء وموقفه ومورده

(١) فى البرهان ج ١ ص ١٤٧ عن الصدوق .

بعد تشرف ابراهيم عليه السلام بمقام النبوة والرسالة وبعد تحليله بلباس الاصطفاء والخلة. وقد تأدب بادب العبودية وحصلت له الطمأنينة والسكينة الالهية وقد تمكن من حمل اثقال النبوة والرسالة وقد حان الحين أن يعرج الى سماء الامامة الرفيعة ويتكىء على كرسى الكرامة وليس المراد من الكلمات هي الخصال العشرة التي سنها ابراهيم قبل رسالته ونبوته كى يكون باتيانها مستحقا وناثلا بمقام الرسالة والنبوة او امتحن به فى مرتبة الرسالة والنبوة فصار بامثالها ناثلا بمقام الامامة على ماسيجىء الكلام فى ذلك فى معنى الامام المذكور فى الاية الكريمة .

وواضح ان المراد بالكلمات ليست ما هو المصطلح عند الناس من جنس القول و اللفظ بل المراد منها او من بعضها هى الامور العينية سواء كان موجودا خارجيا او حكما الزاميا او عهدا او ميثاقا او بلاء و محنة وشدة وعزيمة وقد شاع اطلاق الكلمة فى القرآن على هذه الامور قال تعالى . « و اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم » الاية آل عمران ٤٥ .

قال تعالى « و نادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » آل عمران - ٣٩ و عليك باستخراج الموارد من الايات القرآنية و سنذكر بعضها فى طى الابحاث الجارية انشاء الله و الظاهر ان وجه اطلاق الكلمة على هذه الاعيان والحوادث من قبل اطلاق الابداع على الوجود اى من باب اطلاق السبب على المسبب فان الوجود بالابداع يتحقق و يوجد فى كل موجود من الاعيان والحوادث والعهود والمواثيق والازمات انما يتحقق بكلمة كن قال تعالى : « انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » يس - ٨٢ .

عن الصدوق باسناده عن الصادق عليه السلام قال لما صعد موسى عليه السلام الى الطور ناجى ربه عزوجل قال ارنى خزائنك قال يا موسى انما خزائنى اذا اردت شيئا ان اقول له كن فيكون . فيصير جميع ما يتحقق و يوجد بأمره تعالى من الحقائق والاعيان والامر والعزيمة والاخذ والعطاء والاهانة والاكرام والعهود والمواثيق كلها موجودا

ومتحققاً بكلمة كن واطلاق الكلمة على ما يتحقق ويوجد بها اطلاق شائع من قبيل اطلاق السبب على المسبب فيكون جميع ما اختبره الله سبحانه ابراهيم من العطايا والمواهب والرغائب والمحن والشدائد وغيرها كلها مما يصدق عليه الكلمة وحيث ان العناية في المقام هو التذكير بمقام ابراهيم وبيان عطفه وحنانه تعالى عليه والتقدير و التشكر له وفي بيان ما اصطفاه سبحانه بالمواهب الكريمة الالهية لم يكن تعداد الكلمات وشرح حقيقتها دخيلاً في غرض الاية فاجمل تعالى و ابهم ذكرها فعلى عهدة المفسر استخراجها واستنباطها من الايات القرآنية او الاعتماد فيها على الآثار المروية عن رسول الله ﷺ وعن آله الاوصياء الائمة .

واما بيان حقيقة هذه الكلمة التي عبر عنها في القرآن الكريم بقوله (كن) ووجه اطلاق الكلمة على هذه الحقيقة القرآنية فخارج عن محل البحث .

اقول : من الموارد التي امتحن الله سبحانه ابراهيم عليه السلام ابتلائه بنار نمرود قال تعالى «وارادوه كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولو طأ» الاية (الانبياء ٧٠-٧١) منها ابتلائه بارائة الملكوت قال تعالى : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات وليكون من الموقنين (الانعام ٧٥) .

ومنها: ابتلائه بتسريح هاجر واسماعيل واسكانهما بين جبال في واد غير ذي ذرع قال تعالى : «ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم» (ابراهيم ٣٦) .

و منها : ابتلائه بذبح ولده قال تعالى : «ولما اسلما وتله للجبين و نادياه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين» (الصافات ١٠٦) .

ومنها : ابتلائه بالقبطى ومانجاه تعالى من شره وغير ذلك من مواقفه الجميلة .  
اقول: قد ورد بعض من هذه الموارد في رواية في البرهان ج ١ رواه عن الصدوق في تفسير الاية الكريمة فان قيل فإى مانع ان يقال ان المراد من الكلمات ما كان من جنس القول واللفظ في هذه الاية وفي غيرها من الايات التي فيها لفظ الكلمة .

قلت: ان كثيرا من الايات لا يوافق على ذلك كما في قوله تعالى: «ونادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين» (آل عمران ٣٩) .  
قال تعالى: «بامر يم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم» (آل عمران - ٤٥).

وقيل: كما فى كنز العرفان ج ١ ص ٥٥ ان المراد بالكلمات هى الخصال العشرة التى سنهنا ابراهيم (ع) خمسة فى الرأس وخمسة فى البدن اما التى فى الرأس فالممضضة والاستنشاق والفرق وقص الشارب والسواك واما التى فى البدن فالختان وحلق العانة و تقليم الاظفار ونتف الابطين و الاستنجاء بالماء قالوا و اذا كانت هذه من شريعة ابراهيم كانت ايضا من شريعة نبينا (ص) لقوله تعالى « واتبع ملة ابراهيم حنيفاً» (النساء - ١٢٤).

ولقوله تعالى- ملة ابيكم ابراهيم الحج- ٧٨ انتهى. وقريب منه عبارة الاردبيلي فى زبدة البيان وعبارة الجزائرى فى قلائد الدرر .  
اقول هذا القول ضعيف من وجوه .

**الوجه الاول** ان الايتان لادلالة فيهما على شىء من المدعى اما الاية الاولى وهى قوله تعالى: «ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا» (النساء ١٢٤) .

فالاية الكريمة كما ترى مسوقة فى مقام الترغيب والتذكير الى وجوب الايمان بالتوحيد والتسليم المحض و اسلام الوجه بكلية لله سبحانه اقتداء واتباعاً لملة ابراهيم فانه قد كان صلى الله عليه وسلم ممن اسلم وجهه لله سبحانه. قال تعالى «ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين: اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين» (البقرة) .

فهذه الاية الكريمة فى مقام الثناء على ابراهيم (ع) والتقدير والتشكر له وصريحة انه قد اسلم لله و انقطع الى جنبه جل ثنائه وهذا الموقف الخطير من اجل مواقفه

ولم يطق هذا الموقف احد الاقليل من المقربين وقد دخل حريم القرب وجلس مجلس الانس وقد كان عليه السلام مراقباً ومحافظةً لادب الحضور حيث كلمه ربه تعالى بقوله «اسلم قال اسلمت لرب العالمين» مراعيًا لجلاله تعالى وكبريائه ولم يرسل نفسه ولم يقل اسلمت لك ونظائرها من الجواب .

فاتضح مما ذكرنا ان قوله تعالى «واتبع ملة ابراهيم حنيفاً» عطف تفسيري لقوله تعالى اسلم وجهه لله واجنبني عما توهمه المستدل من الاتباع في امثال خصال العشرة .

والظاهر من هذه الاية الكريمة ونظائرها في القرآن الكريم ان المراد بالملة ملة ابراهيم في هذه الايات هو التوحيد الذي جاهد ابراهيم في بلاغه وتحكيمه مجاهدات كثيرة قال تعالى حكاية عن يوسف الصديق « واتبع ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون» يوسف ٢٨ واما الاية الثانية هي قوله تعالى «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس» الاية . الحج - ٧٨ .

قال في المجمع: ج ٧ ص ٩٨ «ملة ابيكم» منصوب باضمار فعل تقديره واتبعوا وقرروا ملة ابيكم انتهى .

اقول : فعلى هذا تكون هذه الاية ايضاً كما في نظائرها مسوقة للتذكير الى التوحيد اى اتبعوا صراط التوحيد ومنهاج الاسلام وهي ايضاً اجنبية عما ذكروه ان المراد بالكلمات الخصال العشرة في الاية المبسوطة وان المراد من وجوب اتباع الملة اتباع ابراهيم (ع) في الايتان بالخصال المذكورة او يعمها ويشملها .

فان قلت: فأى مانع من القول باطلاق الملة وشمولها للخصال العشرة .

قلت : لا كلام في أن الخصال العشر بحسب الأدلة من اجزاء الدين الا ان

الايات مسوقة في التذكير الى التوحيد والاحتجاج على المشركين في اثباته وتحكيمه

ووجوب اتباعه وابطال الشرك وتقييح اتباعه فمورد النفي والاثبات هو التوحيد والشرك لا الدين على الاطلاق .

**الوجه الثانى :** ظاهر الاية ان الله سبحانه اختبر ابراهيم عليه السلام بهذه الكلمات فأتمها ابراهيم (ع) وعمل بها فجعله تعالى وسيلة لنيل مقام الامامة .  
فلو كان مورد الاختبار والاتمام قبل مرتبة الرسالة والنبوة والامامة فلامحالة يتوقف تسنيها وتقينها على ان يكون ابراهيم رسولا ونبيا واماماً اذ لا محصل ان يكون الانسان العادى غير الرسول والامام سن من عند نفسه خصالا وعمل بها فجعله تعالى بامثالها رسولا اماماً بدهاءة ليس له حق التشريع والتسنيين فضلا ان يكون هذا التشريع والعمل به وسيلة الى نيل الرسالة والامامة .

**الوجه الثالث :** ان يكون معنى قولهم الخصال التى سنها ابراهيم (ع) اى سنها تعالى وامر باتيانها فى مرتبة الرسالة له والنبوة فأتمها ابراهيم وصاربه مستحقا لمقام الامامة .

فيرد عليه ان الخصال المذكورة يخرج عن عهدة امتثالها اضعف المؤمنين فكيف يصح ان الله تعالى اختبر اعظم نبي من انبيائه فجعله بامثالها اماما للناس قيل انه لا دليل فى المقام ان المراد من الكلمات هى الخصال العشرة سواء قلنا انها مسنونة بتسنيين ابراهيم او تسنيته تعالى اوحى الى ابراهيم واختبر بذلك وسنزيد لذلك توضيحاً فى تفسير قوله تعالى قال انى جاعلك الاية .

قوله تعالى «فاتمهن» - المناسب للسياق ان فاعل اتم هو الله سبحانه ومعنى اتمامه تعالى الكلمات فى شأن ابراهيم انه (ع) بعد ابتلائه بالكلمات قام بها قيام المخلصين وجدّ واجتهد فى امتثالها اجتهاد العابدين المجتهدين وفى بعهدته تعالى وابتغى مرضاته بأتم ما يمكن وأكمل ما يكون وحيث انه تحت حمايته تعالى ومستظل فى ظل عنايته وولايته وعصمته نسب الاتمام الى نفسه القدوس بعناية المساعدة الكاملة والتأييد فى حقه وفى هذا التعبير غاية التشريف لابراهيم (ع) كما فى قوله تعالى «ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى» وفيه اشعار لابرار الشكر والتقدير لو فاته



واخلاصه عليه السلام ويمكن أن يكون الضمير عائداً الى ابراهيم على خلاف السياق قوله تعالى: «انى جاعلك للناس اماماً»: تنقيح البحث فى المقام يحتاج الى تحرير امور:  
 الاول : لا يخفى ان هذه الجملة وهذا القول منه تعالى متفرع ومرتب على اتمام الكلمات والوفاء بها والخروج من عهدها وقد شكر الله سبحانه سعى ابراهيم عليه السلام وتقبل منه قبولاً حسناً واعطى له مثوبة كريمة وجعله اماماً وجعل الامامة له ذكراً باقياً وثناءً خالداً بخلود القرآن الكريم واهله يقرع به اسماع الجن والانس واسماع المقربين من اولياء محمد وآله الطاهرين (ع) يقرؤون هذه الاية آناً ليلهم ونهارهم وهذه سنته تعالى الحميدة فى هذا الكتاب الكريم فى التنويه باسماء احبائه والتشريف بشأن اوليائه فليست هذه الجملة مستأنفاً ولا مفصلاً عما قبله كما توهمه بعض المفسرين على ما سنشير اليه .

الثانى: لا يخفى عند اولى الالباب ان القول المذكور فى الاية والامر المجمعول فيها بهذا القول اذا كان مرتباً ومتوقفاً على الابتلاء بالكلمات والوفاء بها فلا يجوز ان يقال : ان هذا القول والامر المجمعول فى مرتبة اتمام الكلمات وفى مرتبة الابتلاء بها فلا محالة يكون هذا القول والامر المجمعول متأخراً عن الابتلاء زماناً ورتبة والاستنباط والاستظهار على ما سنشير اليه يساعدان ان موطن ابتلائه عليه السلام بهذه الكلمات انما كان فى ظرف نبوته ورسائله لاقبلهما وقد كان نبياً ورسولاً قبل هذا الابتلاء وقبل هذا القول والجعل فان هذا القول منه تعالى ليس الا على سبيل الوحي وليس اول وحى يوحى تعالى الى ابراهيم بحيث تنبأ به مبتدئاً به ولم يكن بعد نبياً ولا رسولاً قبل هذا حتى جعله تعالى رسولاً ونبياً بهذا الوحي وان ابيت ذلك تعصبا و تجاهلاً فاطلاق الاية الكريمة قاطعة وحاكمة يبطلان ماتوهم ان الابتلاء كان قبل النبوة فمن العجيب ما فى المنارج ٢ ص ٤٥٥ عن شيخه محمد عبده ان قول الله سبحانه (قال الاية) كلام مستأنف مفصول عما قبله وليس جعل الامامة مرتباً متفرعاً على تمام الكلمات لان الرسالة بمحض فضل الله ولا يكون بكسب كاسب انتهى ملخصاً .

الثالث : نسب تعالى الجعل الى نفسه العليم الحكيم فانه سبحانه اعلم حيث يجعل امامته كما انه اعلم حيث يجعل رسالته فليس جعل مراد فالخلق فالجعل فى الاعيان والتكوين مثل قوله تعالى جاعل الليل سكناً ونظائرها اى خلقها وقررها لذلك بحكمته وتدييره واما الجعل فى غير الاعيان كما فى الاية الكريمة المبحوثة عنها وامثالها فالعناية الملحوظة متوجهة الى حيث التشريع والتعبد المولوى بحيث لولا جعله تعالى لماتحقق بجعل جاعل غيره تعالى فان الجعل والتشريع حق لطلوله سبحانه ومن شؤون مالكيته تعالى على الخلق وعلى التصرف فى امورهم وشؤونهم فلا يملك الخلق والتصرف فى شؤونهم الا الله وحده لاشريك له فمن نصب نفسه او غيره اماماً اذ اتخذ لنفسه اماماً فقد نازع سلطان الرب تعالى وهو حرام بالضرورة العقلية .

فعلى ما ذكرها المفسرون ان الامام هو الرسول كما قدمنا نقله عن عبده، او النبى كما صرح به الرازى فى تفسيره ج ٦٠ ص ٤٤ يكون المجعول امراً تكوينياً على ما سنشير اليه وعلى ما ذكرنا يكون المجعول امراً مولوياً فى مرتبة متأخرة عن الرسالة والنبوة ومن المناصب المجعولة للانسان الرسول والنبى او الصديق اى حق التصرف والرتق والفتق فى أمور الناس وهذا من الامور الوضعية .

وقد انكر الفخر الرازى على من استدل بهذه الاية على ان الامامة لا تثبت الا بالنص وقال ما خلاصته ان النص طريق الى اثبات الامامة ولانزاع فيه وانما النزاع فى انه هل تثبت الامامة بغير النص وليس فى الاية تعرض لهذه المسألة لابلنفى ولا بالاثبات انتهى .

اقول: هذا خروج عن البحث التفسيرى وخلط بينه وبين البحث الكلامى فالاية الكريمة نص فى ان الجاعل للامامة هو الله سبحانه وظاهره ايضاً فى ان حقيقة الامامة غير النبوة والرسالة وان محل هذه الامامة ومقرها هو ابراهيم الرسول والنبى وكم فرق بين مقام ثبوت الامامة فى نفس الامر بجعله تعالى وبين مقام اثباتها بعد الفراغ عن ثبوتها بجعله تعالى والاية الكريمة ناظرة الى الجهة الاولى وناصة فى ان الجعل

بيده تعالى ولانحصل الامامة الابدلية بتنصيبه على ذلك ولعل مراد المستدل بالاية الكريمة هو ذلك المعنى كما هو ظاهر عبارته التي اوردها الرازي في تفسيره ومراد المستدل ان الامامة لا تحصل بالوثبة على رقاب الناس والتملك والتصرف العدواني في امورهم وشؤونهم ولا باجماع الناس ورضاهم بذلك، واما البحث في مقام الاثبات بعد الفراغ عن ثبوتها فالاية غير ناظرة اليه على النحو الذي ذكره الرازي بل الاية ناصة في ثبوتها في عين اثباتها واعطائها لابراهيم (ع) .

ثم لا يخفى ان قوله تعالى «انى جاعلك» ليس مواعدة بينه تعالى وبين ابراهيم عليه السلام انه سيجعله اماما كما زعمه الرازي بل الظاهر ان اخباره بذلك لابراهيم عين جعله تعالى الامانة وعين عطائها اياه .

قوله تعالى « للناس » لا يجوز الاستدلال بهذا العموم على عموم امامته عليه السلام بحسب الازمان والاشخاص والاحكام حتى يكون اماما لكل في الكل ضرورة ان هذا العموم لا يدل على عموم مافيه الائتمام وموارده فالقدر المسلم من هذا العموم هو عموم اهل دعوته المسؤولين بالائتمام به واما بالنسبة الى غير اهل دعوته من الانبياء الائمة بعده والامم المسؤولين باتباعهم والائتمام به وكذلك بالنسبة الى الانبياء غير الائمة واممهم فلامحال ينحصر مورد الامامة والائتمام به بالاحكام المولوية التي لم تنسخ واما بالنسبة الى غير هذه الموارد فلا يصدق الاتباع والائتمام فيها سواء كانت من المعارف والاصول او غيرها من الاحكام .

توضيح ذلك من عرف الله ربه بحقيقة ايمانه وعرف توحيده سبحانه ونعوته وكمالاته ومعاني اسمائه فيجب عليه بضرورة من عقله وعلمه الايمان والتصديق بما عرف وعلم وكذلك باب المستقلات العقلية في الاحكام وباب مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب ومساوئها على عرضها العريض فان كل ذلك معلوم بضرورة العقول وقد تمت الحجة الالهية فيها على ذوى العقول فلامحصل للاتباع والائتمام في تلك الامور فيبقى مورد الامامة والائتمام في الاحكام المولوية الموروثة عن ابراهيم وعن غيره من الانبياء الائمة عليهم السلام التي لم تنسخ بعد وما شك من تلك الاحكام انها منسوخة

فالظاهر انها تستصحب كما هو المقرر في محله ولا يخفى ايضاً انه لا يصح الاستدلال بقوله تعالى «ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً» . النحل ١٣٤ .

وقوله تعالى : «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً» الاية النساء ونظائرها من الايات لانا ذكرنا شرحاً شافياً في ماتقدم ان تلك الايات في سياق الدعوة والارشاد والتذكير الى الدين الخالص عن الشرك والى وجوب الايمان بالتوحيد وفي سياق الترغيب والتشويق وفي تثبيت من آمن واتبع صراط التوحيد وفي بيان ان على الناس اسوة حسنة لابراهيم وان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ولادلالة في هذه الايات للاتباع المولوى التشريعى وفي هذه الايات دلالات واشارات على ان لابراهيم مواقف كريمة ومجاهدات كثيرة فى القيام بامر التوحيد .

فان قلت : فإى مانع من الاخذ باطلاق هذه الايات فى وجوب الاتباع فى غير مورد التوحيد وفى امثال الاحكام التشريعية ايضاً .

قلت : الاوامر الارشادية لا اطلاق فيها ولا تقيد وانما يدور مدار الامر المرشد اليه سعة وضيقاً . هذا اولا وثانياً لا يمكن القول بسريان الامر الارشادى الى موارد الامر المولوى وكذلك بالعكس وسيأتى مزيد توضيح لذلك فى طى الابحاث انشاء الله .

قال الرازى فى تفسير المقام لما وعده تعالى ان يجعله اماما للناس حقق الله تعالى ذلك الوعد فيه الى قيام الساعة فان اهل الاديان مع شدة اختلافها ونهاية تنافها يعظمون ابراهيم عليه الصلوة والسلام ويتشرفون بالانتساب اليه اما فى النسب او فى الدين والشريعة حتى ان عبدة اوثان كانوا معظمين لابراهيم (ع) .

اقول: هذا الوجه فى نهاية الوهن والسقوط فان الاية الكريمة فى سياق التقدير لابراهيم واعطاء الامامة اياه عَلَيْهِ السَّلَامُ تشريفاً وتكريماً فى مرحلة الثواب لاتمام الكلمات ولا شاهد فى المقام ان ذلك وعد لابراهيم سيحققه تعالى ويجعله اماما الى قيام الساعة وليس ابراهيم اماماً عندهم بالمعنى الذى جعله تعالى اماما واى مناسبة بين ابراهيم

وبين الوثنيين وبين اليهود وبين النصارى القائلين عزيز ابن الله والمسيح ابن الله «فان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى». آل عمران - ٤٨ .

فتحصل فى المقام ان مورد الاتباع والائتمام بابراهيم الامام هى السنن التى سنها ابراهيم عليه السلام وامر بها ونهى عنها بامر الله تعالى وباذنه بالامامة التى اعطاها وكذلك فى مايفعل ويحكم ويأتى ويترك فى الشؤون الاجتماعية القبض والبسط فى مايهتم من امور العباد والطريق فى اثبات ذلك السنن والاحكام هى الادلة الشرعية اى القرآن الكريم والروايات المعتمدة الماثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن آله الائمة الطاهرين .

قوله تعالى «اماما» بيان قوله تعالى «اماما» مفعول ثان لقوله تعالى «جاعلك» والظاهر انه مصدر من ام يؤم بمعنى المأموم مثل الاله بمعنى المألوه فيه قال فى رياض السالكين ص ٤٧٤ والامام بمعنى المأموم كما نص عليه الجوهرى انتهى .

وقال الرازى فى تفسيره ج ٤ ص ٣٩ اسم من يؤتم به كالازار اسم لما يؤتزر اى يأتون بك فى دينك انتهى .

اقول : الظاهر ما ذكرناه انه مصدر قد روعى فيه معنى الاشتقاقى والوصفى وفى تاج العروس ج ٨ ص ١٩٢ قال الى ان قال امهم وام بهم تقدمهم والامام والامم بالكسر كل ما ائتم به من رئيس وغيره كانوا على صراط مستقيم وكانوا صالحين .

وفيه ايضا قال قال الجوهرى الامام الذى يقتدى به انتهى .

قال فى القاموس ج ٣ ص ٧٨ الامام ما يؤتم به من رئيس وغيره انتهى .

اقول: قد ذكرنا ان الامام مصدر من أم يؤم ويؤيده ما اوردناه من كلام الجوهرى وما اوردناه من تاج العروس انه ماخوذ من ام يؤم وامام ذكره الرازى انه مثل الازار اسم لما يؤتزر فبعيد جدا لمافيه من عدم العناية الى المعنى الوصفى .

وكيف كان فالامر المجعول بقوله تعالى «جاعلك للناس اماما» اى نجعله مؤتما به ومقتدى به فى جميع ما امر به ونهى ، وفى كل مايفعل ويترك من الشؤون الدينية ولايجوز تفسير ذلك بالرسالة كما فسره بذلك عبده و لابلنبوة كما فعله الرازى فلان مناسبة والامساس بين مفهوم الامامة ومصداقها وبين مفهوم النبوة والرسالة

ومصدقهما توضيح ذلك ان النبي والرسول صفتان مشبهتان اخذتا من الفعل اللازم فالرسول رسالة من رسل يرسل باعتبار كونه حاملا للرسالة التي تلقاها من رسل السماء والنبي من اخذ النبأ من الله سبحانه من غير واسطة وصار حاملا اياه من دون عناية اخذه من سفير اورسول اليه وكلاهما يقعان مفعولا لبعث وارسل قال تعالى: «فبعث الله النبيين» البقرة / ٢١٣ قال تعالى «هو الذي بعث في الاميين رسولا» الجمعة ٢٠ قال تعالى: «هو الذي ارسل رسوله بالهدى» - الصف ٩ والتوبة ٣٢ .

ومما ذكرنا يعلم ان تفسير الرسول بمن ارسل اليه الوحي وامر بالبلاغ والنبي من اوحى اليه سواء امر بالبلاغ اولم يؤمر في نهاية الوهن والسقوط ضرورة ان البلاغ وعدمه خارجان عن مفهوم اللفظين واجنبى عنهما لما عرفت انهما مأخوذان من الفعل اللازم فلما حصل ان يقع الرسول والنبي بعد الامر بالبلاغ مفعولا لبعث وارسل وليت شعري كيف يصح تفسير الامام بالرسول والنبي مع تباينهما مفهوما ومصداقا وتباين كلا اللفظين مع الامام مفهوما ومصداقا فالامامة امر تشريعي مولوى على ماسياتى بيانه انشاء الله والرسالة والنبوة امر عيني خارجى لانهما عبارة عن العلم المقاض من الله سبحانه على انسان مع الواسطة او بدونها .

فان قلت: ان الامام في اللغة من يؤتم به ويقتدى به وهو ينطبق على من يقتدى به في الدين ولا ريب ان الانبياء والرسل يجب الاقتداء بهم فأى مانع ان يقال ان الامام المذكور في الاية هو الرسول والنبي الذي يجب الاقتداء بهم قلت : قد توهم الرازي ذلك في تفسيره واقام وجوها ضعيفة في اثباته وقد اعرضنا عن ايرادها وهذا القول واضح الفساد ضرورة ان وجوب اتباع الرسول والنبي في ما يتلقاه عن الله سبحانه من مصاديق الامتثال لامره تعالى وبديهي ان امتثال امره تعالى واجب باستقلال وضرورة من العقل وجوب ذاتيا لا يناله يد الجعل المولوى فلا يعقل ان يكون مجعولا بالتشريع ووجوب الائتمام بالرسول والنبي وجوب طريقي الى امتثال امره تعالى وواجب بعين وجوب امتثال امر الله فلا يصح ان يقال ان وجوب الاتباع في ما يتلقاه عن الله في المعارف والعقائد والاحكام مجعول بالجعل المولوى فلا يجوز ان

يقال ان الامام المَجْعول في الاية اى جعل الرسول والنبي باعتبار وجوب طاعته تشريعاً ولا يجوز الالتزام بترادف الامام مع الرسول والنبي باعتبار وجوب طاعتهما بوجوب طاعته تعالى.

فالذى ينبغى ان يقال ان الامام من يجب طاعته والاقْتداء به في الدين بالوجوب الموضوعى لا بالوجوب الطريقي فان الوجوب الطريقي هو عين وجوب طاعته تعالى وقد ذكرنا انه لا يحتاج الى جعل جاعل بخلاف الوجوب الموضوعى فلا يتحقق ولا يوجد بوجه الا بجعله تعالى وحده لا شريك له فان الله سبحانه كما ان له ولاية التكوين والايجاد كذلك له سبحانه ولاية التصرف في كل ما سواه بكل انحاء ومنها ولاية التشريع والتقنين والامر والنهي والقبض والبسط لان كل ما سواه مملوك له تعالى، وولاية التشريع حق تطلق له سبحانه وله الطاعة المفترضة بالذات على جميع من سواه ولا طاعة لاحد على احد بوجه من الوجوه لان كلهم مملوكون له تعالى في عرض سواء ولا يجوز تصرف احد في شأن احد لعدم اولوية احد على احد فمن وثب على رقاب الناس وملك امورهم وحكم فيهم بما شاء اراد فانما يتصرف في سلطان الرب تعالى ولا يسوغ ذلك برضاء الناس ولا يصححه بوجه ابدأ لان الحق له تعالى فلا بد في ذلك من اذنه تعالى و امره فمن افترض الله طاعته على الناس فقد جعله تعالى اماماً عليهم يجب طاعته واتباع سنته وسيرته في ما سن وامرو نهى وحكم وشرع بأمر الله واذنه فيجب اتباع الرسول الامام في ما سن من السنن الحكيمة بامر الله واذنه بالوجوب الموضوعى كما انه يجب اتباعه في ما بين عن الله من الامر والنهي بالوجوب الطريقي فعلى عهدة المفسر تفكيك كل واحد من العنوانين وتخليصه عن الاخر في كل ما يرد عليه من الايات والروايات المسوقة في هذا الشأن الخطير وسنفضل القول في ذلك انشاء الله تعالى في الآيات النازلة في امامة سيدنا رسول الله ﷺ وفي امامة آله الائمة الطاهرين (ع).

فقد تحصل من جميع ما قدمنا من البيان ان ابراهيم عليه السلام بعد ما تشرف بشرف النبوة والرسالة وبعد ما ابتلاه تعالى بالكلمات واتمامها ووفائه بتلك المواثيق

والعهد اكرمه تعالى بكرامة عظمى وجعله اماما للناس اى مؤتما به ومقتدى به فصارت تصرفاته واوامره ونواهيه والسنن الحكيمة التى سنها باذن الله سبحانه شريعة الهية يجب اتباعه والافتداء به وستعرف انشاء الله مما نلتو عليك من الايات ان سير تلك المنازل وطى تلك المراحل لابد ان يكون مقرنا بعصمة الهية وان يكون هذا النبى والرسول والامام مؤيداً بروح القدس الذى لا يزل ولا يخطى ولا يلهو ولا يسهو ولا يغفل ولا ينسى .

فعلى هذا تكون الامامة المجعولة فى الاية عطائه تعالى وتمليكه حق الامر والنهى والقبض والبسط فحينئذ يكون وجوب اتباعه وافتراض طاعته من باب وجوب طاعة من له الامر والنهى من الله سبحانه او يقال ان المجعول افتراض طاعته على كل من كان اماما لهم وسيجىء الكلام فى ذلك مستوفى انشاء الله .

وفى معنى الامام وتفسيره اقوال اخرى منها: ما قدمناه ان الامام فى الاية هو النبى او الرسول وذاكرنا بطلان القولين ومنها: ما ذكره بعضهم فى قوله تعالى «اماماً» اى مرجعاً ومقصداً وزعيماً ، منها: ما ذكره بعضهم ان معناه ما أريد منه التقدم والخلافة والمطاعية والوصاية والرياسة فى امور الدين والدنيا ومصدرية الحكم فى الاجتماع اقول : ليس الكلام فى صحة استعمال لفظ الامام فى الموارد المذكورة وفى امام الجماعة والجماعة وائمة الكفر وائمة الضلال وائمة التى تدعون الى النار وغيرها من الموارد .

فلا يغرنك ماترى من التوسعة فى موارد استعمال لفظ الامام فلا يجوز مداخلة شىء منها فى تفسير الاية الكريمة فان المدار فى تفسيرها هى الشروط المأخوذة فى تعيين المراد فيها فان صريح الاية انها مجعولة بجعله تعالى جعلاً مولوياً وظاهرها وظاهر غيرها من الايات ان محل الامامة المذكورة ومقرها هو الانسان النبى والرسول بل الخليل ايضا على ما سيأتى من البيان.

وذكر بعض المفسرين ما خلاصته ان الامام المذكور فى هذه الاية ونظائرها من هو الواسطة فى الهداية بمعنى الاتصال الى المطلوب اى من هو هاد بتصرفه التكوينى



فى نفوس الناس بالهداية الى كمال ونقلها من كمال الى كمال آخر .  
واستند فى ذلك الى قوله تعالى «وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا» الاية الانبياء ٧٣  
والى قوله «وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا لماصبروا» الاية السجدة ٢٤»  
ووجه الاستدلال ان قوله تعالى «يهدون بأمرنا» يجرى مجرى التفسير والتعريف  
لقوله «ائمة المجعولة» فى الايتين وقوله تعالى «بأمرنا ليس المراد من الامر هو الامر  
التشريعى الاعتبارى بل المراد ما يفسره قوله تعالى «انما امره اذا اراد شيئا ان يقول  
له كن فيكون» يس ٨٢ .

وهو الامر التكوينى فلامحالة يكون المراد من الامام المجعول فى الايتين  
من كان هاديا بالتكوين اى بتصرفه فى نفوس الناس بالهداية الى كمال ونقلها وسيرها من  
كمال الى كمال آخر تهتدى اليه المؤمنون بأعمالهم ويتلبسون بها رحمة من ربهم  
ولابد ان يكون متلبسا بهذه الهداية وواجدا اياها هذا واولا ، وثانيا لا يرب بحسب ظواهر  
الايات الكريمة ان ابراهيم (ع) قد كان متشرفا ونائلا بمقام النبوة والرسالة قبل نيله  
بمقام الامامة فلامحالة كان واجدا لمقام الهداية بمعنى اراءة الطريق ولا ينفك وظيفة  
النبوة والرسالة عن الهداية بمعنى اراءة الطريق فلا يبقى مورد لهداية الامام بما هو امام  
الالهداية التكوينية .

اقول : لاستبعاد ان ابراهيم وغيره من الانبياء الائمة والصديقين صلوات الله  
عليهم ان يكونوا واجدين لمقام الهداية التكوينية لو دل عليه دليل بحسب الكتاب  
والسنة الا ان هاتين الايتين لادلالة فيهما على ذلك ولا شاهد فى المقام ان قوله تعالى  
«يهدون بامرنا» جار مجرى التفسير والتعريف للامام المجعول فيهما بل الظاهر ان  
قوله تعالى «يهدون بأمرنا» الاية مسوقة فى الايتين فى الامام فيهما بل الظاهر ان قوله  
تعالى يهدون بأمرنا الاية مسوقة فى الايتين فى سياق المدح والثناء على هؤلاء الائمة  
الكرام انهم سامعون و مطيعون لامره تعالى لا يسبقونه تعالى بالقول و الفعل و هم  
بأمره تعالى يفعلون ما يفعلون .

وكذلك لادليل ان المراد فى قوله تعالى بامرنا هو الامر التكوينى والاستشهاد

فى ذلك بقوله تعالى «انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون» يس - ٨٢ .  
 فى نهاية الضعف فان قوله تعالى انما امره الاية مسوقة فى سياق ابطال استبعاد المنكرين  
 للبعث وفى سياق نفوذ قدرته تعالى وارادته فى كل ماسواه من غير فرق بين الابدان  
 والاعادة والاحياء بعد الموت و لبت شعري كيف يصح الاستدلال بقوله انما امره  
 الخ ان كل ماورد من لفظ الامر المنسوب اليه تعالى فى القرآن الكريم اريد منه  
 الامر التكويني و ان قوله تعالى «انما امره» الخ تفسير اياه و بديهى عنداهل العلم  
 والانصاف انه ليس فى الايتين شهادة ولادلالة الاالمشاركة فى لفظ الامر فعلى عهدة  
 المفسر تفسير كل آية وآية فيها لفظ الامر واستظهار المعنى فى كل مقام بالقرائن  
 والشواهد المعبرة فى التفسير ولايصح فى ذلك التشبث بلفظ الامر المشترك بين  
 الامر التكويني وبين الامر التشريعى .

وثانيا لو قلنا : ان المراد فى قوله يهدون الهداية التكوينية وان ابراهيم وغيره  
 من الانبياء الائمة واجدون لمقام الهداية بالتكوين فتأثيرهم فى نفوس الناس بالهداية  
 فلا بد من الالتزام انهم مختارون مستطيعون فى امر الهداية بتأثيرهم فلا بد ان يكون  
 ذلك باذن الله وبأمره سبحانه فلا يكون الامر الامراً تشريعياً فلا دلالة فيها ان الامر امر  
 تكويني فلا يتم هذا القول الا بالعلية والمعلولية فى ايجاد جميع الاعيان والحوادث  
 الجارية فى العالم من كل فاعل و اى عامل فعليه يكون صدور الافعال منه تعالى على  
 نحو الايجاب عليه تعالى والغاء مالكيته تعالى فى مرتبة ذاته على الفعل و ضده ونقيضه  
 وكذلك يكون صدور الافعال من وسائط فعله وفيضه على الخير وسلب الاستطاعة  
 والاختيار ويكون نسبة الوسائط اليه تعالى نسبة القلم الى الكاتب الموجب بالفتح  
 فلا سبيل الى الالتزام بذلك لقيام البراهين القاطعة فى العلوم الالهية على ابطال هذه  
 الفرضية الوهمية وضرورة الاديان على خلافه وليس من التفسير بل هذا تأويل وتحميل  
 وتطبيق .

فى الكافي ج ١ ص ١٦ كتاب الحجة باسناده عن طلحة بن زيد عن ابي عبد الله  
 عليه السلام قال الائمة فى كتاب الله امامان قال الله تعالى « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا »

لابامر الناس يقدمون امرالله قبل امرهم وحكم الله قبل حكمهم قال تعالى «وجعلناهم ائمة يدعون الى النار» يقدمون امرهم قبل امرالله ويأخذون باهوائهم خلاف ما في كتاب الله عزوجل .

في البحار ج ٢٤ ص ١٥٦ عن البصائر مسندا عن طلحة بن زيدوايضاعبدالجبار بغير هذا الاسناد يرفعه الى طلحة بن زيد عن ابى عبدالله (ع) قال قرأت في كتاب الله الائمة في كتاب الله امامان امام هدى و امام ضلال اما ائمة الهدى فيقدمون امر الله واما ائمة الضلال يقدمون امرهم و حكمهم قبل حكم الله اتباعا لاهوائهم خلافا لما في كتاب الله .

الرابع : ان سنته تعالى الحميدة في اصطفاؤه عبداً من عباده بمقام السفارة ليست على سبيل المجازفة فمن المستحيل ان يصطفى بكرامة النبوة والرسالة رجلا جافيا ينام رزلا جلغا واصبح قد صار نبيا ورسولا ذامكانة عنده تعالى وذاكرامة عليه سبحانه بل المعلوم من سنته الحكيمة في من اراد اصطفاؤه بفضيلة النبوة و الرسالة ان يراعيه بعين رعايته وعنايته ويسلكه في مسالك العبودية شيئا فشيئا فلا يزال يؤيده ويسدده ويؤدبه ادب الكرام الابرار ويربيه تربية الاحرار الاخير حتى يستكمل ويثبت قدمه في صراط العبودية ويطمئن قلبه ويشرح صدره حتى يصير اهلا بأن يرتبط بعالم الغيب وبعالم الآخرة ويعرف ما هنالك ويستأهل لتلقى العلوم و الاحكام وحملها وبلاغها . فاذا شرفه الله تعالى بموهبة النبوة فلامحالة يتعبده بانواع من التعبد ويختبره بانحاء من الشدائد حتى صار ذوقه بحمل اثقالها وحمل العلوم والمعارف المناسبة لذلك الموقف الخطير والعمل بوظائفها والصبر على مشاقها .

وكذلك بعد نيله بمقام الرسالة فيقوم بوظائفها ويبدل الجدل الاكيد في العمل بما يوجب عليه من التكاليف والوفاء الصادق في ما يستقبله من العهود والمواثيق و اتمام ما يبتلى به من الكلمات فقد حان الحين ان تشمله العناية الالهية الاخرى ان يكرمه بموهبة عظيمة ويتفضل عليه بمشوبة كريمة وتشرفه بقوله «انى جاعلك للناس اماما» يرفع به ذكره ذكرا باقيا وثناء خالدا فانه سبحانه وفي شكور لا يضيع لديه

اجر المحسنين ولا يجعل المتقين كالفجار

وفى الروايات المأثورة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام تذكرة ارشاد الى هذه السنة الالهية والى هذه الحقيقة القرآنية .

فى الكافى ص ١٥٤ مسنداً عن مولانا الرضا صلوات الله عليه قال الى ان قال «الامامة» خص الله بها ابراهيم بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة شرفه بها واشاد بها ذكره فقال «انى جاعلك للناس اماماً» فقال الخليل سروراً بها . «ومن ذريتى» قال الله «لاينال عهدى الظالمين» فابطلت هذه الاية امامة كل ظالم الى يوم القيامة فصارت فى الصفوة .

ثم اكرمه الله تعالى بأن جعلها فى ذريته اهل الصفوة والطهارة فقال «وهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين» فلم يزل فى ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا ورثها الله تعالى النبى فقال جل وتعالى «ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى و الله ولى المؤمنين» فكانت خاصة فقلدها رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بأمر الله على رسم ما فرض الله فصارت فى ذريته الاصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان ، الحديث .

اقول : صرح (ع) ان ابراهيم عليه السلام شرفه الله تعالى بالامامة بعد الخلة والنبوة مرتبة ثالثة واشاد بها ذكره وقوله (ع) : «ورثها الله تعالى النبى وقلدها رسول الله ﷺ علياً سيأتى الكلام فيه انشاء الله من الفرق بين امامة رسول الله ﷺ وامامة اوصيائه الاصفياء .

فى الكافى ج ١ ص ١٣٥ مسنداً عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال سمعته يقول ان الله اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبيا واتخذه نبيا قبل ان يتخذه رسولا واتخذ رسولاً قبل ان يتخذه خليلاً واتخذه خليلاً قبل ان يتخذه اماماً فلما جمع له الاشياء قبض يده قال الله يا ابراهيم «انى جاعلك للناس اماماً» فمن عظمها فى عين ابراهيم قال «ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين» .

وفيه ايضاً ج ١ ص ١٢٣ عن هشام بن سالم ودرست ابن ابي منصور قال قال ابو عبد الله (ع) الانبياء والمرسلون على اربع طبقات الى ان قال والذي يرى في النوم ويسمع الصوت ويعاين الملك مثل اولى العزم وقد كان ابراهيم نبيا ليس امام حتى قال الله «انى جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين» من عبد صنما او وثنا لا يكون اماماً .

اقول : مورد التقسيم فى الرواية الشريفة الانبياء والمرسلون والظاهر بقرينة عطف المرسلين على الانبياء ان المرادهم المرسلون لا الانبياء المرسلون ويشهد على ذلك قوله مثل اولى العزم فان من اولى العزم من كان رسولا ايضاً فلا دلالة فى الاية الكريمة ان ابراهيم (ع) كان نبيا واماماً وليس برسول .

وفيه ايضاً ص ١٣٣ مسندا عن زيد الشحام قال سمعت ابي عبد الله عليه السلام يقول ان الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتخذه نبيا وان الله اتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولا وان الله اتخذه رسولا قبل ان يتخذه خليلاً وان الله اتخذه خليلاً قبل ان يتخذه اماماً فلما جمع له الاشياء قال انى جاعلك للناس اماماً قال فمن عظمها فى عين ابراهيم قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين قال لا يكون السفية امام التقى .

ويظفر الباحث الخبير على ازيد مما ذكرناه من الروايات وهى كما ترى موافقة لما تفيد الاية الكريمة بالتفصيل الذى ذكرناه .

قوله تعالى «ومن ذريتى» الاية اى واجعل بعض ذريتى اماماً بناء على ان من تفيد التبويض ويمكن ان يقال ان من بمعنى فى اى واجعل فى ذريتى اماماً وعند التحليل يكون المعنى واجعل الامامة فى ذريتى وعلى كلا الوجهين تفيد الاية الكريمة ان الامامة لا تحصل لاحد الا يجعله تعالى كما اسلفنا الكلام فى ذلك فى قوله تعالى «انى جاعلك للناس اماماً» وهذا الدعاء منه عليه السلام موافق لما هو المعلوم والمشهود من سنته تعالى ان يجعل فى كل قوم شهيداً عليهم من انفسهم وان يبعث فى كل قوم نذيراً وهاذا ولم يعرف من سنته تعالى ان يجعل القوم كلهم انبياء وائمة يستغنى بعضهم عن

بعض فى ما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم .

وفى البرهان ج ١ ص ١٥٠ سعد بن عبدالله مسندا عن عبدالحميد بن القصى قال قال ابو عبدالله عليه السلام اينكرون الامام المفروض الطاعة ويجحدونه والله ما فى الارض منزلة اعظم عند الله من منزلة مفروض الطاعة لقد كان ابراهيم دهرأ ينزل عليه الوحي حتى بدا لله ان يكرمه ويعظمه قال الله عزوجل انى جاعلك للناس اماما فعرف عليه السلام ما فيها من الفضل فقال «ومن ذريتى» اى واجعل ذلك فى ذريتى قال الله عزوجل «لاينال عهدى الظالمين» قال ابو عبدالله (ع) هو فى ذريتى لا يكون فى غيرهم .

اقول : قوله (ع) قال «ومن ذريتى» اى واجعل ذلك فى ذريتى الخ يظهر منه انه فسر من بمعنى فى لان ذلك كانت قراءته وقد ذكرنا انه بحسب التحليل ان معنى قوله تعالى «من ذريتى» اى واجعله فى ذريتى وسيأتى بقية البيان فى هذا البحث فى معنى الامامة عن قريب انشاء الله . فدعا (ع) ان يجعل الامامة فى ذريته الطاهرة وان لا يخرج الامامة من بيته الى غيره فأكرمه الله سبحانه باجابة دعوته وقضاء حاجته فقرر الامامة فى ذريته وفى بيته الرفيع يرثها بعضهم عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله اشرف ذريته خاتم النبيين وامام الائمة الموحدين فقلدها رسول الله (ص) عليا وذريته المصطفين يرثها كابر وصالح بعد صالح حتى اورثها الله تعالى خاتم الائمة ومنقذ الامة وغاية النور .

وقد حكى تعالى عنه عَلَيْهِ فى القرآن الكريم الدعاء لذريته فى مواقف شتى قال تعالى «واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك» الى قوله وابعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياتك ويزكيهم» الاية البقرة - ١٢٩ .

قال تعالى وأجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ابراهيم - ٣٥ قال تعالى «ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى ذرع عند بيتك المحرم ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم و ارزقهم من الثمرات» الاية ابراهيم - ٣٧ قال تعالى «رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى» الاية ابراهيم - ٤٠ قال فى المجمع ج ١ ص ٢٠١

و قيل انما ذلك على جهة التعرف ليعلم هل يكون فى عقبه ائمة يقتدى بهم انتهى .  
وفى تفسير الرازى ج ٤ ص ٤٠ قال بعضهم انه تعالى اعلمه فى ان ذريته انبياء  
فاراد ان يعلم هل يكون ذلك فى كلهم او فى بعضهم وهل يصلح جميعهم لذلك  
الامر فاعلمه الله تعالى ان فيهم من لا يصلح لذلك انتهى .

اقول: لا يخفى ان هذين القولين اقتراح محض وقول بلا دليل والحق المبين  
ما ذكرناه انه لما رأى من فضل ربه تعالى عليه سر به فسأل ربه بقلب مطمئن واثق  
ان يجعل ذلك فى ذريته ايضا كما ذكرنا فى ما تقدم والظاهر ان موقف هذه المسألة  
قد كان اواخر عمره فان الظاهر من الايات الكريمة انه عليه السلام جاءه البشرى  
بالولد بعد ما هاجر من وطنه وبعد ما جرى بينه وبين نمروذ الجبار ويظهر من بعض  
الروايات ان هاجر ام اسماعيل كانت قبطية ووهبها الملك القبطى لسارة زوجة ابراهيم  
فابتاعها ابراهيم من سارة فولدت له اسماعيل عليه السلام.

قال تعالى حكاية عن ابراهيم قال « انى ذاهب الى ربي سيهدين رب هب  
لى من الصالحين فبشرناه بغلام حلیم- قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك»  
الاية الصافات - ١٠٢

قال تعالى «وجاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما- الى قوله تعالى -  
«وامرأته قائمة فضحكت فبشرناه باسحاق ومن وراء يعقوب اسحق قالت يا ويلتى وانا عجوز  
وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا لاتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته  
عليكم اهل البيت» الاية- هود ٧٤ .

قال تعالى : «قالوا لاتوجل انا نبشرك بغلام عليم قال : ابشر تمنونى على ان  
مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط  
من رحمة ربه الا الضالون» الحجر - ٥٦ .

وفى مروج الذهب للمسعودى ج ١ ص ٤٥ و ولد لابراهيم اسماعيل عليه السلام  
وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون سنة او سبع وثمانون سنة وقيل تسعون سنة  
من هاجر وجارية كانت لسارة .

وفيه أيضاً ص ٤٦ ولد لابراهيم من سارة اسحاق عليه السلام وذلك بعد مضي عشرين ومائة سنة من عمره انتهى .

اقول : المستفاد من هذه الايات المباركات ان ابراهيم عليه السلام قد جاءته البشري بالولد بعد مامسه الكبر وصار شيخا ، وما وهب الله له ولدا الا بعد كبره لقوله تعالى « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق » الاية ابراهيم (٣٩) وصريح قوله تعالى « رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم » الاية ابراهيم (٣٧) ان دعائه هذا كان حال كبره لذريته الموجودة .

اما دعائه لذريته فى الاية المبحوثة عنها فلاريب بحسب صريح الاية انه قد كان بعد نيله بمنصب الامامة واما تعيين موقف الامامة فقد ذكرنا فى ماتقدم بالبيان المستوفى ان نيل الامامة قد كان بعد اتمام الكلمات التى ابتلى بهافى ظرف نبوته ورسالته ويؤيد ذلك الظهور بالروايات المتقدمة المصرحة ان امامته عليه السلام قد كانت بعد طى مراتب النبوة والرسالة والخلة فالاية الكريمة قابلة الانطباق مع الايات الدالة على ان دعائه لذريته فى كبره و اواخر عمره هذا بحسب ظواهر الادلة اما بحسب الاعتبار فبعيد غايته ان يقف مثل ابراهيم هذا الموقف الخطير ويدعو لذريته التى لما يخلق بعد .

ولا يخفى عند اولى الالباب ان دعاء ابراهيم (ع) لنفسه ولذريته فى هذه الاية و نظائرها من الايات و كذلك دعوات غيره من الانبياء والرسل الكرام ادل دليل على اهمية الدعاء وموقعيته العظيمة فى دعوة القرآن الكريم وبلاغه المبين .

قوله تعالى : « ولا ينال عهدى الظالمين »

### بيان

الظاهر فى لفظ العهد فى الاية الكريمة بل هى كالصريحة ان المراد به هى الامامة التى سألها ابراهيم (ع) ان يجعلها تعالى لذريته كما جعلها لنفسه فى قوله تعالى « انى جاعلك للناس اماما » ولفظ العهد وان كثرت موارد استعماله لعنايات مختلفة الا ان الغالب فيه ان العهد مما يجب الوفاء به ويحرم نقضه ونكته قال تعالى



«أوفوا بعهدى أوف بعهدكم» الآية البقرة - ٤٠ . وفى تفسير هذه الآية روايات شاهدة

لما ذكرنا قال تعالى «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً» الاسراء (٣٤) .

سواء إن المراد من الامامة التى جعلها الله تعالى لابراهيم وذريته ليست هى النبوة كان واجبا بذاته ومن المستقلات العقلية مثل وجوب الايمان بالله وبتوحيده سبحانه ووجوب طاعته وكذلك فى طرف الحرام مثل الكفر بالله والشرك به تعالى ومخالفته فى اوامره ونواهيه او كان واجبا وحراما مولويا فعلى هذا لا بد ان يكون المراد من العهد الامامة التى جعلها تعالى لابراهيم ولذريته يجب على الناس التسليم والطاعة لحكمه تعالى سواء كان امراً أو ضعياً او امراً تكليفياً فالاول مثل اعطاء حق الامر والنهى . والثانى مثل افتراض الطاعة والظاهر هو الاول وهذه قرينة اخرى وتأيد آخر لما ذكرناه ان المراد من الامامة التى جعلها الله تعالى لابراهيم وذريته ليست هى النبوة والرسالة بل لا بد ان يكون امراً مجعولا لا بجعله .

هذا كله ونظائرها من جملة عهود الخلق بالنسبة الىه تعالى، واما عهوده وموآثيقه تعالى بالنسبة الى عبادته و خلقه فهى شرايعه الحكيمة وكتبه القيمة فالقرآن الكريم مثلاً عهد الله الى خلقه وفيه ترسيم لحدود العبودية وشؤونها وهو جبل ممدود من الله بينه وبين خلقه .

ومن هذا الباب عزائمه وفرائضه العقلية و الشرعية ومن هذا القبيل كراماته ومواهبه لاوليائه فالولاية مثلاً عهد من الله الى احد من احبائه فيقوم الولي بوظائف ما عهد تعالى اليه من الولاية فيتحفظ عليها واما بالنسبة الى خلقه وجوب التسليم والطاعة لهم عهد من الله الى خلقه ومن هذا الباب كرامته تعالى الى عبادته المؤمنين الموحدين جزاء وثوابا على حسناتهم طبق ما واعدهم عليه تفضلاً واكراماً ايها عهد من الله اليهم قال تعالى «أوفوا بعهدكم» البقرة ٤٠ .

فعلى عهدة المفسر التحفظ الكامل بين العهد المنسوب اليه تعالى فى القرآن الكريم مثل قوله عهدى او عهدنا بصيغة الفعل الماضى او اعهد بالمضارع ونظائرها وبين العهد المنسوب المضاف الى الخلق .

إذا تقرر ذلك فنقول ان الامامة عهد من الله تعالى الى خاصة اوليائه و كان ذلك لمصالح في شأن هذا الولي الامام فانه تعالى اعلم حيث يجعل رسالته وامامته فاكرمه تعالى بعهده فرفعه به شأنه واشاد به ذكره فيقوم هذا الولي الامام بوظائف ما عهد اليه من الامامة و كان ذلك ايضا بمصالح في الناس فيكون الايمان بامامة الامام و التسليم والطاعة لاوامره عهد الله الوثيق الى عبادته وهكذا الكلام في جميع ماورد من لفظ العهد في القرآن الكريم والخطب والروايات المباركة من حيث التفكيك بين العهد المنسوب اليه تعالى وبين العهد المضاف الى الخلق و من حيث تفسير حقيقة العهد في كل واحد من المقامين وهذا باب يفتح منه ابواب كثيرة في تفسير الايات و الخطب المباركة .

قوله تعالى «الظالمين» قد حكم وقضى سبحانه ولايحكم ولا يقضى الا حقاً وقسطاً ان يكون محل هذا العهد ومقره مطهراً ومنزهاً عن دنس الظلم ومعصوماً بعصمة الهية .

والظلم هوالتعدى عن الحد والتجاوزالى حق الغيروان كان بالقهر والغلبة على من دونه اوبمعصية من كان فوقه ممن يجب امتثال امره ونهيه فيشتمل الكفر والشرك والمعاصى الكبيرة والصغيرة سواء كان في حقه تعالى اوفى حق الناس وفسره في القاموس انه وضع الشيء في غير موضعه وهو منطبق على ما ذكرناه .

وقوله تعالى «الظالمين» جمع محلى بالالف واللام الدالة على الاستغراق والعموم وحيث ان القضية حقيقية والعموم والاطلاق فيها يكون من حيث الانواع لاالافراد كما ان التخصيص والتنقييد فيها يكون من حيث الانواع فلامحالة يشمل ويستغرق قوله تعالى «الظالمين» جميع انواع الظالمين في عرض سواء الكفر والشرك والمعاصى كبائرهما وصغائرها سواء كان ظلماً دائماً ومقيماً عليه اوموقتاً قبل اسلامه وقبل توبته فان كل واحد من الانواع موضوع مستقل برأسه في حرمان الظالم عن نيل العهد الالهى الا ان يرد عليه مخصص متصل اومنفصل بالنسبة الى بعض الانواع . قال الجصاص في كتابه احكام القرآن ج ١ ص ٨٨ طبع مصر ماخلاصته :

احتج الرافضة بقوله تعالى «لا ينال عهدى الظالمين» في رد امامة ابي بكر وعمر انهما كانا ظالمين حين كانا مشركين في الجاهلية وهذا جهل مفرط لان هذه السمة تلحق من كان مقيماً على الظلم اما التائب منه فهذه السمة زائلة عنه فزال الحكم المتعلق بهذه السمة بزوالها الا ترى ان قوله تعالى «ولاتركنوا الى الذين ظلموا» نهى عن الركون اليهم ماداموا مقيمين عليه وقوله تعالى «ما على المحسنين من سبيل» اى نفى السبيل عنهم ماداموا على الاحسان الا ترى انه لا يشمل من تاب عن كفره كافر ولا يسمى من تاب عن فسقه فاسقاً انتهى ما اردنا ملخصاً. وقريب منه عبارة الرازى في تفسيره (ج ٤) .

ويرد عليه ان ما ذكره من دوران السمة المأخوذة في الموضوع فيزول الحكم بزوال الصفة غير تام على اطلاقه فمن الجائز ان تكون السمة المأخوذة في موضوع الحكم مأخوذة من حيث حدوث الحكم فقط من غير اشتراط بقاء الحكم بقاء الصفة توضيح ذلك ان أخذ الصفة في موضوع يتصور بحسب الواقع ونفس الامر على وجهين : احدهما ان تكون مأخوذة من حيث حدوث الحكم وبقائه مثل قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الغنم السائمة زكاة ، وثانيهما ان تكون السمة مأخوذة من حيث حدوث الحكم فقط ومن هذا القبيل قوله تعالى «السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما» المائدة وقوله تعالى «الزانية والزانية فاجلدوا» الاية وقوله تعالى «حرمت عليكم امهاتكم» الى قوله تعالى «وامهات نسائكم» .

وقوله تعالى «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً» آل عمران فان الحكم العلق على الصفة في هذه الايات لا يزول بزوال الصفة بالضرورة من الفقه وبديهي ان الصفة في موضوع تلك الاحكام انما اخذت من حيث الحدوث فقط فالمتبع في هذا الباب وكيفية اخذ الصفة في موضوع الحكم هو لسان الدليل والباحثون مثل الجصاص وغيره خرجوا عن مسير البحث الفقهي والتفسيري وتشبهوا بأمثلة جزئية في النقص والابرام وهذا لا يحسم مادة النزاع ، والذي يليق بطور البحث ان يقال ان الوصف المأخوذ في موضوع الحكم ان كان منوعاً للموضوع

وكان هناك عموم او اطلاق فلا بد ان يؤخذ بهذا العموم والاطلاق واسراء الحكم الى جميع الانواع المندرجة في العالم والى جميع الافراد المندرجة في الانواع كما في القضايا الحقيقية ضرورة ان الحكم فيها انما انشأ والقى على الموضوعات المفروضة وجودها ولا يصير الحكم فعلياً الا بفعلية موضوعه المفروض .

وحيث ان الحكم انما انشأ والقى على تلك الانواع في عرض سواء فلامحالة يسرى الحكم ويشمل ويعم جميع الانواع في عرض واحد سواء من غير فرق بين فرد وفرد من افراد الموضوع فوجوب الحج مثل انما انشأ على الانسان المستطيع ويشمل الى انواع العرب والعجم والابيض والاسود وهكذا وهل يجوز ان يقال بالفرق من حيث شمول الحكم وسريانه الى تلك الانواع وافرادها وكذلك حرمان الظالم من مثل العهد انما انشأ على الظالمين فبالضرورة يشمل جميع انواع الظالم الظالم بالكفر الدائم والظالم بالشرك الدائم والظالم الموقت بالكفر او الشرك قبل اسلامه او بعد اسلامه والظالم بالكبيرة مصراً عليه او تائباً والظالم بالصغيرة قبل توبته وبعد توبته بداهة ان يرتكب المعصية الصغيرة قسيم خاص من الظالم في مقابل الظالم بالكفر الدائم .

فالقول بخروج الظالم بالصغيرة التائب منها قول بلا دليل و اقتراح محض الا بالتخصيص بدليل منفصل آخر . و اما اذا لم تكن الصفة في الموضوع منوعا اياه ولا نوع في الموضوع كما في القضايا الشخصية الخارجية مثل قولنا اعط من في الدار مصليا دينارا و ليس في الدار الافرد واحد او افراد معدودة و ليس للفرد او الافراد الاحالة واحدة فلامحالة ينتفى الحكم بانتفاء الوصف .

فتبين ان ما ذكره الجصاص و الرازى غفلة و خلط بين القضايا الحقيقية و الخارجية و أما ما تشبث به في النقص بأمثله جزئية منها ان الكافر اذا تاب عن كفره لا يسمى كافراً و الفاسق اذا تاب عن فسقه لا يسمى فاسقاً فيرد عليه ان الحكم لا يترتب على التسمية و الصدق و انما انشأ على فرض التلبس و قد تلبس و صار الحكم فعلياً و يشمله القضاء الالهي بالحرمان بالنيل ، العهد .

و منها : التشبث بقوله تعالى « و لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » هود ١١٣ و فيه ان الركون هو السكون اليه و المحبة له و الاتصال اليه و نقيضه النفور ذكره فى المجمع ج ٥ ص ١٩٩ فالركون الى الظالمين حرام باستقلال من العقل والنهى ارشاد وتذكرة الى ما يدركه الانسان بعقله والامر والنهى الارشادى لاطلاق فيها ولا تقييد وانما يدور مدار المرشد اليه .

ومنها: التشبث بقوله تعالى «ما على المحسنين من سبيل» التوبة - ٩١ فهذه الآية نزلت فى شأن اولى الاعذار الذين رخص الله تعالى لهم فى ترك الخروج الى الجهاد مع رسول الله ﷺ والظاهر ان هذا كان فى غزوة تبوك .

قال تعالى : «ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ولرسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم» (٩١) ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت: لاجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع الا يجدوا ما ينفقون» (٩٢) «انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف» الآية التوبة (٩٣) .

اقول : الآية الكريمة لاتختص بمورد نزولها بل هى عامة وشاملة لكل ما يمكن مصداقاً لها ومنطبقاً عليها الا انها مخصصة ومقيدة بجميع الادلة الدالة على اثبات السبيل والضمان فى الخسارات الواردة على نفوس الناس واعراضهم و اموالهم واستثنى تعالى المحسنين فى الجملة لاعلى الاطلاق بل شرط بشرائط خاصة فى موارد خاصة و تفصيل ذلك مو كول على عهدة الفقيه وحيث ان هذه الآية مخصصة من جهات شتى فلا يكون نقضا فى الآية المبحوثة عنها .

قال فى المجمع ج ١ : فان قيل انما نفى ان يكون الظالم فى حال ظلمه واما اذا تاب فلا يسمى ظالماً فيصح ان يناله .

والجواب ان الظالم و ان تاب فلا يخرج من ان تكون الآية قد تناولته فى حال كونه ظالماً فاذا نفى ان يناله فقد حكم عليه انه لا ينالها فالاية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب ان تكون محمولة على الاوقات كلها فلا ينالها ظالم وان

طاب في ما بعد انتهى .

ونظيره عبارة الشيخ (قده) في تبيانه ج ١ ص ٢٢٩ .

اقول : قول هذين العلمين الكبيرين ان الاية مطلقة غير مقيدة لوقت دون وقت هو ما ذكرناه ان الاية عامة شاملة لجميع انواع الظالم اى اى ظالم كان من غير اختصاص بنوع منه دون نوع .

في نور الثقلين ج ١ عن الاحتجاج عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول قد حضر على من ماسه الكفر تقلد ما فوضه الى انبيائه واوليائه بقوله لابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا ينال عهدي الظالمين اى المشركين فانه سمي الشرك ظلما بقوله ان الشرك لظلم عظيم فلما علم ابراهيم ان عهد الله تبارك اسمه بالامامة لا يناله عبدة الاصنام قال واجنبني وبنى ان نعبد الاصنام .

في نور الثقلين ج ٢ ص ٥٤٦ عن امالي الشيخ قدس سره باسناده الى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله (ص) انا دعوة ابي ابراهيم قلنا يا رسول الله (ص) كيف صرت دعوة ابيك ابراهيم قال اوحى الله الى ابراهيم انى جاعلك للناس اماما فاستحق (نسخة برهان فاستخفف) الفرح قال ومن ذريتي ائمة مثلى فاوحى الله عز وجل ان يا ابراهيم انى لاعطيك عهدا لافى لك به قال : يارب وما العهد الذى الذى لا تفى به قال لاعطيك عهدا لظالم من ذريتك قال ومن الظالم من ولدى الذى لا ينال عهدك قال من سجد من دونى صنماً لا اجعله اماما ابداً ولا يصلح ان يكون قال ابراهيم « و اجنبني وبنى ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس » قال النبى (ص) فانتهدت دعوة ابي ابراهيم الى والى اخى على لم نسجد لصنم قط فاتخذنى الله نبيا وعليا وليا .

اقول : الرواية الشريفة واضحة البيان كما فى غيرها من الروايات ان من عبد صنما او وثناً او تمثالا لا يكون اماما فى بعض من الروايات عن طرق العامة تضمن هذا المعنى ايضا والباحث الخبير يظفر بأزيد من ذلك وفى ما ذكرنا ما يفيد المغاد الاية كفاية لاولى الابصار.

فقد تحصل في المقام ان المجمعول بجعله تعالى هو الامام ومعناه تصريح اهل اللغة المؤتم به فيدور الامر بين ان يقال ان المجمعول بجعله تعالى بعنوانه الاولي هو حيث الايتمام به في ما يأمر وينهى و يترك و يبقى و يتصرف في جميع شؤون حياة الاجتماع وهذا منصب الهى ملكه تعالى لوليه وصفيه ويكون افتراض طاعته ووجوب الايتمام من باب وجوب طاعة من له الامر والنهى من قبله تعالى وهذا هو معنى الخلافة الالهية او يقال ان المجمعول بالعنوان الاولى هو افتراض الطاعة فى ما يأمر وينهى فالاقرب الالصق بلفظ الامام هو الاول والافوق الانسب بظواهر الادلة من الايات و الروايات هو المعنى الثانى .

والذى يسهل الامر ان مرجع كلا الامرين عند التحليل الى امر واحد ويزيد لذلك وضوحاً فى طى الابحاث انشاء الله هذا تمام الكلام فى تفسير الاية الكريمة وفى معنى امامة ابراهيم عليه السلام .

## اما كلام فى امامة سيدنا رسول الله

وقد بسطنا القول سابقا ان وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم فى ما يدعو اليه الناس من المعارف الحقّة الالهية وبنالونها ويعرفونها بحقائق الايمان والعيان انما هو من وجوب الايمان بالحق ومن باب التسليم لما عرف وعلم واجبا ببداهة العقل لاسبيل الى اعمال المولوية فيها وكذلك وجوب طاعته فى ما يتلقيه عن الله سبحانه من احكامه وعزائمه وفرائضه ليس الامن باب امثال امره من مصاديقه الواضحة ومن المستقلات العقلية فلا يناله يد الجعل التشريعى فلا محالة فينحصر وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم بالموارد التى لولا جعله تعالى لما كان واجبا ويكون المراد من ايجاب الطاعة هو الوجوب الموضوعى بالنسبة الى افتراض الله طاعته صلى الله عليه وسلم على الناس فى كل ما يأمر وينهى .

## الاية الاولى

قال تعالى : «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» الحشر -٧.

بيان - قوله تعالى اناكم فعل ماضن من باب الافعال والمصدر منه الايتاء و قد استعمل في كثير من الموارد بمعنى الاعطاء كما في قوله تعالى (واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة) الاية الانبياء - ٧٣ الا ان المقابلة بين قوله آتا وبين قوله نهى لا يلائم الاعطاء ولو كان هو الاعطاء لكان الاوفق بالمقام ان يقال وما منعكم او اوردكم ونظائره من العبارات فلا تخالفوه .

قال الرازي في تفسيره ج ٢٩ ص ٢٨٦ والاجود ان تكون هذه الاية عامة في كل ما اتى رسول الله (ص) ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه انتهى .

اقول ونظيره عبارة الكشاف وقال في المجمع ج ١٠ ص ٢٤١ اي اعطاكم الرسول فخذوه وارضوا به وما امركم فافعلوه وما نهاكم عنه فانه لا يأمر ولا ينهى الا عن امر الله وهذا عام في كل ما امر ونهى (ص) انتهى :

وفي الجوامع ص ٤٨٧ قال ما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة اوفىء فخذوه و ما نهاكم عنه من اخذه منها فانتهاوا عنه و اتقوا الله ان تخالفوه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاولى ان يكون عامافي كل ما امر رسول الله ونهى عنه ولهذا قسم <sup>الغنائم</sup> اموال خيبر ومن عليهم في رقابهم واجلى بنى النضير وبنى قينقاع واعطى لهم شيئا من المال وقتل رجال بنى قريظة وسبى ذراريهم ونسائهم و قسم اموالهم على المهاجرين خاصة ومن على اهل مكة فاطلقهم انتهى .

وقريب منه عبارة بعض المفسرين ولم اجد في كلام المفسرين و جهها شافيا في تفسيرهم قوله تعالى «ما آتاكم» الاية امره (ص) وتقسيمه الغنيمة والفيء ولا شاهد لهم على ذلك و واضح ان قوله تعالى « و ما افاء الله » الاية ليست نازلة في شأن الغنائم وانما نزلت في شأن الانفال ولا ريب ان مصرف الانفال والذي افاء الله على رسوله غير مصرف الغنائم وليس في المقام ذكر من الغنائم وكيفية تقسيمها .

وقوله تعالى «ما آتاكم الرسول» الاية جملة مستقلة معطوفة على قوله تعالى «ما آفاه الله على رسوله» وكلا من المعطوف والمعطوف عليه جملة مستقلة في مفادها وفي تقسيم الغنائم مفوض على رسول الله اولافعلى هذا تنحصر القرينة في تفسير ما آتاكم



الرسول بامر رسول الله هي المقابلة بين قوله ما آتاكم وبين قوله ما نهاكم فالظاهر ان المراد في قوله تعالى وما آتاكم الرسول جميع ما سن وقرر رسول الله (ص) من الامور المثبتة في مقابل المنهية سواء كانت سنة في فريضة او امر راجع ذوقضيلة والقرينة على ذلك هو قوله تعالى وما نهاكم ولعل الوجه في اطلاق اليتاء على هذا السنن القيمة انها خير وفضيلة تفضل الله بها سبحانه على عباده بوساطة الرسول الاكرم والاية الكريمة ليس فيها شيء من التأسيس والتشريع وانما هي ارشاد وتذكرة الى وجوب التسليم والتدين بما سنه (ص) وامضاء وتقرير لما امر به وقرره بامر ربه واذنه وفي الروايات الماثورة عن ائمة اهل البيت في تفسير الاية دلالات على ما ذكرناه من البيان .

في الكافي ج ١ ص ٢٨ عن علي ابن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن عمر بن اذينة عن فضيل بن يسار قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: لبعض اصحاب قيس الماصر ان الله عزوجل ادب نبيه فاحسن ادبه فلما اكمل له الادب قال «انك لعلى خلق عظيم» ثم فوض اليه امر الدين والامة ليسوس عباده فقال «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» و ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان مسددا موافقا مؤيدا بروح القدس ولايزل ولايخطيء في شيء مما يسوس به الخلق فتادب باداب الله ثم ان الله فرض الصلوة ركعتين ركعتين عشر ركعات فاضاف رسول الله (ص) الى الركعتين ركعتين والى المغرب ركعة فصارت عدل الفريضة لا يجوز تركهن الا في سفر و افراد الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر فاجاز الله عزوجل له ذلك كله فصارت الفريضة سبع عشر ركعة .

ثم سن رسول الله النوافل اربعا وثلاثون ركعة مثلى الفريضة فاجاز الله عزوجل له ذلك والفريضة والنافلة احدى وخمسون ركعة منها ركعتان بعد العتمة جالسا يعد بر كعة مكان الوتر وفرض الله في السنة صوم شهر رمضان وسن رسول الله صوم شعبان وثلاثة ايام في كل شهر مثلى الفريضة فاجاز الله عزوجل له ذلك وحرم الله عزوجل الخمر بعينها وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسكر من كل شراب فأجاز الله له ذلك كله

وعاف رسول الله (ص) اشياء وكرهها ولم ينه عنها نهى حرام و انما نهى عنها نهى اعافه و كراهة .

ثم رخص فيها فصار الاخذ برخصة واجبا على العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزائمه ولم يرخص لهم رسول الله فى مانهاهم عنه نهى حرام ولا فيما امر به امر فرض لازم فكثير المسكر من الاشربة نهاهم منه نهى حرام و لم يرخص فيه لاحد ولم يرخص لاحد تقصير الركتين اللتين ضمهما الى ما فرض الله عزوجل بل الزمهم ذلك الزاما واجبا ولم يرخص لاحد فى شىء من ذلك الا للمسافر وليس لاحد ان يرخص شيئا مالم يرخصه رسول الله (ص) فوافق امر رسول الله (ص) امر الله عزوجل ونهيه نهى الله عزوجل واوجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى .

وفيه ايضا ص ٢٠٩ مسندا عن زرارة انه سمع ابا جعفر و ابا عبد الله (ع) يقولان ان الله تبارك وتعالى فوض الى نبيه (ص) امر خلقه لينظر كيف طاعتهم ثم تلى هذه الاية «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» .

اقول : ورواه ايضا بسند آخر عن زرارة عن ابي جعفر و ابي عبد الله (ع) .  
وفيه ايضا ص ٢٠١ مسندا عن محمد بن الحسن الميثمى عن ابي عبد الله (ع) قال سمعته يقول ان الله عزوجل ادب رسوله حتى قومه على ما اراد ثم فوض اليه فقال عزوجل «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» فمافوض الله الى رسوله فقد فوضه الينا .

وفيه ايضا مسندا عن زيد الشحام قال سألت ابا عبد الله (ع) فى قوله تعالى «هذا عطاءنا فأمّن او امسك بغير حساب» قال : اعطى سليمان ملكا عظيما ثم جرت هذه الاية فى رسول الله (ص) فكان له ان يعطى ماشاء من شاء ويمنع من شاء واعطاه الله افضل مما اعطى سليمان لقوله «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» .

## بيان

الظاهر ان قوله (ع) اعطاه الله افضل مما اعطى سليمان لقوله ما آتاكم (الى)

آخره) فيه دلالة على ما ذكرنا ان الآية الكريمة لادلالة ولا تعريض فيها بشيء من تقسيم الغنيمة والفيء واعطاء المال بل مسوقة للارشاد والتذكير لوجوب التعبد والتسليم لامر رسول الله (ص) ونهيه ايضا قوله عَلَيْهِ وفوض امر الدين ونظايرها من العبارات فيها دلالة على ان المفوض الى رسول الله (ص) هو مقام الامر والنهي في شؤون الدين وتمليك حق التصرف . و الروايات في تفسير الآية الكريمة كثيرة اعرضنا عن ايرادها وفي ما ذكرنا كفاية .

### الآية الثانية

قال تعالى « ومن يطع الرسول فقد اطاع الله و من تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا » النساء - ٨٠ .

### بيان

الآية الكريمة في مقام الحث والترغيب على طاعة رسول الله (ص) وفي بيان ان طاعته طاعة الله سبحانه وفيها تهديد وتعريض على من تولى وخالف امر رسول الله ونهيه وخلاصة القول في المقام ان هنا طاعتان طاعة لله سبحانه وطاعة للرسول ولا بد ان يكون لكل واحد من الطاعتين امر مستقل كي يكون كل واحد من الامرين منشأ لكل واحد من الطاعتين فلامحصل للطاعتين لامر واحد من حيث انه واحد ولا محصل ايضا لامر واحد من الامرين فعلى هذا لا تكون طاعته تعالى عن امره سبحانه طاعة له تعالى ولرسوله بل تكون طاعة الرسول عن امره طاعة لله سبحانه اذا امر بطاعة رسوله امر مولويا كما في قوله تعالى « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » الآية .

وقد تكلف بعض المفسرين ان طاعته تعالى مستندة الى امره وارادته وطاعة امر الرسول مستندة الى ارادته المستدعية للفعل فقد انتهى ملخصا .

اقول : هذا في نهاية الضعف ضرورة ان صدق الطاعة متوقف على وجود الامر وتحقق ارادة الرسول (ص) للفعل لا يكفي في صدق الطاعة للرسول وقد غفل

ان متعلق امره تعالى هو طاعة رسوله واوجبه تعالى ايجابا مولويا حيث قال «واطيعوا الرسول واولى الامر منكم» النساء آية ٥٩ .

ومتعلق امر الرسول هو ماصار واجبا بايجاب الرسول متعلق نهيه وما صار حراما بتحريمه والامثلة واضحة وقريب منه فى الضعف ما ذكره بعض المفسرين ان طاعة الرسول بما انه رسول من الله طاعة لله «انتهى».

اقول : الرسول بما انه رسول و مبلغ امر الله تعالى ليس له امر حتى يطاع او يعصى وليس فى المقام الا طاعة الله فقط وكيف كان فالاية الكريمة قوية الظهور بل هى محكمة فى تحقق الطاعة لله وللرسول ايضا بالحقيقة وآية عن التأويل .

فى نور الثقلين ج ١ ص ٥٢١ عن روضة الكافى عن امير المؤمنين صلوات الله عليه فى خطبة يقول فيها لامصيبة عظمت ولارزية جلت كالمصيبة برسول الله ﷺ لان الله حسم به الانذار والاعذار وقطع به الاحتجاج والاعذار بينه وبين خلقه وجعله بابا الذى بينه وبين عباده ومهيمنه الذى لا يقبل الابه ولا قرينة اليه الا بطاعته وقال تعالى فى محكم كتابه «من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا» فقرن طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته وكان ذلك دليلا على ما فوض اليه و شاهدها على من اتبعه وعصاه وبين فى غير موضع من الكتاب العظيم .

### بيان

قوله حسم اى قطع وقلع وذكر المحشى انه كان فى المصدر حتم انتهى .  
اقول : هذا هو المناسب فى المقام .

قوله **عَلَيْهِ** به : اى بوجوده الشريف وكذلك الكلام فى قوله **عَلَيْهِ** و قطع به اى بوجوده الكريم والمعنى انه تعالى ختم به (ص) الانذار والاعذار ومابقى لاحد حجة ولا عذرا الاقطعه وابطله بحججه الساطعة ببلاغه المبين فان القرآن الكريم قد جاء فى انذاره واعذاره بما يكفى به الى يوم القيامة فلا يحتاج بعده الى انذار منذر وبلاغ مبلغ بينه تعالى وبين خلقه .

قوله **عَلَيْهِ** و بابه : اى جعله تعالى وسيلة وتوصلا الى معرفته ومعرفة توحيدهِ ومعرفة طاعته ومرضاته ومساخطه .

قوله **عَلَيْهِ** (ومهيمنة) : المهيمن من اسمائه تعالى ويستعمل فى غيره ايضا على سبيل الاشتراك اللفظى والظاهر فى المقام كما قيل ان معناه الرقيب الحافظ والشاهد المؤمن ولا يمكن ان يتقرب اليه تعالى الا بما امر به من طاعة رسوله .

وقوله (ص) وقال تعالى فى محكم كتابه «من يطع الرسول» الاية قد افاد **عَلَيْهِ** ان الاية محكمة وتفيد اشتراط طاعته تعالى بطاعة رسوله بالبيان الذى ذكرناه .

قوله **عَلَيْهِ** فقرن طاعته بطاعته توضيح و تفصيل منه **عَلَيْهِ** ان المستفاد من الاية الكريمة ان طاعة الرسول (ص) قرين وعديل لطاعته تعالى والفرق بينهما ان طاعته تعالى واجبة بذاتها يدركها الانسان بعقله من دون احتياج الى جعلها وتشريعها وطاعة الرسول واجبة بايجابه تعالى وتشريع سبحانه .

قوله (ع) وجعل ذلك دليلا على ما فرض الله الظاهر ان قوله ( ذلك ) اشارة الى المقارنة المذكورة ضرورة ان استقلاله (ص) بالامر والنهى بامرهِ تعالى دليل قاطع على ان له (ص) حق الامر والنهى من الله فى الموارد التى امر تعالى و اذن له (ص) ولا يبعد ان تكون اشارة الى الاية الكريمة فان الاية الكريمة دليل محكم على ما فوض اليه (ص) فى الجملة بالبيان الذى ذكرناه و الظاهر فى المقام هو الوجه الاول ،

قوله (ع) : وبين ذلك فى غير موضع من الكتاب العظيم بعدما فسر (ع) الاية المبحوثة فى شان طاعة الرسول ذكر (ع) ان لهذه الاية نظائر فى القرآن فعلى عهدة المفسر التبصر و الفحص فى آيات القرآن والظفر بها وتفسيرها وتجزئتها .

وفيه ايضا عن كتاب الاحتجاج للطبرسى عن امير المؤمنين (ع) فى حديث طويل يقول فيه واجرى فعل بعض الاشياء على ايدى من اصطفى من امثاله فكان فعلهم فعله و امرهم امره فقال «من يطع الرسول فقد اطاع الله» قوله (ع) واجرى فعل بعض الاشياء - الى آخره - فى الامور التشريعية التى فوض الامر فيها الى امثاله

يأمرون وينهون لانه تعالى امرهم واذنله تعالى ان يتوصل فى جعل احكامه وتشريع سننه لكل ماشاء و اراد من السبل فجعل فعلهم فعله وامرهم امره قال تعالى «من يطع الرسول» الاية وكذلك فى الامور التكوينية مثل الملائكة المدبرين لامور العالم بامرهم تعالى : فى الكافى ج ١ ص ٢٠٧ باسناده الى اسحاق النحوى قال دخلت على ابي عبدالله عليه السلام فسمعتة يقول ان الله عزوجل ادب نبيه فقال « و انك لعلى خلق عظيم» ثم فوض اليه فقال « ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» وقال عزوجل « من يطع الرسول فقد اطاع الله» الحديث .

اقول : ويأتى فى طى الابحاث فى تفسير الاية المباركة شواهد ودلائل اخرى على ما ذكرناه من البيان وعلى ما اوردناه من الروايات الشريفة .

### الاية الثالثة

قال تعالى «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» (٣١) «قل اطيعوا الله و الرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين» (٣٢) آل عمران .

### بيان

تنقيح البحث فى الاية الكريمة يحتاج الى تحرير امور الاول قال الرازى فى تفسيره ج ٨ ص ١٧ ما خلاصته ان الاية الكريمة مسوقة لدعوة الناس الى الايمان بالله تعالى و بالرسالة على هذا الطريق وهو ان اليهود كانوا يقولون نحن ابناؤ الله و احبائه فنزلت هذه الاية و يرون ان النبى (ص) وقف على قريش فى مسجد الحرام فقال يامعشر قريش والله قد خالفتم ملة ابراهيم فقالت قريش انما نعبد هذه الاصنام حباله و ليقربونا الى الله زلفى .

وروى ان النصرارى قالوا نحن نعظم المسيح حباله فنزلت الاية ، وبالجملة كل واحد من فرق الغلاة يدعى انه يحب الله و يطلب رضاه و طاعته فقال رسول الله «قل ان

كنتم تحبون الله» .. الاية «انتهى» ما اردناه ملخصاً.

اقول : الظاهر ان الرازى استند فى ذلك الى هذه الروايات المرسلة التى اوردها فى شأن نزول الاية فيرد عليه ان هذه الروايات شأنها شأن القصص المرسلة التاريخية لا وزن لها و لا اعتبار بها فى شىء من الاحكام وفى تفسير القرآن وعلى فرض صحتها يكون مورد النزول من مصاديق الاية لا مقيداً الاطلاقاً .

وثانيا لو كانت الاية مسوقة لدعوة الناس الى معرفة الله تعالى و نفى الشرك و الايمان بالله و برسالة الرسول لكان حق العبارة آمنوا بالله و وحدوه او فاعبدوه مخلصين و آمنوا برسولنا ونظائرها و من العجيب كيف غفل الرازى ان الاية صريحة فى دعوة اهل الايمان بكسب حبه تعالى والسعى فى غفران ذنوبهم برحمة من الله باتباع النبى (ص) والاذعان بأن له (ص) مكانة عند الله و كرامة عليه تعالى وفى ذلك بشارة كريمة لافضل امته و اخيارهم ان ينالوا السعادة العظمى و يحصل لهم حبه تعالى ببركة اتباع النبى الاعظم و بديهى ان موطن ذلك بعد الفراغ عن معرفته تعالى و معرفة توحيده و الايمان به تعالى و توحيده و برسالة رسوله و مكانته و كرامته عند الله سبحانه .

قد تبين من جميع ما ذكرنا ان ما ذكره الرازى فى المقام اجنبية عن مفاد الاية الكريمة و كذلك ما ذكره بعض المفسرين ان الاية نازلة فى جواب وفد نجران وانها نازلة فى جواب مقالة اليهود استنادا الى هذه المرسلات التى رووها فى شأن نزول الاية قال فى المجمع ج ٢ ص ٣٣٢ ثم بين سبحانه لا يجدى الايمان به الا اذا قارن بالايمان برسوله قال قل يا محمد «ان كنتم تحبون» .. الاية .

وقيل : معناه ان كنتم تحبون دين الله فاتبعوا الرسل عن ابن عباس وقيل : ان كنتم صادقين فى دعوى محبة الله تعالى فاتبعونى و اما اذا فعلتم ذلك احبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم .. الاية .

اقول : لا يخفى ان الوجهين الاولين خارجان عن مفاد الاية الكريمة لرجوع الوجه الاول الى الايمان بالله و الى الايمان برسوله (ص) و اشتراط فائدة الايمان

بالله بالايمان برسول الله وبديهي انه لامجوز بحسب اللغة تفسير الحب بالله بالايمان بالله وكذلك تفسير اتباع الرسول بالايمان بالرسول وجعله شرطاً في قبول الايمان بالله وكذلك الكلام في ضعف قول ابن عباس اذلا كلام ان دين الله سبحانه هودين رسوله (ص) الا انه لامسوغ لتفسير الحب بالله بالحب بدين الله وتأويل اتباع النبي بدين النبي فان العنايةين المذكورتين في الآية غير العناية المذكورة في هذين القولين .

فاقرب الاقوال بمفاد الآية المباركة هو القول الثالث وتوضيحه ان يقال ان الآية الكريمة مسوقة للتذكير بأن وجوب اتباعه بما انه رسول من الله ومبلغ لاحكامه سبحانه طريق الى وجوب طاعته واتباع اوامره ونواهيه فعليه يكون الحكم ارشادياً يدور مدار الامر المرشد اليه او انها مسوقة لتشريع اتباعه وافتراض طاعته فالظاهر هو الثاني ضرورة ان وجوب طاعته تعالى مما لا ريب فيه في كل مادق وجل الا ان سياق الآية وظهورها يعطى ان المراد في المقام هو وجوب طاعته في خصوص ما امر به تعالى وشرعه من وجوب اتباع رسوله في ما يأمر وينهى الرسول باذنه تعالى ووعدته تعالى مثوبة حسنة لمن اتبع رسوله واطاعه ان يحبه ويغفر ذنوبه وهذه الكرامة الجليلة والمثوبة الحسنى جزاء على خصوص اتباع الرسول في خصوص امره ونهيه في مورد تفويض الامر اليه (ص) فالواجب على كل باحث ابقاء قوله تعالى «فاتبعوني» على ظاهره ووجوب الاخذ بهذا الظاهر وان اتباعه (ص) على نحو الموضوعية استناداً الى تشريعه تعالى وايجابه .

فالمعنى على نحو القضية الحقيقية من كان يحب الله تعالى فيجب عليه اتباع الرسول كي يحبه تعالى ويغفر ذنوبه .

في تفسير العياشي ج ١ ص ١٦٧ عن بشير الدهان عن ابي عبد الله عليه السلام قال قد عرضتم في منكرين كثير (كثيراً - خ) واحببتم في مبغضين كثير (كثيراً - خ) وقد يكون حب الله وفي الله ورسوله وما كان لله ورسوله فتوا به على الله وما كان في الدنيا فليس في شيء ثم نفض يده ثم قال ان هذه المرجئة وهذه القدرية وهذه الخوارج ليس فيهم احد الا يرى انه



على الحق وانكم انما احببتمونا في الله ثم تلا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم» - «من يطع الرسول فقد اطاع الله» «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» - «ان كنتم تحبون الله» .

### بيان

محبة الانسان لاجبائه تعالى اذالم يكن لله وفي الله فليس بشيء فلا يصل الى الله ولاكرامة ولاثواب له عندالله سبحانه ولافرق بينه وبين من لم يحب احدا من اجباءالله تعالى واذا كان حبه لاوليائه تعالى لله وفي الله ولاجل ان الله سبحانه يحبهم فهذه داخلة في محبة الله وحيث ان هذه المحبة مستندة الى محبة الانسان ربه تعالى فلماحالة تكون داخلة في جملة محبة الله ويشملها قوله تعالى «ان كنتم تحبون الله» و الظاهر انه عليه السلام بعد توضيحه معنى المحبة لله وفي الله ومثل المحبة في الدنيا اراد ان يفيد انكم بامعشر الشيعة احببتمونا في الله فيشملكم قوله ان كنتم تحبون الله من حيث انكم تحبون الله ومن حيث انكم تحبون رسول الله واصيلائه اجباءالله ايضاً لان محبتكم ايانا مستندة الى حبكم لله سبحانه فيمكن ان يقال ان تلاوته عليه السلام هذه الايات الاربعة لافادته انه يجب اتباع النبي بحسب هذه الايات ان غرضه عليه السلام بيان انه يجب على المسلمين المدعين لمحبة الله اتباع النبي وخاصة عليكم بامعشر الشيعة فانكم احببتم الله واحببتم اجباءالله سبحانه والظاهر هو الوجه الثاني و القرينة على ذلك تعرضه عليه السلام بتقسيم الحب الى الحب لله وفي الله والى الحب لدنيا ثم تفريعه عليه السلام عليه بقوله وانكم احببتمونا في الله .

وللعلامة المجلسي (قده) بيان في تفسير هذه الرواية الشريفة في البحارج ٢٧

ص ٩٤ من ارادها فليراجعها .

اقول : وفي تفسير الآية المبسوثة روايات نافعة في البرهان وغيره من جوامع احاديث الشيعة قال الشيخ (قده) في تبيانه ج ٢ ص ٣٣٨ المحبة هي الارادة الا انها يضاف تارة الى المراد والى متعلق المراد اخرى تقول احب زيدا واحب اكرام

زيد الى ان قال ومحبة الله للعبد ارادة ثوابه ومحبة العبد لله هى ارادة طاعته انتهى .

اقول : نسب ذلك فى تفسيره ج ٤ الى جمهور المتكلمين وذكروا ان المحبة نوع من انواع الارادة والارادة لاتتعلق الا بالجائزات فيستحيل تعلق المحبة بذات الله تعالى وصفاته فاذا قلنا نحب الله فمعناه نحب طاعة الله وخدمته ونحبه ثوابه واحسانه انتهى .

اقول : ليست المحبة بحسب اللغة بمعنى الارادة وليست حقيقة المحبة هى حقيقة الارادة بل هما حقيقتان متباينتان بحسب المفهوم والمصداق بل الارادة امام الفعل وفى مرتبة متقدمة على الفعل فلا بد منها فى كل فعل من كل فاعل سواء كان ثوابا او طاعة وعقابا فالمحبة منه تعالى كما فى غيره من افعاله انما يكون بمشية و ارادة وقدر وقضاء فلامحصل لتفسير المحبة بالارادة وكذلك الكلام فى ارادة غيره تعالى ، غاية الامر الالتزام بالبينونة الصفتى - بين ارادته تعالى و ارادة غيره .

واعلم انه لا ريب بحسب الايات فى كونه تعالى محبا ومحجوبا قال تعالى « فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين » الاية مائدة ( ٥٤ ) قال تعالى « و الله يحب المطهرين » التوبة / ١٠٨ قال تعالى « و الذين آمنوا اشد حبا لله » البقرة ١٦٥ .

وهذه الايات المباركات حجة صريحة على ضعف تأويل محبة الله تعالى بارادة ثوابه وتأويل محبة العبد الى ارادة طاعته وحيث ان المحبة بمعناه المتعارف عندنا عبارة عن انفعال النفس و ميولاتها وهوساتها يجب تنزيهه تعالى على المحبة بهذا المعنى وكذلك تنزيهه تعالى عن كونه محجوبا بهذا المعنى المتعارف عندنا ويكون متعلقا لهذه المحبة وقد اضطر الباحثون الى تأويلات و توجيهات لامجال لايرادها والنقض والابرام فيها فالذى ينبغى ان يقال ان محبة الله فعل من افعاله ونسبة الحب اليه تعالى وتوصيفه تعالى بهذا الفعل ليس الامثل توصيفه تعالى بغيرها من معانى اسمائه وصفاته وقد تقرر فى محله على ما هو الحق والتحقيق ان اسمائه تعالى التىسمى بها نفسه موضوعة بالوضع الشخصى لله سبحانه بعناية التعبير لكل واحد منها عن كمال

خاص له سبحانه ، وهذه الاسماء بمالها من المعنى الشخصى يستحيل اطلاقها على غيره تعالى كما ان اسماء غيره تعالى بما لها من المعنى المفهوم المتصور لا يجوز اطلاقها عليه تعالى ونسبة معانى اسمائه تعالى مع معانى غير اسمائه المبينة الصفتى التى اشد انحاء المبينة .

فان قلت : فعلى ما ذكرت ينسد باب معرفته تعالى و تصوره تعالى بالوجوه العامة ويستلزم ذلك تعطيل الاذكار والتسبيحات والتمجيدات له تعالى ولانا لانعرف من معانى هذه الاسماء والصفات الالامعنى المشترك بين صفات الخالق والخلق . قلت : ما ذكرت من التالى انما هو بناء على معرفته و معرفة اسمائه و نعوته بتصورها بالوجوه والعناوين واما بناء على ما هو الحق ان المعرفة فعله تعالى يتعرف بآياته على عباده خارجا عن الحدين حد التعطيل والتشبيه والسرفى ذلك هو ظهوره الذاتى على العقول والقلوب والايات مذكرات ورافعة للغفلات كما هو المأثور عن على امير المؤمنين عليه السلام تجلى بخلقه لخلقه .

اذ اتقرر ذلك فنقول : لا يبعد ان يقال ان محبة العبد لله تعالى هو معرفته و عيانه انه مستظل تحت عنايته ومستغرق فى مواهبه المعنوية العلوم والمعارف وتمكنه من القرب اليه تعالى وفى المواهب الحسية الظاهرة فى حيوته الطيبة السعيدة فيعترف ويتخضع ومحبة الله تعالى لعبده هو حيث اجرائه آلائه ونعمائه لعبده فهو سبحانه يتحجب الى عبده بالنعم ويتودد اليه بالكرامات والشواهد على ذلك كثيرة والفرق بين ما ذكرناه فى محبة العبد لله وبين ما اوردناه عن الشيخ ( قده ) فى تبيانه وعن غيره من المفسرين ان محبته تعالى بناء على ما ذكره هو ارادة طاعته وبناء على ما ذكرنا عين اقباله الى ربه والتمسك بأذيال عطفه سبحانه .

الامر الثالث - قوله تعالى « قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول » افتتاح الكلام بقوله فيه اشعار و اشارة ان الاية الكريمة مستقلة فى حد نفسها منقطعة عما قبلها .

وقوله تعالى : « اطيعوا الله » ارشاد وتذكرة الى وجوب طاعته تعالى فى جميع ما وصل الى الناس من احكامه تعالى سواء كان مما بلغه رسول الله من احكام

ربه او كان مما تمت عليهم الحججة الالهية بحسب ما دركوا بعقولهم من عظام الفرائض واصول الشرايع .

قوله تعالى : « والرسول » اي واطيعوا الرسول عطف على الجملة السابقة والظاهر بناء على ما اوضحناه في تفسير قوله تعالى « واطيعوا الله » الاية ان اطاعة الرسول امر مولوى ولاوجه ان يقال ان الامر بطاعة الرسول هو الامر بطاعته تعالى في الموارد التي بلغها من احكامه تعالى كي يكون الامر بطاعته امر ارشادياً ضرورة ان قوله تعالى « اطيعوا الله » قد استوعب على نحو الارشاد وجميع موارد وجوب طاعته تعالى سواء كان من المستقلات العقلية او ما يبلغه الرسول (ص) من احكامه تعالى المولوية فلا بد من الالتزام ان الامر بطاعة الرسول (ص) امر مولوى فيأمر تعالى بطاعة رسوله في ما يأمر وينهى رسول الله (ص) باذن الله سبحانه وتبين ايضاً مما ذكرنا انه لا دليل ولاوجه ايضاً ان يقال ان هذه الاية الكريمة كررت تأكيداً للاية السابقة .

فان قلت : ان الاية السابقة تدل على وجوب اتباع النبي (ص) في ما يأمر وينهى باذن الله وبأمره فلو كانت طاعة الرسول في هذه الاية ايضاً على نحو الاية السابقة لزم التكرار ايضاً .

قلت : اذا كانت الايتان مستقلتان في حد نفسيهما فلا مانع من القول بان الامر بطاعة الرسول امر مولوى وقد ورد في القرآن الكريم في غير موضع الامر بوجوب اتباع النبي (ص) ووجوب طاعته من غير ان يلتزم احد من المفسرين بتكرار شيء منها وكونها تأكيداً لغيرها فعلى عهدة المفسر تشخيص العناية في كل واحد من الايات .

قوله تعالى : « فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين » .

قال في القاموس ج ٤ ص ٤٠٤ ولي تولية ادبر كتولى والشئ عنه اعرض

ونأى انتهى .

اقول : ان كان المراد من الادبار والاعراض عن طاعته تعالى وطاعة رسوله

على سبيل الجحود والتكذيب فعليه يكون المراد بالكافرين هم الكافرون بما جاء  
النبي وان كان المراد هو الاعراض عن العمل والامثال يكون المراد كفر الطاعة كما  
كما فى قوله «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر» الاية آل عمران  
والوجه الثانى هو الاشبه بالمقام فان التذكر بوجود طاعته تعالى ايجاب لطاعة  
رسوله انما هو بعد الايمان بالله وبعد التصديق برسوله وبما جاء به من عند الله .

فعلى هذا يكون المراد من نفى الحب فى قوله لا يحب الكافرين اى حرمانهم  
عن رحمة ربهم وكرامته وقال فى المجمع ج ٢ ص ٣٣٢ معناه يبغضهم ولا يريد  
ثوابهم فدل النفى على الاثبات وذلك ابلغ انتهى ما اردناه .

اقول : ويؤيد ذلك ما رواه فى روضة الكافى ج ١ ص ٢١ عن امير المؤمنين  
صلوات الله عليه بعد ذكر الاية الكريمة الى ان قال واتباعه محبة الله ورضاه غفران  
الذنوب وكمال الفوز وجوب الجنة والتولى عنه والاعراض محادة اليه وغضبه  
وسخطه والبعد منه مسكن النار يعنى الجحود والعصيان ، الخطبة . . .  
اقول : الخطبة الشريفة صريحة ان المراد هو الجحود والله العالم .

### الاية الرابعة :

قال تعالى : «وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله» النساء - ٦٥ الاشبه  
ان الاية الكريمة فى سياق الابطال والانكار لما يحكيه تعالى عن عدة من المنافقين  
من سوء صنيعهم واعراضهم عن رسول الله (ص) .

قال تعالى «الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما نزل من  
قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان  
ان يضلهم ضلالا بعيداً» (٦٠) «واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول  
رايت المنافقين يصدون عنك صدوداً» (٦١) فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت  
ايديهم جاؤوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقاً» (٦٢) «اولئك الذين يعلم  
الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولاً بليغاً» (٦٣) «وما

ارسلنا من رسول « الاية (٤٤) » « ولوانهم اذ ظلوا انفسهم » ، الاية (٤٥) « فوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً » (٤٤) النساء .

والاية الكريمة صريحة ان ارساله تعالى رسله وخاصة سيدنا رسول الله (ص) انما هو لاجل ان يطيعه الناس ويطيعوه واللام فى قوله تعالى « ليطاع » تعليق تشريعى اى ان هذه الطاعة للرسول من الغايات الحكيمة الحميدة لارسال الرسول .

وقوله تعالى : « باذن الله » متعلق بقوله ليطاع ومعناه ان وجوب الطاعة باذن الله اى تشريعه وايجابه تعالى وهذا ابطال لشبهة المبطلين على ما قيل ان محمداً يريد ان يطيعه الناس ويتبعوه مثل اتباع النصارى المسيح من دون الله تعالى فأزاح الشبهة ان هذه الطاعة بتشريع الله وايجابه والطاعة لرسول الله عين التوحيد فى الطاعة فمن يطع الرسول فقد اطاع الله فى ما افترض من طاعة رسوله ويمكن ان يقال ان المراد من الاذن تخلية السبيل بين المكلفين وبين طاعة الرسول وسنشير فى ذيل البحث الى ضعف هذا الوجه .

قد قيل كانت محاصمة بين يهودى ومناق فقال اليهودى نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وآله لانه يعلم انه (ص) لايجور فى الحكم ولايقبل الرشوة فى القضاء فأبى ذلك المناق فقال نتحاكم الى كعب ابن الاشرف لان المناق يعلم انه يقبل الرشوة فى القضاء وقيل غير ذلك والامر فيه سهل لعدم احتياج تفسير الاية الى تعيين شأن النزول والظاهر من الايات ان المعرضين عن رسول الله كانوا عدة من المناققين . اذا تقرر ذلك فنقول : هل الاية الكريمة مسوقة للارشاد الى وجوب طاعته

تعالى و ان الوجوب المستفاد من الاية وجوب طريقي بمعنى ان وجوب طاعة الرسول ليست الا لاجل انه مبلغ عن الله تعالى فيجب طاعته توصلنا الى طاعته تعالى قال فى الجوامع ص ٨٩ الا ليطاع باذن الله اى بسبب اذن الله فى طاعته ويأمر المبعوث اليهم ان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤدعن الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله « انتهى » . اوان الظاهر فى الاية الكريمة هو ايجاب طاعة الرسول وتشريعها بالوجوب

المولوى الظاهر هو الثانى بدهاة ان سياق الاية الكريمة ليس سياق الارشاد بل الايات واضحة الدلالة انها نازلة فى شأن عدة من المنافقين وناظرة الى اعراضهم عن التحاكم الى رسول الله ﷺ بل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وهذا التوبيخ والعتاب على تلك السيئة، ومن معلوم ان حكم الحاكم فى مورد التنازع فى الموضوعات حجة شرعية معجولة لرفع التنازع وفصل الخصومات وهذه الاية نظيرة قوله تعالى «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما» (النساء - آية ١٠٥)

وقد ذكرنا فى ما تقدم غير مرة ان مورد النزول و ان لم يكن مقيدا لاطلاق الاية النازلة فيه ومخصصا لعمومها الا انه لا يجوز اخراج مورد النزول عن مفاد الاية بل يجب الاخذ باطلاقها وعمومها ويكون مورد النزول من اجلى مصاديقها واطهر انواع مفادها فتدل الاية على ايجاب اتباع الرسول سواء كان حكم فى باب الخصومات او امرا ونهيا فى غيره من الموارد فاذا لا يجوز ان يقال ان قوله ليطاع ليس مجعولا بالجعل الشرعى فى باب الخصومات ولا يجوز القول بالاطلاق بين موارد التبعيد المولوى وموارد الارشاد ولا يجوز الغاء موارد التبعيد وحملها على الارشاد فالاية الكريمة بقرينة ما تقدم عليها من الايات وبقرينة ما يتلوها من قوله تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فى ما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» النساء (٦٥) نص واضح فى توبيخ المنافقين لاعراضهم عن التحاكم الى الرسول (ص) ولرجوعهم الى الطاغوت ونص فى وجوب اتباعه والتسليم لما يقضى ويحكم فى مورد التنازع واجنبية ما ذكروا ان الاية فى مقام الارشاد لوجوب طاعته تعالى اى ان وجوب طاعة الرسول لاجل الطريقة والتوصل الى طاعته تعالى .

وقد ذكرنا فى ما تقدم غير مرة ان مورد النزول فى الايات القرآنية لا يصلح ان يكون مقيدا او مخصصا لاطلاق الاية او عمومها بمورد نزولها بل يجب الاخذ باطلاق الاية او عمومها غاية الامر ان مورد النزول من اوضح مصاديق الاية واطهر انواع مفادها ولا يجوز اخراج مورد النزول عن مفاد الاية الكريمة فعلى هذا يكون معنى

قوله تعالى «ليطاع باذن الله» وجوب طاعته فى ما يقضى ويحكم فى مورد التحاكم ووجوب طاعته فى ما يأمر وينهى من السنن الحكيمة الحميدة وما يتصرف بالقبض والبسط مقام ولايته و خلافته التشريعية كل ذلك بالوجوب الموضوعى المولوى التشريعى على تفصيل قد مناه .

فلا يجوز ان يقال : ان المراد بالاذن الاذن التكوينى اى تخلية السبيل بين المكلفين وبين طاعة الرسول ولا يجوز ان يقال بانحصار دلالةوجوب الطاعة بمورد التنازع والتحاكم فقط ولايجوز حملها على الطريق الارشادى ولاحملها على الاطلاق الشامل للوجوب الموضوعى المولوى والوجوب الطريقى الارشادى .

### الاية الخامسة

قال تعالى :«لاتاكلوا الربا اضعافا مضاعفة لعلمكم تغفحون»(١٣١) « واتقوا النار التى اعدت للكافرين » (١٣٢) «واطيعوا الله و الرسول لعلمكم ترحمون » آل عمران (١٣٣) .

بيان -قال فى المجمع ج ٢ ص ٣ « اطيعوا الله فى ما امركم واطيعوا الرسول فى ما شرع لكم لعلمكم ترحمون لى ترحمون فلا يعذبكم و ممايسال على هذا ان يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فماوجه التكرار والجواب عنه شيان احدهما ان المقصد بها طاعة الرسول فى ما دعى اليه مع القصد لطاعة الله والثانى انما ذلك ليعلم ان من اطاعه فيما دعى اليه فهو كمن اطاع الله فيسارع الى ذلك بامر الله انتهى

اقول : لا يخفى ان كل واحد من الجوابين لا يغنى عن السؤال شيئا فلا بد ان يقال اطيعوا الله فى ما أمركم ونهاكم و فى جميع ما تدر كونه بعقولكم من عظام الامور و كبار الفرائض فهذا الامر ارشاد الى وجوب طاعته تعالى .

و اطيعوا الرسول فى كل مورد له حق الامر والنهى من سننه و احكامه (ص) باذن الله و فى جميع ما يتصرف فى شؤون الاجتماع و اصلاح العباد و البلاد وفى جميع ما يقضى و يحكم فى مورد التنازع و التخاصم .



### الاية السادسة

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ( ٩٠ ) « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و البغضاء فى الخمر و الميسر و يصدكم عن ذكر الله و عن الصلوة فهل انتم منتهون » ( ٩١ ) « اطيعوا الله و اطيعوا الرسول فاحذروا فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين » ( المائدة - ٩٢ )

### بيان

قال فى المجمع ج ٣ ص ٢٣٠ لما امر الله باجتنب الخمر وما بعدها عقبه بالامر بالطاعة لله فيه و فى غيره فقال و اطيعوا الله و الرسول و الطاعة هى امثال الامر و الانتهاء عن المنهى عنه و لذلك يصح ان تكون الطاعة طاعة الاثنين بأن يوافق امرهما و ارادتهما انتهى .

اقول : ونظيره عبارة الشيخ (قده) فى تبيانه ج ٣ ص ٢١ والظاهر من عبارتهما أن متعلق امره تعالى بالطاعة هو بعينه متعلق أمر الرسول فى مرحلة الدعوة والبلاغ والطاعة المذكورة تعد طاعة لله سبحانه و لرسوله ايضا لانها توافق امرهما و ارادتهما .  
اقول : قد ذكرنا فى ماتقدم ان الفعل الواحد لا يكون عن الفاعلين والامر الواحد لا يكون عن الامرين و الارادة لاتصلح للداعوية مالم تبلغ مرتبة الامر فلا طاعة لما لأمر له و أمر الرسول فى مرتبة البلاغ و الدعوة طريق الى طاعة الله تعالى فلا طاعة للامر الطريقى غير الطاعة لذى الطريق و لا يصلح للداعوية فلا بد من الالتزام فى امثال المقام ان المتعلق لوجوب طاعته تعالى غير المتعلق بوجوب طاعة الرسول ووجوب طاعة الرسول وجوب مولوى موضوعى على ما فصلنا غير مرة سيجى ايضا فى طى الابحاث انشاء الله، نظيراً هذا القول فى الضعف ما ذكره المفسرين قال قوله « اطيعوا الله » الى آخره - تأكيداً للامر السابق باجتنب هذه الارجاس و الا بطاعة الله سبحانه

وبيده امر التشريع وثانيا بالامر بطاعة الرسول واليه الاجراء «انتهى» .  
اقول: وجه الضعف واضح فان قوله تعالى «اطيعوا الله» ارشاد الى وجوب طاعته  
تعالى فى جميع الواجبات و المحرمات العقلية الارشادية و التشريعية لخصوص  
هذه الارجاس فقط فالامر الارشادى يدور مدار الامر المرشد اليه على ما هو عليه و  
ليس شأنه شأن التأكيد ثم ان الامر الارشادى كيف يكون التحريم المولوى و اما  
الامر بطاعة الرسول فقد عرفت ان المتعلق فى امر الرسول غير المتعلق فى امر الله  
سبحانه ارشاديا او مولويا فكيف يكون هذا تأكيداً لامر الله تعالى باجتنا ب الارجاس .

### الاية السابعة

قال تعالى «يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر  
منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم  
الآخر ذلك خير و احسن تأويلاً» النساء / ٥٩ .

### بيان

تنقيح البحث فى الاية يحتاج الى تحرير امور :

الاول: قوله تعالى «اطيعوا الله» ليس فيها تشريع جديد و انما هو ارشاد الى  
وجوب طاعته تعالى فى جميع ما تمت الحجة على الناس فى الاحكام التى وصلت  
اليهم سواء كانت بحسب مايدر كونها يعقولهم او بلغه رسول بنزول القرآن او بغيره  
من طرق الوحي من غير فرق فى ذلك بين ما بلغه بشخصه فى حياته او بلغه العلماء  
ببياناتهم و بفتاواهم فى حياته و بعد وفاته او بوساطة الامرين بالمعروف و الناهين  
عن المنكر او غير ذلك فان قوله تعالى «اطيعوا الله» شاملة لجميع البلاغات الواقعة  
فى طريق طاعته تعالى .

الثانى: قوله تعالى : «واطيعوا الرسول عطف على الجملة السابقة وليس الامر  
فيها بوجوب طاعة الرسول <sup>عليه السلام</sup> من باب انه طريق و موصل الى طاعة الله تعالى

كى تكون طاعة الرسول بعينها طاعة الله سبحانه كما ان جميع موارد بلاغه و بلاغ غيره (ص) بانحاء التبليغ داخلا فى قوله تعالى «اطيعوا الله» ولوقلنا ان ايجاب طاعة الرسول من باب انها موصلة و طريق الى طاعته تعالى لكان تكرارا من غير طائل فلا بد من الالتزام ان هذه الجملة مسوقة للتشريع ولا يوجب طاعة الرسول ايجابا موضوعيا مولويا وقد ذكرنا ان المتعلق فى الامر بطاعة الرسول غير المتعلق فى الامر بطاعة الله سبحانه و الجملتان متباينتان من حيث سنخ الوجوب فيهما فالوجوب فى طاعة الله ارشادى وفى طاعة الرسول مولوى و متباينتان من حيث متعلق الطاعة الواجبة كما ذكرناه مفصلا .

الثالث : لا ريب بحسب البراهين المستفادة من القرآن الكريم ان امر النبوة و الرسالة و البلاغ لا يتم و لا يحصل الا ان يكون الانسان النبى و الرسول مطهرا و معصوما من جميع المعاصى و المآثم العقلية و الشرعية ، و كذلك مصونا و معصوما من الجهالة و الغفلة و السهو و النسيان فماتنبا نبى و لا ارسل الى احد ملك الوحي الا مقارنا بافاضة روح القدس عليه و هو العلم المفاض على الانسان النبى و الرسول فيعرف بهذا الروح العلمى عيانا و بداهة حقيقة نبوته و رسالته و يعرف الملك الذى جاء بالوحي بحقيقة المعرفة و البداهة كما يعرف نفسه فافهم ذلك فانه لو لم يكن عنده على حقيقة نبوته و رسالته حجة الهية نورية مصونة و معصومة بذاتها عن الجهالة و الغفلة و النسيان و الخطأ يرتفع الفرق بين الرسالة و النبوة و التحديث و بين مكاشفة الصوفى و القطع الفلسفى فبروح القدس يرى و يعرف الواقع و يرى و يعرف انما يعرفه عين الواقع .

واما الصوفى و الفيلسوف فعلى زعمهم انهم اصحاب الواقع و ليس عندهم حجة على اصابتهم فيخطى بعضهم بعضا و ينكر بعضهم على بعض فبروح القدس يأخذ الرسول و النبى النبوة و الرسالة بها و يحملها و يحفظها و يبلغها ، و روح القدس لا يزل و لا يخطى و لا يغفل و لا ينسى و لا يلهو و لا يسهو و لا يلعب فاذا قام بوظائف الرسالة و النبوة يحمل اثقالها و تحمل مشاقها و الصبر على شدائدتها بالجد البالغ و الوفا .

الصادق افترض الله طاعته على الناس و جعله الله تعالى اماما عليهم يأتمون به فقال تعالى «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر -٧) وقال تعالى «من يطع الرسول فقد اطاع الله» (النساء - ٨٠) .

وقد صرح تعالى بوجوب طاعته فى القرآن الكريم ما يقرب ثلاثين آية و قرن طاعته بطاعته بالعنايات المختلفة بحسب الموارد و المقامات و قد صرح تعالى بعصمة من اوجب طاعته على الناس من اول عمره الى آخره من صغائر الذنوب و كبائرها حيث قال تعالى « انى جاعلك للناس اماما قال و من ذريتى قال لابن ابي طالب عهدى الظالمين » البقرة ١٢٤ .

و يرجع ذلك عند التحليل اعطائه تعالى و تمليكه اياه الولاية التشريعية على جميع الناس و هذا هو المنصب الخطير و الملك العظيم لم يعط الله مثل ذلك احدا من العالمين فهو صلى الله عليه و آله بمقام ولايته الكبرى له حق الامر و النهى فى الناس فيصير مامرا به و نهى عنه سنة و سيرة و عين الدين و الشريعة يجب اتباعه و له حق التصرف و المداخلة فى امور الناس و شؤون الاجتماع و اصلاح العباد و البلاد و ليس ذلك لاحد لا قليل ولا كثير الا باذنه و امره (ص) .

الرابع: قوله تعالى « و اولى الامر منكم » قال فى القاموس ج ٤ ص ٤١٠ اولو جمع لا واحد له من لفظه و قيل اسم جمع واحد ذو، و اولات للاناث و احدها ذات انتهى .

اقول : و المراد منه كما فى نظائره مثل اولو الالباب و اولو الابصار و غيره و معناه اى من كان واجدا و حائزا للبصيرة و اللب و من كان واجدا و مالكا للامر و يديه عند اولي الالباب انه لا مالك ولا ولى للناس و امورهم الا الله و من سواه كائنا من كان لا بد أن تكون مالكه و ولايته للناس و امورهم باعطائه تعالى و تمليكه .

ولما كانت الاية الكريمة قضية حقيقية فلا محالة يكون الموضوع فى القضايا الحقيقية مفروضة الوجود و المحكم محمول على الموضوعات المقدرة وجودها فالموضوع فى قوله تعالى « اطيعوا الرسول و اولي الامر » هو عموم المسلمين الى

يوم القيامة والمتعلق فى كلنا القضيتين هو طاعة الرسول وطاعة اولى الامر فيجب على جميع المسلمين الى يوم القيامة طاعة الرسول وطاعة اولياء الامور واللام فى قوله تعالى الامر للعموم والاستغراق اى جميع الامور التى كانت تحت ولايتهم وكان تدبيرها وتنظيمها منوطا بآرائهم وسيجىء توضيحه انشاء الله .

وهذه الجملة عطف على سابقتها والكلام فى سنخ الوجوب فى هذه الجملة بعينه الكلام فى الجملة المعطوفة عليها وقد اوضحنا فى السابقة ان وجوب طاعة الرسول وجوب مولوى موضوعى بالنسبة الى شخص الرسول (ص) و كذلك الكلام فى وجوب طاعة اولياء الامور فالوجوب فى هذه الجملة ايضا وجوب مولوى موضوعى بالنسبة الى شخص اولى الامر ولا يجوز ان يقال ان طاعة ولى الامر فى هذه الاية الكريمة انما هو من باب ان طاعته طريق وموصل الى طاعة الله سبحانه لما ذكرنا ان كل عمل تبليغى وتعليمى من الرسول واوليائه اولياء الامور من اصحابهم المتعلمين منهم وان كثرت وتوفرت فى اقطار الارض فى الاعصار الماضية .

وفى زماننا ايضا من الفتاوى و الدراسات كلها داخله ومندرجة فى قوله تعالى « اطيعوا الله اى ان كلها واقعة فى طريق طاعته تعالى ولو قلنا ان الوجوب فى قوله تعالى « و اولى الامر منكم » وجوب طريقى الى طاعته تعالى لزم التكرار من غير طائل فلامحالة يكون الوجوب فيها وجوبا مولويا موضوعيا ومرجع هذا الوجوب عند التحليل هو اعطائه تعالى اياه الولاية التشريعية لامور الناس و تدبير اجتماعهم وتنظيم شؤون حياتهم فى الدنيا بحيث يكون موصلا الى السعادة فى آخرتهم .

ولا يخفى : ان الظاهر من الاية الكريمة ان ايجاب طاعتهم انما هو بعد وجدانهم وفوزهم لولاية الامر وفى مرتبة متأخرة عن مرتبة تحقق الولاية لهم لانهم يصيرون فائزين بالولاية بوجوب طاعتهم حتى تكون الولاية امرا انتزاعيا من ايجاب الطاعة ويأتى مزيد توضيح لذلك انشاء الله .

و ضرورى عند اولى الالباب ان ايجاب الطاعة لاولياء الامور دليل قاطع على عصمتهم و طهارتهم ودليل قاطع على انهم اعلم الخلق على وجه الارض بكتاب الله

وسنة نبيه وفضلهم واقربهم الى الله منزلة ومكانة فمن المستحيل فى سنة الله المقدسة الحكيمه ان يفوض امر دينه وامور عبادته رجلا فاسقا جافيا لا يعرف حرمة ربه ولا يعقل مصالح عبادته ومضارهم ولا يعرف الحلال والحرام من كتاب الله وسنة نبيه فيه نقض الغرض من بعث الانبياء وتشرية الشرائع وفيه فساد امر الاجتماع وغير ذلك من المفاسد الكثيرة والحمد لله الذى ما جعل من عهده و امانته للظالمين نصيبا لا قليلا ولا كثيرا .

بل المعلوم المشهود من سنة الله الحميدة انه اذا اراد ان يصطفى احداً من عبادته بكرامته لايزال يؤدبه ويربيه تأديب الكرام الابرار الاحرار حتى يقويه ويؤهله لما اراد فينزل عليه السكينة فيعرف ربه بحقيقة الايمان والعيان ويؤيده بروح القدس فيعرف ما يعرف من الحقايق حق العرفان ويعرف الاحكام من الكتاب والسنة وغيرها مما يشتمل عليه الكتاب والسنة من المعارف والعلوم فلا يغيب عنه دقيق ولا جليل ويعرف الامور التى تحت ولايته وحقيقته وحق تدبيرها وتنظيمها والاحكام المنطبقة عليها فى كل مورد ومورد من الكتاب والسنة فى كل مورد ومورد مقدسا ومنزها عن القياس والاستحسان والحدس كل ذلك بافاضة روح القدس المصونة بالذات عن الخطأ والنسيان والسهو .

وقد تقدم الكلام فى عصمتهم من الذنوب صغائرها وكبائرها فى تفسير قوله تعالى « لاينال عهدى الظالمين » البقرة / ١٢٤ وخاصة فى تفسير هذه الاية الكريمة . ثم ان الظاهر فى هذه الاية المباركة بحسب العموم فى لفظ الامر وبحسب الاطلاق فى قوله اطيعوا انه لافرق من حيث وجوب الطاعة بالنسبة الى الموارد بين الرسول ﷺ واولى الامر وكذلك بحسب الاطلاق فى الروايات المأثورة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام الدالة على ان ما فوض الله الى رسول الله فقد فوض اليهم الا ان هذا العموم والاطلاق مخصص ومقيد بادلة منفصلة اخرى قال تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى » .. الاية (المائدة) .

وقال ﷺ فى خطبة المباركة يوم الغدير ما من شئ يقربكم الى الجنة ويبعدكم

عن النار الاوقد امرتكم به .. الخطبة .

وفي نور الثقلين ج ١ ص ٥٠٠ عن كتاب اكمال الدين واتمام النعمة عن عبد الله بن عجلان عن ابي جعفر عليه السلام في قوله «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم» قال : هي على ابن ابي طالب عليه السلام والائمة جعلهم الله مواضع الانبياء غير انهم لا يحللون شيئاً ولا يحرمونه .

ورواه العياشي في تفسيره ج ١ ص ٢٤٩ .

اقول : وعلى ذلك شواهد اخرى قطعية تدل على تمامية الدين وكمالته وتدل ان كل ما كان من حق الامر والنهي ووضع شيء من السنن كان مختصاً برسول الله صلى الله عليه وآله وتدل ايضاً ان كل ما يحتاج اليه العباد قد جاء به كتاب الله وبيته رسول الله في سنته باملاء رسول الله من فلق فيه وخط على يده يكتنزا هؤلاء اولياء الامور كما يكتنزا الناس ذهبهم فضتهم ماضع منه شيء حتى ان ارش الخدش فيه مكتوب ومحفوظ عند الله وان اولى الامر الذين فرض الله طاعتهم وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله ليس لهم حق تشريع شيء في الدين .

الامر الخامس - قد عرفت في الابحاث السابقة ان ايجاب طاعة اولى الامر دليل قاطع على عصمتهم وطهارتهم من الذنوب ، فما جعل الله من عهده وامانته للظالمين نصيباً لا قليل ولا كثير ودليل قاطع ايضاً على طهارتهم وعصمتهم من الخبط والخطأ والغفلة والجهالة والسهو والنسيان فسي شيء من الامور التي تحت ولايته ولا ريب ان المراد في الاية الكريمة هم ائمة اهل البيت عليهم السلام : اذ ليس في الاسلام والمسلمين بيت نص الله سبحانه على عصمة اهل البيت غير بيت النبوة والرسالة التي اذهب الله عنهم الارجاس جميعها ارجاس الذنوب وارجاس الشكوك والجهالات والضلالات والخطايا والسهو والنسيان واللهو واللعب والزلل ، وقد اعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير على حضور آلاف من المسلمين بولاية علي صلوات الله عليه وقد تواتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الاخر كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي .

واما المفسرون من العامة فقد اختلفوا في تفسير المقام على وجوه :

الاول : ان المراد في الاية الخلفاء الراشدون . الثاني : المراد امراء السرايا  
الثالث : العلماء والفقهاء الذين يفتون في الاحكام ويعلمون الناس الحلال والحرام انتهى  
ملخصا عن تفسير الرازي ج ١٠ ص ١٤٤ .

وزاد الرازي وجها رابعا قال : ما خلاصته وهو اجماع اهل العقد والحل وقريب  
منه عبارة الجصاص « في ان المراد السرايا والعلماء . قال في كتابه احكام القرآن  
ج ٣ ص ١٧٧ قال : لان الامراء يلون امر تدبير الجيوش والسرايا وقاتل العدو والعلماء  
يلون حفظ الشريعة وما يجوز وما لا يجوز فامر الناس بالقبول منهم انتهى ما اردناه .  
اقول : الاقوال المذكورة بمعزل عن تفسير الاية المباركة فان الاقوال كلها  
واقعة في طريق طاعته تعالى ومندرجة في قوله تعالى « اطيعوا الله » ولا يحتاج الارشاد  
والهداية الى طاعته تعالى الى الولاية التشريعية وانما يحتاج الى العلم بحكم  
الواقعة ويحتاج الناس في قبول قوله الى علمه عن الكتاب والسنة والى غيرهما  
من شرائط قبول الفتوى .

وثانيا - ان الاية الكريمة كما ذكرناه في ماتقدم ناصة على ان اولى الامر لا بد  
ان يكونوا معصومين ومصونين عن الخطأ والخبث فيستحيل في السنة المقدسة الالهية  
ان يسجل على رقاب المسلمين اجمعين الى يوم القيام في شرق الارض وغربها  
طاعة من لا يراقب حرمة لربه ولا يعرف مصالح الامور ومفاسدها ولا يعرف احكام  
تلك الامور من الكتاب والسنة .

من اردء هذه الاقوال قول الرازي على ما اشرنا اليه في ماتقدم ان الاية الكريمة  
دليل قاطع على ان من اوجب الله طاعته معصوم قطعاً وان المعصوم المذكور في  
هذه الاية هو اجماع الحل والعقد .

اقول : يرد عليه ان الاجماع غير محصل ولو فرضنا انه متحصل فلا دليل على  
حجيته فمن هؤلاء اهل الحل والعقد الذين اوجب الله طاعتهم واي دليل على حجية  
قولهم وانهم معصومون او غير معصومين ؟ ولو فرضنا انه حجة شرعية فليس معنى



كونه حجة الا كونه دليلاً شرعياً فى اثبات حكم فرعى شرعى او اصل دينى مثل آية محكمة من الكتاب او سنة قطعية فلامعنى ولا محصل لكون الاجماع مصداقاً لاولى الامر حتى يكون آمراً وناهماً مفترضاً طاعته واتباعه .

فكان الرازى قد توهم ان قوله تعالى «اطيعوا الله واطيعوا الرسول» مسوقة لبيان حجية قول الله سبحانه وقول رسوله وغفل ان الاية الكريمة مسوقة للارشاد الى وجوب طاعة الرسول وطاعة اولى الامر بالوجوب المولوى الموضوعى بعد الفراغ عن حجية قول الله تعالى وقول رسوله وقول اولياء الامر واجنبية عن اثبات الحجية . ثم اخذ فى الاستشكال على الامامية وما ذهبوا اليه اد المراد من اولى الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله هم الائمة المعصومون من آل الرسول على وجوه :

الاول: ان طاعة الامام الذى ذكره الامامية متوقف على معرفته وقدرة الوصول اليه والتمكن من استفادة العلم والدين منه والتكليف بتحصيل تلك الشرائط تكليف بما لا يطاق ولوقلنا ان وجوب طاعته مشروط عند ما صرنا عارفين به وقادرين على الاستفادة العلمية والدينية فهو خلاف ظاهر الاية مطلقة من حيث وجوب الطاعة للرسول فيلزم ان تكون الاية مطلقة بالنسبة الى الرسول ومشروط بالنسبة الى اولى الامر - والجواب ان الائمة المعصومون من آل الرسول قد عرفهم اوليائهم فاستفادوا منهم العلم والمعارف وعرفهم اعدائهم فعادوهم بغياً وحسداً والاية مطلقة واطاعة اولى الامر واجبة والوصول الى الامام المعصوم امر عادى .

هذا على سبيل النقص واما على نحو الحل والتحقيق فنقول : ان وجوب طاعة اولى الامر وحقيقة ولايتهم ومعرفتهم فريضة من كبار الفرائض ولا يجوز لمن آمن بالله ورسوله ان يقول ان الله سبحانه ورسوله قد اهمل شرح هذه الفريضة العظيمة وتركوا الناس فى شأنها فى حيرة . وحاشاه وجلت ساحة ربنا وساحة سيدنا رسول الله عن ذلك وقد تقرر فى محله ان الايات الواردة فى الفرائض مثل قوله تعالى «اقموا الصلوة» وقوله تعالى «آتوا الزكوة» وقوله «ولله على الناس

حج البيت» . . الاية وغيرها من الفرائض يجب على الفقيه الرجوع والفحص عن الكتاب والسنة و التماس تفاصيل تلك الفرائض و حدودها وشرايطها فحفا بالغا الى ان يحصل له الاطمئنان التام انه لم يبق شىء من شرح تلك الفرائض الاوصل بها كذلك الكلام بعينه فى فريضة الولاية ووجوب طاعة اولياء الامور وعصمتهم وصفاتهم: يجب الرجوع فى ذلك الى الكتاب والسنة فحفا بالغا وافيا .

وقد بين سبحانه ذلك فى كتابه كما فى قوله تعالى « يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم» - الاحزاب - وكذلك فى غير العصمة من صفاتهم ونعوتهم .

وبين ذلك رسول الله فى سنته المتواترة فى مواقف شتى فى يوم الغدير وغيره على ما اشرفنا اليه سابقا والاسف ان جميع تلك النصوص والشواهد والبيانات وقعت تحت سيطرة التأويل والتوجيه والتمهل والتمويه والافكار والاختفاء بالمجابهة الشديدة من المتغلبين على الامور وهذه السنة السيئة يرثها ظالم بعد ظالم وجاحد بعد جاحد حتى انتهى الامر الى الرازى ونظرائه وقد حرف الاية الكريمة عن مسيرها بهذا التأويل الركيك وتشبث بالاجماع على كرسى الخلافة والسلطنة الاسلامية وخلق له لسانا بأمر وينهى ويبدأ باطشة تصول على اعداء الاسلام وعقلا وافرأ يدبر به نظام امور المسلمين فى كل عصور زمان بالنظام الاصلح الاتم .

والاية الكريمة فى محفظة الهية عن هذه الاوهام وينادى بأعلى صوته ان اولياء الامور اشخاص يحذون حذو الرسول فى العصمة والقداسة ورجال مطهرون لهم امر ونهى فى شؤون الشريعة وفى شؤون المجتمع الاسلامى يجب على الناس اتباعهم واطاعتهم .

الوجه الثانى : من مغالطات الرازى قال ج ١٠ ص ١٤٦ الثانى انه تعالى امر بطاعة الاولى الامر واولى الامر جمع وعندهم لا يكون فى زمان واحد الامام واحد وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر انتهى .

اقول : والجواب ما ذكرناه فى الجواب عن الشبهة الاولى للرازى وخلاصته

ان قوله تعالى «واطيعوا الرسول واولى الامر منكم» جمع مطلق فى معرض التقييد فلا يجوز لاحد الاخذ بهذا الاطلاق قبل الفحص عن تفاصيلها وعند الرجوع والفحص عنها يتضح ويتبين بالسنن المتواترة عن الرسول ﷺ ان اولى الامر المعصومون بنص الاية الكريمة رجال من اهل بيت النبوة والرسالة سماهم رسول الله باسمائهم واسماء آبائهم ونعوتهم وصفاتهم قد جعل الله لهم الولاية لامور المسلمين يتولونها بهذه الولاية الالهية واحده منهم وهذا الجعل والتشريع كما هو صريح الاية الكريمة ومفاد الادلة الاخرى انما كان جعله تعالى و عطاءه تعالى اياهم هذه الولاية لا من رسول الله وليس من الامور المفوضة الى رسول الله (ص) وانما كان عليه (ص) ان يعرفهم للناس واظهار ما جعل الله تعالى لهم من الحق .

فقد اتضح من جميع ما ذكرنا ان قوله تعالى «اولى الامر منكم» سواء كان جمعا او اسم جمع ومطلقا من حيث اشتماله على الافراد المجتمعة فى عصر واحد وفى عرض واحد او عدة بعد عدة متعاقبين فى جميع الاعصار او واحد فى عصر و عدة فى عصر آخر الا انه يتعين المراد منه بالدليل المنفصل ان المراد منه انهم يتولون الامور فى كل عصر واحد منهم بعد واحد واتضح ايضا ان هذا ليس من باب حمل الجمع على المفرد كما توهمه الرازى .

بل هذا كما ذكره بعض المفسرين من باب الاخذ بالجمع بالحقيقة وتقييد اطلاقه بالدليل المنفصل وهذا اطلاق شايع راجح مثل اكرم علماء بلدك بضرورة انه لا احتياج فى امثاله الاكرام بقيد المجموع بل يتحقق الامثال متعاقبا ومجمعا انتهى ما ذكره بتوضيح وتلخيص منا .

اقول : حمل الجمع على الجمع بعنوان المجموع يحتاج الى عناية زائدة فى الكلام وليس فى الاية الكريمة ونظائرها ما يدل عليها .

و من المعلوم بالضرورة ان فى القضايا الحقيقية لا يمكن الامثال الا بالتعاقب والتناوب مثل قوله تعالى «ولاتطع المكذبين» (ن-٨) وقوله تعالى « وكونوا مع الصادقين » .

الوجه الثالث : قال الرازى فى تفسيره ج ١٠ ص ١٣٦ انه قال «فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والى الرسول» ولو كان المراد من اولى الامر الامام المعصوم لوجب ان يقال فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الامام فثبت ان الحق تفسير الاية بما ذكرناه «انتهى» .

اقول : يرد عليه ان معنى الرد الى الله على ما سيجىء تفسيره انشاء الله هو الاخذ بمحكمات الكتاب ومعنى الرد الى الرسول هو الاخذ بسنته الجامعة المحكمة ومحكمات الكتاب و السنة من الاصول الثابتة الدينية التى يرد عليها كل شبهة و يستنبط منها حكم كل حادثة وقد اشتبه الامر على الرازى والجصاص ونظرائهما ولم يعرفوا ان معنى الرد الى الرسول هو الاخذ بسنته المحكمة ووجه كونهما مرجعا ومردا لاهل الاسلام انما هو لاجل صراحتهما ودالتهما ووضوح حكايتهما من الحكم والموضوع الذى وقع مورد النزاع على وجه القطع والضرورة بحيث تتم الحجة على العالم وعلى الجاهل مع جهله .

ومعنى كون الامام مرجعا لاهل الاسلام ان ائمة المسلمين مصادر لامور المسلمين فانهم اولياء امورهم بنص الاية ولهم الولاية الالهية فى قبض الامور ورتقها وفتحها فى جميع الشؤون الاجتماعية فالائمة يفتون باستنباط الاحكام من الكتاب والسنة مصونا عن الخطا ، والكتاب والسنة محكماتهما ومتشابهاتهما محكم عندهم ويأمرون وينهون ويحكمون ويقضون فيجب على جميع الامة الرجوع اليهم فى الفتاوى والاقضية والتفقه والتعلم وليس لاحد ان يتخلف عن امرهم وحكمهم وقضائهم كما انه لا يجوز ان يتخلف عن امر رسول الله فى ما كان يأمر وينهى بالولاية الالهية فى الامور وقد تخلف عن امره عدة فى الامر بتجهيز جيش تبوك وبعض عند امره بتجهيز جيش اسامة وقد امر بتجهيز جيش اسامة عند قرب وفاته .

فتحصل ان الوجه والعناية فى قوله «واولى الامر منكم» وجوب طاعته فى ماله ولاية الامر والنهى ومعنى الرد الى الكتاب والسنة كونهما كاشفا وحجة على مدلولهما فى مورد التنازع ولاتماس بين صدر الاية وذيلها من حيث الوجه والمورد .

فان قلت : فماتقول فى ماتقول الامامية بحجية قول الامام فى الشؤون الدينية .  
 قلت : انما يقولون بذلك لاجل عصمته فى ما يستنبط من الكتاب والسنة فى باب  
 الاحكام فأى منافات بين ذلك وبين كون محكمات الكتاب و السنة مردا للمتنازعين  
 ضرورة ان الفتوى والحجة للامام من الكتاب و السنة وهو عين مفاد السنة الكتاب  
 وكذلك علومه الاخرى من الكتاب والسنة غير باب الاحكام وكذلك علومه الاخرى  
 من غير الكتاب والسنة مثل التحديث ونظائره فلا تنافى بين مثبت ومثبت وحجة وحجة  
 غاية الامر ان محكم الكتاب و السنة حجة عند الكل و كل الكتاب والسنة محكم عند  
 الامام عليه السلام .

قوله تعالى : «فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون  
 بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا» بيان الظاهر من سياق الاية الكريمة  
 انهما فى مقام التذكر والارشاد الى وجود اصل الثابت صريح دينى لرفع الاختلاف  
 وقطع التنازع بين المتنازعين .

وقوله تعالى فى شىء مطلق شامل لجميع ما يمكن ان يقع مورد للتنازع  
 وحدوث الاختلاف فيه من الاحكام والعقائد والحقايق ولما كانت القضية حقيقة  
 وهذا الاصل القويم والضابطة العلمية جارية بين المسلمين الى يوم القيامة فلا يكون  
 المراد من الرجوع الى الله الرجوع والاقتراح بنزول آية رافعة للخلاف و كذلك  
 لا يكون المراد الرد الى شخصه كى يحكم او يسأل ربه بنزول جبرائيل وبيان حكم  
 الحادث. بل المراد الرد الى كتاب الله وسنته عليه السلام وليس المراد من الكتاب والسنة  
 الايات والسنن المحتملة للوجوه بل لابد ان يكون المرد و المرجع هى محكمات  
 الكتاب التى هى امته وعماده و كذلك السنن الجامعة المحكمة فالكتاب و السنة  
 بهذا البيان الذى هما المرجع والملجأ لاهل الاسلام فى مقابل اهل الزيغ واهل البدع  
 والضلال .

فى نور الثقلين ص ٥٠٦ عن امير المؤمنين صلوات الله عليه قال فاردد الى الله  
 ورسوله ما يضلحك من الخطوب واشتبه عليك من الامور قال الله لقوم احب ارشادهم

«يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول» فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفارقة .

فان قلت : فما الغاية فى رد المتنازعين الى محكم الكتاب والسنة بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول وطاعة اولى الامر .

قلت : العناية فى الامر بطاعة الرسول واولى الامر هو تشريع الوجوب لطاعة الرسول وطاعة اولى الامر فى مورد ولاية الرسول ومرد ولاية اولى الامر .  
و العناية فى الامر برد المتنازعين هو كشف الحق عن الباطل لرفع التنازع والتخاصم بالارشاد الى ضابطة علمية فى الكتاب والسنة .

وفيه تحصين علوم الاسلام و احكامه و معارفه و عقائده عن مداخله الزائقين و المبدعين بتحكيم محكمات الكتاب ودعائمه وامهات السنن على الاراء الحادثة والمقالات الفاسدة مثل تأويل المعاد الجسمانى والحقايق البرزخية الى مثل مجردة عن المادة بانشاء النفس اياها .

فان قلت : ان قوله تعالى « تنازعتم » مطلقه شاملة لجميع الانواع وتدل الاية على جواز التنازع بين اولياء الامور وبين غيرهم من الناس فيناقض وجوب طاعة اولياء الامور على الناس بالمعنى الذى ذكرتموه .

قلت : كلا بل يجب اتباعهم فى كل ما يقولون ويأمرون و ينهاون ولا يجوز لاحد من المسلمين الاعتراض عليهم فى شىء مما يأمرون وينهون فان هذا عصيان لامرهم لوجوب طاعتهم فلامحالة يتقيد اطلاق قوله تعالى « فان تنازعتم فى شىء » بقوله تعالى « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » وكيف يخص فى منازعتهم وقدمر بوجوب طاعتهم واتباعهم كما صرح به مولانا الباقر صلوات الله عليه .

الاية الثامنة - قال تعالى : « من يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم » (النساء ١٢) .

الاية التاسعة - قال تعالى : (ومن يعص الله ورسوله يدخله ناراً خالداً فيها ولهم

عذاب مهين» (النساء ١٣) .

الاية العاشرة - قال تعالى : « ومن يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا (النساء ٤٩) .

الاية الحادية عشرة - قال تعالى : « و اطيعوا الله و رسوله ان كنتم مؤمنين (الانفال-١) .

الاية الثانية عشرة - قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله و رسوله و لاترلوا عنه و انتم تسمعون» (الانفال ٣٠) .

الاية الثالثة عشرة - قال تعالى : و يطيعون الله و رسوله اولئك سيرحمهم الله (التوبة ٧١) .

الاية الرابعة عشرة - قال تعالى : « ومن يطع الله و رسوله و يخشى الله و يتقه فاولئك هم الفائزون » (النور ٥٣) .

الاية الخامسة عشرة - قال تعالى : «واقموا الصلوة و آتوا الزكوة و اطيعوا الله و الرسول لعلكم ترحمون» (النور ٥٦) .

الاية السادسة عشرة - قال تعالى : «ومن يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما» (الاحزاب ٧١) .

الاية السابعة عشرة - قال تعالى : «ان الله لعن الكافرين و اعدلهم سعيرا»-الى قوله تعالى - «يوم تقلب و جوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله و اطعنا الرسول» (الاحزاب ٤٤) .

الاية الثامنة عشرة - قال تعالى : «ومن يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار و من يتولى اعدله عذابا اليما» (الفتح ١٧) .

الاية التاسعة عشر - قال تعالى : «فاقموا الصلوة و آتوا الزكوة و اطيعوا الله و رسوله» (المجادلة ١٤) .

اقول : هذه الايات المباركة لادليل و لاقرينة فى شىء منها ان ايجاب طاعة

الرسول فيها وجوب ارشادى وطريق الى وجوب طاعته تعالى بل الظاهر فى جميعها ان الوجوب فيها مولوى موضوعى وهذه الايات متفقة المفاد مع الايات التى استقصينا البحث فيها .

الاية العشرون « قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوا تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين » (النور ٥٦) .

### بيان

الاية الكريمة ارشاد الى وجوب طاعته تعالى فى ما يدر كونه بضرورة عقولهم من الواجبات الذاتية والمحرمات الذاتية مثل وجوب الايمان بالله الاذعان بالحق وحرمة الكفر والظلم وارشاد الى وجوب طاعة ما بلّغهم رسول الله من احكامه تعالى ما وصى اليه فى القرآن وغيره .

قوله : « وان تولوا » اى تتولوا واستكبرتم واعرضتم عن طاعته تعالى و طاعة رسوله « فلن يضر الله شيئا » ولن يضر رسوله فان الرسول ليس مسؤولا الا فى مقابل ما حمل عليه من ائقال النبوة الصبر والوفاء وبذل المجهود وتبليغ رسالات الله وقد اتى وعمل بما كان مكلفا به « وعليكم ما حملتم » ما كلفتم من الايمان بما عرفتم من صريح الحق وما اوجب الله عليكم من طاعة الرسول واعلموا انكم ان تطيعوه تسعدوا وترشدوا لصالح دينكم و دنياكم و اما الرسول فليس عليه الا البلاغ المبين اى ان رسولنا مأمور بالبلاغ لا يتوقع بطاعتكم شيئا وليس اجر بلاغه الا على الله رب العالمين فتحصل فى المقام ان قوله تعالى « فانما عليه ما حمل » تأكيد لوجوب طاعته تعالى وطاعة رسوله واقامة حجة على من نكص على عقبيه عن طاعة الله سبحانه و طاعة رسوله وازاحة لا عذارهم وعللهم وليس فيها ما يوهم ان الاية الكريمة مسوقة لبيان ان وجوب طاعة الرسول وجوب طريقى .

فى البرهان ج ٣ ص ١٤٥ عن محمد بن عباس باسناده عن عيسى بن داود النجار عن موسى بن جعفر عليه السلام عن ابيه فى قول الله عز وجل « اطيعوا الله واطيعوا الرسول



فان تولوا فانما عليك ما حملت» من السمع والطاعة والامانة والصبر وعليكم ما حملتم من العهود التى اخذ الله عليكم فى على و ما بين لكم فى القرآن من فرض طاعته الحديث .

اقول : ذيل الحديث فى حق على عليه السلام من باب بيان المصداق لامن باب بيان تمام المراد .

الاية الحادية والعشرون قال تعالى : «اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين» (التغابن ١٢) .

اقول : الكلام فى تفسير هذه الاية بعينه الكلام فى سابقتها وهى الاية فى سورة النور - ٥٤ .

الاية الثانية و العشرون قال « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول و لا تبطلوا اعمالكم » ( سورة محمد آية ٢٣ )

### بيان

قد ذكروا فى تفسير قوله تعالى «ولا تبطلوا اعمالكم» اقوالا لافائدة فى ايرادها والظاهر ان المتناسب بعد قوله تعالى «اطيعوا الله واطيعوا الرسول» ان المراد بابطالهم اعمالهم هو فقدان العمل الاجزاء والشرائط التى امر الله تعالى او امر بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ماسن من السنن او امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقام ولايته على امور المسلمين وشؤون اجتماعهم فخالفوا امر الله تعالى وامر الرسول (ص) فعلى هذا يكون المراد هو البطلان الحقيقى لعدم وجدان الاعمال والاجزاء والشرائط الدخيلة فى صحتها .

قال الشيخ (قده) فى تبيانه ج ٩ ص ٣٠٨ فى تفسير المقام بان يوقعوهما على خلاف الوجه المأمور فيبطل ثوابهم عليها فيستحقون العقاب انتهى .

اقول : هذا هو الظاهر فى الاية الكريمة فعليه يكون عطف قوله ولا تبطلوا اعطفا توضيحيا .

وهل يمكن ان يكون المراد من ابطال الاعمال هو احباط ثوابها فان حبط ثواب

العمل نوع من الابطال لا يخلو عن الاشكال لعدم صراحة الابطال في معنى الاحباط. في نور الثقلين ج ٥ ص ٤٥ عن ثواب الاعمال عن ابي جعفر عليه السلام قال رسول الله (ص) من قال سبحان الله غرس الله بها شجرة في الجنة ومن قال الحمد لله غرس الله بها شجرة في الجنة ومن قال لا اله الا الله غرس الله بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش يا رسول الله ان شجرتنا في الجنة لكثيرة قال: نعم ولكن اياكم ان ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوا بها وذلك ان الله عز وجل يقول « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ».

اقول : ويؤيد هذا الوجه ان بناءً على ما ذكره الشيخ (قده) يكون المراد عن الابطال هو الاتيان فاسداً وبناءً على كونه بمعنى الاحباط اي ابطال ثواب العمل فلا يخفى ان في كل واحد من الوجهين نوع من الخفاء فلا ترجيح في البين بحيث يوجب ظهور الاية في واحد من الطرفين والانصاف ان مع ذلك كله الظاهر هو ما ذكره الشيخ (قده) .

والظاهر انه لافرق بين الوجهين ان الحكم في قوله تعالى « لا تبطلوا » حكم ارشادي سواء قلنا ان المراد هو اتيان العمل فاسداً او احباط ثوابه بمعصية خارجة عن ماهية العمل .

واما حمل الاية على ان المراد هو الانصراف عن العمل في اثنا العمل قبل اتمامه صحيحاً فلا دليل عليه من ظاهر الاية فان المقام هو تذكير العقول وتحكيم ما يدركه بالبداهة من وجوب طاعة الله سبحانه و تشريع وجوب طاعة الرسول على المؤمنين والتحذير عن ابطال بمخالفة امره تعالى و امر رسوله سيما ان الايات مسوقة في مقام ترسيم امور القتال و الثبات في قتال العدو وان قلنا ان المورد لا يوجب تقييد اطلاق الاية .

فان قلت : فاي مانع من الاخذ بالاطلاق بالنسبة الى هذا النوع ايضا . قلت : قد ثبت في محله ان الاطلاق انما يكون بالنسبة الى الانواع والافراد في سياق الكلام اذا كانت الانواع او الافراد متساوية القوام في سياق الكلام فلا بد في

احراز ذلك فى مرحلة الحمل على الاطلاق .

وثانيا : ان تحريم قطع العمل قبل اتمامه تحريم مولوى فيشكل القول بالاطلاق بين الاحكام التبعية والارشادية كما قد تقرر فى محله ان الاوامر و النواهي الارشادية لا اطلاق ولا عموم فيها وانما يدور مدار الامر المرشد اليه وسعته وضيقة .  
الاية الثالثة والعشرون : - قال تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا » (الحجرات ١٤) د

### بيان

قال فى القاموس ج ١ ص ١٦٣ الى ان قال لانه يلوئه و يلوئه حبسه عن وجهه و صرفه الى ان قال نقصه انتهى ما اردناه .  
والايمان هو العرفان بالله وبتوحيده و قدسه عن جميع ما لا يليق به ثم تحكيم عهود و تثبيت موثيق بين الرب و المربوب و العابد و المعبود اى الاقرار و التعهد بالقيام بجميع ما يجب عليه من وظائف العبودية اى عهدا و ميثاقا واجبا بذاته و الظاهر ان تسمية هذا الموقف الخطير ايمانا بلحاظ هذه العهود و الموثيق لا باعتبار معرفته و معاينة ربه ، و الاسلام فى الاية الكريمة ما عليه جمهور المسلمين من التسليم و الاستسلام الظاهرى الذى جرت عليه المناكح و الموارد و به حققت الدماء و تشمل الضلال و المنافقين .

و للاسلام اطلاق آخر و معنى آخر يساوق الحد الاعلى من الايمان بعناية خاصة فى لفظ الاسلام قال تعالى : « اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين » (البقرة ١٣٠) .

قال تعالى « واجعلنا مسلمين لك و من ذريتنا امة مسلمة لك » (البقرة آية ١٢٣) وفى هذا السياق آيات كثيرة فى القرآن الكريم فعلى عهدة الباحث التحرى و التحقيق و التفريق بين الايات فى هذا الباب و قوله تعالى « قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا

ولما يدخل الايمان فى قلوبكم» الظاهر ان هذا ليس من باب العتاب والتوبيخ بل على نحو بيان الواقع و الاخبار عن نفس الامر و فيه بيان اجمالى بحقيقة الايمان و انها فوق الاسلام و الاسلام بابه و حرime و تفصيل تلك الابحاث مو كول الى محل آخر .

قوله تعالى : «وان تطيعوا الله ورسوله» اى ان تطيعوا الله تعالى فى دينه و شريعته فى الفرائض العقلية و الشرعية فى المحرمات كذلك و تطيعوا الرسول فى ماله و الولاية عن الله تعالى من تسنين السنن و نظم الامور .

و ظاهر السياق ان الاية خطاب للاعراب الذين قالوا آمنة و لا يبعد ان يقال انه مطلق شامل لكل من عرف و عقل على حسب مراتب ايمان المؤمنين و واضح ان المراد بطاعته تعالى و طاعة رسوله ما كان مقرونا بالاخلاص لله و حده لا شريك له فمن مصاديق طاعته تعالى و طاعة رسوله نفس الاعمال التى اتى بها موافقة لامره تعالى و امر رسوله من العبادات التعبدية و كذلك الواجبات الغير المولوى و ترك المحرمات . قوله تعالى «لا يلتكم من اعمالكم شيئا» اى لا ينقصكم الله سبحانه من ثواب اعمالكم شيئا فانه سبحانه و فى شكور لا يضيع لديه اجر المحسنين و انما قلنا : ثواب اعمالكم ضرورة ان انتقاص نفس العمل او اتمامه انما هو فعل من افعال المكلفين فلا محصل لنسبة تنقيص الاعمال او اكمالها التى من اعمال المكلفين اليه تعالى بل الظاهر ان المراد هو الثواب الذى وعده تعالى تفضلا عليهم فيجازيهم و لا ينقص منه شيئا فانه تعالى و فى القول فلا يخلف الميعاد .

فى الاية الكريمة دلالة على اكرامه تعالى لرسوله و على عناية خاصة بشانه فانه تعالى قرن طاعة رسوله بطاعته و جعل طاعته و طاعة رسوله عين عبادة فان عباداتهم عين امتثال او امره و او امر رسوله و فى بعض من عباداتهم جعل طاعته و طاعة رسوله شرط لقبول عباداتهم و ترتب الثواب عليها مثل ما لو كانت الطاعة خارجة عن حقيقة العبادة .

و بعبارة اخرى جعل التقوى و ترك معصية الله تعالى و معصية رسوله شرط لقبول

عباداتهم وهذا خلاصة القول في تفسير هذه الايات و في هذا المعنى روايات كثيرة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام قد تقدم شطر منها في تفسير الايات و نورد في هذا المقام عدة اخرى تأكيداً و توضيحاً و تأييداً لمفاد الايات و اما الروايات فكثيرة منها الروايات التي وردت لتوضيح الايات و تفسيرها .

١- ففي البحار ج ١٧ ص ٦ نقلاً عن الكافي : الحسين بن محمد عن المعلى ، عن الوشاء عن حماد ، عن زرارة ، عن ابي جعفر عليه السلام قال : وضع رسول الله (ص) دية العين و دية النفس ، و حرم النبيذ و كل مسكر فقال له رجل : وضع رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن يكون جاء فيه شيء ؟ قال نعم ليعلم من يطعم ممن يعصيه .

٢ - وفي البحار ج ١٧ ص ٨ نقلاً عن الاختصاص و بصائر الدرجات : ابن يزيد و محمد بن عيسى عن زياد القندي ، عن محمد بن عمار عن فضيل بن يسار ، قال سألته كيف كان يصنع أمير المؤمنين بشارب الخمر قال : كان يحده قلت : فان عاد قال كان يحده ثلاث مرات فان عاد كان يقتله قلت : كيف كان يصنع بشارب المسكر؟ قال مثل ذلك .

قلت : فمن شرب شربة مسكر كمن شرب شربة خمر ؟ قال سواء فاستعظمت ذلك فقال لى يا فضيل لا تستعظم ذلك فان الله انما بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين والله ادب نبيه فأحسن تأديبه فلما ائتدب فوض اليه فحرم الله الخمر و حرم رسول الله صلى الله عليه وآله كل مسكر فأجاز الله ذلك له و حرم الله مكة و حرم رسول الله (ص) المدينة و فرض الله الفرائض من الصلابة ، فأطعم رسول الله الجدة فأجاز ذلك كله ثم قال يا فضيل حرف و ما حرف من يطعم الرسول فقد اطاع الله .

٣ - وفي البحار ج ١٧ ص ٩ نقلاً عن بصائر الدرجات : محمد بن عيسى عن النصر ، عن عبد الله بن سليمان او عن رواه عن عبد الله بن سليمان ، عن ابي

جعفر عليه السلام قال : ان الله ادب محمدا صلى الله عليه وآله تأديبا ففوض اليه الامر وقال : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وكان مما أمره الله في كتابه فرائض الصلوة وفرض رسول الله (ص) للجد فأجاز الله ذلك له وحرم الله في كتابه الخمر بعينها وحرم رسول الله كل مسكر فأجاز الله ذلك له .

٤ - وفي البحار ج ١٧ ص ٨ نقلا عن بصائر الدرجات : محمد بن عيسى ، عن أبي عبدالله المؤمن عن اسحاق بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله أدب نبيه (ص) حتى اذا اقامه على ما أراد قال له : « وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » فلما فعل ذلك رسول الله (ص) زكاه الله فقال : « انك لعلی خلق عظيم » فلما زكاه فوض اليه دينه فقال : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فحرم الله الخمر وحرم رسول الله (ص) كل مسكر فأجاز الله ذلك كله وان الله انزل الصلوة وان رسول الله (ص) وقت اوقاتها فاجاز الله ذلك .

٥ - وفي الوسائل - ج ٣ ص ٣٤ عن الكليني عن علي بن ابراهيم عن ابيه ، عن ابن ابي عمير عن عمر بن اذينة ، عن زرارة ، عن ابي جعفر عليه السلام قال : عشر ركعات ركعتان من الظهر وركعتان من العصر . . . لا يجوز الوهم فيهن ... وهي الصلوة التي فرضها الله عز وجل على المؤمنين في القرآن وفوض الى محمد (ص) فزاد النبي في الصلوات سبع ركعات هي السنة ليس فيهن قراءة انما هو تسبيح وتهليل وتكبير ودعا ، والوهم انما يكون فيهن فزاد رسول الله (ص) .

٦ - وفي البحار ج ٨٢ ص ٢٤٢ نقلا عن العلل عن احمد بن محمد العطار ابيه عن محمد العلوي الدينوري بأسناده رفع الحديث الى الصادق عليه السلام قال قلت له ولم صارت المغرب ثلاث ركعات واربعاء بعدها وليس فيها تقصير في حضر ولا في سفر ؟ فقال ان الله عز وجل انزل على نبيه العظيم كل صلوة ركعتين في الحضرة فأضاف اليها رسول الله لكل صلوة ركعتين وقصرها في السفر الا المغرب .

٧ - وفي البحار ج ١٧ ص ٥ نقلا عن الكافي : محمد بن يحيى ، عن احمد ابن محمد ، عن محمد بن سنان عن اسحق بن عمار ، عن ابي عبدالله (ع) قال :

ان الله تبارك وتعالى ادب نبيه (ص) فلما انتهى الى ما اراد قال : « انك لعلى خلق عظيم » ففوض اليه دينه فقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وان الله عز وجل فرض الفرائض ولم يقسم للجد شيئاً وان رسول الله (ص) اطعمه السدس فأجاز الله جل ذكره ذلك وذلك قول الله عز وجل « هذا عطائنا فأمنن او امسك بغير حساب ».

٨ - وفى البحار ايضاً ص ٧ نقلاً عن الكافى : على بن محمد ، عن بعض أصحابنا عن الحسين بن عبدالرحمن عن صندل الخياط عن زيد الشحام قال سألت ابا عبد الله (ع) فى قوله تعالى : « هذا عطائنا فأمنن أو امسك بغير حساب » قال اعطى سليمان ملكاً عظيماً ثم جرت هذه الآية فى رسول الله (ص) فكان له ان يعطى ما يشاء ومن يشاء واعطاه الله أفضل مما اعطى سليمان لقوله تعالى « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

٩ - وعن بصائر الدرجات ص ٣٨٢ عبد الله بن عامر عن البرقى ، عن الحسن بن عثمان عن محمد بن الفضيل ، عن الثمالى قال قرأت هذه الآية على ابي جعفر (ع) « ليس لك من الامر شىء » قول الله لنبيه (ص) وانا أريد ان اسأله عنها فقال ابو جعفر (ع) بلى وشىء وشىء مرتين : وكيف لا يكون له من الامر شىء وقد فوض الله اليه دينه فقال : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فما احل رسول الله صلى الله عليه وآله فهو حلال وما حرم فهو حرام .

اقول : وبهذا العنوان روايات فى البحار فراجع :

١٠ - وعن بصائر الدرجات مسنداً عن زرارة قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن اشياء من الصلوات والايات والفرائض وأشياء عن أشباه هذا فقال ان الله فوض الى نبيه .

١١ - وفى البحار ج ١٧ ص ٩ نقلاً عن بصائر الدرجات : بعض عن محمد ابن الحسن عن على بن النعمان عن ابن مسكان ، عن اسماعيل بن عبدالعزيز قال : لى جعفر بن محمد عليهما السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يفوض اليه

ان الله تبارك و تعالى فوض الى سليمان عليه السلام ملكه ، فقال : « هذا عطائنا فأمنن او امسك بغير حساب » وان الله فوض الى محمد صلى الله عليه وآله نبيه فقال : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فقال رجل : انما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مفوضا اليه فى الزرع والضرع فلوى جعفر عليه السلام عنه عنقه مغضبا فقال ، فى كل شىء والله فى كل شىء .

١٢ - وفى الكافى ص ٢٤٨ محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن زياد ، عن محمد بن الحسن الميثمى عن ابي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول ان الله أدب رسوله صلى الله عليه وآله حتى قومه على ما أراد ثم فوض اليه فقال عز ذكره « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » فما فوض الى رسوله فقد فوض الينا .

١٣ - وفى اصول الكافى ج ١ ص ٢٨٤ عن على بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس وعلى بن محمد ، عن سهل بن زياد و ابي سعيد ، عن محمد بن عيسى عن يونس عن ابن سنان عن ابن مسكان عن ابي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « أطيعوا الله و اطيعوا الرسول واولى الامر منكم » فقال نزلت فى على ابن ابي طالب والحسن والحسين عليهم السلام فقلت ان الناس يقولون فما له لم يسم عليا وأهل بيته عليهم السلام فى كتاب الله عز وجل قال فقال : قولوا لهم : ان رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلوات ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا اربعاً حتى كان رسول الله هو الذى فسر ذلك لهم ونزلت عليه الزكوة ولم يسم لهم عن كل اربعين درهماً درهم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذى فسر لهم ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا اسبوعا حتى كان رسول الله هو الذى فسر ذلك لهم . . الحديث .

وفى جامع أحاديث الشيعة ج ١ باب المقدمات ص ٣٨ .



## كتاب الصلوة

قد جرت عادة المفسرين فى البحث عن الايات الواردة فى الصلوة تقديم آيات: فيها دلالة على وجوب الصلوة وفضلتها وتشریفها قال فى كنز العرفان ج ١ ص ٥٨ النوع الاول فى البحث بقول مطلق وفيه آيات .

### الاية الاولى

قال تعالى « ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » « انتهى » وبيان الاية الكريمة فى ذيل الايات المسوقة لبيان صلوة الخوف و صدر الاية هكذا قال تعالى « فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا و على جنوبكم فاذا اطمانتسم فاقموا الصلاة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا » النساء ( ١٠٢ ) .

اقول : الظاهر من بعض الكلمات اتفاق اللغويين و الفقهاء ان الصلوة بمعنى الدعاء وهذا على الظاهر غير سديد لابد من توجيه كلماتهم فان الصلوة فعل لازم يتعدى الى مفعوله باداة التعدية قال تعالى « وصل عليهم ان صلوتك . الاية . . بخلاف الدعاء فانه متعد بنفسه وليسا بمترادفين وكذا النداء ليس بمعنى الدعاء فيبعد ما ذكروه ان الصلوة بمعنى الدعاء و ابعد منه ان يكون النداء الذى من افراد الدعاء و الظاهر ان الدعاء هو التوجه و الاقبال الى الغير بعناية توجه الغير الى الداعى واجابته بخلاف الصلوة فان المراد منها التوجه المطلق من دون العناية بطلب اقبال الغير الى الداعى و عدم دخالة هذه العناية فى تحقق مفهومه فالصلوة متحقة بالتكبير والتسبيح والتحميد وقراءة القرآن بما انه عهد الله الى خلقه ومنشور ولايته جل ثنائه .

و يتحقق بالدعاء أيضاً . عن الخصال عن النبى ( ص ) فى فضيلة الصلوة - الى ان قال - لان الصلوة تسبيح و تهليل و تحميد و تكبير و تمجيد و تقديس

و قول و دعوة .

فالصلوة اللغوى كما تتحقق بكل واحدة من هذه المذكورات يتحقق  
بجميعها أيضاً .

فالفقيه يأخذ بالمفهوم العام او المطلق ويأخذ بالحدود و الشرائط المعتبرة  
المقررة فيها وجوباً أو استحباباً عن ادلة أخرى فتعين المأمور به عنده بتعدد الدال  
و المدلول فيصير هذا الفرد بالمحدود بالحدود و القيود مصادقة المعنى اللغوى من افراد  
العام و المطلق بالحقيقة وهذا هو العنوان الجامع بين جميع انواع الصلوة و افرادها و هكذا  
الكلام فى شرائطها و قيودها بالوضع النفسى فكما يجب الاخذ فى الصلوة بالمفهوم  
اللغوى كذلك فى شروطها و قيودها بالوضع النفسى من دون توهم حقيقة شرعية  
فى مفهوم الصلوة او مفهوم شىء فى شرائطها و قيودها بالوضع النفسى و من دون  
توهم حقيقة متشعبة بالوضع التبعينى أصلاً .

قوله تعالى « كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » الظاهر ان سوق الاية الكريمة  
مفاد التذکر الى وجوب الصلوة لبيان فرض الصلاة ولا بيان موقيتها كما توهمه  
جمع من المفسرين .

قال الجصاص فى احكام القرآن ج ٢ ص ٣٢٤ : وروى عن عبد الله بن  
مسعود انه قال ان للصلوة وقتا كوقت الحج - الى ان قال - و عن ابن عباس  
ومجاهد وعطية مفروضاً - الى ان قال - قال أبو بكر الجصاص انتظم ذلك ايجاب  
الفرض وموقيته لان قوله تعالى « كتاباً » معناه فرضاً وقوله تعالى « موقوتاً » معناه  
انه مفروض فى اوقات معلومة معينة فأجمل ذكر الاوقات فى هذه الاية وبينها فى  
مواضع أخرى من الكتاب انتهى ماأردناه ، وقريب منه عبارة غيره .

و صرح جمع من المفسرين ان معنى فرض فى قوله تعالى « كتب عليكم  
الصيام » والعناية فى ذلك ان المكتوب حيث انه ثبت على الصحف و الألواح عبر  
عن الواجب بالمكتوب بعناية ثبوته وتحققه فى وعاء التشريع .

اقول : ان الكتابة مع جميع ما لوحظ فيها من تقرر المكتوب وتحققه وتنزيل

قوله تعالى : ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً -١٤٩-

الواجب منزلة المكتوب من حيث الثبوت لا يدل على أزيد من الثبوت والتقرير في صحيفة التشريع و الاحكام كلها كذلك مكتوب وثابت بحسب تفرره وتحققه في وعاء التشريع وفي صحيفة الجعل ، واستعمال كتب في غير الفرض غير عزيز في الكتاب والسنة اما استعماله في النذب مثل قوله تعالى « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين حقاً على المتقين » (البقرة ١٨٠) فالاية بقرينة ذيلها حقاً على المتقين تدل على استحباب الوصية للاقربين استحباباً مؤكداً وكذلك استعماله في الوضعيات مثل قوله « كتب عليكم القصاص » (البقرة) « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس » .. الاية (المائدة-٢٥) فكتابة الحكم لا يستلزم الوجوب ولا ينافي الاستحباب فكلاهما مكتوب ومجعول ومثبت في لوح التشريع لا يزول ولا يمحي الا بناسخ ينسخه وكذلك الامور الوضعية و القوانين الجزائية فاستفادة الوجوب و النذب و الوضع و التكليف ( من كتب و كتابا ) محتاج الى قرائن أخرى .

قال الشيخ ( قد ه ) في تبيانه ص ٣١٢ طبع النجف : وقوله « ان الصلوة » الاية اختلفوا في تأويلها فقال قوم معناه ان الصلوة كانت على المؤمنين فريضة مفروضة ذهب اليه عطية العوفى وابن عباس وابن زيد والسدى ومجاهد وهو المروى عن أبى جعفر وأبى عبدالله (ع) وقال آخرون كانت على المؤمنين فرضا واجبا ذهب اليه الحسن ومجاهد في رواية وابن عباس في رواية وابوجعفر في رواية والمعنيان متقاربان بل هما واحد « انتهى » .

في تفسير أبى السعود « موقوتا » قيل فرضا مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين انتهى ،

و وجه هذا الاضطراب هو ما ذكرنا من عدم صحة التعليل بالمعنى المتبادر في بدو الامر فعبروا في تعبير « كتاباً موقوتا » انها فريضة مفروضة ففي روايات أهل البيت ( ع ) تصريحات ببطلان التوقيت بمعناه الحقيقي و محصل تلك الروايات التعرض ببطلان مايتوهم في بدو النظر انها فرض موقت بل ثبوت الواجب ووجوب

الاقوات أيضاً .

فى تفسير العياشى عن منصور بن خالد قال سمعت أبا عبد الله ( ع ) و هو يقول « ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً قال لو كان موقوتا كما يقولون فهلك الناس و لكان الامر ضيقاً ولكنها كانت على المومنين موجوباً . وفيه عن أبى جعفر وأبى عبد الله ( ع ) قال سألته عن قول الله « ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » قال : كتاب واجب انه ليس مثل وقت الحج ورمضان اذا فاتك فقد فاتك وان الصلوة اذا صليت فقد صليت . وفى رواية أخرى عن الكلينى باسناده عن داود بن فرقد قال قلت لابي عبد الله « ان الصلاة » - الى آخره - قال كتابا ثابتا وليس ان عجلت ليلا أو أخرت قليلا بالذى يضرك ما لم تضيع تلك الاضاعة .

أقول : قد صرح (ع) بالتعليل المذكور وان الصلوة كتاب واجب وكتاب ثابت وكتاب موجوب مع العناية البالغة بوجوب الوقت أيضاً وان الوقت عن حدود الصلوة مع فرق بين كونه قيد الصلوة وبين كونه قيد الحج و الصوم و ابقاء الكتاب على معناه و تقييده بالواجب و الثابت وهذا استنباط لطيف فى نهاية الدقة ولعله ( ع ) استظهره من حيث وقوع الآية بعد بيان صلوة الخوف و المطاردة فى مقام التعليل لعدم سقوطها فى شىء من الحالات مع التعرض ان الآية ليست فى مقام التوقيت كما يتوهمون وليس السياق فى مقام تشريع الصلوة من حيث الوقت .

فاطلاق المكتوبة على الفرائض اليومية لانها من أوضح أنواع المكتوبة لا انها هى المكتوبة فقط دون غيرها فلا يتم الاستدلال فى المقام بما فى بعض الروايات من التعبير عن الفرائض بالمكتوبة ضرورة ان كونها مكتوبة لا ينافى كون غيرها مكتوبة ايضا لما ذكرنا من عدم اختصاص العناية الملحوظة بالفرائض دون غيرها . و ذكر بعض المفسرين فى المقام ان الوقت فى الصلوة كناية عن الثبات و عدم التغير من باب اطلاق الملزوم و ارادة اللزوم انتهى .

قد تحصل من جميع ما ذكرنا ان قوله تعالى « فاذا اطمانتم فأقيموا الصلاة » الآية ليس فى مقام تشريع الصلوة و بيان وجوبها ضرورة ان مورد الآية الكريمة

قوله تعالى : ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا -١٥١-

انما هي بعد الفراغ عن وجوب الصلوة وبيان عدة من أحكامها في حال الحرب والسفر والخوف لافى مقام بيان ان الصلوة مضروبة عن أوقاتها المعينة بل في مقام التذکر الى أهمية الصلوة وفي مقام التعليل لما دلت عليه الآية السابقة ان الصلوة لا تسقط بحال من الاحوال في الحرب و السفر و الخوف فهذا التعليل لا يلائم ولا يناسب بأصل تشريع الصلوات و تشريع وجوبها و لا بضررها على أوقاتها المعينة ولا لما رواه الجصاص عن ابن مسعود ان الصلوة فرض موقت كالحج مع قطع النظر عن فساد أصل الدعوى و ما استظهرناه من بيان مولانا الصادق ( ع ) أكثر سداداً وأحسن .

وللبعضاوى بيان آخر في بيان تعليل المذكور قال موقوتا فرضا محدوداً لاوقات لايجوزاخر اجها عن أوقاتها في شىء من الاحوال وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلوة و انها واجبة الاداء حال المسابقة والاضطراب في المعركة و تعليل للامر بالاتيان بها كيفما أمكن انتهى . ولا يخفى مناقضية صدر كلامه مع ذيله وما ذكره في الذيل لعل هو المراد وقد اعترف به اضطراراً .

فتحصل من جميع ما ذكرنا ان الآية الكريمة في مقام التذکر الى أهمية الصلاة و عظم موقعها وشرف محلها وخاصة على المؤمنين فانهم أولى وأحق بهذا التذکر وفيها اشعار ان المؤمنين هم الذين يحافظون عليها والخاشعون فيها .

ففى النهج قال ( ع ) : تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا الى أن قال وشبهها رسول الله بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغسل منها كل يوم خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدرر . . الخطبة .

قال فى كنز العرفان: وفى الآية أحكام الى أن قال ان الآية تدل على أن الصلوة على من يعقل ولا فرض على من لا يعقل اذ الايمان هو التصديق فالمؤمنون هم المصدقون فالتصديق لا يصدر الا عن تصور وجزم واذعان وذلك غير متصور الا فى من له تعقل فلا يجب على الصبى والمجنون والمغمى عليه .

وفيه ان المؤمنين ليسوا فى الاية موضوعاً للوجوب الشرعى للصلوة بل فى مقام النصح والتذكير مع الاشعار بترفع شأنهم . ثم ان ما ذكره من الدليل اعم من المدعى فىشمل المستضعفين والبلهاء فانهم لا يقدرّون على تنظيم برهان وقياس وتأليف مقدمات يوجب حصول اليقين والحزم لهم وقال ايضا ماملخصه ان ايجاب الصلوة على المؤمنين لا يدل على أن الكفار ليسوا مكلفين بالفروع فلا ينافى الاية بثبوت الاحكام على الكفار أيضاً بحسب الادلة الاخرى .

قلت : نعم لا ينافى بين ثبوت الاحكام على المؤمنين وعلى الكافرين أيضاً طبق الادلة الواردة فى كل من الموردين لعدم التنافى بين مثبت ومثبت آخر وانما التنافى بين المثبت والنافى الا انا قد قدمنا البحث فى ذلك وانه لا دليل على شمول الادلة للكافرين خطاباً وانما يشملهم عقاباً هذا أولاً ، وثانياً ان الاية ليست فى مقام تشريع الصلوة على المؤمنين وليس للمؤمنين موضوعاً لوجوب الصلوة كما شرحناه مفصلاً وهذا الفرع كسابقه ساقط أصلاً .

## الاية الثانية

قال تعالى : « حافظوا على الصلوة والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين » البقرة (٢٣٨) وفيها مسائل :

الاولى : قوله تعالى « حافظوا » المحافظة : الاهتمام الاكيد بشأن الصلوة مقابل التضييع والاستخفاف بها و المراد التذكر والارشاد الى المراقبة و المواظبة للصلوة وحدودها والتماس ما فيها من أسرارها وأنوارها ودرك فوائدها فانها منهاج الانبياء المقربين وقرّة عين سيد المرسلين ومعراج المؤمنين وضرورى انه لا مطمع لاحد فى نيل انوارها الا بعد المراقبة التامة لاصلها وحدودها المقررة وليس التساهل والتسامح فيها الا من ضعف اليقين وعدم لياقة هذا المصلى بالتشرف بحريم القرب و المناجات مع رب العالمين وفيه شىء من علامات النفاق فالمصلى يحتاج الى رهبة ورغبة وخوف وطمع وخشوع واخبات مع اتيانه بجميع الشرائط والحدود

المقررة ولا بد للذين يرجون أيام الله ويخافون مقامه ان يجاهدوا انفسهم ويراقبوا حتى يأهلوها شيئاً فشيئاً فليس من رحمة الله بعجيب ولا من كرمه بغريب ان ينظر الله اليهم بنظرة رحيمة .

ففى الروايات المروية عن أهل البيت (ع) شفاء لما فى الصدور ودواء للداء المزمن فى القلوب وقد ذكر شيخنا العلامة الشهيد الثانى (قده) جملة كافية فى كتابه اسرار الصلوة على اخوانى المحصلين الرجوع اليها فعن الرضا (ع) قال للصلوة اربعة آلاف باب ، وفى البحار عن فلاح السائل عن كثر الفوائد عن الصادق (ع) للصلوة اربعة آلاف حد .

وفى البحار ج ٤٧ ص ١٨٥ عن فلاح السائل ذكر الكراجكى فى كتاب كثر الفوائد قال جاء فى الحديث ان أبا جعفر المنصور خرج فى يوم جمعة متوكياً على الصادق جعفر بن محمد ( ع ) فقال رجل يقال له رزام مولى خالد بن عبد الله من هذا الذى بلغ من خطره ما يعتمد أمير المؤمنين على يده فقيل هذا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليهما فقال اى والله ما علمت لو ددت ان خد أبى جعفر نعل لجعفر ثم قام فوقف بين يدى المنصور فقال له اسأل يا أمير المؤمنين فقال المنصور سل هذا فقال انى اريدك بالسؤال فقال المنصور سل هذا .

فالتفت رزام الى الامام جعفر بن محمد ( ع ) فقال له اخبرنى عن الصلوة وحدودها فقال له الصادق للصلوة اربعة آلاف حد لست تؤاخذ بها فقال اخبرنى بما لا يحل تركه ولا تتم الصلوة الا به فقال أبو عبد الله الصادق لا تتم الصلوة الا لذى طهر سابغ و تمام بالغ غير نازع ولا زايع عرف فوقف واخبت فثبت فهو واقف بين اليأس و الطمع والصبر والجزع كان الوعد له صنع والوعيد به وقع بذل عرضه و تمثل غرضه و بذل فى الله المهجة وتنكب اليه غير المحجة مرتغم بارتغام يقطع علائق الاهتمام بعين من له قصد و اليه وفد ومنه استرفد فذا أتى بذلك كانت هى الصلوة التى بها أمر وعنها أخبر وانها هى الصلوة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر فالتفت المنصور الى ابى عبد الله فقال يا ابا عبد الله لانزال من بحرك نغترف واليك

نزذلف تبصر من العمى و تجلسو بنورك الطحياء فنحن نعوم فى سبحات قدسك  
وطامى بحرك .

المسألة الثانية : لا يخفى ان المحافظة انما تتعلق بالصلوة المجمولة من قبل  
ادلتها فلا تفيد هذه المحافظة الا الاهتمام بها فى مرحلة امثال أمرها وطاعة فرضها  
ان كان مفروضا بالوجوب العقلى من باب وجوب الطاعة بالكيفية الحسنى فلا يمكن  
الاستدلال بوجوب المحافظة على وجوب صلوة العيدين والجمعة كما فى كلمات  
بعض الاعاظم ولا بوجوب الصلوة التسع المشهورة كما صرح به بعض آخر  
ضرورة ان الاوامر الارشادية لاتصلح لاثبات جعل حكم شرعى من وجوب أوغيره  
فالواامر الارشادية تدور مدار الامر المرشد اليه فلاتصلح لافادة تشريع حكم اصلا  
وكذلك الامر بالمحافظة لا ينافى استحباب شىء من الصلوة ان قلنا ان اللام فيها  
للاستغراق كما هو نظر المستدل فان الاستحباب والوجوب فى متعلق المحافظة من  
الصلوة يدور مدار ادلتها فالمحافظة فى مورد الواجب واجب وفى مورد الندب ندب.  
فلا يصح الاستدلال بالمحافظة بوجوب كل ما يسمى صلاة الا ما ثبت انه ندب  
فيبقى الباقي تحت العموم وهو المطلوب .

ثم ان الظاهر بحسب اطلاق الاية الكريمة شمول المحافظة لاصل الصلوة  
بحيث لا يلهيهم ولا يشغلهم شىء منها وشمولها لحدودها وشرابطها أيضاً.

قوله تعالى : « الصلوة » الاية الظاهر بقريئة المقام ان اللام للعهد وان المراد  
من هذه الصلوة هى الصلوة اليومية لامطلق الصلوة كما قدمنا نقله عن بعض المفسرين  
ضرورة انه لو كان اللام للاستغراق لكان شمولها شمولاً انواعياً فحينئذ يجب ان  
تكون الوسطى المعطوفة على الصلوة نوعاً من الصلوة و لم يقل بذلك احد حتى  
من قال بالاستغراق ايضاً وجميع الروايات الواردة عن طرق العامة و الخاصة مع  
كثرتها كلها ناظرة الى الفريضة اليومية وان الوسطى فرد منها لانواع منها .

والتفصيل الوارد فى ذيل الاية «فان خفتهم فرجالا اور كباناً واذا أمنتهم» الاية  
المعتزلة لكيفية الصلوة فى حال الخوف و الامن يؤيد ما ذكرناه ان المراد من



الصلوة هي الفرائض وهذا البيان الذي ذكرناه من الشواهد على ما ذكرنا من بطلان قول من استدل من ناحية وجوب المحافظة على وجوب صلوة غير اليومية فبناء على ما ذكرنا ان المحافظة على الصلوة حكم عقلي ارشادي لا تعبدى ولا تأسيسى يكون المحافظة في مورد الحدود والاداب الواجبة واجبة وفي غيرها فضلا ورجحانا ما لم يؤد الى الاضاعة والاستخفاف وفي روايات اهل البيت الامر الاكيد بالمحافظة والتحذير عن التضييع .

قال تعالى : « والذين هم على صلواتهم يحافظون » ( المؤمنون ٩ ) « والذين هم على صلواتهم يحافظون » ( المعارج ٣٤ ) قال تعالى « والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلواتهم يحافظون » ( الانعام ٩٢ ) .

اقول : التدبر في الايات الكريمة بعد التدبر في ما ذكرنا من البيان في تفسير المقام يعطى ان مورد المحافظة فيها هي الفرائض ايضاً وحكم المحافظة حكم ارشادي . قوله تعالى : « والصلوة الوسطى » عطف على الصلاة وتخصيصها وافرادها بالذكر بخصوصها للاهتمام الاكيد بها وفي هذه العناية دلالة على فضلها بخصوصها زيادة على ما سواه و الوسطى مؤنث اوسط نعت لهذه الصلوة ومعنى الوسطية هي الوسطية من حيث العدد بحيث يكون طرفاه متساويين من حيث العدد وهذا هو الظاهر من الاية فان الوسطية بمعنى الافضلية وان استعمل في القرآن الكريم الا ان هذا الاستعمال بمعونة القرائن المتحفة به ولاقرينة في المقام بل في المقام ما يلوح به خلافه فان الافضلية بحسب الكتاب العزيز انما يستدل عليها بهذه الاية ولادليل على افضلية الوسطى قبل مرتبة هذه الاية كى تكون الايات في مقام ايجاب المحافظة عليها واما تعيين الوسطى ...

المسألة الثالثة : في تعيين صلوة الوسطى وقد كثرت الاقوال في تعيينها وقال في المنار ان فيها ثمانية عشر قولاً .

اقول : هذه الاقوال مستندة الى وجوه ضعيفة و الى اخبار مختلفة مروية عن طرق العامة لا جدوى في التعرض لها ولنقلها وقال في المجمع في ضمن ذكر

الاقوال و سادسها انها احدى الصلوة الخمس لم يعينها الله و اخفاها فى جملة الصلوات الخمس المكتوبة كما اخفى ليلة القدر فى ليالى شهر رمضان واسمه الاعظم فى جميع الاسماء وساعة الاجابة فى ساعات الجمعة عن الربيع بن خثيم و ابى بكر الوراق انتهى .

اقول : هذا القول اضعف الاقوال المذكورة فى هذا الباب لمخالفته لجميع الروايات المنقولة سنداً لهذه الاقوال سيما الروايات المعتمدة المروية عن اهل البيت ( ع ) مع ضعفه فى حد نفسه فانه يدعى ان الله سبحانه امر بالمحافظة و كتم متعلقها وليس للرسول و آله الطاهرين تفسيرها و توضيحها و قياس هذا الحكم بالاسم الاعظم و ليلة القدر فى غير محله ايضا .

و حيث ان الوجوه التى ذكرها فى تعيين هذه الصلوة موهونة ضعيفة و لا دليل و لا قرينة فى ظاهر الاية لتعيينها ذكر بعض المفسرين ان الوظيفة المتعينة فى هذا الباب الرجوع فى تعيينها الى السنة المعتمدة .

وفى عدة روايات من ائمة اهل البيت ( ع ) : ان الصلوة الوسطى هى صلوة الظهر و انما فى وسط النهار و وسط صلاتين النهار الغداة و العصر و أما القول بأنها صلوة العصر فضعيف جداً و لا شاهد و لا دليل لهذا القول الا ما رواه فى الفقيه فى حديث مرسل عن الحسن بن على ( ع ) الى ان قال و اما صلوة العصر فهى الساعة التى اكل آدم من الشجرة فأخرجه الله عز و جل من الجنة فأمر الله ذريته بهذه الصلوة الى يوم القيمة و اختارها لامتى فهى من احب الصلوات الى الله عز و جل و اوصانى ان احفظها من بين الصلوات . . الحديث .

و الاستدلال بها فى غير محله لضعف الرواية بالارسال و ضعف العلة المذكورة فيها فلا تصلح للمعارضة بالروايات المعتمدة المصرحة بأن الوسطى هى الظهر هذا و الا . و ثانياً ان الكلام فى تعيين الوسطى فى الاية الشريفة و هذه الرواية تحاول اثبات ان صلوة العصر ايضاً مما أمر الله نبيه بحفظها و لا منافات بينهما بوجه .

ثم ان القراءة المشهورة ما هو المثبت الان فى المصاحف و وردت فى كثير من

الروايات المروية عن طرق اهل السنة حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى و صلوة العصر وذكروا ان هذه القراءة كانت مثبتة في مصحف عايشة وحفصة وعن الكشاف انها مع الواو قراءة ابن عباس وعايشة وبلاواو في قراءة حفصة وفي رواية اخرى عن حفصة ايضاً مع الواو وقال في البحار عن السجستاني ستة روايات كذلك اي مع الواو في مصحف عايشة ، وثمان احاديث انها كذلك في مصحف حفصة وحديثان انها في مصحف ام سلمة .

اذا تقرر ذلك فنقول ان هذه القراءة وردت في الروايات المروية عن اهل البيت (ع) ايضاً تارة مع الواو واخرى بلاواو وبديهي انها مع الواو لاتنافي الروايات الدالة على ان الوسطى هي صلوة الظهر قال بعض الاعلام ما خلاصته ان ورودها في الروايات العامة يؤيدها انها كانت مع الواو وان القراءة كانت في الصدر الاول كذلك وان القراءة من غير الواو سهو من النساخ .

اقول : بعد ما عرفت تأييد الروايات العامة لهذه القراءة فالحق عندنا سوء الظن بها وبهذه القراءة وبالروايات التي وردت لاثباتها من طرق الامامية ايضاً ولعلها صدرت عن ائمتنا تقية سواء كانت مع الواو وبدونها فلا تكون هذه القراءة بلاواو معارضة بما ذكرنا من الادلة الدالة على ان الصلوة الوسطى هي الظهر ولا يمكن ان يستدل بها ان الصلوة الوسطى هي صلوة العصر كما هو المنقول عن المرتضى (قده) كما انها مع الواو لا يكون مؤيدة للدالة الدالة على ان صلوة الوسطى هي صلوة الظهر فتبقى الروايات الدالة على انها هي الظهر سليمة عن المعارض من غير احتياج الى تأييدها بالقراءة الواردة مع الواو .

قال في آلاء الرحمن : وصحيحة زرارة عن الباقر (ع) وان وردت فيها بعد ذلك في الكافي والفقيه ماصورته وقال في بعض القراءات حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى و صلوة العصر وبناء على هذه الرواية فلا يخفى ان الامام لا يتعلل ببعض القراءات الامحاذرة عن الوقت واهله «انتهى» .

ويقرب من هذا البيان عبارة الجزايري في قلائد الدرر فان قيل ان مورد التقية

ومورد الاخبار العلاجية انما هو باب الافناء لانقل الروايات طبق روايات العامة وتعيين المدارك لفتاواهم كما في بعض الروايات حيث قال مامعناه ان رسول الله قرأها كذلك وفي بعضها القرائة من دون استناد الى احد قلت نعم اكثر الروايات العلاجية ناظرة الى معالجة الاختلاف في الفتاوى الا ان فيها شواهد ودلائل تدل على سقوط ما فيه الريب كلية في مقابل الموثق وانتفاء موضوع الحجية عن كل ما فيه الريب ثم ان قراءة المشهور المثبتة في المصاحف ضرورية الثبوت ولا يجوز رفع اليد عنها بالاحاد الضعاف كما ذكرنا تفصيل ذلك في تفسير قوله تعالى فاذا تطهرن... الاية (بقرة ٢٢٢) .

وهل الامر بالمحافظة للصلوة الوسطى لفضلها وشرفها وعظم موقعها من بين الصلوات المكتوبات اولانها في الساعة الحارة .

وفي معرض الاستخفاف والضياع والناس في حوائجهم ووقاعاتهم وانها كانت من اثقل الصلوات على اصحاب رسول الله (ص) كما ذكروا ذلك في شأن نزول الاية ففي النصوص اشعارات اكثر وافي فقد تبين من جميع ما ذكرنا ان الصلوة الوسطى هي صلوة الظهر وفي بعض النصوص انها اول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وانها في وسط النهار ووسط صلوتين بالنهار صلوة الغداة والعصر قوله تعالى «قوموا لله قانتين» - الظاهر ان المراد من القيام ليس هو الانتصاب والقيام المخصوص في مقابل القعود بل المراد منه اما الصلوة والتصدى الى الصلوة بل قيل ان اطلاق القائم على المصلى اطلاق شايع ولا يخفى ان المعنى الثانى اللفظ وانسب بالمقام من المعنى الاول فان القيام بين يدي الله متواضعا لجلاله مستكيناً لعظمته وكبريائه عليه سكينه العابدين ووقار الصالحين بانواع التعبد التحصيلي اجل معنى وادق بالنسبة الى القيام والانتصاب في مقابل القعود .

وايضاً لو كان المراد هو القيام في مقابل القعود لكان المراد منه القيام في الصلوة بعنوان الشرطية في الصلوة وظاهر الاية لا يلائم الشرطية بل مطلوبة القيام من حيث نفيه وسيأتى مزيد توضيح لذلك في ذيل البحث انشاء الله .

المسألة الرابعة: اختلفوا في القنوت المذكور في الآية فقبل انه القنوت المرسوم في الصلوة وفي القلائد قال قال ابن بابويه في الفقيه القنوت سنة واجبة من تركها متعمداً في كل صلوة فلا صلوة له قال الله تعالى «وقوموا لله قانتين» يعنى مطيعين داعين «انتهى» .

وقيل معناه ذاكرين الله في قيامكم وقيل الدعاء وقيل السكوت وكانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت الآية ونهوا عن ذلك ، رواه الجصاص عن ابى عمرو الشيباني واطال الكلام في ذلك وأصر عليه ونقل احاديث كثيرة في النهى عن الكلام في اثناء الصلوة وليس في هذه الاحاديث في تفسير الآية من شيء الا حديث ابى عمرو الشيباني .

وروى عن عبدالله بن مسعود انا كنا نسلم على رسول الله في اثناء الصلوة قبل ان نأتى أرض الحبشة فلما رجعت سلمت عليه فلم يرد على فذكرت ذلك له فقال ان الله يحدث من امره ما يشاء وانه قضى ان لا يتكلموا في الصلوة .

فلا يخفى خروج ذلك كله عن حريم الآية وتفسيرها والذي يحل العقدة ويحسم اصل الشبهة ما ذكرناه في صدر البيان ان الآية الكريمة تذكر وارشاد وحث على المراقبة والمحافظة على الصلوات المكتوبات وخاصة الوسطى منها وان يقوموا في هذه الصلوات او الاعم منها قانتا مخلصا حنيفا وليست الآية في مقام جعل الصلوة ولا جعل الشرطية للقيام وجزئية القنوت لها وتقييد القنوت بالقيام والقيام بالمراد من القيام هو الصلوة والقنوت نعت لها مطلقا قائما راعياً ساجداً مسبحاً مذكراً قارياً قال تعالى «امن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه» (الزمر ٩) .

في تفسير العياشى عن عبدالله بن سنان عن ابى عبدالله عليه السلام قال الصلوة الوسطى الظهر «وقوموا لله قانتين» اقبال الرجل على صلوته ومحافظة على وقتها حتى لا يلهيه عنها ولا يشغله شيء .

وفيه ايضا عن زرارة عن أبى جعفر (ع) في حديث الى ان قال «وقوموا لله

قانتين فى الصلوة الوسطى» - الى ان قال - قال قوموا لله قانتين مطيعين راغبين .  
قوله تعالى : «فان خفتهم فرجالا او ركباناً فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم  
ما لم تكونوا تعلمون». بعد تشديد الامر بالمواظبة والمراقبة فى شأن الصلوات سيما  
الوسطى والتذكرو الارشاد بخطر الموقف والتحذير عن الاضاعة والاستخفاف بها  
وشؤونها والاتبان بجميع اجزائها وشروطها مستوفاة قانتاً مطمئناً راغباً اجازورخص  
تعالى فى حال الخوف المشى والركوب فى حال الصلوة والخوف فى المقام  
شامل لجميع انواع الخوف العدو واللص والسبع وغيرها .

ولم يذكر تعالى فى هذه الاية غير الترخيص فى المشى والركوب فى حال  
الصلوة ولم يبين طور الصلوة وعدد ركعاتها فان هذا الارفاق والترخيص بالنسبة الى  
التشديد المذكور فى الاية واما غيره من التخفيف فى بقية الصلوات لابد من التماس  
ذلك من ادلة اخرى قال تعالى « واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان  
تقصروا من الصلوة ان خفتن ان يفتنكم الذين كفروا» (الاية النساء ١٠١) .

فقد اختلفوا فى دلالة هذه الاية على وجوب قصر الصلوة بمجرد الخوف فى  
الحضر وما استدل على وجوب القصر فى الخوف لا يخلو عن الضعف والقصور ويمكن  
الاستدلال بها على القصر بذيل الاية قال تعالى «فاذا قضيت الصلوة فاذكروا الله قياماً  
وقعوداً وعلى جنوبكم فاذا اطمأنتنم فأقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً  
موقوتاً» (النساء ١٠١) .

فالامر باقامة الصلوة بعد زوال الخوف وحصول الاطمئنان ليس الا باعتبار  
حصول الاطمئنان وهو ظاهر فى التمام ولا اقل من دلالتها عليه بالاطلاق هذا وقد  
اقر بعض المحققين من الفقهاء بضعف دلالتها على وجوب القصر فى حال الخوف  
فى الحضر وقالوا ان الاولى الاستدلال بالقصر بالروايات الواردة المصرحة بذلك .  
فى البرهان عن الشيخ باسناده عن زرارة قال سألت ابا جعفر (ع) عن  
صلوة الخوف وصلوة السفر تقصر ان قال نعم وصلوة الخوف احق ان تقصر من  
صلوة السفر ليس فيه خوف اقوى فالخوف فى الاية المبحوثة عنها موضوع تام

قوله تعالى : حافظوا على الصلوة والصلوة الوسطى . . . -١٤١-

لترخيص والارفاق في كيفية الصلوة مشاة وركبانا من غير فرق بين انحاء الخوف وانواعه من اى سبب كان من لص اوسيع اوعدو في موقف الحرب وغيره والفرق بين هذه الاية وما فى سورة النساء ان هذه في مقام بيان حال شدة الخوف والترخيص في كيفية الصلاة وادائها بحسب ما امكن فهي نص في ابطال قول ابي حنيفة من قوله بسقوط الصلوة في حال شدة الخوف .

وعدم جوازه في حال المشى وحال الطعن والضرب على ما حكاه الشيخ(قده) عنه في كتاب الخلاف واستدل بذلك الجصاص الحنفى بعد اقراره باطلاق الاية انها مقيدة بقوله ( ص ) يوم الاحزاب ملاء الله قبورهم وبيوتهم ناراً كما شغلونا عن الصلوة الوسطى وفيه انك قد عرفت فيما تقدم في تعيين الصلوة الوسطى ان هذا الحديث قد ابتلى بما يعارضه ويخالفه فلا يصلح لتقييد الاية وعند الامامية لاحجية له سواء ابتلى بالمعارض ام لا .

روى في الوسائل انه (ص) صلى يوم الاحزاب ايماء فالاية باقية على قوة اطلاقها ثم ان الجصاص قال بالفرق بين الطالب والمطلوب وقال : ان الطالب غير خائف فلا يجوز له صلوة الخوف وفيه ان الطالب قد يكون خائفا ايضا فانه لو لم يكن طالبا ليصير مطلوبا ثم انه لا يخفى ان الضرورات تقدر بقدرها فيجوز للخائف الصلوة حسب ما أمكنه وهذا هو مقتضى اطلاق الاية فقد رخص تعالى للخائف اتيان الصلوة راجلا وراكبا من غير تعرض بطور من اطارها وقد وردت في روايات كثيرة عن اهل البيت (ع) التصريح لكلا الاطلاقين اى شمول الخوف بجميع انحائه ، وانواعه اللص والسبع والعدو في موقف الحرب وغيره وكفاية الصلوة كيفما امكنه . في الوسائل عن الشيخ باسناده عن جابر عن ابي جعفر (ع) قال قام على يطلب الناس بصفين الى ان قال ثم نهض القوم يوم الخميس فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق ما كان صلوة القوم يومئذ الا تكبير عند مواقيت الصلوة .. الحديث .

قوله « فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » . فالظاهر ان المراد من الذكر الصلوة فانها من مصاديق الذكر وذكر بالحقيقة .

قوله تعالى : « فاذا امنتم » لا باعتبار اشتغالها على الذكر اللساني كما توهمه الجصاص فاذا حصل الامن والسكون فيجب اتمام الصلوة مستوفيا بجميع اجزائها وشروطها واعداد ركعاتها هذا نظير ما ذكرنا في الاية في سورة النساء وهي قوله تعالى « فاذا اطمانتم فأقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » والفرق بينهما ان في هذه الاية الامر باقامة الصلوة واتمامها من حيث الذي رخص فيه وهو الارقاق والتخفيف بالقصر في اعداد الركعات وفي الاية المبسوطة عنها الارقاق والتخفيف بحسب الكيفية والاتيان بما تيسر من اجزائها وحدودها ثم بعد حصول الامن والسكون الاتيان بجميعها مستوفيا ومستكملا بجميع ما علم من حدودها واجزائها.

قوله تعالى « كما علمكم ما لم تكونوا » - الى آخره - اى علمكم بتعليم الكتاب و السنة ما لاتعرفون من الصلوة واحكامها او يقال كما علمكم من الشرائع والعلوم والعبادات كما فى قوله تعالى « وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم » (انعام - ٩١) فعلى هذا يكون قوله وعلمكم - الى آخره - بمنزلة التعليل لقوله فاذكروا ويكون المراد من الذكر اللساني والظاهر هو الوجه الاول .

### الاية الثالثة

قال تعالى : « وامرأهلك بالصلوة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى » ( طه ١٣٢ ) اهل الرجل من كان اشد اختصاصا به من خاصته وبطانته فهو القدر المتيقن من مفاد الاية وفى قوله تعالى « واصطبر عليها » دلالة على انه (ص) مأمور بتحصيل الصبر على نفسه الشريفة باقامة الصلوة مع الذين يأمرهم بالصلوة فهذا الاهل المأمور نريده فى اقامة الصلوة غاية الامر انه (ص) مأمور بالاصطبار على اقامتها واهله مأمور بالصلوة بأمره .

وفيه اشعار بنوع من المشاركة والمقارنة بينه وبين اهله فى هذا التأديب



الالهى وتميزهم عن الناس بخصوصهم اذ كان جميع الناس واهله مأمورين بالصلوة عامة بخلاف الامر فى المقام فلا يتجاوز سواهم وهى فضيلة ومنقبة خاصة لهم وليس سياق الآية سياق قوله تعالى « قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » - التحريم (٤٤) ولا سياق قوله تعالى « وانذر عشيرتك الاقربين » - الشعراء (٢١٤) كما ذكره الجصاص وغيره من المفسرين فان سياق الاولى التهديد وسياق الثانية الانذار فى مرتبة التصريح وطلبة الدعوة الى الله و المعاد بل المراد اخذ اهله بالصلوة و اصطبار نفسه الشريفة عليها كى يكونوا متأدبين بآدابه وتأديبه ومتمرنين بتمرينه (ص) اياهم وعنايته الخاصة بهم .

وليس ايضاً فى مقام جعل الوجوب عليهم بالضرورة بل الآية فى مقام الحث والترغيب باقامة الصلوة الواجبة عليهم بحسب الادلة الاخرى ويؤيد ما ذكرناه من تميز الاهل عن الناس بالفضيلة والكرامة صدر الآية وهو قوله تعالى : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى » ( طه ١٣٢ ) فالآية الكريمة فى مقام تزهيده عن الدنيا وماتلعب به ابنائها وعبدها من زخارف الدنيا وزينتها والادبار اليها والزهد فيها زهد الراحلين عنها والنظر اليها بعين المستوحشين منها ويأمره تعالى بالاصطبار على اقامة الصلوة وان يأمر اهله بها .

فالمتحصل من الآية بعد التدبر فيها صدراً وزيلاً تسليته تعالى رسوله عن الدنيا والزهد فيها والاقبال الى العبادة والزهادة بنفسه الشريفة مع خاصته وبطانته فالآية الكريمة وان كانت فى بدو النظر عامة شاملة لجميع اهله وازواجه الا ان العناية الخاصة والكرامة المبذولة فى حق الاهل المذكور تأبى عن شمولها الا لمن كان قرينه (ص) وتلوه وقرباً منه فى الزهادة والعبادة والعبودية فيتزلل بالاطلاق المتوهم من الآية فى بدو النظر كما لا يخفى بداهة ان الاخذ بالاطلاق خروج عن السياق واعراض عن الغرض المسوق له الكلام .

فى قلائد الدرر عن عوالى اللثالى عن الباقر (ع) انه قال امرالله (امرہ - خ)

ان يخص اهله دون الناس ليعلم الناس ان لاهله منزلة ليست للناس فأمرهم مع الناس عامة ثم امرهم خاصة ورواه في البرهان عن علي بن ابراهيم عن ابي الجارود مع زيادة قال : فلما أنزل هذه الآية كان رسول الله يجيء كل صلوة الفجر يأتي باب علي (ع) يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم يأخذ بعضادتي الباب ويقول : الصلوة الصلوة يرحمكم الله « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » . . الحديث وفي معناها روايات أخرى بأسانيد متعددة . وفي البرهان عن العيون باسناده عن الرضا (ع) في حديث مع المأمون وعلماء مجلسه الى أن قال : فخصصنا الله تعالى بهذه الخصوصية اذا امرنا مع الامة باقامة الصلوة ( الصلوات ) ثم خصصنا من دون الامة فكان رسول الله يجيء الى باب علي وفاطمة صلوات الله عليهما بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلوة خمس مرات فيقول الصلوة يرحمكم الله وما أكرم الله أحداً من ذراري الانبياء ( ع ) بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصصنا من دون جميع اهل بيتهم . . الحديث .

فان قيل : ان «طه» سورة مكية وما ذكرت من البيان وما حدثت من الاحاديث لاتلائم الا ان تكون الايات مدنية .

قلت : في بعض المصاحف المصرية ان آيتي ١٣٠ و ١٣١ مدنية وهذا غير عزيز في القرآن الكريم في درج الايات المدنية في السور المكية واما الآية المبحوثة عنها فهي ايضا مدنية .

ففي المجمع قال ابو رافع نزل برسول الله ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله يقول بعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فأتيته فقلت له فقال والله لا أبيع ولا أسلفه الا برهن فأتيت رسول الله وأخبرته فقال والله لو باعني وأسلفني لقضيتته واني الاميسن في السماء والامين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وآله .

اقول : الحديث الشريف كما انها تدل على ان الواقعة ونزول الآية في المدينة

تسلية له (ص) كذلك يدل على ما استظهرناه ان قوله تعالى « وأمر اهلك » مرتبط بقوله تعالى ولا تمدن عينيك أعنى ان الامر بالزهادة و اقباله (ص) و اقبال اهله الى العبادة واقعان فى صراط التكميل والتربية و الوعظ من الله سبحانه فى سياق واحد اى النصيح والتذكير من الله سبحانه المتناسب بمقام الرسالة وساحة النبوة .  
قوله تعالى « لانسألك » رزقا لغنائه عن الرزق ولغنائه عن الطلب الى ماسواه وقيل اى لانكلفك رزقك .

اقول : هذا هو الانسب بمقام التسلية والعطوفة والحنان اى لا نكلفك الى نفسك ولا نكلفك رزقك .

قوله تعالى : « نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » تسلية منه تعالى وتأيد وتعطف وحنان بعد أمره بالزهادة والعبادة وتضمن لرزقه وتكفل بأمر حياته وهاتان الجملتان سيما الاخيرة المصرحة بالتضمن بالرزق والوعد به بمنزلة التعليل لقوله تعالى « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به » الاية ولقوله تعالى « وأمر اهلك بالصلوة » كما هو مقتضى حديث ابى رافع ايضا المصرح بأن الاية نزلت تسلية له (ص) عن الدنيا . ولا يخفى ما فى هاتين الجملتين من الشهادة والتأيد لما استظهرناه من دعوى التخصيص فى الامل وان الاية الكريمة تفيد تسليته (ص) وتسلية أهله تتبعه ايضا ثم لا يخفى ان هذا الوعد والتكفل بأمر رزقه انما هو بحسب سنته المقدسة العادية لاعلى نحو الاعجاز والكرامة فلا وجه لتوهم الاعجاز والكرامة فى المقام ولا وجه لتوهم المعارضة بين الاية وما فى سياقها من الادلة وبين العمومات الدالة على وجوب التكسب والطلب فما ادعى رسول الله (ص) ولأحد من ائمة أهل بيته الارتزاق على نحو الاعجاز والكرامة فيسقط ما استشكله بعضهم من اعمال المعارضة بين هذه الاية واشباهها وبين ما يدل على وجوب الطلب وتخلص بعضهم عن هذا الاشكال ان هذا من خصايصه (ص) ولا يجب للانسان التأسى به فى هذا والوجه ما ذكرناه من عدم دلالة الاية وعدم سوقها لذلك .

والايات التى توهم منافاتها لوجوب الطلب كلها من هذا القبيل وليس فيها

ما يدل ان الرزق على نحو الكرامة والغاء التكسب والطلب مثل قوله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » الى آخر الايات التى استدل بها على ذلك فتحصل ان الاية الكريمة وما فى سياقها كلها واردة بالوعد والتكفل على مجارى العادة والطبيعة وان امر اهله بالصلوة والقيام بها والاصطبار عليها ما اريد بها الاعراض عن الطلب والاعتماد بوعدته تعالى من غير طلب كى يتنافى وتعارض بالعمومات الدالة على الطلب ولا احتاج الى القول ان هذا من خصايصه اولا يجب التناسى به فى ذلك .

### الاية الرابعة

قال تعالى : « قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلواتهم خاشعون » (المؤمنون آية ٢) . الفلاح: الفرز والظفر بالامانى والامال قوله تعالى « المؤمنون » الايمان هو الازعان والتسليم فى مقابل ما عرف وعلم بالله عز وجل وتوحيده ونعوته وكتبه ورسله وهو امر بسيط وحسانى و الاعمال الخارجية الاهم فالاهم شرط لصحتها وقبولها وتمامها .

وقيل : ان الايمان كله عمل والاذعان الذى هو أصل الايمان واساسه من جملة ذلك العمل ايضا وهو أمر مؤتلف ومرتب من الاعمال منبسط ومنبث على القلب والجوارح ولكل واحد منها وظيفة تخص بها غاية الامران عدة مهمة من تلك الاعمال بمنزلة الاركان للايمان والباقية شرط لكماله وتمامه وهذا الوجه الثانى هو الانسب والاقرب بالكتاب والسنة . اذا تقرر ذلك فالنعوت المذكورة للمؤمنين فى هذه الايات الكريمة هل هى من المعارف الحقيقية بناء على شرطية الاعمال أو على جزئيتها بحيث يتوقف ثبوت الايمان وتحققه على تلك النعوت .

واعتمد فى بقية الشروط والاجزاء على الادلة المنفصلة من الايات والروايات كما هو سنة القرآن الكريم فى تحقيق الحقائق أو تلك النعوت سبقت للتقدير من المؤمنين والتشكر من مساعيهم الجميلة ومحامدهم الجليلة والحكم بفلاحهم .

الظاهر : هو الثانى فليس سوق هذه الصفات الكريمة الا للترفيه بشأنهم والفهم بقدر مقامهم لا لتحقيق معنى الايمان وبيان دعائمه واصوله واجزائه او شرائطه . فان جملة من تلك النعوت من المستحبات والتصريح فى آخرها بثوابهم والنيل بكرامات ربهم أصدق شاهد على المدعى .

قوله تعالى « فى صلوتهم » اضاف تعالى الصلوة الى المؤمنين لبيان اختصاصهم بها وقيامهم بحقتها واصطبارهم عليها حين غفل عنها المترفون وأعرض عنها المستكبرون .

قوله تعالى « خاشعون » الخشوع فى الصلوة قلبا وقالبا و روحا وبدنا قد وردت فى روايات كثيرة عن أئمة اهل البيت (ع) وتكلم فيها فقهاهم قدس الله اسرارهم . والاية الكريمة باطلاقها تشمل كثيراً من تلك الفروع المذكورة الخشوع بالقلب و الخشوع بالبصر والخشوع فى النظر . فان لكل من ذلك الذى ذكرنا خشوعا يناسبه قال فى القاموس والخشوع فى الصوت والبصر التذلل والسكون « انتهى » . فالخشوع يتصف به القلب قال تعالى « الم بأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله » الحميد فأدنى الخشوع فى القلب احساس الحاجة والافتقار الى الله سبحانه والشعور و الاستشعار بعظمته بحيث يجتمع فيه الرغبة والرغبة والخوف والطمع ويتصف به الصوت . قال تعالى « وخشعت الاصوات للرحمان فلا تسمع الا همسا » ( طه ١٠٧ ) فالخشوع فى الصوت غضة مقابل الاجهار والخشونة به كما نصت به الايات الكريمة فى أدب المكالمة مع رسول الله (ص) .

قال تعالى : « ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » - الاية (الحجرات ٤) ويتصف به البصر قال تعالى : « خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة » (القلم ٤٣) . قال « خشعا ابصارهم » (القمر ٧) .

فالخشوع فى البصر غضة فى مقابل رفعه روى فى كنز العرفان مرسلان كان رسول الله (ص) يصلى رافعا نظره الى السماء فلما نزلت التزم ببصره الى موضع سجوده وفى معناه روايات اخرى عن اهل البيت (ع) فى الوسائل عن الكافى مسنداً

عن زرارة عن ابي جعفر (ع) الى ان قال «و اخشع ببصرك ولا ترفعه الى السماء وليكن حذاء وجهك موضع سجودك» .

وقد توهم بعض المفسرين ان المراد من الغض هو الغمض اى اطباق الاجفان قال : وفيما ذكر من غض البصر مطلقاً تأمل او المستحب النظر الى موضع السجود حال القيام « انتهى » .

اقول : لا ريب فى استحباب الغض مطلقاً فى حال الصلوة ولا ينافى النظر ايضاً كما هو مقتضى بعض الاطلاقات .

نعم ربما يتوهم المنافات بين رواية حماد عن الصادق (ع) المصرحة بغمض العين وبين رواية زرارة فى الوسائل عن الكافى عن زرارة عن ابي جعفر فى باب كيفية الصلوة الى أن قال : وليكن نظرك الى ما بين قدميك الحديث وقد حمل الشيخ الغمض على الغض وفى القاموس انغماض الطرف انغماضه وحمل الاردبيلى الروائين على الاستحباب التخييرى .

اقول فبناء على ما ذكره القاموس ان المراد من الغمض هو الغض يرتفع المنافات بين رواية حماد الامرة بالغمض والمطلقات المصرحة بالنظر و يصح ما ذكره الشيخ (قده) ان المراد من الغمض هو الغض ويؤيده ايضاً فتوى الاعلام فى ما رأيناه من كلماتهم بما يستفاد من رواية زرارة من عدم الغمض والله العالم .

النوع الثانى فى دلائل الصلوات الخمس و اوقاتها وفيها آيات

### الاية الاولى

قال تعالى : « اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » ( الاسراء ٧٨ ) « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محمودا (٧٩) .

قوله تعالى : اقم الصلوة - الى آخره - اقامة الصلوة لادائها على صورتها التى وردت لها بل ادائها مع التحفظ لحدودها و شروطها و اركانها والتجنب عن

تضييعها والاستخفاف بشأنها و امرها للفرق الواضح بين قولهم انك أقمّت الصلوة و يقيمون الصلوة و بين قولهم صليت و يصلون وقد استعمل التعبير الاول فى مقام التكريم والمدح مثل قوله تعالى : « لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة » . . الاية (البقرة ٣) . قال الشيخ عبده فى المنار فى تفسير المقام فاذا اختلفت صورة الصلوة عن هذا المعنى لم يصدق على انه قسام الصلوة فانه قد هدمها باخلائها عن عمادها وقتلها بسلبها روحها « انتهى » .

وفى الوسائل عن السرائر مستنداً عن بريد العجلي قال قلت لابي جعفر ايهما افضل فى الصلوة كثرة القرآن او طول اللبث فى الركوع والسجود فى الصلوة فقال : كثرة اللبث فى الركوع والسجود فى الصلوة افضل اما تسمع لقول الله عز وجل فاقروا ما تيسر منه واقموا الصلاة انما عنى باقامة الصلوة طول اللبث فى الركوع والسجود « الحديث » .

قوله تعالى : « لدلوك الشمس » - الى آخره - الدلوك الزوال والميل وهذا معنى شامل لجميع افراد الميل والزوال سواء كان عن وسط السماء او عن افقها وقد اختلف فى تحقيق معنى دلوك الشمس سيما عند قدماء المفسرين من العامة وقد فسره بعض منهم بغروب الشمس واستدل الجصاص على ذلك بأن الغاية هو غسق الليل وهى لا تلائم الظهر لو كان الدلوك هو الزوال لعدم الارتباط بينه وبين غسق الليل الذى هى الغاية لكون العصر فاصلة بين المبدأ والمنتهى ، « انتهى » . فكان الانسب ان يكون المبدأ لغسق الليل اول الليل لا الظهر فتعين ان الاية مسوقة لبيان فريضة المغرب والعشاء .

اقول : سيجىء بيان وهن هذا القول و ضعف الاستدلال به وعن ابن عباس وابن عمر فى احد قوليه ان المراد من الدلوك هو زوال الشمس من وسط السماء واطبقت على ذلك روايات اهل البيت .

الاولى بطور البحث فى المقام ان الاية الكريمة هل سيقّت لبيان اوقات الفرائض على التفصيل المقرر فى بابها او هى ساكتة من هذا المعنى و مسوقة لبيان

الحد الاول والاخر وساكنة عما سواهما من الحدود والشرائط وقد توهم القوم ان الاية لبيان اوقات الفرائض و تكلفوا فى استظهار ذلك واستنباطه من الاية واصروا على ذلك والحال ان ذلك ليس مستنداً الى ظاهر آية ولا معتمداً الى قرينة واستنباط وانما هو تفسير بالرأى وهذا منشأ الاشتباه وسر اختلاف الاقوال .

فلايستفاد من الاية الا ان الحد الاول هو الدلوك والاخر الغسق فعليه تكون الاية غير معترضة لتفصيل الاوقات لا تفصيلا ولا اجمالا فسقط ما ذكره من الاقوال ويبطل ما ذكره الجصاص من ان المراد من دلوك الشمس غروبها فان القضية حقيقية والنوع البارز الاول زمانا وأجلى حقيقة هو الدلوك عن وسط السماء فلا يبقى لشمولها للدلوك الغربى مجال ضرورة ان هذا متوقف على ان الاية لبيان تفصيل الاوقات ولا شاهد ولا دليل لهذه الدعوى على ان اطلاق الدلوك على الغروب لا يخفى مافيه من التكلف فان الظاهر من الدلوك هو الزوال والميل مع بقاء اصل التجلى والشروق واما الغروب فانه من مصاديق الافول والسقوط والغيبة .

قال الرازى : ما ملخصه قال اهل اللغة : معنى الدلوك فى كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس اذا زالت او افلت دالكة هكذا قاله الازهرى الى ان قال وجب ان يكون المراد من الدلوك هيهنا الزوال من كبد السماء وذلك لانه تعالى علق اقامة الصلوة بالدلوك والدلوك عبارة عن الميل والزوال وعندما حصل الزوال وجب ان يتعلق به وجوب الصلوة وذلك يدل على ان المراد من الدلوك فى هذه الاية ميلها عن كبد السماء وهذه حجة قوية فى هذا الباب استنبطتها بناء على ما اتفق عليه اهل اللغة ان الدلوك عبارة عن الميل والزوال والله العالم انتهى .

اقول: يحتاج تتميم هذا الاستدلال الى ما ذكرنا من كون القضية حقيقية وسكوت الاية عن تفصيل الاوقات وبعبارة اخرى ان دلوك الشمس هو الحد الاول لايجاب الصلوات فيستحيل ان يكون المراد كل دلوك على نحو العموم اذ لا يجب عند كل واحد من دلوك الشمس وميلها عن محلها صلوات فتتخصص بالنوع الخاص من الدلوك اى ما كان الاول زمانا بالنسبة الى الغروب واجلى مفادا او حقيقة منه وحيث ان القضية



حقيقية فيتحقق حد الوجوب ويستقر الوجوب بتحقق الحد والشرط سواء قلنا: ان الغروب من مصاديق الدلوك ام لا وغاية ما يقال ان نلتزم ان تعيين الدلوك الذى هو الحد الاول يحتاج الى البيان المنفصل من الشارع .

عن زرارة فى رواية عن الباقر (ع) فى قوله تعالى « أقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل » قال : زوالها غسق الليل نصف الليل وذلك اربع صلوات وضعهن رسول الله ووقتهن للناس الحديث .

وفى قلائد الدرر فى الحسن عن زرارة قال : كنت قاعداً عند ابى عبد الله (ع) فقال له حمران ماتقول فيما يقول زرارة وقد خالفته فيه فقال ابو عبد الله (ع) ما هو قال : يزعم ان مواقيت الصلوات كانت مفوضة الى رسول الله هو الذى وضعها فقال ابو عبد الله فما تقول انت ؟ قلت : ان جبرئيل اتاها فى اليوم الاول بالوقت الاول وفى اليوم الاخير بالوقت الاخير ثم قال جبرئيل ما بينهما وقت فقال ابو عبد الله يا حمران ان زرارة يقول ان جبرئيل انما جاء مبشراً الى رسول الله وصدق زرارة انما جعله الله ذلك الى محمد فوضعه وأشار جبرئيل به عليه ويشهد على ذلك ما فى تفسير العياشى .

اقول : يظهر من الحديثين ان المواقيت اوحى اليه (ص) من غير طريق القرآن وان تفصيل المواقيت لا بد ان يطلب من السنن . ولا ينافى ذلك ما فى مفاد بعض الروايات ان الله بين اوقات الفرائض فانه تعالى قد بينها بلسان نبيه ولا ينافى ذلك ذيل الحديث لعدم المنافات بين التفويض اليه (ص) واشارة جبرئيل (ع) الى ذلك ايضا قوله تعالى : « الى غسق الليل » غاية لوجوب اقامة الصلوات وظاهاها عدم تشريع الصلوات بعد الغسق الا انه فى معرض التقييد بالنسبة الى بعض انواع المكلفين .

والغسق قيل : ظهور الظلمة وقيل سقوط الشفق وقيل انتصاف الليل وحيث ان الغسق غاية لوجوب الصلوات فعند من يرى ان الغسق ظهور الظلمة وهو اول المغرب الشرعى تكون الاية غير شاملة لصلوة المغرب فما ابعد بين هذا القول وبين

القول بأن دلوك الشمس غروبها .

واما القولين : اى سقوط الشفق وانتصاف الليل فلا مانع من شمول الغسق لكليهما الا انه ورد تخصيصه بحسب السنن الكثيرة بانتصاف الليل وهو آخر وقتها وعند تراكم الظلمة و اشتدادها فعن الازهرى يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وغسقت الجراحة اذا امتلات دمعا وغسقت الجراحة اذا امتلات دمعا انتهى .

قوله تعالى : « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً » .

قوله تعالى : « وقرآن الفجر » عطف على قوله للصلوة اى اقم قرآن الفجر وفيه ايماء ان الصلوة المعطوف عليها هى صلوة دلوك الشمس وهو صلوة الظهر وهى القدر المتيقن من الصلوة الواجبة بحسب هذه الاية الكريمة .

وقال فى القلائد ايضا : ان افراد قرآن الفجر بالذكر فيه ايماء الى الحصر والتحديد وان الصلوة الواجبة كلها مفروضة الى غسق الليل وهذه المدة من اولها الى آخرها مضروبة عليها وقرآن الفجر بعد الفجر خانمة تلك الفرائض .

وقال البيضاوى ما ملخصه ان الاية نص فى وجوب القراءة فى صلوة الفجر وفى غيرها بالقياس ايضا قال وفى تسمية صلوة الفجر قرآنا دلالة على ركنية القراءة ورد بأن تسمية الشئ باسم جزءه و تعلق الامر به بهذا العنوان لا دلالة فيها على وجوب ذلك الجزء فانه قد يعبر عن الصلوة بالقنوت وعن المصلين بالقانتين مع كونه جزء مستحبا فى الصلوة ومنه يعلم وهن ما استظهر البيضاوى ركنية القراءة . اقول : لا يخفى ضعف ما ذكره البيضاوى الا ان النقص غير وارد عليه فان تسمية الصلوة قنوتا ليست باعتبار الجزء المندوب وهو القنوت المصطلح بل الصلوة حيث انها عبارة عن التوجه والانتقطاع الى الله سبحانه فالصلوة نفسها من افراد القنوت .

قال فى القاموس : القنوت بالضم الطاعة والسكوت والدعاء انتهى . ولا يخفى

ان تفسير قرآن الفجر بصلوة الصبح انما هو بحسب الروايات والسنن الواردة فيها لامن حيث ظهور الاية وتنصيبها بها .

قوله تعالى : «ان قرآن الفجر كان مشهوداً» اى يشهدها ويحضرها المسلمون وملائكة الليل وملائكة النهار ففى روايات اهل البيت (ع) ان ملائكة الليل تحضر صلوة رسول الله قبل عروجها وملائكة النهار تحضرها بعد نزولها وذكر الفخر الرازى ان ملائكة الليل والنهار تحضر صلوة الامام فى صلوة الصبح وذكر فى فى تفسير الاية وجوها عرفانيا لادليل لها ولاعتماد بها .

### بيان

قوله تعالى «ومن الليل» اى بعضها منها قوله تعالى «فتهجد به» اى بالقرآن وفى القاموس الهجود النوم الى ان قال هجده فتهجد يقظه ونومه «انتهى» .  
اقول : قد امر الله تعالى رسوله ان يسهر بعضاً من ليله بقراءة القرآن وهو مطلق سواء كان التهجد بالقرآن فى الصلوة او فى غيره من حالاته .  
قوله تعالى : « نافلة لك » قال فى القاموس : النافلة الغنيمة والعطية ومايفعله ما لم يجب انتهى .

اقول : تفسير النافلة والعطية هو أظهر لمكان تعديتها باللام اى ان قيامه (ص) بالليل وانقطاعه الى الله اعظم غنيمة وموضع عطية كريمة من الله سبحانه .  
قال فى المجمع ج ٦ ص ٤٣٤ اى زيادة لك على الفرائض وذلك ان صلوة الليل كانت فريضة على النبي (ص) انتهى . اقول لو كان المراد من النافلة الزيادة لكان حق التعبير زيادة عليك .

وقوله تعالى «فتهجد به نافلة» الاية فيه وجهان الاول : انه أمر من الله سبحانه الى رسوله واطلاق الامر يقتضى وجوب التهجد عليه وحيث ان ظاهر الاية اختصاص الخطاب بدون غيره فلامحالة يكون الواجب مختصاً به (ص) ويؤيد هذا الوجه ذيل الاية عسى ان يبعثك ربك الاية على ماسياتى من البيان .

الثانى: ان صدر الاية وهو قوله « اقم الصلوة » ظاهر فى بيان اوقات الصلوة على نحو الكلى وعلى نحو القضية الحقيقية لكل من جمع شرائط التكليف وقوله

تعالى و من الليل فتهجد و ارد في هذا السياق و ظاهرة في افادة عموم الحكم على عموم المكلفين و اما وجوب النافلة على رسول الله (ص) فانما استفيد من الادلة الاخرى لامن هذه الاية و لولا قيام القرائن المنفصلة على ان الامر بالتهجد ندبى لكان مدلول الاية هو الوجوب مثل قوله اقم الصلوة في اول الاية .

قوله : « عسى » الاية في مرحلة التعليل و التفرير لقوله تعالى « اقم الصلوة » و قوله تعالى « فتهجد » . و للاخير فقط كما ذكرنا و الظاهر ان قوله عسى يفيد الرجاء و الترجى و واضح ان رجائه تعالى شيئاً لغيره ليس كرجاء غيره شيئاً لنفسه و لغيره بل رجائه تعالى شيئاً لغيره هو عين وعده الجميل وهو سبحانه صادق الوعد و افي القول فلا يخلف الميعاد البتة قال في المجمع ج ٦ ص ٤٣٤ عسى من الله و اجبة انتهى .

اقول : و التعبير الاحسن ما ذكرناه فان التعبير بالواجب بالنسبة اليه تعالى لا يخلو عن المناقشة . قوله تعالى : « عسى ان يبعثك » الاية البعث من الالفاظ الشائعة في الكتاب و السنة فقد استعمل في موارد الامور الحسية كما في بعث الجنود و الجيوش و نظائرها في الامور المعنوية القدسية قال تعالى فبعث النبيين مبشرين و منذرين الاية (البقرة / ٢١٤) و غيرها من الايات .

و المراد في المقام هو المعنى الثاني فاذنه تعالى لرسوله و تمليكه هذا المنصب الخطير و تمكينه (ص) منه بحسب عطاءه سبحانه هو عين بعثه تعالى اياه (ص) المقام المحمود و هو عين تشريفه تعالى رسوله بهذه الموهبة الكبيرة و معنى كون المقام محموداً أى كونه حسناً جميلاً مرضياً و منزهاً عن كل نقص و عيب كما اوضحنا سابقاً ان مرجع الحمد بحسب التحليل الى التنزيه و التقديس فهذا المقام مرضى و محمود على الاطلاق بحسب الواقع و عند الله سبحانه و كذلك عند المخلائق و اهل الجمع اجمعين الولى و العدو اما اوليائه العارفون بشأنه (ص) يرونه و يشاهدونه بهذا الجلال و البهاء فتصير معرفتهم عياناً و يقينهم شهادة فيحمدون مقامه (ص) حق التحميد و اما

اعدائه المتكبرون الحاسدون فيظهر لهم من عظمته و جلالته بضرورة العيان ما لا يقدر على دفعه و كتمانته وعلى انكار كون هذا المقام محموداً .

اقول : الاية الكريمة وان لم تكن ناصة بهذا المعنى فى تفسير المقام المحمود الا ان الروايات من طرق الخاصة والعامة كافية فى تفسيرها بالشفاعة وقد روى فى البرهان ج ٢ ص ٢٢٠ عدة كافية عن أئمة اهل البيت عليهم السلام من أرادها فليراجعها .

وفى تفسير الرازى ج ٢١ ص ٣٠ قال بعد استظهار هذا المعنى الذى ذكرناه من الاية ولما ثبت ان لفظ الاية مشعر به اشعاراً قويا ووردت الاخبار الصحيحة فى تقرير هذا المعنى وجب حمل اللفظ عليه انتهى .

وفى المجمع ج ٦ ص ٢٣٥ قد اجمع المفسرون على ان المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفه ويستجمع تحته الانبياء فيكون (ص) اول شافع اول مشفع .

### بحث وتحليل

الشفاعة : مأخوذ من الشفع وهو ما يقابل التوتر فى القاموس خلاف التوتر: وشفعت فى الاشباح بالضم لضعف بصرى وانتشاره .

أقول : وكان السائل مع ما فيه من الاصرار والالاحاح فى انجاح مقصده ومرامه يضم الى نفسه من يعينه ويعضده فى الالتماس والالتجاء من كان أكرم وأوجه منه عند المشفوع .

وقد استشكل فى تفسير المنار فى معنى الشفاعة وامكان تحققها خارجا وقال فى القرآن آيات ناطقة بنفى الشفاعة مطلقاً كقوله تعالى فى وصف يوم القيامة « لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » واخرى بنفى منفعة الشفاعة كقوله تعالى « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » الى ان قال وليس فى القرآن نص قطعى فى وقوع الشفاعة ولكن ورد الحديث به « انتهى » ملخصاً . قال الشيخ عبده فما ورد فى اثبات الشفاعة على هذا

يكون من المتشابهات فمذهب السلف التعبد بمفادها وعدم الفحص عن حقيقتها ومذهب الخلف انها دعاء يستجيبها الله تعالى انتهى ملخصا. ونقل هذا عن ابن تيمية وغيره ولم يعدوه تأويلا .

اقول : لا يخفى عند اولى الالباب ان تفرده وتوحده سبحانه فى جميع شؤون الوهيته وربوبيته يقضى ويحكم ان امر المخلوق وجميع ما يرجع اليه من شأن التكوين والتشريع ملك طلق له تبارك وتعالى ازلا وأبدأ فى الدنيا والاخرة ويكون ظهور تلك المالكية فى الاخرة اظهر وأجلى لابطال الاختيارات ورجوع الامانات من القدرة والثروة والسلطة والنعمة الى مالكيها وواهبها الملك الحق القيوم فعنت اليوم له الوجوه وخشعت له الاصوات مطيعين مقنعين رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء . اذا تقرر ذلك فالآيات المتعرضة بأمر الشفاعة منها ما تدل على ان اليوم انقطعت عنهم الاسباب وتقطعت عنهم الحيل والتناصر بينهم لا بيع ولا خله ولا شفاعة ولا نصرة ولا فداء .

قال تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون » (البقرة ٤٨) وفى سياقها آيات اخرى . ومنها ما تدل على مالكيته تعالى لامر الشفاعة وتوحده سبحانه فيها قال تعالى « قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض » (الزمر ٤٤) .

ومنها : ما تدل على ابطال الشركاء والاضداد والانداد والاصنام والاعتماد والاتكاف على شفاعتهم مع النعرض والتحديد بمن قال بالشفعاء من دون الله وبالشركاء مع الله قال تعالى « وتركتهم ما حولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاء كم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع عنكم و ضل عنكم ما كنتم تزعمون » (انعام ٩٤) .

لا يخفى ، ان هذه الطوائف الثلاثة من الايات رما يجرى مجراها خارجة عن حريم البحث وغير ناهضة لنفى الشفاعة بمعنى نفى اذنه تعالى او استحالة اذنه تعالى لاحد من عباده المقربين ان يشفع فى من اذن له بالشفاعة .

ضرورة ان نفى التناصر والتعاضد والخلة والفداء وانقطاع الاسباب والحيل  
حق الكفار يوم القيامة و ظهور سطواته على اعدائه و ذلتهم و هوانهم فى ذلك  
اليوم كما هو مفاد بعض هذه الايات او التحفظ على اصول التوحيد من مالكيته تعالى  
لامر الشفاعة و لجمع شؤن الخلق تشريعاً وتكويناً فى الدنيا و الاخرة او تبيح  
عقائد المشركين من عبادة الاصنام من دون الله وجعلها شفعاء من دون الله ومن دون  
اذنه بالاستقلال لامساس لهذه الايات الطوائف الثلاثة لامر الشفاعة بالله وبأمره  
نفياً واثباتاً وامكاناً واستحالة وها انا اتلو عليك من الايات الدالة على الشفاعة .

### الآية الاولى

قال تعالى : « قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول  
وهم بأمره يعملون » « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم  
من خشيته مشفقون » - الانبياء ٢٨ .

اقول : قوله تعالى « لا يشفعون » نفى على الاطلاق اى لا يشفعون لاحد من  
الخلق وقوله تعالى : « الا لمن ارتضى » استثناء من النفى المذكور و ضرورى ان  
الاستثناء من النفى اثبات لشيء من الامر المنفى وقوله تعالى « لمن ارتضى » مفعول  
اى يشفعون لمن ارتضى والمعنى ان هؤلاء المقربون يشفعون لمن ارتضى الله - فى  
المجمع عن مجاهد قال الا لمن رضى الله عنه « انتهى » .

وفى البرهان ج ٤ ص ٥٧ عن الصدوق باسناده عن حسين بن خالد قال الى  
ان قال قلت للرضا ( ع ) يابن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل « لمن ارتضى »  
قال لا يشفعون الا لمن ارتضى الله دينه .

اقول : الدين المرضى عند الله سبحانه هو الاسلام وهو الدين الذى ارتضاه  
الله تعالى لاجبائه وانبيائه ديناً .

### الاية الثانية

قال تعالى : « وكم من ملك فى السماوات و الارض لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى » ( النجم ٢٦ ) أقول: وتقريب الاستدلال كما فى الاية السابقة اى يشفعون لمن يشاء الله و يرضى دينه و الحصر المستفاد من قوله الا فى الايتين متوجه الى المشفوع له وهو من كان له دين مرضى عند الله سبحانه.

### الاية الثالثة

قال تعالى : « يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا » طه ١٠٩ .  
اقول : وجه الاستدلال واضح اى تنفع الشفاعة لمن اذن فى الشفاعة له و الحصر المذكور لقوله الا من حيث الانتفاع بالشفاعة متوجه الى المشفوع له بشرط الاذن و المشية من الله و ان يكون له دين مرضى عند الله فان الظاهر من القول المرضى هو الدين المرضى عند الله سبحانه التوحيد الخالص و ما يستلزمه من العقائد الحققة و قد اطلق القول على الدين و الايمان قال تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة » الاية (ابراهيم) .

وفى الاية وجه آخر وهو ان يكون المنفى نفى شفاعته الشفعاء و الحصر بقوله الا لمن بالنسبة الى الشفعاء والمعنى لاتنفع شفاعته احد من الشفعاء الا شفاعته من اذن له فى الشفاعة قال فى الجوامع ص ٢٨٦ (من) يجوز فيه الرفع والنصب فالرفع على البديل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اى لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له رضى به لاجله « انتهى » .

اقول: وعلى كلا الاحتمالين سواء كان الاذن للشافعين او للمشفوعين لا كلام فى ان الاية نص فى ثبوت الاذن للشفاعة من الله سبحانه .



### الاية الرابعة

قال تعالى : «ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً»- «لايملكون الشفاعة الامن  
اتخذ عند الرحمن عهداً» مريم ٨٧ بيان - الضمير فى قوله تعالى : « لا يملكون »  
راجع الى المجرمين اى ان المجرمين لا يملكون نبيل الشفاعة والاستفاعة من شفاعة  
الشافعين وقوله الا لمن اتخذ . . الاية ، الاستثناء منقطع اى ان الذين اتخذوا عند  
الله سبحانه عهداً فلهم حظ من شفاعة الشافعين فالحصر متوجه الى المشفوع لهم .  
ويمكن أن يقال : ان المجرمين لا يملكون الشفاعة لاحد فلا يقبل ولا ينفذ  
شهادتهم فى حق الغير كائناً من كان فالاستثناء منقطع والحصر متوجه الى الشافعين  
فينحصر تمليك حق الشفاعة للذين لهم عهد عند الله سبحانه .  
ويمكن ان يقال بالاطلاق فى قوله لا يملكون اى ليس للمجرمين حق الشفاعة  
لاحد فلا ينفذ ولا يقبل شفاعتهم ولا يقبل شفاعة احد فى حقهم فلا يشفعون ولا تنفع  
لهم والاستثناء منقطع فالذين لهم عهد الله يشفعون ويشفعون و الاظهر هو المعنى  
الاول وعلى جميع الوجوه فالاية صريحة فى اثبات الاذن من الله سبحانه فى شفاعة  
المذنبين من اهل التوحيد .

### الاية الخامسة

قال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى  
السموات ولا فى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة  
عنده الا لمن اذن له » . . . الاية (سبأ) ٢٣ .  
بيان- قوله تعالى «وما له منهم من ظهير» اى ان الله سبحانه اعلى واجل من  
ان يكون له معاون ووزير وظهير من خلقه فى شىء فى شؤون الهية وفى افعاله وفى  
سنته وقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده .  
اقول : قد اضطربت كلمات المفسرين فى تفسير المقام فان قوله تعالى لا تنفع

متعد بنفسه ولا يصح تعليق اللام فى قوله ... لمن اذن له به، واحسن ما قيل فى تأويله ما ذكره فى جوامع ( ص ٢٨٢ ) قال لا ينفع الشفاعة الاكائنة لمن اذن له انتهى .  
اقول: اى لمن اذن الله سبحانه ان يشفع شافعون فى حقه فالحصر متوجه الى المشفوع له والاستثناء من النفى المطلق صريح فى اثبات نفع الشفاعة لمن اذن تعالى ان يشفع الشافعون له فقط .

### الاية السادسة

قال تعالى : « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون » ( زخرف ٨٤ ) بيان- الالهة التى تعبد وتعظم من دون الله على قسمين الاول: ما لا يعقل ولا يشعر ان الكفار يعبدونها من دون الله .

الثانى : من يعقل ويدرك ان الكفار يعبدونهم من دون الله ويرضى بذلك مثل بعض الفراعنة و الجبابرة يدعون الناس الى عبادتهم قال تعالى حكاية عن فرعون لئن اتخذت الهاً غيرى لاجعلنك من المسجونين .

فلاريب ان العابد والمعبود كلاهما فى النار قال الله تعالى « انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون » ( الانبياء ٩٨ ) ومنهم من يشعر بذلك ولا يرضى به ويتبرء منهم ومن عبادتهم وينكر ذلك عليهم اشد الانكار ولا تنتقص بذلك منزلتهم عند الله مثل عيسى بن مريم وغيره من المقربين فانهم يهون الكفار واهل الغلو فيهم عن عبادتهم كما يهونهم عن عبادة الاصنام .

قال الله تعالى : « واذا قال الله يا عيسى بن مريم ائت قلى للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيدا » ( المائدة ١١٧ ) .  
فهذه الايات الكريمة تنزيه لساحة عيسى الصديق عما الحد فيه النصارى

وشهادة منه سبحانه على قرب منزلته عند الله وقوله تعالى « وكنت عليهم شهيدا ، الاية فالظاهر ان المراد بالشهادة فى هذه الاية ونظائرها فى القرآن هو العلم عن عيان واحاطة فهؤلاء الاعاظم المقربون يسمون شهيدا باعتبار مقام التحمل وبلحاظ احاطتهم وعيانهم مورد الشهادة اى اعمال العباد ويسمون شهيدا وشاهداً باعتبار مقام الاداء فى موقف القضاء فيشهدون بالحق والصدق فى موطن القضاء طبق ما عرفوا وعانوا من ذنوب المجرمين وحسنات المحسنين فعلى عهدة المفسر التفكيك بين المقامين والتحفظ على كلا المعنيين وعدم خلط احدهما بالآخر .

قال تعالى « وكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » النساء - ٤١ وغيرها من الايات .

فتحصل فى المقام ان قوله تعالى : « الا من شهد بالحق وهم يعلمون » استثناء من قوله تعالى : « ولا يملك الذين » الاية وضرورى ان الاستثناء من النفى المطلق اثبات لشيء من الامر المنفى فالاية الكريمة صريحة فى اثبات الشفاعة اى شفاعة الذين اكرمهم الله وايدهم بروح القدس وافاض عليهم من العلم من يشهدون من اعمال العباد فى الدنيا ويشهدون لهم اوعليهم فى الآخرة فهؤلاء شفاعة دار البقاء وشهداء دار الفناء .

وحيث ان الاية فى ابطال مقالة المشركين من شفاعة ما يدعون من دون الله فالحصر متوجه الى الشافعين دون المشفوعين .

قال فى المجمع ج ٩ ص ٥٩ وقيل : معناه لا يملك من الملائكة وغيرها الشفاعة الا من شهد بالحق اى يشهد ان لا اله الا الله انتهى .

اقول : لا يخفى ضعفه بعد الاحاطة بما ذكرناه وكذلك ضعف ما يقال فى تفسير قوله تعالى « يعلمون » اى يعلمون بقلوبهم ما يشهدون بألسنتهم وفى هذا دلالة على ان حقيقة الايمان هو الاعتقاد بالقلب والمعرفة انتهى .

اقول : وجه الضعف فى الاول ان فيه توجه الحصر الى المشفوعين اى ان هذه الالهة لا يملكون الشفاعة للمشركين الذين يعبدونها من دون الله وانما يملكون الشفاعة

للمؤمنين الموحدين فقط وهذا كما ترى خلاف صريح السياق على ما عرفت ان الاية فى مقام ابطال مقالة المشركين من اثبات حق الشفاعة لاصنامهم وآلهتهم وحصر الشفاعة بعباد الله المقربين الذين الحدوا بعباداتهم الغالون .

ووجه الضعف فى الثانى ان قوله « يعلمون ويشهدون » ان كان مراد القائل ان ضمير الفاعل فى ( يعلمون و يشهدون ) راجع الى الشافعين كما هو الظاهر فيلزم منه اشتراط الاسلام وعدم النفاق فى الشافعين وهو كما ترى يشمل المسلم المذنب ايضا وثانياً ان قوله : بالحق ليس مفعولاً لقوله شهد كما توهمه القائل وانما هو من نعوت الشهادة ومتعلق به اى من شهد شهادة حقة صادقة فى مقابل شهادة الكذب والباطل .

فى تفسير العياشى ج ١ ص ٣٥١ عن ثعلبة بن ميمون عن بعض اصحابنا عن ابي جعفر (ع) فى قول الله تبارك وتعالى لعيسى « أنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله » - قال لم يقله وسيقوله ان الله اذا علم ان شيئاً كائن أخبر عنه خبر ما قد كان وفى مضمونها رواية سليمان بن خالد عن الصادق (ع) .

### الاية السابعة

قال تعالى : « يا اباانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم » يوسف (٩٨) .

اقول : قد استشفع اولاد يعقوب من ابيهم ان يستغفر لهم من ربهم وهذا نص على جواز الاستشفاع من الغير ومعنى شفاعته فى حق المستشفع مع الشرائط التى نشير اليها فى طى الابحاث انشاء الله .

وفى البرهان ج ٢ عن الفقيه مسنداً عن محمد بن مسلم عن ابي عبدالله (ع) قال فى قول يعقوب لبنيه « سوف استغفر لكم ربى » قال آخرهم الى السحر من ليلة الجمعة .

### الاية الثامنة

قال تعالى : ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً « النساء - ٦٤ .

### بيان

قد حث الله سبحانه الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي على الاستغفار من الله تعالى لذنوبهم صغائرها وكبائرها وهذا ليس حكماً مولوياً تأسيسياً وانما هو تذكير وارشاد الى ماتدرکه بداهة العقول من الرجوع اليه تعالى و الاعتذار منه جل ثنائه فيما تجاسروا في ساحته وهذا الاعتذار وتأكد وجوبه انما يتفاوت حسب مراتب معارف الناس لمقام الرب ودرك احترامه وتعظيم شأنه سبحانه ثم حثهم الله على المجيء والتشرف بحضور رسوله (ص) والاستشفاع عنه (ص) وان يستغفر لهم عند الله من ذنوبهم، ولا يخفى ان الاستكشاف عن الحضور والاباء عن المجيء استكبار على الله سبحانه واستخفاف بشأن رسوله وصفيه كما استكبر ابليس عنه ورد عليه تعالى ما أمر به من تكريم آدم واستخف بشأن آدم وبمقام كرامته عند الله قال تعالى حكاية «عن ابليس لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال» الاية الحجر ٣٣. ولا يخفى ان الاية الكريمة نص على اذنه تعالى لرسوله (ص) في الشفاعة . وفيها دلالة على قبول شفاعته واجابة دعوته وفيها شهادة على كرامته تعالى عليه (ص) وقربه ومكانته عند الله سبحانه .

في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه القمي ص ١٥ باسناده عن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال : اذا دخلت المدينة فاغتسل قبل ان تدخلها او حين تريد ان تدخلها ثم تأتي قبر النبي (ص) فسلم على رسول الله (ص) وساق الزيارة والدعاء الى ان قال : اللهم انك قلت « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » واني جئت نبيك مستغفراً تائباً من

ذنوبى وانى اتوجه اليك بنبيك نبى الرحمة محمد(ص) يامحمد انى اتوجه الى الله ربي وربك ليغفر لى ذنوبى « الحديث .

### الاية التاسعة

قال تعالى: «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم»(٧) «ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم» (٨) وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم «الغافر» (٩) .  
فى البحار ج ٥٨ ص ٢٩ مسنداً عن ابن ابي عمير عن ابي عبد الله (ع) فى حديث قال : الى ان قال - والعرش هو العلم الذى لا يقدر احد قدره .

اقول: تحقيق معنى العرش خارج عن محل الكلام وخلاصة القول فيه بحسب الروايات الواردة فى تفسيره ان العرش هو العلم والذين يحملونه هم العلماء الواجدون اياه وهؤلاء العلماء على ما يستفاد من بعض الروايات عدة من اعظم الانبياء والائمة الصديقين من آل الرسول (ص) ومن الملائكة المقربين على تفصيل مو كول الى محله .

قوله تعالى : « يسبحون بحمد ربهم » - اقول : تسبيحه تعالى هو تنزيهه سبحانه عن كل ما لا يليق بجنابه من الضد والشريك والوزير وغير ذلك من العيوب والنقائص الموجودة فى خلقه من حيث ذاته ونعوته وافعاله فالتسبيح بالحمد من اجل انواع تسبيحه تعالى ونوع خاص بارزمنه، توضيح ذلك ان الحمد ليس كما يقال هو الثناء على الجميل الاختيارى فقط من ذوى العقول بل هو الثناء على كل جميل ذاتيا كان او وصفيا او فعليا ومعناه بالفارسية بمعناه الاسم المصدرى (ستودكى وپسنديده كى) .

قال فى القاموس ص ١٢٠ : الحمد الشكر والرضا - الى ان قال - وحمده

كسمعه الى ان قال وفلانا رضى فعله ومذهبه انتهى. فقوله رضى فعله ومذهبه عبارة عن عدم نقص وعيب فيه بحيث صار مورد الرضا قال السيد قدس سره في كتابه رياض السالكين ص ٣٢ فى شرحه على الصحيفة المباركة السجادية فى تفسير قوله (ص) الحمد لله الاول بلاول الدعاء؟! الى ان قال ان الحمد هو الثناء على ذى علم بكماله ذاتياً كان كوجوب الوجود و الانصاف بالكمالات و التنزه عن النقائص او وصفا ككون صفاته كاملة واجبة او فعليا ككون افعاله مشتملة على الحكمة « انتهى » .

اذا تقرر ذلك فنقول قد سمي الله سبحانه فى كتابه الكريم بأنه حميد فى غير واحد من الايات فهو سبحانه حميد على الاطلاق من حيث ذاته وصفاته و افعاله فلا يتطرق اليه نقص وعيب وآفة و علة فمرجع هذا الثناء بحسب التحليل الى تنزيه الذات الاحدية على الاطلاق وهذا الثناء فى عين كونه تمجيداً وتسبيحاً وتقديساً له تعالى وهذا معنى ما ذكرناه فى صدر البيان ان التسبيح بالحمد من اجل انواع التسبيح نوع بارز وخاص منه .

والايات والادعية والاذكار المأثورة عن أئمة اهل البيت (ع) مشحونة بالتسبيح بالحمد قال تعالى «ونحن نسبح بحمدك» الاية البقرة وفى ذكر الركوع والسجود سبحانه ربي الاعلى وبحمده اى أسبحه بحمده وحيث ان الحمد يفيد تنزيهه تعالى ذاتاً ووصفاً وفعلاً فنحمده تعالى فى جميع افعاله فنحمده تعالى على غضبه وسخطه على اعدائه و انتقامه منهم قال تعالى : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .

اقول : قد اثنى تعالى على نفسه وحمده سبحانه على هلاك الظالمين وقطع اصولهم وكذلك يحمد تعالى على السراء والضراء و على العافية و البلاء لاوليائه لان كلها مطابق للحكمة ، حسن جميل .

قوله تعالى : « ويؤمنون به » - اى هؤلاء المقربين الحاملين لعرش العلم والمستضيئين حوله بنوره والمسبحين لله سبحانه بحمده يؤمنون به تعالى وواضح ان هذا الايمان ليس هو الابتدائى الذى يخرج به الانسان عن حد الكفر الى حريم

الايان بل المراد ايمان من عرف الله ووحده وعظمه وسبحه وخاصة سبحة بحمده .  
قوله تعالى : « ويستغفرون للذين آمنوا » الاية اى يشفعون عند الله سبحانه  
للمذنبين من المؤمنين رافة وحناناً لهم ومنشأ هذه الرافة والحنان هى القرابة الدينية  
والايان بالله وسيأتى مزيد توضيح لذلك انشاء الله ، وتقريب الاستدلال انه تعالى  
ذكر لهؤلاء الافاضل الابرار نعوتاً جليلاً وصفاتاً كريمة من حمل العرش والتسبيح  
والايان بالله وذكر فى عدادها الشفاعة للمؤمنين والتحنن عليهم وفى هذا دلالة على  
ارتضائه تعالى لشفاعتهم وقبوله عنده تعالى .

قوله تعالى « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما » - يحكى تعالى عن هؤلاء  
البررة الكرام انهم يقولون ربنا الخ تمجيد وثناء على الله تعالى بالربوبية عليهم  
وعلى جميع ماسواه .

قوله تعالى : « وسعت » الاية - تمجيد وتعظيم لله بسعة رحمته وعمومها  
وسعة علمه سبحانه ونفوذه كل شىء والتعبير بالفاء فى قوله تعالى فاغفر الاية فى مرحلة  
التفريع بقوله وسعت كل شىء رحمة وعلما فان علمه ورحمته سبحانه وان عمت  
وشملت كل شىء من دون تحديدهما العلم والرحمة لمعلوم دون معلوم ومرحوم دون  
مرحوم الا ان هؤلاء الافاضل المقربين انما أرادوا من تمجيدهم لله سبحانه بسعة  
العلم والرحمة شمول العلم والرحمة مورد سؤالهم اى ادراج مورد الشفاعة فى  
عموم الرحمة والعلم فلا يضيق عن المذنبين فضله ولا تقصر دون المسيئين رحمته  
وقالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فتضرعوا الى الله  
سبحانه فى مغفرتهم ووقايتهم من عذاب الجحيم .

وهناك وجهان آخران الاول : ان رحمته تعالى مبدأ لكل نعمة وبهجة لكل  
محتاج ومنشأ لكل خير وفضل لكل فقير الثانى : ان المراد عدم اختصاص العلم والرحمة  
بمعلوم دون معلوم ومرحوم دون مرحوم .

اقول : الوجهان وان كان كلاهما حقاً فى بابه وفى حد نفسه الا انهما خارجان  
عن مفاد الاية فان الايات الكريمة صدرأ وذيلاً صريحة ان حملة العرش كانت من



سنتهم وسيرتهم الحسنة الاستغفار للمؤمنين والشفاعة في التائبين في غفران الذنوب والتخلص من الجحيم وتقريب الاستدلال بهذه الفقرة من الايات كما ذكرناه في السابقة .

قوله تعالى : « فاعفر للذين تابوا » الاية -

اقول : التوبة بمعنى الرجوع وله اطلاقات بحسب موارد استعماله .  
الاول : - توبته تعالى على اوليائه اى رجوعه تعالى اليهم بكراماته وعواطفه الخاصة قل تعالى « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الاية » التوبة (١١٧) قال تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل صلوات الله عليهما « وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم » (البقرة ١٢٨) .

الثانى : - توبته تعالى على الكفار والفساق اذا آمنوا وتابوا عن كفرهم وفسقهم فيتوب الله عليهم بالمغفرة عما سبق منهم من الذنوب والاثام فالتواب من اسمائه تعالى الحسنى فيطلق عليه تعالى فى مقام الثناء عليه وتمجيده سبحانه فلا يشترط فى صدق مفهوم التواب واطلاقه عليه ان يكون رجوعه بعد اعراضه عنهم وسخطه عليهم .

الثالث : - توبة الكفار والفساق اذا تابوا عن كفرهم ورجعوا الى ربهم واستغفروا من ذنوبهم .

الرابع : توبة الصالحين والمنتقين واستغفارهم فلا يشترط فى صدق مفهوم التائب عليهم ان يكون بعد ارتكاب الذنوب بل التوبة تجديد ايمان وتحكيم ميثاق بينهم وبينه تعالى كل ماتذكروا لعظمة الله وكبريائه جددوا ايماناً واحكموا ميثاقاً قال تعالى : فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً - النصر - وواضح ان اطلاق التواب والتائب بالمعنيين الاولين لا يجوز على غيره تعالى كما ان اطلاقه بالمعنيين الاخيرين لا يجوز عليه تعالى .

والظاهر فى قوله تعالى « للذين تابوا » هو الوجه الثالث بقرينة استغفار حملة

العرش لهم من ذنوبهم والشفاعة لهم فى الوقاية عن نار الجحيم .  
 قوله تعالى : « واتبعوا سبيلك » الاية . عطف على قوله « تابوا » وسبيله  
 تعالى هو منهاج النبيين وشرائع المرسلين قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة  
 ومنهاجاً... » وكذلك ما يدركه الناس ببداية الفطرة وصراحة العقول من الواجبات  
 الذاتية الضرورية والمحرمات الضرورية مثل وجوب الايمان والتصديق على من  
 عرفه تعالى وحرمة الاستكبار عليه ونظائر ذلك والمحسنات والمقبحات وبالجملة  
 الاحكام التى يعبر عنها عند الفقهاء بالمستقلات العقلية وهذا باب واسع واساس فى  
 علم الاخلاق وليس بلاغ الشارع وبيانه بحسب الكتابة والسنة حكماً شرعياً مولوياً  
 بل تذكرة وارشاد لاحكام العقول واثارة لانوار الفطرة الالهية .

قوله تعالى « وادخلهم جنات عدن » الاية هذا دعاء آخر وشفاعة حسنة اخرى  
 يسألون الله سبحانه دخول هؤلاء التائبين و السالكين سبيل الحق والرشد والجنة  
 واستنجاز ميعاده تعالى ان الجنة للمؤمنين وان يلحق بهم من صلح من آباؤهم  
 وأزواجهم وذرياتهم فيقر بذلك عيونهم ويتم به سرورهم .

وفى هذا دلالة على أن الله يجمع بين المؤمن وأهله فى الجنة قال تعالى  
 « واما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب الى أهله مسروراً »  
 انشقاق . قوله تعالى « وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته » . . الاية .  
 اقول السيئة اى المكاره والمصائب الواردة على الانسان يؤذيه ويؤلمه واسم  
 فاعل على وزن فعيلة مأخوذ من الفعل اللازم والمراد فى دعائهم ان يحفظهم الله  
 فى مواقف القيامة من كل بلية وكريهة وقد اشبه الامر على بعض المفسرين وزعم  
 ان المراد بالسيئات المعاصى وحاول فى المقام ان المراد جزاء السيئات وعذابها  
 بحذف المضاف وغفل ان السوء ما يقابل الحسن وبالفارسية (بد وخوب) فالمعاصى  
 والذنوب من مصاديق السيئات لا انها معناه لغة فالسيئة بمعناه العام الواسع يشمل  
 البلايا والمصائب والمكاره والعذاب وغيرها فعلى عهد المفسر التحرى فى كل مورد  
 ومورد وتعيين المراد بحسب السياق وبقرائن المقام قال تعالى « واذا جاءتهم الحسنة

قالوا لنا هذه « اى الرخص والرفاه » وان تصيهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه « الاية الاعراف ١٣١ اى القحط والغلاء والبلاء وهكذا وما ذكرنا تعرف ضعف الاقوال المذكورة فى المقام من ارادها فليراجعها .

فالمتحصل فى المقام ان الايات الكريمة ناصة فى طلب المغفرة والوقاية من عذاب الجحيم ودخول الجنة والوقاية من السيئات وصريحة فى جواز الشفاعة وقبولها ورضائه تعالى بذلك والايات مطلقة بالنسبة الى المشفوعين سواء كانوا أمواتاً فى الدنيا والاخرة وفى أى مواقف الاخرة على ماسيجىء تفصيله انشاء الله .

فان قلت : كيف يستقيم الاستغفار والشفاعة للذين تابوا واتبعوا سبيل الرشد و الصلاح والتائبون يقبل الله توبتهم ويغفر ذنوبهم من غير شفاعة وكذلك الذين وعدهم الله سبحانه لهم أن يدخلهم الجنة و القيام بالوعد واجب على الله فلا يبقى مورد للشفاعة .

قلت اولاً : - ان الظاهر من التوبة فى المقام هو التوبة عن الكفر واتباع سبيل الله اى الاسلام الذى ارتضاه ديناً لانبيائه ورسله وهكذا الظاهر من وعده تعالى لهؤلاء التائبين التابعين انما هو بتركهم الكفر واختيارهم الايمان واتباعهم سبيل الحق يكون الشفاعة لهم التائبون والتابعون بالمعنى الذى ذكرناه لا التوبة عن الذنوب فقط بعد الايمان وكذلك ما وعدهم الله الجنة بايمانهم بالله سبحانه بالشرائط المقررة فى بابيه فلا تنافى بين هذه الايات وبين الايات الدالة على أن مورد الشفاعة هو المؤمن المجرم .

وثانياً : - نقول : - ان الله سبحانه مالك العفو ووليه فله تعالى العفو عن ذنوب عباده ابتداءً وتفضلاً وهو المالك فان عفى بفضله وان أخذ فبعد له ولا يجب القيام بالوعيد واعماله فى كل مورد وله تعالى العفو عن عباده المذنبين أيضاً بالاسباب التى جعلها طريقاً الى عفوه ووصلة الى غفرانه مثل التوبة والشفاعة وغيرها من الاسباب التى ذكرها فى الكتاب الكريم قال تعالى « ان الحسنات يذهبن السيئات » ( هود ١١٤ ) قال تعالى « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » النساء - ٢١

وغيرها من الايات فله تعالى أن يتوسل بكل واحدة من هذه الاسباب وله تعالى أعمال الفضل والرحمة لو اجتمعت جميعها أو عدة منها فلا تراحم ولا تضاد بينها غاية الامر كفاية واحد منها لا المزاحمة والممانعة بينها لو اجتمعت فان مورد الشفاعة هو المؤمن المذنب والله العالم بمعاني كلامه والظاهر ان الجواب الاول هو الاولى .

### الاية العاشرة

قال تعالى : « واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون » (المنافقون ٥) بيان - قد ذم الله سبحانه المنافقين على نفاقهم وكفرهم بالله وبرسوله ( ص ) وعلى ارضادهم لرسوله وايجاد العوائل عليه ( ص ) في أمر دعوته الحققة وعلى امتناعهم من التوبة وعلى استكبارهم من الاستشفاع برسوله كى يسأل ربه مغفرتهم وواضح ان الاية الكريمة تدل دلالة واضحة انهم لو رجعوا وتابوا عن كفرهم ونفاقهم وجاؤوا الى رسول الله (ص) واستشفعوا واستغفر لهم رسول الله (ص) لو جدوا الله تواباً رحيماً اما مع اصرارهم على كفرهم وتفاهتهم وسيئاتهم فلا يستغفر لهم رسول الله (ص) فانه يوالى أعداء الله ولا يستشفع للذين خرجوا عن ولاية الله سبحانه لقبحه وحرمته عقلاً وقد نهى تعالى عن ذلك قال تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله وبرسوله وماتوا وهم فاسقون » . التوبة - ٨٥ .

### الاية الحادية عشرة

قال تعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) «آل عمران - ١٥٩ .

## بيان

قد ذكر الله سبحانه حلم رسوله وحسن خلقه (ص) مع جماعة من اصحابه الذين صدر منهم ما لايرضى به رسول الله كما يحكيه تعالى عنهم فى الايات السابقة فاستخفوا بذلك أن يعاملهم ( ص ) معاملة من أساء الادب فى ساحته فحلم عنهم وتساهل معهم فرضى سبحانه بذلك وأحسن الثناء على رسوله (ص) فقال فيما رحمة من الله الخ والفظظة قيل : ان يكون الانسان جافيا فى كلامه سىء الخلق والغلظة فى القلب عديم الرأفة والرحمة فأمر الله سبحانه رسوله بالعتو عنهم والاستغفار لهم لثلايقى فيهم دنس مخالفة الرسول ومعصية الله سبحانه توجب سقوطهم وانحطاطهم عن درجات الايمان و حرمانهم عن مواهب الله سبحانه التى يختص بها من يشاء من المهتمدين ثم زاد الله سبحانه على الفضل فضلا وعلى الاحسان احسانا فأمر رسوله أن يدخلهم فى جملة أصحابه المخلصين المشاورين له (ص) فى مهام الامور فى ذلك ترفيع لاقدارهم وتأليف لقلوبهم الى الاسلام وتطيب صدورهم من الغل بالاية الكريمة ناصة فى أمره تعالى بالشفاعة وطلب المغفرة ابتداء من غير استشفاع من طرف المذنبين والقدر المتيقن من الامر تشريع الشفاعة والترخيص فيها ونفوذها وقبولها عند الله سبحانه .

واما دلالة الامر على الوجوب بحسب اطلاقه الامر عليه وعلى امته فى أمثال المقام فخارج عن محل الكلام وعلى عهدة الفقيه ثم ان امثال هذا الامر وقيامه (ص) بالشفاعة هو عين الطاعة لهذا الامر وهو عين التزامه (ص) بأن الله سبحانه هو مالك الشفاعة ووليه وهو مالك للامر بها وتشريعها ويستحيل بالضرورة عند من عرف الله ووحدته فى أمر الخلق تكويناً وتشريعاً انكار اذنه تعالى أى استحالة اذنه تعالى بذلك والاية نص قاطع على أن موطن هذه الشفاعة فى الدنيا وفى حال حياة المذنبين فلا دليل على اختصاصه بالآخرة وبالموقف النهائى منها .

### الاية الثانية عشرة

قال تعالى: «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»  
(الاسراء - ٧٩) .

أقول : قد قدمنا البحث فى ذلك عند البحث عن أوقات الصلوة فى تفسير  
قوله تعالى : « أقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن  
الفجر كان مشهوداً » (الاسراء - ٧٨) .

### الاية الثالثة عشرة

قال تعالى : «من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه» (البقرة - ٣٥٥) .

### بيان

الاستفهام استفهام انكارى أى لا يقدر أحد ولا يجوز لاحد أن يشفع عنده تعالى  
لان الشفاعة هى المداخلة والتصرف فى شؤون التكوين لا يمضى ولا ينفذ الا بانفاذه  
تعالى ولا يجوز أيضاً المبادرة الى الشفاعة لان الشفاعة تصرف فى شؤون الخلق من  
دون اعتناء الى تشريع مالك الشفاعة .

وقوله تعالى « الا باذنه » استثناء من النفى المطلق والنهى المطلق وضرورى  
ان الاستثناء من الامر المنفى اثبات لشيء من الامر المنفى واستثناء لشيء من الامر  
الممنوع والمحرم . فالاية الكريمة ناصة وصريحة فى معنى الشفاعة ونفوذها وفى  
جوازها باذنه تعالى و الترخيص فيها وبعد تملك حق الشفاعة لاحد من عباده  
الصالحين .

### الاية الرابعة عشرة

قال تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل اذا سجى (٢) » ما  
ودعك ربك وما قلنى « (٣) » وللآخرة خير لك من الاولى « (٤) » ولسوف يعطيك  
ربك فترضى « (٥) » .

## بيان

الواو للقسم وفى القاموس الضحاء بالمد قرب انتصاف النهار وبالضم والقصر الشمس واتيتك ضحوة وضحى وأضحى صار فيها انتهى .  
أقول : الظاهر ان مراد القاموس وبالضم والقصر الشمس أى ضوئها فعلى هذا يكون المراد من الشمس مطلق النهار المقابل لليل فالمراد من الضحى مادامت الشمس ضاحية مشرقة ويؤيد ذلك ما ذكره فى المجمع ج ١٠ حيث قال وقد أقسم سبحانه بنور الشمس كله من قولهم ضحى فلان للشمس اذا ظهر لها انتهى . وقيل الضحى صدر النهار هو الوجه الذى ذكرناه .

قال تعالى : « أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون » (٩٧)  
« أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون » (الاعراف ٩٨) فالضحى فى هذه الآية الكريمة ما يقابل البيات الواقع فى الليل قوله تعالى « والليل اذا سجدى » قال فى القاموس سجدى سجواً سكن ومنه البحر والطرف الساجى انتهى . أقول ان المراد من سكون الليل سكون ما فيها من الاصوات أو سكون من فيها وما فيها من الحركة والعمل أو ركود ظلامها .

قوله تعالى : « ماودعك » الآية هو من التوديع بالتشديد لانهم أماتوا ماضى يدع و يذر فى التبيين ج ١٠ عن سيويه انهم استغنوا ( بترك ) عن ودع و لم يستعملوه انتهى .

أقول : معناه ترك الشىء والوداع من باب المفاعلة الترك مسن الجانبين وقوله تعالى قال بمعنى ابغض وكره فقوله تعالى ماودعك الآية جواب للقسم المذكور فى صدر السورة . وقد اضطربت كلماتهم فى تفسير المقام وارتباط هذه الآية بقوله تعالى « وللآخرة خير لك من الأولى » وفى بيان حقيقة الامر فى قوله تعالى « ماودعك » الخ فقالوا و أطالوا و لم يأتوا بشىء مبين و قول فصل و ذكروا فى شأن نزولها أشياء عجيبة .

قال الرازى فى تفسيره ج ٢١ ص ٢٠٩ قال المفسرون وأبطأ جبرئيل على النبى ( ص ) فقال المشركون قد قلاه الله وودعه و أنزل الله تعالى هذه الآية وقال السدى أبطأ عليه اربعين ليلة فشكى ذلك الى خديجة فقالت لعل ربك نسيتك وقلاك وقيل ان أم جميل امرأة ابى لهب قالت له يا محمد ( ص ) ما أرى شيطانك الا قد تركك « انتهى » .

أقول : وروى غير ذلك أيضاً وفى نور الثقلين ج ٥ ص ٥٩٤ عن على بن ابراهيم رواية احتباس الوحى ان خديجة قالت لعل ربك قد تركك فلا يرسل اليك فأنزل الله تبارك وتعالى ماودعك ربك وما قلى .

أقول : وروى غير تلك الا ان هذه الروايات ضعاف وما رووه عن طريق العامة مرسلات تاريخية مختلفة فى مفادها وذلك غير ناهضة لاثبات احتباس الوحى على رسول الله على وجه اعراضه تعالى عنه ( ص ) ولو كان أياماً فلائيل والوجوه التى ذكروها فى علة احتباس الوحى انه كان ذلك تأديباً وتقريباً مكذوباً لان صريح الآية انه تعالى ماودعه وما قلاه ثم على فرض صحة جميع ذلك كيف يصح ارتباط هذه الآية بقوله وللآخرة خير لك من الاولى .

قال فى الكشاف ج ٤ ص ٦١١ كيف اتصل قوله « وللآخرة خير لك من الاولى » وبما قبله .

قلت : قد كان فى ضمن معنى التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحى اليك وأنت حبيب الله ولا يرى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه واخبره ان حاله فى الآخرة أعظم من ذلك وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادته امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السننية « انتهى » .

أقول : لا يخفى ما فيه من الوهن والاختلال ولم يأت بقول فصل فى توجيه قوله تعالى ماودعك الآية ولم يعين الغرض المسوق له الكلام فكأنه رضى بما ورد فى رواياتهم ان الآية نزلت فى تكذيب من قال ان الله تعالى ودعه وقلاه وأيضاً ان



قوله : و أخبره ان حاله الخ أى هو وعد من الله سبحانه أو اخبار ان الله سبحانه أراد ذلك وسنشير الى توضيحه فى ذيل البحث انشاء الله . فالآيات الكريمة وظاهر سياقها انها فى مقام تزهيده ( ص ) عن الدنيا ونعيمها وزينتها زهد الراحل عنها وتشويقه تعالى رسوله وصفيه الى الآخرة وترغيبه (ص) الى ما أعد الله سبحانه لأوليائه وأهل الوفاء به من كراماتها الجليلة السنية من جملة هذه الكرامات وعده تعالى وعداً جميلاً أن يعطيه من مواهبه ما يرضى .

واعلمه وأخبره ان تزهيده عن الدنيا وعدم اختياره تعالى لرسوله ليس الا لاجل احتقار الدنيا وانها تليق ولا تناسب لعلو شأنه وكريم مقامه لا لاجل انه تعالى ودعه وقلاه ومن اللطائف فى هذه السورة المباركة انه سبحانه أقسم بنور الشمس وبالليل الساجى انه تعالى ماودع حبيبه ورسوله وماقلاه وأكرمه بتشريف المخاطبة الحضورية بكاف الخطاب مرة بعد أخرى . قوله وللآخرة الآية - عطف على قوله تعالى « ما ودعك » الآية واللام للتأكيد وقوله تعالى « ماودعك ربك » الآية أقسم تعالى بضمى النهار وبالليل الساجى وهذه الجملة بلام التأكيد للاهتمام الاكيد بتزهيده ( ص ) وطيب نفسه عن الدنيا . والظاهر ان المراد هى دار كرامته تعالى لاحبائه المقابلة للدنيا والمراد بالدنيا هى الدنيا الزائلة المقابلة للآخرة وليس سياق الآية الاخبار المحض والوعظ والنصح بل الظاهر انها اعلام منه تعالى انه اختار ورضى لرسوله وصفيه الدار الآخرة اكراماً وتجيلاً وضرورى ان اختياره ورضاه شيئاً سبحانه لرسوله هو اختيار الرسول (ص) ورضاه لا يعدل عنه الى غيره .

فى الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١ وأخرج ابن ابى شيبه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله (ص) انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا .  
«ولسوف يعطيك ربك فترضى» .

وفى المجمع ج ١٠ ص ٥٠٥ عن الصادق (ع) قال دخل رسول الله (ص) على فاطمة (ع) وعليها كساء من جلة الابل وهى تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينها رسول الله ( ص ) لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة

فقد أنزل الله على « ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

وفى البرهان ج ٤ ص ٤٧٢ مسنداً عن حماد بن عيسى عن الصادق ( ع )  
عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله على فاطمة وهى تطحن بالرحى وعليها  
كساء من جلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال لها تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الاخرة  
فأنزل عليه « وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

فى نور الثقلين ج ٥ ص ٥٩٤ عن المناقب تفسير الثعلبى عن جعفر بن  
محمد عليهما السلام وتفسير القشيري عن جابر الانصارى قال رأى النبى ( ص )  
فاطمة ( ع ) وعليها كساء من جلة الابل وهى تطحن بيديها وترضع ولدها فدمعت  
عيننا رسول الله (ص) فقال يابنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الاخرة فقالت يارسول  
الله الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه فأنزل الله « ولسوف يعطيك ربك  
فترضى » .

أقول : الروايات الشريفة صريحة فى تعيين الغرض المسوق له الكلام وشاهدة  
صدق على ما ذكرناه ان الاية فى مقام تزهيد (ص) عن الدنيا وزينتها ونعيمها وعلى  
ترغيبه ( ص ) وترغيب عترته الطاهرة وأوليائه المخلصين الى الاخرة فانه ( ص )  
لما رأى الزهراء الصديقة وشاهد ما كانت فيها من مرارة الدنيا فرضى بها وأمرها  
بالصبر والتحمل فى هذه الايام القلائل وفى هذا ذكرى وبلاغ لقوم يعقلون .

واما اختلاف الروايات من حيث وقت نزول الاية فرواية المجمع فقد أنزل  
على « ولسوف يعطيك » الاية يؤيده ما قبل ان السورة مكية وبناء على مفاد غيرها ظاهرة  
ان السورة مدنية فالامر فيه سهل لان تسليته ( ص ) فاطمة ( ع ) بقراءة الاية عليها  
وأمرها بالصبر و تزهيدها عن الدنيا ونزول الاية فى شأنها متحدة المفاد مع رواية  
المجمع فى مانحن بصدده من تعيين الغرض المسوق له الايات .

ومما ذكرنا يعلم وهن ما ذكره الرازى فى تفسير المقام ج ٢٢ ص ١١٠ قال وثانيها  
ما يخطر ببالي وهو أن يكون المعنى وللأحوال الآتية خير لك من الماضية انتهى ما اردناه.  
أقول : لادليل على هذا التأويل ولما يعلم وجه لترجيح أحوال الآتية على

أحواله الماضية والظاهر ان معنى كون الاخرة خير له (ص) كما هو مفاد الروايات أيضاً انه سبحانه اختار له الاخرة وحيث انه(ص) وأوصيائه الصديقون عباد مكرمون لا يسبقونه تعالى فى شىء فلا محالة يكون اختياره تعالى ورضاه عين اختيارهم ورضائهم فيكون المراد من الاية اختياره ورضائه تعالى تشريعا أى اقباله الى الاخرة والتزود لها وادباره الى الدنيا والاعراض عنها لاالمفاضلة بينهما كى تكون الاخرة أفضل من الدنيا .

قوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » : عطف على سابقتها ومسوقة فى سياقها الا انها أصرح وأوفى منها وبيان لما اجمل فيها فانها ابراز عطف وحنان فكان هذا العطاء الخطير جبران لما فات منه من نعيم الدنيا وزينتها وثواب عن زهده فى هذه الدنيا واللام فى قوله تعالى ولسوف للتأكيد والسين لتخليص صيغة المضارع للاستقبال وفيه اشعار ان موطن هذا العطاء انما هو فى الدار الاخرة المستقبلة وقد اطلق تعالى هذا العطاء من حيث الانواع والاقسام وكذلك من حيث الحدود والمقدار ولم يقيده بشىء الا رضى رسول الله ( ص ) وحيث انه سبحانه صادق الوعد فلا محالة يقوم بانجاز وعده فلايخلف الميعاد البتة فعلى هذا تكون هذه الاية مطلقة من حيث المشية أيضاً لان الله سبحانه قد شاء وقضى أن يعطى هذا العطاء مطلقاً ولم يقيده الا برضى رسوله فما من آية فى كتاب الله تدل على سعة رحمته تعالى وعموم مغفرته للمذنبين الا ويدخل فيه المشية مثلا قوله تعالى « ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً » (الزمر/٥٣) أى ان شاء يغفر فلايزال المؤمن واقفاً بين الخوف والرجاء فلا يجوز له أن يقول انى مغفور استناداً الى هذه الاية بخلاف الاية المبحوثة عنها فان العطاء الموعود لرسول الله منجز معلوم فى حقه (ص) لان الله سبحانه قد شاء أن يعطيه (ص) على الاطلاق وقضى بذلك من دون قيد لارضائه (ص) .

فى نور الثقلين عن حرث ابن شريح عن محمد بن الحنفية انه قال يا أهل العراق تزعمون ان ارجى آية فى كتاب الله عزوجل «ياعبادى الذين أسرفوا» الخ

وانا أهل البيت نقول ان ارجى آية في كتاب الله « ولسوف يعطيك ربك فترضى »  
وهى الشفاعة وانه يعطيها فى أهل لا اله الا الله حتى يقول رب رضيت .  
فى المجمع ج ١٠ ص ٥٠٥ عن الصادق عليه السلام رضى جدى ان لايبقى  
فى النار موحد .

أقول: هذا البيان عن الصادق عليه السلام لا ينافى ما ذكرنا من الاطلاق فى العطاء  
من حيث انواعه وأقسامه للامكان ان يقال ان ذلك من باب بيان المصدق لامن باب  
بيان تمام المراد فى الآية الكريمة .

فان قلت : كيف يمكن ان يقال ان العطاء فى الآية الكريمة مطلقة من حيث  
المشية فان من انواع العطاء الشفاعة وهى مقيدة بمشيئة الله سبحانه فى الشافعين  
والمشفوعين كما أوردنا الايات الراجعة الى ذلك وانه لايقدر احد ان يشفع لاحد الا  
بإذن الله ومشيئته ولاينتفع احد من شفاعة احد الامن ارتضاه ويأذن سبحانه له بخصوصه  
قال تعالى « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » ( البقرة / ٢٥٦ ) قال تعالى  
« قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله ولايشفعون الا لمن ارتضى»  
(الانبياء ٢٩) وغيرها من الايات فهذه الايات ونظائرها دالة وشاهدة على اذ الشفاعة  
من المقربين انما هو بعد اذن الله وكذلك انتفاع المشفوعين من الشفاعة متوقف  
على اذن الله سبحانه ورضاه .

قلت: ليس فى هذه الايات ما ينافى الآية المبحوثة عنها فان الايات انما تدل  
على توقف تأثير الشفاعة على اذن الله ومشيئته سبحانه وكذلك انتفاع المشفوعين  
تحفظاً على التوحيد وانه لا مالك الا هو والتصرف فى ما يملكه تعالى ليس الا بيده  
ولا يعقل الا باذنه وأمره والاية المبحوثة عنها تدل دلالة واضحة على حصول الاذن  
وقد شاء الله ذلك وقضى به بحسب وعده الجميل وسينجز ذلك لرسوله فانه سبحانه  
صادق الوعد ووافى القول .

فتحصل فى المقام ان الآية وان لم تكن ناصة بالشفاعة بخصوصها الا انها دالة

عليها بحسب اطلاقها والرواية المنقولة عن الصادق عليه السلام الظاهر انها لبيان مصداق بارز من العطاء لا انها للتقييد وليبان تمام المراد من الاية نعم ما ذكرناه عن محمد بن الحنفية نص في التخصيص والتقييد الا انه لا ينبغي تقييد مطلقات القرآن الكريم بها ونظائرها هذا تمام الكلام في تفسير الايات الدالة على الشفاعة وفيها غنى وكفاية عن استقصاء جميع الايات الدالة على الشفاعة وتفسيرها وتحليلها فقد ظهر بفضل الله سبحانه وتأييده غاية الظهور انه لا ريب في دلالتها وصراحتها في افادة معنى الشفاعة ومضيها عند الله سبحانه وبقي في المقام امور لا بد من التذكر بها والارشاد اليها .

**الامر الاول :** المستفاد من هذه الايات عموم الشفاعة وشمولها في جميع

الموارد وعدم اختصاصها بموطن دون آخر .

فمنها : ما يدل على وقوع الشفاعة في الدنيا قال تعالى « قالوا يا أبانا استغفر

لنا الى قوله سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم » (يوسف ٩٨) قال تعالى « ولو انهم اذا ظلموا انفسهم جاؤوك واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » .

ومنها : ما يدل باختلافها على شمولها لجميع المواقف قال تعالى « الذين

يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (الغافر ٧) .

قال تعالى « بل عباد مكرمون الى قوله لا يشفعون الا لمن ارتضى » الاية

الانبياء (٢٩) فالايان كما ترى مطلقتان من حيث الموقف من غير تقييدهما بموقف دون آخر ومنها وهي أكثرها ما يدل على وقوع الشفاعة في القيامة قال تعالى « وسوف

يعطيك ربك فترضى » (الضحى) قال تعالى « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً »

(الاسراء) قال تعالى « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » (المدثر ٤٨) قال « فما لنا من

شافعين » (الشعراء ١٠٠) فان الايتين الاخيريين تحكيان قول أهل النار وفيهما دلالة

على أن هناك شفعاء قد أنجى الله المذنبين من الموحدنين بشفاعتهم من النار وبقى فيها الكافرون فلا شفيع لهم وفي تفسير الآية الأخيرة عدة من الروايات الصريحة يؤيد مفاد الآية ولا يخفى أنه لا مجال لتوهم التنافي والتعارض بين هذه الآيات ضرورة أنه لا تنافي بين مثبت ومثبت إلا مع الحصر في أحدهما أو في كليهما فلا مجال لتقييد مطلقات هذه الآيات بمقيدها فان ثبوت الحكم للمقيد بعناية خاصة لذكره لا يوجب نفى الحكم عن الأنواع الأخرى للمطلق فيجب الأخذ بالآيات المطلقة وإثبات الشفاعة المقبولة عند الله سبحانه في كل واحد واحد والالتزام بمفاد كل واحد من الآيات مطلقاتها ومقيدها .

فان قلت : يكفي في تقييد هذه المطلقات بعض النصوص الدالة على نفى الشفاعة في البرزخ فتنحصر الشفاعة المقبولة بعد الموت بالقيامة قبل دخول النار أوبعدها البرهان ج ٣ ص ١٢٠ في تفسير قوله تعالى «ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون» عن الكليني مسنداً عن عمر بن يزيد قال قلت لابي عبدالله (ع) الى أن قال قلت جعلت فداك ان الذنوب كثيرة كبار فقال اما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع ووصى النبي صلوات الله عليهم ولكنني والله أتخوف عليكم البرزخ قلت وما البرزخ قال القبر منذ حين موته الى يوم القيامة .

في نور الثقلين ج ٣ ص ٥٥٣ تفسير على بن ابراهيم قوله عز وجل ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال البرزخ هو أمر بين أمرين الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة وهو قول الصادق (ع) والله ما يخاف عليكم الا البرزخ فأما اذا صار الامر اليها فنحن اولى بكم .

وفيه ايضاً عنه «ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون» قال الصادق عليه السلام البرزخ القبر وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة والدليل على ذلك قول العالم عليه السلام والله ما يخاف عليكم الا البرزخ .

اقول : لا يخفى ما في متن الرواية الأخيرة من الاضطراب مع احتمال ما ارسله على بن ابراهيم هو عين رواية الكافي فيكون مرجع جميعها الى رواية واحدة

وثانياً ان هذه الروايات مع قطع النظر عما ذكرناه معارضة بطوائف مع الروايات فلا يصلح لتقييد الايات المطلقة التي أشرنا اليها .

الطائفة الاولى : ما ثبت بالضرورة من حضور النبي والائمة صلوات الله عليهم الصلوات على جنائز المؤمنين و الترحم و الاستغفار في حقهم وكذلك الفريضة الثابتة في الدين من تشريع الصلوات على جنائز المؤمنين والمبالغة في الاستغفار والترحم عليهم .

وكان من سنته (ص) انه يصلى على جنائز المؤمنين ويقوم على قبورهم وقد نهى الله سبحانه اياه ان لا يفعل ذلك بالموتى المنافقين .

الثانية : ما نقلت من زيارته (ص) بقبور المؤمنين وصارت ذلك سنته ثابتة في المؤمنين وكان يترحم ويستغفر لهم ففي البحار ٦ (٢١٧) حديث ١٠ عن كتاب حسين بن سعيد قال ابو بصير سمعت ابا عبدالله (ع) يقول ان رقية بنت رسول الله (ص) لما ماتت قام رسول الله على قبرها فرفع يده الى السماء ودمعت عيناه فقالوا يا رسول الله انا قد رأيناك رفعت رأسك الى السماء ودمعت عينك قال اننى سألت ربي ان يهب لى رقية من ضغطة القبر !! وقريب منه رواية قيامه على قبر فاطمة بنت أسد رضى الله عنها .

الثالثة : ما ورد من الروايات الكثيرة من حضور النبي (ص) والائمة عند المحتضر ورؤية المحتضر اياهم وفي بعضها امره (ص) ملك الموت بالارفاق والتخفيف للمؤمن في قبض روحه وبالجملة يكون حضورهم عنده مسرة ورفاهاً وراحته وفي بعضها الشفاعة له - في البحار ج ٦ (١٩٤) عن تفسير فرات بن ابراهيم عن عبيد بن كثير معنعناً عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال قال رسول الله (ص) يا على ان فيك مثلاً من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى «وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً» يا على انه لا يموت رجل يفترى على عيسى بن مريم (ص) حتى يؤمن به قبل موته ويقول فيه الحق حيث لا ينفعه ذلك شيئاً وانك على مثله لا يموت عدوك حتى يراك عند

الموت فتكون غيظاً وحنزناً حتى بقى بالحق من أمرك ويقول فيك بالحق ويقرر بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً واما وليك فانه يراك عند الموت فتكون له شفيعاً وبشراً وقرّة عين .

أقول: فالمحصل في المقام ان الرواية النافية بشفاعتهم (ص) لا وليائهم في البرزخ معارضة بما يدل على دعائهم واستغفارهم للمؤمن الميت في صلواتهم على جنائز المؤمنين او زيارتهم لقبورهم ودعائهم واستغفارهم للمؤمن المقبور وخاصة لاستخلافه من ضغطة القبر او شفاعتهم للمؤمن المحتضرين وحضورهم عنده في احتضاره فان الظاهر من بعض هذه الروايات ان هذه الشفاعة ليست لاستخلافه من شدة النزاع فقط بل شفاعته في طول اقامته في البرزخ كما هو صريح رواية حسين بن سعيد وقوله فتكون له شفيعاً وبشيراً وقرّة عين فان البشارة راجعة الى مستقبل امره وكذلك سروره برؤيتهم وفرحه وقرّة عينه بلقائهم كما هو صريح عدة من الروايات الظاهرة في ان هذا الفرح والسرور ما دام قاطناً في البرزخ سواء كان ذلك من باب الشفاعة لا وليائهم او من باب الولاية الموهوبة لهم من الله كرامة وتشريفاً فاتضح من جميع ما ذكرنا انه يجب الالتزام باطلاق الايات من حيث موطن الشفاعة والالتزام بمفاد هذه الروايات والرواية لا بتلاؤها بالمعارض لا يصلح لتقييد اطلاق الاية .

**الامر الثاني :** لا ريب في جواز الاستشفاع بالرسول الاكرم امام الائمة الموحدين وبغيره من الانبياء الكرام كما هو صريح قوله تعالى « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم » الاية النساء (٤٤) وقد حث الله المذنبين بالتشرف بحضور رسوله (ص) والاستشفاع منه ووعد سبحانه ان يستجيب رسوله (ص) وأن يعود على المذنبين برحمته وفضله وصريح قوله تعالى « يا ابانا استغفر لنا » الاية يوسف (٩٧) وتحرم الامتناع والكف عن الاستشفاع اذا كان ذلك استنكافاً واستكباراً على رسول الله (ص) قال تعالى « واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون » - المنافقون - (٥) هذا بحسب الايات واما بحسب



الروايات فالاثار والادعية الماثورة عن أئمة اهل البيت (ع) مشحونة بالتوسل لهم والاستشفاع منهم ولا فرق فى ذلك بين زمان حياته (ص) او بعد وفاته ومفارقته هذه الدنيا الزائلة لان القول بأن الانسان ينعزل عن الحياة بعد انتقاله الى الدار الاخرة أى البرزخ ويعطل الحياة فى حقه قول الدهرية و الطبيعية والقرآن الكريم ينادى بأعلى صوته ان عباد الله الصالحين احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكيف بأوليائه تعالى المقربين .

فى كتاب كامل الزيارات ص ١٦ مسنداً عن معاوية بن عمار عن ابى عبد الله (ع) قال اذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها الى ان قال ثم تأتى قبر النبى (ص) فسلم على رسول الله (ص) ثم تقول الى أن قال اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا الاية وانى اتيت نبيك مستغفراً من ذنوبى وانى أتوجه اليك بنبيك نبى الرحمة محمد (ص) يا محمد انى أتوجه الى الله ربي وربك ليغفر ذنوبى . . «الحديث» . وفى تفسير قوله تعالى : «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» . . الانفال - ٣٣ عدة من الروايات ان رسول الله (ص) يستغفر لامته بعد وفاته أيضاً .

منها : مارواه فى البرهان ج ٢ ص ٧٩ عن الكلينى مسنداً عن حنان بن سدير عن ابيه عن ابى جعفر (ع) قال قال رسول الله (ص) مقامى بين اظهركم خير لكم فان الله يقول « وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم » ومفارقتى اياكم خير لكم فقالوا يارسول الله (ص) مقامك بين اظهرنا خير لنا فكيف تكون مفارقتك خيراً لنا اما مفارقتى اياكم خير لكم فان اعمالكم تعرض على كل خمسين واثنين فما كانت من حسنة حمدت الله عليها وما كان من سيئة استغفرت الله لكم . وقريب منها نظائرها فى تفسير الاية .

الامر الثالث : مقتضى اطلاق بعض هذه الايات وصريح بعضها فى الجملة انه لا تنحصر مورد الشفاعة و متعلقها بغفران الذنوب فقط بل الاعم منها ومن نيل الطلبات وكشف الكربات ورفع الدرجات وقضاء الحاجات وكذلك الروايات

الدالة على قبول الشفاعة ومضيها سيما الادعية المأثورة عن ائمة اهل البيت (ع) وهكذا فى جواز الاستشفاع .

**الامر الرابع :** الايات الدالة على جواز الشفاعة وكذلك الروايات فى هذا الباب لا دلالة فيها على أزيد من قبول الشفاعة ومضيها فى غير المذنبين من أهل التوحيد فلا يتجاوز عنهم بمن سواهم ولا يخفى ان هذه الادلة لاتنافى عن ورود التقييد و التخصيص عليها فعلى عهدة الفقيه التحرى و التحقيق واستقصاء الفحص عن المخصصات والمقيدات .

**الامر الخامس :** - يمكن ان يستشكل فى الشفاعة بوجوه :

**الاول :** ان استيهاب جرم المجرمين والشفاعة فى حقهم وفى اسقاط العقاب عنهم ينافى الحكم التشريعى ويضاد مصلحة التشريع .

قلت: كلا فان هذه الشبهة بناء على قول من ذهب ان صدور الافعال منه تعالى على نحو الايجاب عليه سبحانه عند الشفاعة التى هى بمنزلة المرجح لطرف العفو وفى مرتبة يكون العفو واجباً عليه سبحانه واما اذا قلنا بعدم الايجاب وهو الحق المبين الذى لا ريب فيه انه سبحانه مالك للعفو والاخذ من دون ايجاب احد من الطرفين فاذا قام الشفعاء فشفعوا للمذنبين فالشفاعة التى هى مرجحة لطرف العفو فقدرته ومالكه تعالى لاتنفع عن الشفاعة ولا توجب الشفاعة ولا توجب الشفاعة تحديداً لمالكه وقدرته فهو سبحانه مالك للعفو والعقاب فى مرتبة الشفاعة ايضاً وقد كان مالكا للعفو من غير شفاعة ولما كانت الشفاعة مرجحة فى طول المالكية لافى عرضة فالمالكية حاكمة على الشفاعة دون العكس فلو عفى سبحانه عند الشفاعة فالعفو معلول للمالكية والقدرة وليس معلولاً للشفاعة ويستحيل صدور العفو عن الشفاعة مع فرض المالكية للعفو والعقاب .

فتحصل ان العفو بفضل ورحمته و اكرام اوليائه وتشريف اوليائه فى قبول

شفاعتهم مستنداً الى مالكه وحرية فى افعاله من غير الزام ولا ايجاب فالحكم

التشريعى اوجب بعد عصيانه استحقاق العاصى للعقاب من غير الزام العقاب عليه والعمو عن العاصى فى هذه المرتبة ايضاً والشفاعة فى مرتبة متأخرة عن استحقاق العاصى مرجحة لطرف العمو من غير الزام فتعين ان الشفاعة مما يؤكده الحكم التشريعى ويؤيده لا يضاذه ولا ينافيه كما توهمه المستشكل فالعصيان فى طول الحكم التشريعى والاستحقاق فى طول العصيان والعمو والاخذ فى طول الاستحقاق والشفاعة مرجحة لطرف العمو الذى كان مملو كآ له تعالى قبل الشفاعة .

فان قلت : فما فائدة الشفاعة اذا كان العمو مملو كآ له تعالى من دون تأثير الشفاعة فى ايجاب العمو .

قلت : - قد عرفت ان المرجحات بأسرها منها الشفاعة فى المقام لا يوجب تحديد المالكية والقدرة الا ان الفاعل العاقل المالك المختار يختار الفعل لغايات فاضلة حكيمة فيمجد ويحمد بها ويتنزه عن الافعال الردية القبيحة فيقدس به فالعمو عند الشفاعة اكراماً لا وليائه بقبول شفاعتهم يزيد على حسن العمو حسناً ومزيداً وكرامة . اما الجواب النقضى فنقول : - ان حكمه تعالى وقضائه الحكيم بالعمو بعد حكمه بالعقاب غير عزيز فى سنته تعالى مثل العمو الابتدائى قال تعالى « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً » الاية ( الزمر ٥٣ ) ومثل محو السيئات بالحسنات قال تعالى « ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » ( النور ١١٤ ) ومثل غفران الصغائر باجتئاب الكبائر قال تعالى « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » الاية ( النساء - ٣١ ) ومثل محو الذنوب بالتوبة .

الثانى : يمكن ان يقال الشفاعة تحميل ارادة الشفيع على الحكم الذى يريد ان يأخذ المجرم ويعاقبه فلا محالة يعدل بشفاعة الشفيع عن ارادة العقاب .

قلت : - كلا فان المتحصل من الايات التى تلونها عليك ان الشفاعة المقبولة بتشريعه تعالى وباذنه ومشيئته ورضائه فلا يشفع احد من المقربين الا باذنه ضرورة انه لا يملكها احد الا بعد تملكه سبحانه قال تعالى « قل لله الشفاعة جميعاً له ملك

السموات والارض ثم اليه ترجعون» ( الزمر ٢٢ ) فعليه يكون تعالى هو الشافع واشفع الشافعين فاتضح في المقام انه لا محصل لما يقال ان الشفاعة تحمیل ارادة الشفعاء على الله سبحانه وقد اجاد المحقق الطوسي (قده) حيث قال ونفى الشفيع المطاع لاستلزم نفى المجاز « انتهى » .

اقول : اراد ( قده ) ان تحمیل الارادة انما يتصور من الشفيع المطاع على من هو دونه وتحت نفوذه وسلطانه لامن الشفيع المجاز المجاب فالمذنبون يستشفعون بأمره والشافعون يشفعون باذنه ورضاه جل ثنائه .

فان قيل : فما فائدة الشفاعة اذا كان له العفو من غير شفاعة وقبل الشفاعة وهو سبحانه أشد رأفة ورحمة من رحمة الشفاعة .

قلت له : سبحانه ان يجعل طريقاً الى عفوهِ ومغفرته كما في غير الشفاعة من اسباب المغفرة مثل الدعاء والاستغفار والتوبة فيقال ان اجابة دعاء المسيئين تقرب لهم الى بابه وكذلك قبول توبة النادمين انقاذ لهم من العصيان في ساحة الرب وارغام لانف الشيطان وقبول الشفاعة من اوليائه اكرام لهم و اعلان لكرامتهم عند الله سبحانه وفي قبولها تثبيت لرجاء المذنبين وعدم انقطاعهم عن ربهم و دفع مايرد عليهم من رذيلة القنوط على أن الجواب الذي ذكرناه عن الاشكال جار في المقام انشاء الله . .

الثالث : - قد يقال ان القول بالشفاعة يوجب اغراء الناس على العصيان والتساهل والتسامح في امتثال الواجبات والاجتناب عن المحرمات لاعتمادهم واتكالهم على الشفاعة وهو مناف لمصالح التشريع والغرض الاصيل في بعث الرسل وانزال الكتب لتزكية الناس و سوقهم الى الكمالات والمعارف الربوية وسوقهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب .

اقول : فيه اولاً انه منقوض بالآيات الدالة على سعة رحمته تعالى ومغفرته ومواعيده الحسنة الجميلة لعباده في كتابه الكريم قال تعالى «ان الله لا يغفران يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» النساء - ٢٨ قال في المجمع ج ٣ ص ٥٧ وجاءت

الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ما فى القرآن آية ارجى عندى من هذه الاية .

اقول : روى فى البرهان ج ١ ص ٣٧٥ عن الفقيه مسنداً عن على (ع) قال ما فى القرآن آية احب الى من قوله عز وجل « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

اقول : هذه الرواية الشريفة وان كان مما اختلف فيها الانظار من حيث انها تدل على ان هذه الاية ارجى فى كتاب فى المذنبين او ان ارجى الايات هى قوله تعالى « قل لعبادى الذين اسرفوا » الاية زمر ٥٣ او ان ارجى الايات قوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (الضحى) الا ان هذا الاختلاف لا يضر فيما نحن بصدده من نقض قول من يقول ان الشفاعة توجب اغراء الناس على المعاصى قال فى المجمع ج ٣ ص ٥٧ لامعنى لقول من يقول من المعتزلة ان حمل الاية على ظاهرها و ادخال مادون الشرك فى المشيئة يوجب اغراء الناس لان الاغراء انما يحصل بالقطع على الغفران واما اذا كان الغفران متعلقاً بالمشيئة فلا اغراء بل يكون عبد واقفاً بين الخوف والرجاء على الصفة التى وصف الله تعالى بها عباده المرتضين فى قوله تعالى « يدعون ربهم خوفاً وطمعاً يحذرون الاخرة ويرجون رحمة ربهم » وبهذا وردت الاخبار الكثيرة عن طرق الخاص والعام وانه قد عليه اجماع سلف اهل الاسلام « انتهى » .

اذا تقرر ذلك فاعلم ان الايات الكريمة الدالة على مطلق الشفاعة لا تسجل الشفاعة والمغفرة لاحد بعينه وبشخصه ولا لاقوام بصفاتهم وأعيانهم ولا فى موقف خاص دون آخر بل أبهم وأجمل فيها وواضح ان ذلك ليس بمتعين بحسب الواقع وانما ابهم و اجمل لانه متعلق ومتوقف على مشيئته تعالى وازنه ورضاه لمن يشاء من المقربين فى الشفاعة ولمن يشاء من المجرمين فى ان يشفع له وكذلك بحسب الموارد والمواقف وليس ذلك الا مثل غيره من مواعيده تعالى بالمغفرة والرحمة على نحو الاطلاق بالاسباب التى توصل بها سبحانه وجعلها طريقاً الى عفوه وغفرانه

او من غير سبب ابتداء مستنداً الى فضله ورحمته .  
 فتحصل ان المؤمن الموحد العارف بربه المعتقد للشفاعة ولغيرها من مواعيده  
 تعالى ومعلقا على مشيئته تعالى واذنه لايزال واقفاً بين الخوف والرجاء وبين الرغبة  
 والرغبة وبين الخوف والطمع يناجى ربه ويدعوه ويسأله ان يرزقه رحمته وكرامته  
 ويسأله أن يرزقه شفاعة نبيه و صفيه فان الشفاعة وغير الشفاعة من مواعيده تعالى  
 لاهل التوحيد فى صغائر المعاصى وكبائرها معلقاً على المشيئة لا يوجب اغراء على  
 الذنوب ولا اغترار او غفلة عن الله سبحانه بل فيه ايقاظ للغافلين واشتعال نور الرجاء  
 فى قلوب المذنبين يتخلصوا وينجوا من ظلمات اليأس وسوقهم الى مراتب الصلاح  
 والساد وله الحمد كما هو أهله .

الرابع : - العبادة من الالفاظ الدائرة فى الكتاب والسنة وهى بتصريح أهل  
 اللغة عبارة عن التذلل والخضوع ، قال فى مرآة الانوار ص ٢٣٢ اعلم ان العبادة  
 لغة الطاعة والانقياد والخضوع والتذلل انتهى .

اقول : لا ريب الاخذ بها بما لها من المفهوم اللغوى من دون اعمال حقيقة  
 شرعية او متشرعية فى هذا المفهوم اللغوى وهى حقيقة اضافية كانت مرسومة عند  
 العرب المنتصرة واليهود والوثنيين وتوضيح ذلك ان الافعال الاختيارية العمدية قسم  
 منها عبادة اى خضوع وتذلل بذاته مثل السجدة والتعفير اذا أتى بهما عن اختيار  
 يفيد التعظيم للغير وخضوع الفاعل وتذلل فى مقابل الغير من دون احتياج الى قصد  
 التعظيم ومن دون احتياج الى قصد الامر فلو القى انسان من شاهق وقع فى مقابل  
 الغير على طور المسجود والتعفير لما يفيد تعظيماً ولا يصدق عليه انه خضوع وتذلل  
 من الفاعل ومن وهذا القبيل اى من قبيل العبادات الذاتية التثناء على الله سبحانه  
 وتقديسه وتمجيده والدعاء والسجود له سبحانه والوامر الواردة فى الكتاب والسنة  
 للتسبيحات والتمجيدات والدعاء والسجود كلها أوامر ارشادية يكون الاتيان بها  
 عبادة وتواضعاً لله سبحانه من غير احتياج الى قصد امرها نعم بعد تحقق العبادة  
 يحتاج الى الاخلاص فى العبادة بتخليص الغرض والغاية لله سبحانه وحده لا شريك له .

واما الافعال التي ليست عبادة بذاتها ولا لون لها في حد نفسها من هذا الحيث يحتاج تحقق العبادة فيها ان تكون متعلقاً للامر وان يأتي بالمتعلق بقصد الامر فان امثال أمر المولى واتيان متعلق امره بقصد امره انبعث من بعثه وتحريك ببعثه وفي المحرمات انزجار عن زجره ونهيه ويكون تعظيماً للمولى وخضوعاً له بالضرورة وتكون بتلك النسبة عبادة منسوبة اليه ومرضاته مرتبطة به بقصد امره فلا يمكن اضافة الفعل وارتباطه الى المولى الا بالامر فان الامر في مرتبة العلة للامثال ومقدم عليه رتبة وزماناً واما الدواعى الاخرى مثل خوفاً من ناره وطمعاً في ثوابه .

واما الدواعى الاخرى مثل خوفاً من ناره تعالى وطمعاً في ثوابه وغير ذلك وان كانت من الغايات الشريفة الحسنة الا انها قاصرة عن افادة ارتباط العمل واضافته الى المولى الأمر وانها تفيد اخلاص العبادة المحققة بقصد الامر ضرورة ان الغايات المحصلة لاخلاص العمل لله في طول قصد الامر لافى عرضه نعم قصد الامر كما يتحقق به العبادة يتحقق به الاخلاص ايضاً اذا انحصر الغرض به فقط .

فاتضح من جميع ما ذكرنا ان كل عمل وفعل أمر به تعالى بقصد الامر فيه على ما هو المقرر في الاصول وأتى به بقصد امره تعالى فهو عبادة بالحقيقة واذا كانت خالصة مخصصة لله سبحانه فهي عبادة مرضية لله سبحانه مثلاً تقبيل الحجر الاسود واستلامه والطواف حول البيت الذي بنى من الحجر مستند الى أمره تعالى عبادة لله جل ثنائه وكذلك سجود الملائكة لله واكرامهم لادم بأمره تعالى بالحقيقة وليست عبادة لادم بالضرورة والاستتكاف عن اكرام استكبار على الله سبحانه وكفر به .

ففي نور الثقلين ج ٢ ص ٩ في حديث عن الصادق الى ان قال قال ابلis يارب اعفنى من السجود لادم وانا أعبدك عبادة لم يعبدها ملك مقرب ولا نبي مرسل فقال الله تبارك وتعالى لاحاجة لى الى عبادتك انما اريد ان اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد الحديث .

وفي مروج الذهب ج ١ ص ٣٣ في خطبة لامير المؤمنين عليه السلام قال الى ان قال فلما خلق الله آدم ابان فضله للملائكة واراها ما اختصه به من سابق العلم

عند استنبائه اسماء الاشياء فجعل الله آدم محرراً وكعبة وباباً وقبلة وسجد اليها الابرار والروحانيين الانوار ، الخطبة .

وكذلك التعبد باستقبال بيت المقدس مدة ثم التعبد باستقبال الكعبة ليس الا عبادة لله بالحقيقة واكراماً وتعظيماً للبيت وكذلك الاستشفاع بالنبي الاعظم عبادة لله حيث انه مستند الى امر الله تعالى فقط وليس لرسول الله فيه امر ولا بعث من عند نفسه مستقلاً والاستتكاف والتأبى عنه استكبار عليه تعالى واشراك به واستخفاف بساحة قدس الرسول (ص) قال تعالى « واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم يستكبرون » . المنافقون .

وقد تقدمت الرواية فى تفسير قوله تعالى « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك . الاية » النساء (٦٤) . الموافقة لصريح الاية فى الحث على الاستشفاع من الرسول (ص) وفى مفادها ايضاً زيارات لرسول الله عن طريق أهل السنة .

وقد أوردها العلامة الامينى قدس سره فى كتابه الغدير ج ٥ ص ١٣٩ عن شرح بنلالى الحنفى فى المراقى قال السلام عليك ياسيدى يارسول الله الى ان قال: وقد جنناك من بلاد شاسعة واسعة بعيدة نقطع السبل والوعر نقصد زيارتك والقوز بشفاعتك والنظر الى مآثرك ومعاهدك والقيام بفضلك بعض حقك والاستشفاع بك الى ربنا فان الخطايا قد قصمت ظهورنا و الاوزار قد اثقلت كواهلنا وانت الشافع المشفع بالشفاعة العظمى والمقام المحمود والوسيلة وقد قال تعالى « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك » الاية .

اقول : وقريب منها زيارات اخرى من أرادها فليراجعها فتحصل فى المقام  
أميران :

الاول: - ان له تعالى ان يتعبد خلقه بما يراه ويريد ولا يرى ويريد لخلقه الا ماهو الاصلح والانفع لهم فيجب التدين والتعبد به والامتثال فيه .

الثانى : - ان العبادة حقيقة اضافية متقومة بقصد امر المولى وتحصيل الاخلاص فى العبادات التعبدية بداعوية امرها فقط وفى طولها من الدواعى وكذلك



فى العبادات الذاتية بوحدة من تلك الدواعى مثل طلب مرضاته تعالى على ماقرناه سابقاً فى السجدة وذكر الله تعالى وثنائه تعالى يأتى بها طلباً للثواب او مرضاته تعالى فقط فتعين ان الشفاعة و الاستشفاع مما ورد تشريعه فى الكتاب والسنة من الحقائق الاصلية القرآنية فالشافعون يشفعون باذنه والمذنبون يستشفعون بأمره ومنشأ هذه الاقويل هو الجهل بالكتاب والسنة او اغراض نفسانية اخرى .  
 اذا تقرر ذلك فنقول الايات الدالة على توبيخ الكفار و عبادتهم لاصنامهم على طوائف :

الاولى : مايستظهر منها ان الكفار يعبدونها بعنوان انها آلهة مستحقة للعبادة قال تعالى « أئنا لئار كوا آلهتنا لشاعر مجنون » ( الصافات ٤٥ ) والظاهر ان عبدة الكواكب من هذا القبيل .

الثانية : مايستظهر منها انهم انما قصدوا عبادة تلك الاصنام كى تكون لهم شفعاء عند الله قال تعالى « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاءنا عند الله » يونس ١٨ .

اقول : الظاهر ان المراد بقوله من دون الله اى سواه تعالى اى ان العبادة وقعت خاصة للاصنام فقط دون الاله الحق المبين .

قال فى القاموس: دون بالضم نقيض فوق الى ان قال وبمعنى سوى « انتهى » .  
 اقول : وهذه الطائفة الثانية من الاولى ايضاً اى ان عبادتهم لاصنامهم على سبيل الاختصاص بها دون اله الحق المبين ولا يجعلونه تعالى شريكاً فى العبادة مع اصنامهم كما هو ظاهر هذه الايات وان أبيت الا ان تقول ان هذه الايات تدل انهم يجعلونه تعالى شريكاً فى عبادتهم للاوثان فعليه تكون هذه الايات فى القسم الثالث على ما سنشير اليه انشاء الله .

الثالثة : - صريح عدة من الايات ان من الكفار من يتخذ آلهة يعبدونها ويجعلونها شريكاً مع الله رب العالمين ويجعلونه تعالى فى عرض الاصنام قال تعالى « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله » آل عمران ،

ولا يخفى عند اولى الالباب والانصاف ان الشفاعة والاستشفاع الذى ثبت تشريعه بحكم الكتاب والسنة يجب التدين و التعبد به ويحرم الاستنكاف والاستكبار عليه تعالى فى مخالفة امره وتشريعه كيف يكون شركاء بالمعانى الثلاثة التى ذكرنا و اى مناسبة بين هذا التشريع المقدس وبين هذه الطوائف الثلاثة من الايات و ضرورى انه لادلالة لهذه الطوائف الثلاثة من الايات ولا اشارة ولا اشعار على ذلك فمن نسب الشيعة وعامة المسلمين الذين يستشفعون لرسول الله الى الغلو والشرك فقد خالف محكم الكتاب حيث امر تعالى المذنبين ان يأتوا رسول الله كى يستشفع لهم فما اختلف هؤلاء الا بعد ما جاءهم العلم جهلا او حسداً فعدو الله ابليس امام المتكبرين وسلف المستكبرين ابى عن السجود لادم استكباراً او حسداً وهؤلاء الجهلاء يأبون عن الاستشفاع بالرسول وينسبون الشيعة وعامة المسلمين الى الغلو والشرك بالمغالطات التى سموها فقاها وتفقاها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

### ختام فيه تذكار

لا يخفى : ان صريح الايات والروايات دالة على اثبات الشفاعة ان الشفاعة امر اختيارى للمقربين وخاصة فى ما يقع منها فى الدنيا فالانبياء و الصديقين انما يشفعون بأمر الله واذنه .

وليس كما زعم بعض المفسرين ان الشفاعة امر تكوينى وعبارة عن تأثير نفوس الانبياء سيما نبينا(ص) فى متعلق الشفاعة وهذا التأويل فعل الله والانبياء وسائط فعله تعالى بناء على العلية والمعلولية وأنت تعلم انما يتم هذا على القول بالايجاب فى افعاله تعالى وعلى الجبر فى افعال العباد . وانما تأويل تلك الايات والروايات تحفظاً على اصول العلية والمعلولية . والايات الكريمة والروايات المباركة تناهى بأعلى صوتها على بطلان ذلك التأويل وتتأبى عنها .

## الاية الثانية (١)

قال تعالى : « أقم الصلوة طرفى النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » ( هود ١١٥ ) قوله تعالى : « أقم الصلوة » الاية تقدم تفسيرها فى الاية السابقة - قوله تعالى - « طرفى النهار » . ذكر فى القاموس من معانى الطرف والناحية ومنتهى الشىء ولا مانع من أن يكون من نفس الشىء او خارجاً عنه مما ساء به قريباً منه كقولهم كريم الطرفين اى ابا وأما ، « انتهى » ، فعلى هذا يكون المراد من طرفى النهار الغداة والمغرب .

وزلف . جمع زلفة . فى القاموس . الزلفة بالضم . الدرجة والمنزلة الى أن قال الطائفة من الليل جمع زلف كغرفة وغرف والزلف ساعات الليل الاخذة من النهار وساعات النهار الاخذة من الليل . فقوله تعالى « زلفاً من الليل » بعد بيان صلوة المغرب يكون المراد العشاء الاخرة .

وفى تفسير العياشى عن حريز عن ابي عبدالله (ع) أقم الصلوة طرفى النهار قال طرفاه المغرب والغداة وزلفاً وهى صلوة العشاء الاخرة .

وعن ابن عباس و الحسن و الجبائى طرفى النهار . وقت صلوة المغرب والفجر وقد تكلف بعض المفسرين فى استخراج اوقات الفرائض الخمس من هذه الاية . وقال فى المجمع قالوا وترك ذكر الظهر والعصر لاحد امرين اما بظهورهما انهما صلاة النهار فكأنه قال أقم الصلوة طرفى النهار مع المعروفة من صلوة النهار واما لانهما مذكورتان بالتبعية للطرف الاخير لانهما بعد الزوال فهما أقرب اليه انتهى ما أردناه ولا يخفى فيه من الضعف بعدم اعتماده على ظهور آية اودلالة رواية وفى التبيان قال الزجاج يعنى الغداة والظهر والعصرو به قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرطبى لان طرف الشىء من الشىء و صلوة المغرب ليست من النهار « انتهى » .

(١) الاية من (آيات نبحت فيها عن وجوب الصلاة وحدودها) . مضت الاية الاولى

وروى الجصاص هذا القول عن الحسن وقال قد انتظمت الاية الصلوات الخمس .  
اقول : الظاهر ان هذا القول مختار الجصاص ما فيه من الوهن ، فان الوقت  
المضروب على صلوة الظهر الزوال بنص الكتاب الكريم وهو قلب النهار ووسطه  
وكذلك العصر بعدها فحمل الطرف وتفسيره بالوسط ليس الا اخراج اللفظ عن  
معناه وقوله طرف الشيء من الشيء اجتهاد فى اللغة لا ينبغى الاصغاء اليه .

فتبين فى المقام ان الاظهر فى معنى الاية ان المراد من طرفى النهار المغرب  
والغداة و زلفا صلوة العشاء الاخيرة وعرفت تفسير الاية بذلك فى رواية حريز عن  
ابى عبدالله وفى معناها رواية أخرى عن الباقر (ع) قوله تعالى «ان الحسنات يذهبن  
السيئات» قيل المراد بالحسنات الصلوات المذكورة فى الاية واللام للتعريف اقول :  
فى ظاهر الاية اشعار بذلك ايضاً ، فقوله تعالى «ان الحسنات» . . الاية بمنزلة  
التعليل بقوله أقم الصلوة الا ان فى الروايات الواردة عن أئمة اهل البيت (ع)  
استدلال واستشهاد فى غير مورد الصلوة .

ومعنى اذهاب الحسنات السيئات ان الله سبحانه يعطى الحسنة ويضاعفها  
بفضله و كرمه اضعافاً مضاعفة كثيرة لمن يشاء ويعفو عن السيئات اى سيئات المحسنين  
تكرماً و تعظفاً عليهم وتفسير ذلك انه من باب الحبط و التكفير المصطلح فى علم  
الكلام كما احتمله المولى المحقق الاردبيلى ( قد ه ) ومعنى الحبط عندهم اسقاط  
استحقاق ثواب الطاعة المتقدمة بالكبيرة المتأخرة مطلقاً سواء كان أحدهما أقل او  
اكثر وقال بعضهم بالموازنة وهى أن يسقط من الاكثر ما يساوى الاقل ويبقى الزايد  
على حاله من غير تراحم ، والتكفير عبارة عن اسقاط استحقاق عقاب الذنب المتقدم  
بالطاعة المتأخرة وقد اسلفنا الكلام فى ذلك فى بطلان الحبط والتكفير بالمعنى  
الذى ذكره فى هذا الباب مستوفى فى تفسير الاية ٢٢ من آل عمران من أرادها فليراجعها  
وقيل المراد من ذهاب السيئات بالحسنات شدة توفيق المحسنين فى الاجتناب  
عن السيئات مثل قوله تعالى «ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر» ( العنكبوت  
٤٥ ) ولا يمكن حمل الاية عليه .

### الاية الثالثة

قال تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والارض وعشياً وحين تظهرون » (الروم ١٧) .

قوله تعالى « فسبحان الله » تسبيح وتقديس لله جل ثنائه عن كل ما لا يليق به من حيث ذاته وصفاته وأفعاله وقد تكاثرت في الكتاب والسنة التسيبحات والتقديسات بأنحاء مختلفة وعبارات متنوعة في العبادات والاذكار والادعية والخطب وقد طلعت دعوة القرآن الكريم بالتكبير والتسبيح قال تعالى « قم فانذر وربك فكبر » والتكبير هو تسبيح الذات على ما أسلفناه في بعض ابحاثنا ولو تأملت في القرآن الكريم حقه لوجدت ان هذه التسيبحات في معرض تشبيه الملحدين وتوهم الجاهلين وتوصيف الواصفين قال تعالى « فسبحان رب العرش عما يصفون » الانبياء (٢٢) قال تعالى « سبحان الله عما يصفون » (الصافات ١٥٩) .

قوله تعالى « فسبحان الله حين تمسون » قيل انه امر بالتسبيح على صورة الاخبار اى سبحوا الله تسبيحاً و سبحاناً حين تدخلون في المساء و سبحان مصدر مثل غفران و وردت في تفسير قوله تعالى « وسبحان الله وما أنا من المشركين » (يوسف ١٠٩) عدة روايات .

منها في البرهان عن الصدوق باسناده عن بريد الاصم قال سأل رجل عمر ابن الخطاب فقال يا امير المؤمنين فما تفسير سبحان الله قال ان في هذا الحائط رجلا كان اذا سأل انبأ واذا سكت انبأ فدخل الرجل فاذا هو على بن ابي طالب (ع) فقال ياأبا الحسن ماتفسير سبحان الله قال تعظيم جلال الله وتنزيهه عما قال فيه كل مشرك . . الحديث . وسيأتى بقية الكلام فيه في ذيل البحث .

قوله تعالى « وله الحمد » الاية قالوا ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى و ذكر بعضهم في تفسيره انه بمعنى الشكر والرضاء وأقول الظاهر ان الحمد في اللغة بمعنى الثناء الذى يعبر عنه بالفارسية « ستودن » ويقع على الذات

وعلى الصفات وعلى الافعال فيرجع ذلك الى التمجيد على كمال ذاته وكمال صفاته وأفعاله جل ثنائه لاستحالة تطرق نقص وعيب في ذاته وصفاته وأفعاله .

قال السيد المحقق في رياض السالكين في شرح دعائه عليه السلام في التحميد الحمد هو الثناء على ذى علم لكماله ذاتياً كان كوجوب الوجود والاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقائص او وصفيًا ككون صفاته كاملة واجبة او فعلياً ككونه مشتملة على الحكمة « انتهى » .

وقال المولى الفيض في شرحه للاسماء الحسنی نقلا عن بعض في تفسير الحميد قال الحميد هو المحمود المثني عليه والله تعالى هو الحميد يحمد نفسه ازلا وأبداً - الى ان قال - يرجع هذا الى صفات الجلال والعلو والكمال « انتهى » . فتلخص ان الحمد منه تعالى لنفسه وكذلك عن الملائكة والاولياء العارفين به انما هو بلحاظ قدس ذاته وصفاته وأفعاله عن كل نقص وعيب وعند التحليل يرجع الحمد الى نوع من التسبيح و الفرق ان التسبيح انما هو بلحاظ نفى كل نقیصة و طردها عنه تعالى مستقيماً وبلا واسطة والتحميد انما هو بلحاظ علو الذات و ارتفاعه عن النقائص و لازم ذلك الامر الوجودى التسبيح ويصح ان يقال ان التحميد نوع خاص من انواع التسبيح وفي كثير من الايات تعقيب التسبيح بالحمد قال « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » البقرة (٢٠) .

قال تعالى « ويسبحون بحمد ربهم » (الزمر ٧٥) فمعنى قوله : « وله الحمد فى السموات و الارض و عشياً و حين يظهر و ن » بالتعبير بالجملة الاسمية ثبوت استحقاق الحمد له تعالى فهو المحمود بكل لسان فى كل مكان وفى كل زمان بالاستحقاق على الاطلاق .

وقد اتضح من جميع ما ذكرنا وتحصل ان التسبيح تنزيه الذات الاحدية عن كل ما لا يليق به .

والتكبير هو تعظيمه وتجليله تعالى بنفى توهم ما يكون قرينا ومساويا له وابطال ما توهم فيه من الحدود والاصناف ( والتحميد هو الثناء على علوه وارتفاعه ذاتاً

وصفاتاً وأفعالا عن كل نقيصة وعلة) واما التمجيد فهو تعظيمه تعالى خارجاً عن حد التعطيل والتشبيه اذا تقرر ذلك فنقول المنقول عن ابن العباس والمجاهد ان المراد من قوله تعالى « حين تمسون » وقت الصلوة المغرب والعشاء ، ومن قوله « حين تصبحون » وقت صلوة الفجر وعشياً العصر وحين تظهرون وقت الظهر . ونقل الجصاص ذلك عن الحسن أيضاً .

اقول : وهذا فى نهاية الاشكال فان قوله تعالى « وعشياً » بناء على أنه عطف على قوله « فى السماوات والارض » يكون المعنى وله الحمد فى السماوات والارض وفى العشاء وحين الصباح وحين الظهر فاستحقاقه تعالى للحمد وكونه محموداً فى السماوات والارض لا يعقل ان يكون صلاة حين العشاء وحين يدخلون فى الصبح والظهر فبطل الاستدلال بالايه لاستنباط الاوقات للفرائض الخمسة واما بناء على عطف عشياً على قوله تعالى « حين تمسون » فيكون قوله تعالى « وله الحمد - الى آخره - جملة معترضة فيندفع اشكال المذكور الا انه يحتاج القول بأن المراد من التسبيح هو التسبيح الموظف المسمى بالصلوة من باب تسمية الكل باسم الجزء الى دليل معتبر من آية ورواية .

و اما النوى فقد رواها فى البرهان عن الصدوق بالاسناد عن حسن بن على عليهما السلام وساقها الى أن قال فصلى آدم ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته وافترض الله عز وجل هذه الركعات الثلاث على امتى وهى الساعة التى يستجاب فيها الدعاء فوعدنى ربي عز وجل ان يستجيب لمن دعاه وهى الصلاة التى أمرنى بها ربي فى قوله عز وجل « فسبحان الله حين تمسون » نهي مع ضعف متنها معترضة لصلاة المغرب فقط واما غيرها من الصلوات فهى معللة بعلة اخرى فلا تصلح سنداً لما ذهب اليه عبدالله بن عباس والله الهادى .

### الاية الرابعة

قال تعالى : « فاصبر على ما يقولون فسيح بحمد ربك قبل طلوع الشمس

وقبل غروبها ومن آتاء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى « ( طه ١٣٠ ) قوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون » اى من تكذيبك وايدائك بألسنتهم وأفواههم قوله تعالى « فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس » . الاية ، فى التبيان قبل طلوع الشمس يعنى صلوة الفجر وقبل غروبها يعنى صلاة العصر ومن آتاء الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء واطراف النهار يعنى صلاة الظهر فى قول قتادة انتهى .

اقول : قوله تعالى « فسبح بحمد ربك » الظاهر ان المراد سبح ربك بحمده فان التحميد لله تعالى نوع خاص من انواع التسبيح كما قدمنا بيانه على التفصيل وما ذكره قتاده من تفسيره بصلوة الفجر وهكذا الى آخر ما قال غير مستند الى ظاهر الاية ولا الى دليل سمعى .

فى البرهان عن الصدوق بالاسناد عن اسماعيل بن فضل قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل « فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » قال فريضة على كل مسلم ان يقول قبل طلوع الشمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت قال فقلت لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وييمت ويحيى له الملك وله الحمد وهو حى لا يموت فقال يا هذا لاشك ان الله يحيى ويميت وييمت ويحيى ولكن قل كما أقول .

اقول : الظاهر ان الامر والترغيب بمطلق ذكر الله سبحانه وتحميده جل ثنائه ولا دليل على انها لبيان وقت فريضة الفجر والعصر .

قوله تعالى « ومن آتاء الليل » الاية قالوا الاناء جمع انى او اناء بالفتح والمد ومن بمعنى فى وآتاء الليل ساعاتها قدم الطرف لمزيد العناية بالليل اشق وابتعد عن تطرق الرباء فيها رظاهر الاية واطلاقها عدم التوقيت للتسبيح المذكور بل بأمر تعالى بالتسبيح والحمد فى أى ساعة منها وهذا البيان ينافى التوقيت وتقييد فريضة من الفرائض بها نعم لا بأس بحمل الاية على نوافل الليل لو قام دليل صالح لتقييد الاية وتخصيصها كما فى قوله تعالى « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » الاية ..



قوله تعالى : فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و... -٢١٩-

قوله تعالى : « اطراف النهار » الآية قد تقدم تفسير الطرف انه ناحية الشيء ومنتهاه سواء كان من الشيء او ما يقاربه والاطراف باطلاقه شامل للغد والمغرب واولائل النهار وواخره وهذا النحو من الاطلاق والارسال ينافى التقييد والتوقيت ايضاً على ما ذكرناه فى اناء الليل فلا محالة يحتاج توقيت فريضة من الفريض بها الى دليل ماطبق من آية او رواية والاية باطلاقها شاملة التسيبحات وصلوة التطوع الابتدائى .

فى الوسائل عن على بن ابراهيم مسنداً عن زرارة عن ابى جعفر قال له آناه الليل ساجداً وقائماً يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قال يعنى صلوة الليل قال قلت له اطراف النهار لعلك ترضى قال تطوع بالنهار . . الحديث . قوله (ع) تطوع بالنهار لعله بيان للمصداق لايبان للمراد والمراد بالتطوع التطوع الابتدائى .

قوله تعالى « لعلك ترضى » امر تعالى رسوله وحبيبه ان يسبحه ويحمده تعالى بالعشى والابكار وبالغدو والاصال وفى آناه الليل اطراف النهار لعله (ص) ينال من رحماته وكراماته تعالى ومواهبه الخاصة المكنونة مايرضى به (ص) وبناء على فرائد المسنى للمعلول اى لعل الله سبحانه ينيل حبيبه ورسوله من عطاياه والطافة ما يرضيه .

اقول : فى ذلك ذكرى للذاكرين وعظة لقوم يعقلون فعلى اولى الالباب والابصار ان يذكروا الله ويراقبوه ويهابوه ويعظموه فى السر والعلن .

### الاية الخامسة

قال تعالى : « فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود » (ق/٣٩-٤٠) .

تقدم الكلام فى تفسير تلك الفقرات قوله تعالى وادبار السجود بفتح الهمة وكسرها فعن ابن عباس التسيب والنداء عقيب المفروضات وعن الحسائى النوافل بعد المفروضات .

فى نورالثقلين عن الكافى : عن زرارة عن ابى جعفر عليه السلام قال قلت له وادبار السجود قال ركعتان بعد المغرب .

وفيه ايضاً مسنداً عن ابى نصر قال سألت الرضا (ع) عن قول الله ومن الليل فسبحه وادبار السجود قال اربع ركعات بعد المغرب وفى القلائد عن الحميرى بالاسناد الى اسماعيل بن عبد الخالق مثل ما رواه زرارة عن الباقر (ع) وفى القلائد ايضاً فى الصحيح عن ابن ابى عمير عن الرضا (ع) قال ادبار السجود اربع ركعات بعد المغرب .

اقول : تفسير ادبار السجود بنافلة المغرب كما هو مفاد تلك الروايات هل هو على سبيل بيان المصداق او هو من باب بيان المراد والاحتمال الاول ارجح واولى ومن العجيب ما فى القلائد ان هذا قرينة على ان المراد من التسبيح فى قوله فسبحه صلوة المغرب وليت شعرى كيف يكون تعيين ادبار السجود وتفسيره بنافلة المغرب قيماً للتسبيح فى قوله تعالى فسبحه ولو صح كونه مقيداً فانما يكون مقيداً لادبار السجود فتعين ان ادبار السجود اريد منه نافلة المغرب اما على التعيين او من باب انه احدى المصاديق ولا يستلزم ذلك تخصيص التسبيح بصلوة المغرب ولاتعين ادبار السجود بنافلة المغرب .

### الاية السادسة

قال تعالى : «فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم» (الطور ٤٩) .

قوله تعالى «الى حين تقوم» اختلفت الكلمات فى تفسيره وواجه الاقوال ما قال على بن ابراهيم حين تقوم بصلوة الليل فسبحه قال صلوة الليل «انتهى» وفيه ان قوله تعالى ومن الليل عطف على قوله حين تقوم وبديهي ان مقتضى العطف المغايرة فالتسبيح حين القيام غير التسبيح بالليل وهما غير التسبيح فى ادبار النجوم والافوق للقواعد التسبيح المطلق حين القيام ثم التسبيح فى الليل فى اى ساعة من ساعاته

وهذه الجملة من الاية تصلح الانطباق بصلوة الليل الا انه يحتاج ويتوقف على دليل معتبر فتحصل ان كلتا الجملتين ، فادها التسبيح المطلق والظاهر من قوله تعالى حين تقوم القيام من النوم او القيام للعبادة .

قوله تعالى : «وادبار النجوم» اى حين ان ينقض النجوم اى فسيح عقيب النجوم والمقدار المسلم منه بين الفجر الاول الكاذب والصادق الثانى الى ان تشبكت النجوم وفى صحيحة ابن ابي عمير عن الرضا (ع) قال: ادبار النجوم ركعتين قبل صلوة الصبح .

اقول : يعنى التسبيح ادبار النجوم صلوة ركعتين قبل صلوة الصبح ، وفى نور الثقلين عن الكافى عن على بن ابراهيم مسنداً عن زرارة عن ابي جعفر (ع) قال قلت له وادبار النجوم قال قال ركعتان قبل الصبح وفى القلائد قرب الاسناد مسنداً عن اسماعيل بن عبد الخالق قال سمعت ابا عبد الله يقول عن الركعتان بعد الفجر هى ادبار النجوم .

اقول: قوله (ع) بعد الفجر اى بعد طلوع الصبح وقبل فريضة الصبح . واعلم ان الايات التى سبقت للبيان اوقات الفرائض مثل قوله تعالى : «اقم الصلوة لدلوك الشمس» وقوله «اقم الصلوة طرفى النهار» . . الاية . على التفصيل الذى تقدم فيها دلالة على توسعة الوقت للفرائض وليست فى الاثار المروية عن الرسول وآله الائمة الابرايم يدل على التضييق فى واحد من الفرائض .

### «فى القبلة»

### الايد الاولى

قال تعالى : «سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم/البقرة آية ١٤٢ .

### بيان

الظاهر من سياق الايات مورد قوله تعالى «سيقول السفهاء من الناس .

السفة: خفة العقل . والتولية: الاعراض عن الشيء اذا استعمل بعن والاقبال الى الشيء اذا استعمل بالى . والظاهر من سياق الايات ان قوله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس ماوليتهم » الاية: شروع فى التكلم فى امر القبله والبحث والنظر فيها والاحتجاج على المعترضين لتحويلها .

وفيهما اعلام لامر سيقع ويقع الاعتراض عليه وليس مورد الاية الكريمة بعد الايات الدالة على تحقق النسخ والتحويل كمازعمه بعض المفسرين وحيث ان امر القبله لها شأن وانعكاس خاص بين اعداء الاسلام سيما الاعراب الوثنية وقد ترك الرسول (ص) قبلتهم واليهود الذين صلى الى قبلتهم مدة من عمره الشريف وقد وقعت المخالفة لكلا القبيلتين وكلتا القبيلتين وكانوا يتشبثون لاغواء المؤمنين والتشكيك فى عقائدهم بكل حشيش يتربصون بهم الدوائر ويترقبون فى كل يوم وساعة حادثة ليرجفوها بين الناس . فشرعوا فى الطعن والهمز واللامز . فان العدو للجوج اذا وجد مجالا لم يترك مقالا .

وانظر الى قولهم ماولا هم عن قبلتهم، فلم يسندوا التحويل الى الله والى الرسول والى الوحى والى المسلمين وابهموا كمال الابهام كى يبهموا على العامة . فعبروا بلحن من القول وردىء من البيان . سيما اليهود فانهم مع لجاجهم وعنادهم . قائلون باستحالة النسخ فى الاحكام واستحالة التغير فى التكوين وفى شىء من النظام الموجود ولهم فى هذه الخرافة شبهات ومغالطات بصورة البرهان .

وقد ورد فى القرآن الكريم التوبيخ عليهم . قال تعالى : « قالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان » وقدس تعالى نفسه عما نسبوا اليه (تعالى) قال تعالى : « كل يوم هو فى شأن » . « يمحو الله ما يشاء و يثبت وعنده ام الكتاب » وقد رد عليهم ائمة اهل البيت عليهم السلام وابطلوا مقالهم فى روايات كثيرة وفى ابواب الدعاء وغيرها .

قوله تعالى : « قل لله المشرق والمغرب » .. الاية يملكهما وغيرهما من الاحياز والامكنة المتبركة ليست لها اختصاص ذاتى بهذه التشريفات وانما هى بجعل من

الله سبحانه اى لايمكن لاحد التصرف و المداخلة فى سلطان التشريع لله سبحانه ولايمكن الاعتراض من احد عليه تعالى لقصور علم غيره تعالى عن الاحاطة باسرار التشريع و انما يجب على العباد الخضوع والتسليم فى مقابل ما امره سبحانه سواء كان فى دين نبى واحد او انبياء كثيرين .

قال تعالى : «و لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» وليس ذلك من باب الاختلاف بين الانبياء ولا الاختلاف فى دين واحد . والاسلام دين الانبياء المقربين الاولين والاخرين وقد تكون لكل منهم شرعة ومنهاجا مخصوصا بحسب الاوقات والاشخاص وكذلك بالنسبة الى نبى واحد .

فى البرهان عن الامام ابى محمد العسكرى عليه السلام قال : - الى ان قال : فقال اليهود عند ذلك « ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » فأجابهم الله احسن الجواب . فقال : «قل لله المشرق و المغرب» وهو يملكها وتكليفه التحول الى جانب كتحويله لكم الى جانب آخر الحديث .

قوله تعالى : « يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » الظاهر انها بهداياته وتوفيقاته الخاصة .

قال تعالى : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله يضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » البقرة (٣٤١) .

### بيان :

المكة المكرمة اقدم بيت و اول مسجد وضع للناس للعبادة و اظهار شعائر التوحيد وقد كان معبداً للابرار ومطافاً للاطهار . وليس فى الدنيا من الهياكل والكنائس وبيوت النار اسم ولا رسم .

قال تعالى « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » ..  
الاية آل عمران (٩٧) فالاية الكريمة صريحة فى ان البيت الذى وضع للناس مباركاً

وهداية للعالمين ، من غير اختصاص زمان دون زمان ، الكعبة المعظمة .  
 العياشى عن زرارة قال سأل ابو جعفر (ع) عن البيت كان يحج اليه قبل ان  
 ان يبعث النبى ﷺ قال نعم لا يعلمون ان الناس يحجون ونخبركم ان آدم و نوح  
 وسليمان قد حجوا البيت بالجن والانس و الطير ولقد حججه موسى على جمل احمر  
 يقول ليك ليك فانه كما قال تعالى : «ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مبارك  
 وهدى للعالمين» .

فى البرهان عن المفيد فى الاختصاص عن النبى وقد سئل عن اول ركن وضع الله  
 فى الارض قال الركن الذى بمكة وذلك قوله : ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة  
 مبارك . . «الحديث» .

فى الوسائل عن امير المؤمنين فى خطبة قال : - الى ان قال - الاثرون ان  
 الله قد اختبر الاولين من لدن آدم الى الاخرين من هذا العالم باحجار ماتضرو ولا تنفع ولا  
 تبصرو ولا تسمع جعلها بيت الحرام .. الخطبة .

فى البرهان رواية مرسله عن ابن شهر آشوب فى تفسير الاية ان مكة ليست  
 اول بيت وضع للناس بل كان قبلها بيوت وهى لاجل ابتلائه بالمعارض لاتصلح  
 لتقييد الاية الكريمة بها والكنيسة العظمى والمسجد الاقصى بيت المقدس بناها سليمان  
 بن داد وهو من احفاد ابراهيم . بعد ابراهيم بسنين كثيرة . والاحاديث على هذا  
 النمط غير عزيزة فعلى عهدة الباحث الفحص والبحث والاستطلاع عليها من مظانها  
 قال تعالى : «ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا  
 ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم» ابراهيم آية (٢١) فنزل ابراهيم  
 مع اسماعيل وهاجر بفناء البيت واسكنهما فيه وقد حان الحين ان يجدد الله بناء  
 البيت على يدى خليله وصفيه مع خضوع وتعبد واخلاص فالاية الكريمة صريحة  
 فى ان ابراهيم سرح اسماعيل وهاجر عند البيت .

«هل كانت الكعبة قبلة قبل ان يبعث الرسول ﷺ ام لا»

الظاهر من بعض الروايات ان الكعبة كما انها معبد للابرار ومسجد للطيبين الاطهار وقد بوركتم ووقدت امم من افاضل البشر واعظام الهداة بالوفادة اليها والتعبد بنسكها كذلك وهي قبلة لاهل التوحيد وللمصلين اليه .

فعن النهج عن علي امير المؤمنين (ع) قال في خطبة ان الله فرض عليكم حج بيته الذي جعله قبلة للانام . . الخبطة

في الوسائل في حديث مناظرة الصادق (ع) مع من انكر عليه الطواف قال: هذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في اتيانه وحثهم على تعظيمه وزيارته وجعله محل انبيائه وقبلة للمصلين اليه . . الحديث .

فظاهر قوله عليه السلام : فرض عليكم حج بيته الذي جعله قبلة للانام وكذلك قول الصادق (ع) : وجعله قبلة للمصلين اليه : ان جعل الكعبة قبلة غير منك عن كونها بيتا له سبحانه بل مساوي ومقارن لكونها بيتا لله وان ابيت عن الظهور اللفظي فلا اقل من الاطلاق اي اطلاق الجعل للقبلة مع التنصيص وعموم الانام وعموم المصلين . في الوسائل مسنداً عن أبي ابراهيم عن ابي عبد الله (ع) في حديث قال ان الله بعث جبرائيل الى آدم (ع) فانطلق به الى مكان البيت فانزل الله اليه غمامة ما اظلت مكان البيت فقال يا آدم خط برجلك حيث اظلت هذه الغمامة فانه يستخرج لك بيت من مهابة يكون قبلكم وقبلة عقبك من بعدك . ورواه عبد الرحمن بن كثير عن ابي عبد الله (ع) الى ان قال : خط برجلك حيث اظلت هذه الغمامة فانه قبلة لك ولاخر عقبك من ولدك .

### الاية الثانية

ومن قوله تعالى : «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها» البقرة ١٤٢ الاية الكعبة التي هي اقدم بيوت التوحيد هل صلى اليه الرسول ﷺ قبل بيت المقدس ام لا ؟

لم يتعرض احد من المفسرين له الا فى تفسير هذه الاية فقال بعضهم ان المراد من القبلة المجعلة هى الكعبة التى كانت قبلة له (ص) قبل بيت المقدس ولم يفصلوا ازيد من ذلك . فخلاصة القول فى المقام ان اخبار الباب على طوائف .

الاولى : انه صلى الى بيت المقدس من بدو رسالته .

الثانية : انه جعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ولم يستدبرها ولما اجرالى

المدينة استدبر الكعبة واستقبل بيت المقدس .

الثالثة : انه ماصلى الى بيت المقدس الا فى المدينة تأليفا لليهود .

الرابعة : انه صلى الى بيت المقدس مدة مقامه بمكة اى قبل رسالته ايضا

فانه (ص) كان نبيا ولم يكن رسولا وذلك بناء على ما هو التحقيق ان الرسول من ارسل اليه ملك الوحي فيكلمه قبلا ومشافهة بما جاء به من عند الله من الشرايع والاحكام وما عدا ذلك من انحاء التكلم - الالهى فى الشريعة والدين فجمعها من انحاء النبوة .

وما قيل من الفرق بين الرسول والنبى ان الاول من اوحى اليه وامر بالتبليغ

و الثانى من اوحى الله ولم يؤمر بالتبليغ فلا محصل له ضرورة ان البلاغ وعدمه اجنبى عن مفهوم الرسول والنبى لغة واجنبى ايضا عن نفس الحقيقة والعلم المفاض من الله سبحانه على الانسان الرسول والنبى وقد اوضحنا ذلك فى تفسير قوله تعالى « انى جاعلك للناس اماماً » البقرة .

اذا عرفت ذلك فاعلم . ان الظاهر من الاية ان القبلة المجعلة فى المقام هى

بيت المقدس لا الكعبة كما أصر عليه الرازى واستدل عليه بأن الفتنة والامتحان والاعتراضات الشديدة انما وقعت فى المدينة فى نسخ بيت المقدس وجعل الكعبة قبلة ثانية حتى ارتد اناس ممن آمن ويشهد على ما ذكرناه امور .

١ - ان المراد من القبلة المعرفة باللام ماسبق فى الاية السابقة فى قوله تعالى .

« ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » فمورد اعتراض السفهاء عليه (ص) وعلى

المسلمين انما ترك القبلة التى كانوا عليها .



٢ - ان المراد من الجعل في الآية هو التشريع والامر وهو لا يمكن الا بعد الرسالة وبعد الامر بالبلاغ حتى آمن به جمع من الناس يريد تعالى بهذا الجعل امتحانهم و اختبارهم لكي يميز المؤمن من المدبر واما قبل الرسالة والبلاغ في زمان نبوته او رسالته ولم يؤمر بالتبليغ سيما تبليغ الاحكام فليس هناك جعل ولا تشريع ولا بلاغ فلامحالة يكون بعد الرسالة بزمن يسير او كثير. فعليه يبطل ما قيل انه (ص) صلى الى البيت المقدس مدة مقامه بمكة وكذلك قول من زعم انه صلى اليه من بدو رسالته مقارناً معه الا ان يكون تسامحاً في التعبير .

٣ - ان الجعل الثاني للكعبة ونسخ بيت المقدس قوله تعالى «فول وجهك» الآية لم يتحقق بعد فيبطل ما قاله الرازي .

٤ - ان هذه القبلة حيث ما شرعت انما شرعت للاختبار والامتحان لاتأليفاً لليهود بالنسبة الى جعل بيت المقدس ولاتأليفاً للمشركين بالنسبة الى جعل الكعبة للمشركين فلا محالة يقع المجعول امتحاناً للمؤمنين لاليهود فان الامتحان لليهود يكون في رفعها ونسخها وصريح الآية ان الامتحان في جعل القبلة لا في نسخها فتبين من جميع ما ذكرناه ان المراد من القبلة المجعولة هي بيت المقدس بمكة والممتحن المؤمنون من العرب وقريش ومن يريد ان يؤمن من المشركين وانه (ص) ومن معه من المسلمين يصلون الى الكعبة الى حين حتى حولت الى بيت المقدس ثم نسخت واعيدت الى الكعبة .

في الوسائل مسنداً عن معاوية بن عمار قال قلت لابي عبد الله (ع) متى صرف رسول الله الى الكعبة قال بعد رجوعه من بدر وكان يصلى في المدينة الى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم اعيد الى الكعبة .

اقول : قوله (ع) اعيد الى الكعبة ظاهر في انه (ص) كان يصلى قبل بيت المقدس الى الكعبة ثم اعيد اليها ايضاً والغرض من هذا البيان بيان صرفه (ص) الى الكعبة فلا ينافي ما استظهرنا من الآية ان هذا الجعل وقع في مكة ولا ينافي ايضاً للروايات المصرحة بذلك وانه يصلى في مكة الى بيت المقدس ففي بعض منها انه

يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس وفي بعض منها ثلاثة عشر سنة .  
ومما يستأنس ان الرسول (ص) يصلى فى مكة الى الكعبة فى اوائل امره ما  
فى البحار عن اعلام الورى عن دلائل النبوة مسنداً عن عفيف انه قال كنت امرء  
تاجراً فقدمت منى ايام الحج وكان العباس بن عبدالمطلب امرء تاجراً فأتيته والمتاع  
ايهه قال فبينما نحن اذخرج رجل من خباء يصلى فقام تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة  
فقامت تصلى وخرج غلام يصلى معه فقلت يا عباس ماذا الدين ان هذا الدين ما  
ندرى ما هو فقال هذا محمد بن عبدالله يزعم ان الله ارسله وكنوز كسرى وقيصر  
تستفتح عليه وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به وهذا ابن عمه على بن ابى  
طالب آمن به . . الحديث .

قوله تعالى : « الا لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » .  
فقد تقدم منا فى بعض المباحث ان المراد فى امثال المقام ليس حدوث العلم  
بل تبين المعلوم على رؤوس الاشهاد مثل قوله تعالى : «ولما يعلم الله الذين جاهدوا  
منكم » الاية (البقرة) اى ليميز المؤمن من غير المؤمن .

قوله تعالى : « ممن ينقلب على عقبيه » العقب : مثل كتف . مؤخر القدم  
اى يرجع مدبراً ومعرضاً عن دعوة الرسول ولامانع من شموله للاعراض المتمائلين  
والمقدمين على الايمان وللمرتدين ايضاً والاية الكريمة ناصة بأن جعل بيت المقدس  
قبلة اختبار وامتحان للمؤمنين وتمحيص واياهم عن غيرهم وابطال لما ذكره بعض  
المفسرين انه كان التحويل الى قبلة اليهود تأليفاً لهم ثم نسخه وجعل الكعبة قبلة ثانية  
- تأليفاً للمشركين .

قوله تعالى : « وانها لكبيرة الا على الذين هدى الله » . الضمير راجع الى  
القبلة او الى تحويل القبلة المستفاد من الكلام وكون التحويل الى بيت المقدس  
كبيرة عند أهل الحجاز وخاصة عند قريش فان الكعبة اساس مجدهم ومفاخرهم  
لخضوع جميع العرب لها . فكل من الفرق يدعى الانتساب الى ابراهيم الحنفاء  
الوثنيون ومن غيرهم ايضاً وهؤلاء خاضعون للكعبة ولمجاوريها وسدنتها وحجابها

وبوابها وقد وقعت حروب عظيمة فى سدانة الكعبة وتوليبتها قبل الاسلام . فترك رسول الله قبلتهم ليس باهون عندهم من سب آلهتهم وتحميقهم وتمحيق آباءهم وابطال عاداتهم الجاهلى ورسومهم القومى فقد صار امتحاناً بليغاً وتحميصاً شديداً . قوله تعالى : «وما كان الله ليضيع ايمانكم» الاية لما صرف الله المسلمين من الصخرة الى الكعبة و كان صلوتهم اليها ثلاثة عشر سنة بمكة وسبعة عشر شهراً بالمدينة وكان التحويل فى نصف من رجب بعد رجوعه ( ص ) من بدر شكى المسلمون الى الرسول انا صلينا الى قبلة الصخرة فما حال صلاتنا اليها فأنزل الله . وما كان الله الاية فان حكم المنسوخ لا يصير باطلا فى طرفه بالنسخ فالمراد من الايمان هنا الصلوة وقد سمي الله الصلوة ايماناً . واستدل القائلون بأن الايمان كله عمل بهذه الاية .

توضيح ذلك ان الاية وصريح عدة من الروايات ان الايمان كله عمل والايمان مثبت على الجوارح كلها . فعمل القلب الازعان وعمل اللسان الاقرار وهكذا كل عضو وكل بما أمر به وهو ايمانه فعليه يكون الايمان مركباً ومؤتلفاً من عدة اعمال . غاية الامران للاعضاء وهكذا للاعمال اصول ورؤوس فلا يخرج الرجل من الايمان بترك بعض هذه الاعمال ما لم يترك من اصولها ورؤوسها ) .

وفى مقابل هذا القول قول آخر و لعله هو المشهور ان الايمان عمل بسيط وهو العلم والاذعان والاعمال شرط لصحته وقبوله فقوله تعالى : وما كان الله ليضيع ايمانكم» اى صلوتكم ، تدل على صحة القول الاول .

فى القلائد عن الكافى : فى حديث رواه عن الصادق ( ع ) يذكر فيه قسمة الايمان على جوارح ابن آدم الى أن قال ان الله عزوجل لما صرف نبيه الى الكعبة عن بيت المقدس فأنزل : «وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم» فسمى الصلاة ايماناً .

قوله تعالى : « ان الله بالناس لرؤوف رحيم » .

هذه الجملة بمنزلة التعليل لمضمون الجملة السابقة اى : ان الله سبحانه

بفضله ورافته ورحمته على الناس المصلين لا يضيع صلاتهم فعليه يكون المراد من الناس المؤمنين خاصة بقريئة ذكر هذا الاسم المبارك (الرؤوف) مع ذكر الاسم الكريم « الرحيم » فانه لامعنى لشمول رحمته ورافته تعالى للكافرين . وذكر بعض المفسرين فى تفسير الفاتحة ما خلاصته : انه لافرق بين الرحمن والرحيم من حيث المادة وانما تدل صيغة فعلان الموضوع للمبالغة على كثرة الرحمة وعمومها والرحيم الفعيل موضوعة للسجايا والصفات الغريزية فيكون فيه تعالى دالا على ثبوت الرحمة ودوامها فعليه لا يكون لما قيل ان الرحمن بجميع خلقه المؤمن والكافر والرحيم للمؤمنين خاصة معنى محصلا و تكون الروايات الدالة على ذلك المعنى مخالفة للقرآن فتطرح او تأول وهو عجيب فان القائل بأن الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة يرى ان الاسماء الدالة عليه تعالى وعلى صفاته ونعوته موضوعة بالوضع المستقل توقيفاً وتوظيفاً . فبناء على ذلك تكون كلها معارف فالرحمن تعبير عن مطلق عطائه تعالى سواء كان مصداقاً للاستدراج والاملاء وعن سخط او غيرها . قال تعالى : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » الاعراف ( ١٨٢ ) وقال تعالى : « واملئ لهم ان كيدى متين » الاعراف آية ( ١٨٣ ) وقال تعالى : « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيراً لانفسهم » الاية آل عمران آية ( ١٧٨ ) .

فى الصافى : قال فى تفسير الرحمن : وفى رواية : العاطف على خلقه بالرزق لا يقطع عنهم مواد رزقه وان انقطعوا عن طاعته . . الحديث .

والرحيم تعبير على عطائه تعالى لاهل كرامته اعزازاً و ثواباً وهى الرحمة الخاصة والنظرة الرحيمة قال تعالى : « والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » . ولن تجد مورداً استعمل فيه الرحيم الا مقارناً بغفور وودود وتواب على كثرتها الا فى مورد واحد وهذه الحقيقة القرآنية ليست امراً منكراً حتى يطرح او يؤول هذا اولا وعرض الاخبار على القرآن كما هو مفاد عدة من الروايات فى الاخبار العلاجية فى المتعارضين وكذلك فى غيرها اجنبى عن هذا الذى ذكره من تعيين المفاهيم الافرادية واللغوية فان ذلك يرجع

الى النزاع اللغوى فى تعيين معاد اللفظ و تشخيص معنى الافرادى فى الكلام دون المعنى التركيبى. فتوهم ان عرض الاخبار على الكتاب فى تشخيص المعانى اللغوية والمعانى الافرادية بحسب اللغة كما ترى هذا ثانياً ، بل مورد عرض الاخبار على الكتاب فيما تكون المخالفة بينهما بالتباين الكلى فى مفادهما هذا ثالثاً، ومع قطع النظر عن جميع ما ذكرنا يكون مفساد الاخبار الدالة على ان معنى الرحيم عبادة المؤمنين خاصة أخص بالنسبة الى القول بعموم متعلقه و مخالفة العام مع الخاص لا يعد مخالفة هذا رابعاً، واما الذين قالوا بالاشتراك المعنوى فى امثال المقام فمنهم من صحح ايضاً ان الرحمن اسم للرحمة العامة والرحيم اسم للرحمة الخاصة فلنلخص ان الاية المبحوثة عنها من الموارد التى استعمل فيها الرحيم فى الرحمة الخاصة وفى مورد شمول رحمته تعالى عليهم .

### الاية الثالثة

قال تعالى : « قد نرى قلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » البقرة (١٣٤) .  
قوله تعالى : « قد نرى قلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ».. الاية .  
الظاهر ان قلب وجهه فى السماء كان التماساً وابتهالاً وطلباً من الله سبحانه ان يصرفه عن قبلة اليهود كى يستريح عن تغييرهم والقاء الوسوسة والتشكيك على العوام بأذ محمد(ص) اخذ بقلبتنا وتنسك بنسكتنا ولولانا وقلبتنا مايدرى اين يصلى وما رضى (ص) ان تفتتن امته بعده بأهل الكتاب فى مشاركة القبلة وقد أخبر تعالى ان رسوله وحببيه يقلب وجهه الى السماء ويتضرع الى الله سبحانه فى انجاح مأموله وفى هذا التعبير من الاستعطاف والاكرام والتعجب والتودد ما لا يخفى .  
قوله تعالى : « فلنولينك قبلة ترضاها » . التولية : كما ذكرنا سابقاً اذا استعمل مع من تفيد صرف الوجه عن الشيء والاعراض عنه واذا استعملت بدونه

تفيد معنى التوجه الى الشيء والتمكن منه . فهذا وعد منه سبحانه ان يستجيب دعائه ويتحقق امله وان يكرمه باعطائه ما يرضاه .

فان قيل ان الاستفادة من قوله تعالى ترضاها : ان الرسول ما كان راضيا بقبلة بيت المقدس التي جعلها له قبلة كارها لها ورضيا بقبلة ما سواها وكان متميلا الى الكعبة محبا لها .

قلت : قد استشكل ذلك وتكلم الرازي في تفسيره واطنب القول فيه وفي معنى تقلب وجهه . وقد عرفت معنى تقلب وجهه (ص) في السماء واما عدم رضائه (ص) بقبلة بيت المقدس فليس امراً مستنكراً حتى يستوحش منه وقد سئل رسول الله في التخفيف عن امته في موارد شتى قال تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا نحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » . الاية البقرة وقد استجاب الله دعوته وخفف على امته ورفع عنهم .

وفي بعض الروايات ان هذا كان من دعائه ليلة المعراج واعلن استجابة دعائه بقوله (ص) رفع عن امتي تسعة الخطأ الحديث فليس في هذا استشكاف واستعجاب بان حكماً من احكامه تعالى وقضاء من قضائه الجارية تكويناً او تشريعاً ان يسأل ولي من اوليائه سبحانه تحويله ورفعته وتبديله بحكم آخر وقضاء جديد يكون فيه فرجه وعافيته وقد ابتلى رسول الله بمردة اليهود وتعييرهم وايدائهم واصيب بتعرضهم اياه وللمؤمنين وقد صاروا فتنة عليهم ومحنة عليه (ص) .

ومن العجيب ما ذكره الرازي عن بعضهم انه استأذن جبرائيل في ان يدعوا الله تعالى بذلك فاخبره جبرائيل ان الله قد اذن له في هذا الدعاء لان الانبياء لا يسألون الله شيئاً الا باذن منه لثلاث يسألوا ما لا صلاح فيه فلا يجابوا حتى لا يقضى ذلك الى تحقير شأنهم فلما اذن الله تعالى فسى الدعاء علم انه يستجاب فكان تقلب وجهه في السماء ينتظر مجيء جبرائيل (ع) بالوحى في الاجابة « انتهى » .

وليت شعري كيف تدل الاية على انه استأذن جبرائيل وكيف تدل على ان تقلب وجهه الى السماء كان بعد المشاورة والتباني مع جبرائيل حتى ينتظر جبرائيل .

وما الدليل على ان الانبياء لا يدعون الا بعد اذن خاص من رد دعائهم وقد قضى الله سبحانه وحكم على جميع عباده ان يدعوه لحوائجهم ويفزعوا اليه فى آمالهم والدعاء عبادة ذاتية، ولاولياته تعالى واحبائه فيه قدم راسخ ومقام مكين ولكل باب مسألة الى الله منهم يدقارعة يدعون ربهم تضرعا وخفية ورغبة ورهبة. فلاتصغ الى ما قيل او ما يقال، فقولته تعالى : «ترضاه» صريح انه (ص) يرضى قبلة سيجعل الله قبلة ويكره ما سواها فانه (ص) من افضل اوعية المشيئة لله سبحانه فلايشاء الا ما شاء الله ولا يرضى الا ما يرضى الله فقد رضى الله بهذه القبلة ويرضاها الرسول من اجل رضائه تعالى بها .

فى البرهان عن تفسير الامام (ع) قال وجعل قوم من مرده اليهود يقولون والله ما يدري محمد (ص) كيف صلى حتى صار يتوجه الى قبلتنا ويأخذ فى صلاته بهدينا ونسكننا فاشد ذلك على رسول الله (ص) ما اتصل عنهم وكره قبلتهم واحب الكعبة فجاءه جبرائيل فقال له رسول الله يا جبرائيل لوددت لو صرفنى الله عن بيت المقدس الى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بى من قبل اليهود من قبلتهم فقال جبرائيل فاسأل ربك ان يحولك اليها فانه لا يردك عن طلبتك ولا يخيبك عن بغيتك فلما استتم دعاه صعد جبرائيل ثم عاد من ساعته فقال اقرأ يا محمد (ص) قد نرى قلب وجهك فى السماء . . الاية .

قال تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام » . . الاية :

### بيان

انجاز لما وعد الله سبحانه حبيبه وصفيه ان يعطيه قبلة يرضاها فقد استجاب الله دعوته واكرمه باعطائه امله وسؤله وامره تعالى ان يصرف وجهه شطر المسجد الحرام وجعلها قبلة له (ص) ولامته ونسخ بها قبلة بيت المقدس التى كان يصلى اليها وما جعلها الله تعالى قبلة له (ص) الا تمحيصا ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقد كان التسليم لهذا الحكم وامثاله ثقيل على العرب سيما على القرش

والحق انه كما قال تعالى وانها الكبيرة الاعلى الذين هدى الله ولذلك كان فى تحويلها شأن خاص وانعكاس شديد بين اعداء الاسلام سيما اليهود الذين تركت قبلتهم ونسخت واستقل المسلمون بقبلة مخصوصة وانفردوا بها عنهم وعن غيرهم فما رضى الله سبحانه ان يشترك المسلمون معهم فى قبلة واحدة .

### ايقاظ وازاحة اوهام

(١) قد عرفت ان الايات ناصة وناطقة ان قبلة بيت المقدس فرضت وجعلها الله قبلة لرسوله ( ص ) ولا يرتاب فقيه فى دلالة هذه الايات على انها فرض من الله سبحانه فماروى عن بعض المفسرين ان بيت المقدس كانت قبلة له (ص) بحسب - السنة لا بحسب الكتاب فقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام نسخ للسنة وليس هذا النسخ من باب نسخ القرآن بالقرآن : ضعيف غايته ، فهذا اللجاج والخصام عن اليهود والمنافقين وتعرض الايات لدفع سنتهم ودحض حججهم تارة واثبات ان كلتا القبليتين فرض من الله سبحانه دليل واضح على ما ذكره لا يتطرق الشك والوهم اليه .

(٢) الايات الكريمة دالة وحاكمة على ان قبلة البيت المقدس كانت فريضة حتمية وواجبة بعينها عن الله سبحانه وانها شرعت لاجل الامتحان والاختبار فما عن قتادة انه (ص) كان مخيرا بينها وبين الكعبة فى غاية السقوط كيف ولو كان واجبا تخيريا لما وقع التمحيص ولما وقع الاعتراض من اليهود فقوله تعالى : «فلنولينك قبلة ترضاها» شاهدة ان الكعبة لما شرعت بعد وفى شرف التشريع والجعل بحسب هذا الوعد الصادق الذى وعد تعالى رسوله وكذلك قوله فول وجهك التعبير بالفاء عقيب الوعد المذكور وروى الجصاص ان نفراً من اهل المدينة قصدوا رسول الله (ص) فى مكة للبيعة وفيهم البراء بن معرور فصلى براء الى مكة والى اصحابه فلما قدموا رسول الله (ص) سأله فلم يأمره باستيناف صلوته .

اقول: بعد ما عرفت ان ظاهر الايات ان كل واحد من القبليتين فريضة فى وقته



فلا يصغى الى هذه الاحاد الضعاف المخالفة لظاهر القرآن .

(٣) روى الجصاص عن ابن عباس ان هذه الآية نسخت بها قوله تعالى « اينما تولوا فثم وجه الله » البقرة (١١٠) وكان المسلمون قبل ذلك يصلون الى حيث كان من الجهات وقال بعض الاعيان ان القائل بذلك قتادة .

اقول : لازم ذلك القول انه تعالى ما جعل لرسوله قبلة بعينها وهذا خلاف صريح الايات والسنن القطعية وسيجيء انشاء الله ان قوله تعالى « اينما تولوا فثم وجه الله » ليست بمنسوخة بل محكمة يعمل بها في موردها ونسبة هذه الآية المبحوثة عنها نسبة العام الى الخاص لا الناسخ والمنسوخ والله الهادي .

قوله تعالى : فول وجهك شطر المسجد الحرام « التولية التحير والتمكن من التصرف اى صرف وجهك واطلاق الامر يقتضى الوجوب مطلقاً سواء كان فى الفرائض او فى النوافل وفى جميع الحالات بالعناوين الاولى وغيرها من حال الشك فى القبلة والتحير فيها وهذا الاطلاق فى معرض التقييد فلا ينافى ماورد فى تخصيصه من عدم اشتراط الاستقبال فى النوافل - ما يشاء - وفى غيرها من العناوين الثانوية (مثل صلوة الخوف) .

و الشطر : فسره بعضهم بالنصف والبعض وذكر ان وجه التعبير عن الكعبة بشطر مسجد الحرام فان الكعبة بعض من المسجد الحرام ولا يخفى ما فيه من التكلف قال فى القاموس الشطر نصف الشيء وجزئه الى أن قال و الجهة والناحية وهذا المعنى الاخير هو المراد فى المقام اى اصرف وجهك نحو المسجد الحرام وتصريف الوجه نحو المسجد الحرام باعتبار احتوائه الكعبة المكرمة لا انه قبلة فى قبال الكعبة والغناء كونها قبلة كما قد يوهمه بعض الكلمات ان الكعبة قبلة لمن فى المسجد والمسجد قبلة لمن فى الحرم والحرم قبلة لاهل الدنيا .

ومنشأ هذا التوهم هو الاخذ بظاهر الآية وبظاهر عدة من الروايات ضرورة ان الآية وما فى مساقها من روايات عمومات سيقت لاهل التشريع قبلة فلا ينافى ما ورد من تخصيصها وتعيين حدود القبلة وما يرجع الى شأنها ومنه يعلم انه لا وجه

لاعمال المعارضة بين ما دل على ان القبلة عين الكعبة .

وما ورد انها المسجد الحرام او الحرم و لعل سر هذا التعبير فى الاية الكريمة وفى هذه الروايات هى التوسعة من حيث الاستقبال فعين الكعبة هى القبلة مطلقاً الا ان التوسعة فى استقبالها واحرازها واحراز الجهة التى هى فيها تسهيلاً للامر على العامة .

والطرق التى وردت فى الروايات ليست على الدقة العلمية لاحراز العين بل جميعها لاحراز الجهة التى هى فيها فلا مناص من القول ان التوجه نحو المسجد الحرام بلحاظ الطريقة الى الكعبة لامن اجل استقلالها من كونها قبلة فلا بد من تأويل كلام القائلين ان الجهة قبلة البعيد بما ذكرنا من البيان ولو كان آيبا عن التأويل فالاولى الاعراض عنه وتخصيص الخطاب بالرسول (ص) ايذاناً باكرامه فى اجابته دعائه وانجاح املة وان الامر انتهى الى رضائه (ص) برضائه تعالى وفى هذا غاية التشريف والتكريم ثم عمم الحكم لجميع المسلمين وقال تعالى « وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » بالتعبير بحيثما تصريح للاستغراق وعموم الحكم لجميع الناس فى كل زمان ومكان فى البرارى والجبال والبحار والاسفار والحضار على الرواحل والسفن وغيرها .

فلا ينبغى التوهم ان الاية نزلت فى المدينة وهو (ص) والمسلمون فى صلواتهم وحولوا نحو الكعبة ، انها مختصة بالمدينة ومصلين فيها .

### الايه الرابعه

قال تعالى: «فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره و ان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم و ما الله بغافل عما يعملون » ( البقرة ١٤٤ ) « ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلك و ما أنت بتابع قبلتهم و ما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين » (البقرة ١٤٥) الايات .

قد عاد الكلام منه تعالى بعد تشريع القبله ونسخ قبله بيت المقدس لتقريع المخاصمين و توبيخهم ومفاد الايات ولحنها تحكى وتشهد ان اللجاج والخصام والعصبية قدبلغ غايته وعمل عمله التكبير فمست الحاجة الى التعرض لشأنهم والاحتجاج عليهم و بيسان اصرارهم على دفع الحق بالباطل و جحودهم الحق مع عرفانهم وايقانهم به واحتجاج فى المقام الى تثبيت المؤمنين وتأييد قلوبهم فقال تعالى «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما يعملون» (١٤٩) « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولا تم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون » (١٥٠) .

قد اضطرت كلمات المفسرين فى تفسير هاتين الايتين ووجه اعادتهما بعد تشريع الحكم ونسخ قبله بيت المقدس وذكروا فيه و جوها و أقوالا و أطالوا وأطنبوا وقد اغمضنا عن ابرادها والنقض والابرار فيها حذراً من الاطالة .

وأقول : بعد ما قرع تعالى المبطلين من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين شرع سبحانه واعاد الكلام فى أمر القبله ثانياً وهذه الاعادة ليست للتكرار والتأكيد كما توهم ضرورة انها ليست لاجل التشريع ثانية وثالثة بل وجه الاعادة باليتين انهما سيقا للتشديد فى امثال الامر وتسليه لرسوله وتأييداً فقال «ومن حيث خرجت» الاية رغماً للمخاصمين وانه للحق من ربك وانك واوليائك لعلى حق مبين واما اعدائك الذين يريدون اطفاء نورك فما الله بغافل عنهم فسيكفيهم ويظهرك عليهم ويقطع دابرهم وفى الكلام التفات من الخطاب الى الغيبة لتحذيرهم وتهديدهم ثم خاطبه وخاطبهم ثالثة قال « ومن حيث خرجت » الاية فخلطه مع المؤمنين وأمرهم بالامثال و حذرهم عن الوهن والفشل و علله بقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة اى اضطرابكم فى الامر وزلزالكم فى المقام يوجب تقوية شبهة المبطلين .

وقيل فى وجه تقوية حججهم انهم عرفوا فى كتبهم : ان النبى الموعود يصلى الى القبلتين و تكون قبلته النهائية الكعبة وهذا البيان اقوى حجة على ما ذكرنا فان

التعليل المذكور لا يلائم التشريع بوجه اصلا فان التشريع فعله تعالى لافعل المؤمنين انظر الى موقع قوله تعالى : «فلاتخشوهم واخشوني» فهذه الجملة وهذه النصيحة من الله صريحة في التعليل المذكور .

اي ان الله سبحانه اولى بأن تخشوا منه لعموم قدرته وسلطانه وشدة بأسه لاعدائه المخاصمين فانهم لن يضرروكم أصلا الا باذن من الله فلا تعصوه تعالى بمخالفة امره واطاعة اعدائه فاختلفوا في مصداق هذه النعمة التي يريد تعالى اتمامها واكملها جزءاً لامثالهم ولعلها انتشار الدعوة وغلبة الحجة وتكبيت العدو واهتداء الناس الى روح الشريفة والانتفاع بها والاستضاءة بأنوارها والحمد لله الذي هدانا لهذا .

### الاية الخامسة

قال تعالى : «ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله» (البقرة ١١٥) قوله تعالى : «لله المشرق والمغرب» اللام للملك وكون المشرق والمغرب ملكا لله تعالى ليس أمراً اعتبارياً مثل الملك الموجود في الاجتماع فانه اما اعتبارى محض وكناية عن جواز الانتفاع من العين بحسب العقل والشرع على ما ذكره او من الامور الواقعية مثل مالكية الانسان لافعاله من القبض والبسط والفعل وترك الا ان الانسان لمكان مملوكيته لله تعالى من حيث ذاته ومن حيث ما كان واجداً لمواهبه تعالى من الحياة والعلم والقدرة ليس ملكه لذاته بذاته .

وكذلك بالنسبة الى المواهب التي يجدها ولافعال التي يصدر عنها فلا يكون مالكا لذاته ولا لمواهبه ولا لافعاله بذاته بل هو مالك بالغير بخلاف مالكيته تعالى للمشرق والمغرب ولجميع ما سواه فان مالكيته ذاتية وهذه المسألة من أعمس المسائل الكلامية وقد عبر عن هذه الحقيقة بعض المحققين عن القيومية لعدم نيلهم المالكية بالمعنى الذي ذكرناه واولوا جميع ما في الكتاب والسنة من لفظ المالك والمليك وغيرها الى القيومية .

اذا تقرر ذلك فتقول : ذكر بعض المفسرين كما فى تفسير الرازى ان المراد من قوله تعالى والله المشرق والمغرب هى المالكية التكوينية وردها المحققون وقالوا ان المراد فى المقام هو الملك التشريعى اى ان له تعالى حق التصرف بشارعيته وله سبحانه حق التقنين والتشريع فيها بما شاء وكيف اراد ويشهد على ذلك التفريع المذكور فى الاية وهو قوله : « واينما تولوا فثم وجه الله » فان التفريع المناسب والملائم على المالكية التكوينية حق الابداء والابقاء والافناء وأمثالها لان توليه الوجوه وامثاله من الاحكام التعبدية .

فتلخص ان الاية الكريمة سبقت فى مساق تشريع القبلة واجاز ورضى تعالى بتوليه الوجوه الى حيث ما أرادوا وأينما تولوا ففيها مرضاته سبحانه و بديهي ان الاية فى غاية الظهور فى افادة الوسعة من حيث الجهة فما عن الكشاف وجنح اليه بعض المحققين ان الاية سبقت لبيان التوسعة فى المكان والاجمال من حيث الجهة فيقيد بقوله : « وحيث ما كنتم » الاية فى نهاية الوهن والسقوط وقد افادت الاية الكريمة حكماً عاماً كلياً فيسقط ما ذكره فيها من الوجوه والاقوال وقد انهاها الرازى فى تفسيره الى سبعة اقوال .

وحيث ان الاية الكريمة فى معرض التخصيص فلما حذور بعد خروج موارد التخصيص فى الاخذ بعمومها . ومن مخصصاتها قوله تعالى : « وحيث ما كنتم » الاية . بعد تخصصها وتوضيحها بالادلة المنفصلة فان الاية سبقت على ما صرح به أهل البيت (ع) فى الفرائض خاصة وهكذا . فعلى عهدة الفقيه الفحص والبحث عن المخصصات وبعد اليأس الاخذ على ما بقى من عمومها .

قال بعض الاعاظم فى هذا المقام : ومن هنا استدل بها اهل البيت (ع) على الرخصة للمسافر ان يتوجه فى نافلته الى اى جهة شاء وعلى صحة صلوة الفريضة اذا وقعت بين المشرق والمغرب خطأ وعلى صحة صلوة المتحير اذا لم يدر اين وجه القبلة وقد تلاها سعيد بن جبير رحمه الله لما أمر الحجاج بذبحه الى الارض وهذه الاية مطلقة وقد قيدت بالصلوة الفريضة بلزوم التوجه فيها الى بيت المقدس

تارة والى الكعبة اخرى انتهى ماأردناه .

اقول : لاتنافى بين الروايات التى ذكرها فى الموارد المذكورة . فانها من افراد المعنى العام المطلق وجميعها مماينطبق على الاية الكريمة ولاتنافى بين المثبتات وانما التنافى بين المثبت والتنافى ثم ان من عجيب الامر ما روى عن قتادة انها منسوخة بقوله تعالى : فول وجهك شطر المسجد الحرام وأعجب منه ما عن ابن عباس وجماعة من العامة انها منسوخة بقوله تعالى : «وحيشا كنتم» الاية .

وفيه اولا ان لازم ذلك القول انه صلى الله عليه وسلم والمسلمون كانوا قبل قبلة الكعبة مخيرين اينما صلوا وليست لهم قبلة متعينة وقد ذكرنا بطلان ذلك القول وان بيت المقدس كانت قبل الكعبة فريضة متعينة .

وثانيا : ان نسبة هذه الاية المبحوثة عنها بالنسبة الى قوله تعالى فول وجهك الاية نسبة العام الى الخاص فلا تعارض بين العام والخاص حتى نلتزم بالنسخ .

وثالثاً : ان القول بالنسخ متوقف على العلم بتقدم نزول هذه الاية قبل قوله تعالى : فول وجهك ولادليل على ذلك غير ان هذه الاية كتبت فى المصحف قبل قوله تعالى : «فول وجهك» وهو لا يعد دليلاً فليست هذه الاية فى صلوة الفريضة كما ذكرنا التنصيص بذلك عن ائمة اهل البيت عليهم السلام وعن طريق العامة عن ابن عمر ان الاية فى نافلة المسافر وفى من صلى خطأ الى غير القبلة ذكرهما الرازى فى تفسيره وعن الطبرى انها نزلت فى المتحير وعن بعضهم انها فى الدعاء وقد تبين مما ذكرنا ان الاية محكمة ليست بمنسوخة وتبين أيضاً بطلان قول من قال ان هذه الاية ناسخة لقبلة بيت المقدس وهو صلى الله عليه وسلم والمسلمون مخيرون بعد رفع قبلة بيت المقدس فى الصلوة الى حيث ما شاؤوا الا انه صلى الله عليه وسلم يختار بيت المقدس نقل ذلك عن قتادة وابن زيد .

قوله تعالى : « ان الله واسع عليم » قيل انه سبحانه واسع الفضل والرحمة لم يشدد عليكم فى امر القبلة وما جعل عليكم فى الدين من حرج . عليم يضع ويجعل من الاحكام ما يصلحكم وتنتفعون بها فى دنياكم وآخرتكم .

## مقدمة الصلوة

### الاية الاولى

قال تعالى : يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون « ( الاعراف ٢٥ ) .

#### بيان

الاية فى مقام الامتنان والتذكار بالنعمة والاستدلال بها على فضله ورحمته تعالى بعباده وقيل استدلال على ترحيمه وذكروا فى تفسير الانزال فى هذا المقام و امثاله وجوها واحسن منها ما قال فى المنار عن شيخه عبده لان كل ما كان من الحضرة العلية الالهية يسمى اعطائه انزالا انتهى . وقال فى القلائد وما اعطاه الله بعبده فقد انزله عليه وليس ان هناك علوا ولكن كان المراد العلو الرتبى والتعظيم انتهى والموارة التيسر والسوءة العورة ومقايح البدن وريش ورياش قال فى القاموس ما حاصلة مثل اللبس واللباس الثياب الفاخرة وفسره بعضهم بلباس التجميل وقال بعضهم بمعنى الاثاث من الفرش والاثار . والظاهر ان ما ذكره من مصاديق المعنى العام اللغوى .

قال ابو عبد الله الحسين عليه السلام فى دعائه فى يوم عرفة : لم ترض لى يا الهى بنعمة دون اخرى ورزقتنى من انواع المعايش وصوف الرياش بمنك العظيم الاعظم على . . . الدعاء . فهذه الاية لسكان كونها فى مقام الامتنان والتذكار بنعمة اللباس والرياش والاستفادة والتمتع بهما بانواع التمتع وفى مقام الاستدلال به على مواهبه سبحانه فليست فى مقام الجعل والتشريع وجوبا او قد يشعر الاستدلال بها على وجوب ستر العورة الا ان يقال باستقلال الفعل بوجوب ستر العورة ومقايح البدن فلا ياتى تذكار وارشاد الى حكم العقل .

قال الجصاص فى كتابه احكام القرآن ( ج ٣ ص ٣٧ ) وقوله تعالى :

«قد انزلنا عليكم لباساً» الآية قوله تعالى : «وظفقا يخفضفان عليهما من ورق الجنة» الآية ( الاعراف ٢٣ ) يدل على فرض ستر العورة لاخباره انه انزل علينا لباساً نواري به سؤاتنا الى ان قال وقد اتفقت الامة على معنى ما دلت الآية من لزوم فرض ستر العورة انتهى .

وقال المحقق الاردبيلي : ففي الاول اشارة الى وجوب ستر العورة مطلقاً لقوله يوارى سوا تكم فانه يدل على قبح الكشف وان التستر مراد الله تعالى وفي الثانى الى استحباب التجمل باللباس ويمكن فهم اشتراط كون اللباس مباحاً لان الله لا يمن باعطاء الحرام .. انتهى .

اقول: ما ذكره فهم من اشتراط الاباحة فلا كلام منه للاستقلال بحرمة الظلم والغضب ، هذا عن دلالة هذه الآية . انما الكلام فى دلالتها على وجوب ستر العورة مع قطع النظر عن الادلة القطعية الواردة فى الكتاب والسنة فاستناد الوجوب الى هذه الآية لا يخلو عن الاشكال .

ثم انهم ذكروا ان الآية تدل على ثلاثة انواع من اللباس على الترتيب المذكور فى الآية ١ - اللباس المطلق ٢ - اللباس للتجمل ٣ - لباس التقوى - وذكروا لتعيين مصداق لباس التقوى امثلة منها ما يجب لدفع الضرر وما يجب فى مقام الحرب و امثاله .

اقول: اللباس الواجب بالعناوين الثانوية ليس قسماً رأساً فى مقابل الاولين ضرورة ان اللباس بهذا العنوان له احكام خمسة مثل غيره من افعال المكلفين فهذا التقسيم والتسمية لا يرجع الى محصل ومما ذكرنا يعلم ضعف ما قيل ان لباس التقوى لبس البياض ولباس الزهد مثلاً لبس الصوف والشعر فان لباس الزهد على استحبابه من باب انقسام اللباس بلحاظ الاحكام الخمسة باعتبار نفسه انما الكلام فى لباس الزهد واما المعنى الذى ذكره وليس فى الاسلام للزهد لباس آخر وسيجىء اشباع الكلام فى هذه المسألة فى تفسير قوله تعالى «خذرا زينتك عند كل مسجد»

والظاهر ان الآية اشارت الى مسألة اخلاقية وهى ان الله عز اسمه انزل عليكم



لباساً يوارى به سواً تكتم والمقابح الظاهرية فى ابدانكم ورياشاً تنتفعون بها فى حوائجكم وتحملون بها فى اعيادكم وجمعاتكم فالتقوى من الله والخضوع لكبريائه وتطهير النفوس من قبائح الاخلاق والتحلّى بمكارمها تواضعه تعالى وطلباً لمرضاته وتحصيل قربه اولى واوجب فالافات الروحية والفضائح النفسية احوج بالستر وسترها تطهيرها فعليها اذا التعبير بلباس التقوى لاشتماله على واقع الامر ظاهراً وباطناً لكونه مطهر للعيوب والعوار فى الستر والعلن فعن الباقر (ع) فى تفسير هذه الاية قال واما اللباس فالثياب التى تلبسون واما الرياش فالمتاع والمال واما لباس التقوى فالعفاف ان العفيف لا يتبدله عورة وان كان عارياً من اللباس والفاجر بادى العورة وان كان كاسياً من الثياب ان الله يقول ولباس التقوى ذلك خير .

اقول : قوله (ع) بادى العورة اى عورات شخصه ونفسه وعن الكافى عن على (ع) فى بعض خطبه قال الجهاد لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته . فتحصل ان الاية ساكنة من حيث الحكم الشرعى وجوبا واستحباباً ضرورة ان الايات المسوقة فى مقام الامتنان مثل قوله تعالى «خلق لكم مافى الارض جميعاً» (البقرة ٢٩) ومثل قوله تعالى «ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات» (النحل ١٢) وامثالهما .

لا تفيد حلية ما ذكره تعالى فى مقام الامتنان وليست هذه الموارد آية ومناقضة يتعلق حكم من الاحكام الخمسة عليها بل مورد الاحكام ومتعلق الحلال والحرام وغيرهما هذه الموارد بعينها من دون احتمال تعارض وتزاحم بين ادلة الاحكام وبين الايات المسوقة للامتنان ومما ذكرنا يعلم وهن مافى الكشاف فى تفسير قوله تعالى «خلق لكم الاية حيث قال قد استدل بقوله تعالى «خلق لكم» على ان الاشياء التى يصح ان ينتفع بها ولم تجر المحظورات العقلية خلقت فى الاصل مباحة مطلقاً لكل احد ان يتناولها وستنتفع بها انتهى ما اردناه . و تمام الكلام موكول الى محله .

قوله تعالى : ذلك من آيات الله . . . الاية اى انزال انواع اللباس و صنوف

الرياش مما يحتاج اليه الناس الذى يشكل فيها احصائها من حيث كثرة الانواع والاصناف مما يستدل به على فضله تعالى ورحمته والاية العجيبة اهتداء الناس اليها والعمل بانواع الصناعات و الانتفاع بها فى ادامة حياتهم بحسب احتياجاتهم فى جميع الاعصار والازمان .

### (الاية الثانية)

قال تعالى: يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين» (الاعراف آية ٣١) .

بيان الاية الكريمة بحسب سياقها ظاهرة فى تشريع الحكم و الالزام بأخذ الزينة عند كل مسجد فان اطلاق الامر يدل على الوجوب والمراد من اخذ الزينة اتخاذها واعمالها لرفعها و سلبها والمراد من الزينة هى اللباس أى لباس الذى يتجملون به عند الخروج الى الاجتماع والجماعات بالزى المرغوب والمقبول اى بأحسن ما يمكن لهم و يكون فى مقدرتهم فالاية فى مقام التشويق و الترغيب باخذ الزينة للورود فى المساجد والتهيؤ للصلوة والعبادة من الالبسة الجيدة بحسب وسع كل احد من الناس والتطيب و التمشط كما صرح بذلك عدة من الروايات الواردة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام .

وقيل : ان الاية فى مقام ايجاب التستر لاجل الصلوة وتقييده بالله تعالى الى المسجد تسمية الحال باسم المحل وقالوا فى شأن نزولها ان من سنن الجاهلية الطواف بالبيت عربانا ويتعللون لذلك ان الانطوف بلباس عصينا الله فيه وقيل ان من طاف بلباسه يجب عليه التصدق باللباس فينزعونه ويطوفون عربانا وقال فى كنز العرفان فطافت امرأة بالبيت وعلى فرجها خرفة اوستر وهى تقول :

اليوم يبدو بعضه او كله فما بدامنه فلاحله . فنزلت الاية «انتهى» .

اقول : لا يمكن الاعتماد بما ذكره فى شأن النزول من المرسلات الضعاف

فلا شاهد على تفسير الزينة فى الاية بستر العورة عند الصلوة وقد ذكر على بن ابراهيم

قصة المرأة التي طافت عريانه بوجه ابسط مما ذكره مسنداً عن الصادق (ع) في ذيل قوله تعالى : فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (التوبة) .

ووردت في عدة روايات انه لما بعث رسول الله (ص) عليا بسورة برائة الى مكة وامره ان يقرأها في الموقف على المشركين قال في المجمع وروى عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي جعفر (ع) قال خطب على الناس واخترط سيفه فقال : لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك . . الخبطة .

وفي تفسير العياشي عن حكيم بن الحسين عن علي بن الحسين في حديث الى ان قال فكان فيما نادى به ان لا يطوف بعد هذا العام عريان ولا يقرب المسجد الحرام بعد هذا العام مشرك .

ونظير هاتين الجملتين في عدة روايات قد وردت عن علي (ع) في هذا الموسم ولا يخفى ان الهى و المنع عن الطواف عرياناً و منعهم عن المسجد الحرام انما وقع في سنة التسع من الهجرة وسورة الاعراف مكية لا يلائم ما ذكره من شأن نزول الاية و تفسير الزينة المذكورة بستر العورة في الطواف فالمتعين في تفسير الزينة الاخذ بظاهر الاية من تفسير الزينة وعدم تأويلها بشيء مما ذكره والاعتماد في شرحها وبيان مصاديقها بماورد من الروايات عن ائمة اهل البيت (ع) .

في تفسير العياشي عن محمد بن الفضيل عن ابي الحسن الرضا (ع) : خذوا زينتكم عند كل مسجد . . قال اى الثياب .

وفيه ايضاً عن خثيمة بن ابي خثيمة قال : كان الحسن بن علي (ع) اذا قام الى الصلوة لبس اجود ثيابه فقيل له يا بن رسول الله لم تلبس اجود ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فاتجمل الى ربي وهو يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فاحب ان البس افضل ثيابي ولا يخفى ان تفسيره بالمشط والطيب والغسل في بعض الروايات من باب بيان المصداق ولا منافات بينها .

## بحث و تحليل

قد يتوهم ان مفاد هذه الاية الكريمة المبحوثة عنها من استحباب التجميل باجود ما يقدرون عليه من اللباس ينافى ماهو المتسالم من فضيلة الزهد واينثار الاخرة على الدنيا والاعراض عنها والاقبال لكل همته الى الله سبحانه والانقطاع التام الى جنبه جل شأنه والرغبة والاشتياق الى الاخرة ودار الكرامة ومحل الرحمة قلت نعم هذه المسألة من اغمض المسائل الاخلاقية وقد وقعت مشاجرات واحتجاجات بين متصوفة العامة وبين الائمة الابرار من آل الرسول منها مافى معايش الكافي من المناظرات والاحتجاجات التي وقعت بين الصادق (ع) وبين السفيان الثورى واصحابه من الصوفية حين انكر سفيان على الصادق (ع) مالبسه من الثياب لامجال للخوض فيها وايرادها فى المقام .

فعند متصوفة العامة ان الزهادة هو التقشف وعبارة عن لبس الخشن واكل العشب واما عند آل الرسول ان الدنيا اذا قبلت واراخت غز اليها فالابرار والاطهار من اوليائه تعالى اولى بها والاستفادة منها من الفجار والاراذل والاشرار وان الله لا ييغض طعاماً ولا لباساً .

قال تعالى «قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق» فاستدلوا بهذه الاية فى ابطال مقالة متصوفة العامة .

وقالوا ان الله سبحانه جمع الزهد فى كتابه فى كلمتين وقال : لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم .

فخلاصة قولهم فى المقام ان الزهد من اعلى مراتب الايمان وافضل الايقان بحيث ان يخرج حب الدنيا وما يتعلق بها عن قلب المؤمن و ينحصر همه وغرضه وجه الله الكريم و التشرف بقربه والوقود الى حريم كبريائه وهو يرى نفسه اجل وامتع من الدنيا وما فيها وليست الدنيا التى تمد الرجال اليها اعناقهم و اعينهم عند ولى من اوليائه تعالى لا كفىء الظلال او قطعة لحم فى بدمج زوم اولمماظة قدفها من فمه

متكبر جبار واما التمتع من نعم الدنيا والطيبات من أرزاقها ونعيمها فهى اهون عند الله سبحانه واخزى من أن يمنع اوليائه واحبائه منها .

فى نور الثقلين عن الكافى باسناده فى احتجاج امير المؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملا وشكاه اخوه ربيع بن زياد الى امير المؤمنين عليه السلام انه قد غم اهله واحزن ولده بذلك فقال امير المؤمنين عليه السلام فلما رآه عبس فى وجهه فقال اما استحييت من اهلك اما رحمت ولدك اترى الله احل لك الطيبات وهويكره اخذك منها انت اهون على الله من ذلك الى ان قال فبالله ان ابتذال نعم الله بالفعال احب اليه من ابتذالها بالمقال وقد قال عز وجل « واما بنعمة ربك فحدث » الحديث .

ثم لا يخفى: ان الاية الكريمة فى مقام افادة التزين والتجمال من حيث المعنى المصدرى لافى مقام افادة الحلية والاباحة للاعيان التى يتجملون بها فمساق الاية ليس الامر بأخذ الزينة المفروغة عن شرعيتها والتزين والتجمال بها وساكنة عما توهم من دلالتها على حلية الاعيان التى يتجملون بها فلا يمكن دعوى الاطلاق فى الاية بالنسبة الى انحاء التجمال وبالنسبة الى الاعيان ايضاً فحلية الاعيان وعدمها اجنبية عن مفاد الاية فلا بد من التماسها من ادلة اخرى وسيأتى مزيد توضيح بذلك انشاء الله .

فعلى هذا لا بد أن يكون المقيدات للاية الكريمة من حيث الذى سيقى الاية لاجلها من اطلاق انواع التجمال وارقامه مثل لباس الشهرة ولبس الرجال لباس النسوان وبالعكس. قوله تعالى « كلوا واشربوا » الاية عطف على قوله تعالى « خذوا زينتكم » وحدة السياق وان كانت تقتضى ان يكون الامر بالاكل والشرب مثل المعطوف عليه من حيث الوجوب او الاستحباب الا ان تقييد المعطوف عليه بقوله عند كل مسجد كاف فى تفكيك السياق وان قوله تعالى : كلوا واشربوا فى مقام تشريع الترخيص والتسويغ ولا يخفى ان هذا الترخيص شرعى وابعاد مولوية فى قبال الاحكام الاربعة الاخرى .

فصدر الاية الامرة باخذ الزينة وجوباً او استحباباً وزيلها الناهية عن الاسراف كاف فى تأييد ما ذكرناه وقرينة فى اثبات ما استظهرناه . فلامجال لتوهم ان الاية فى اثبات حلية الاشياء ورفع الخطر قبل ورود الشرع كما تقدم ذكره عن الكشف فى الاية السابقة فانه مضافاً الى بطلانه من اصله وفى حد نفسه فرق بين اليتين . فالاية السابقة فى مقام الامتنان وهذه الاية فى مساق التشريع وهل يمكن أن يقال باطلاق الاية وشمولها بالنسبة الى المطاعم والمشارب ايضاً كى يمكن الاستدلال بها بحلية ما يمكن ان يؤكل ويشرب ماعدا موارد النقية وان الاطلاق المذكور بالنسبة خصوصيات الاكل والشرب بمعناهما المصدرى فقط. الظاهر هو الثانى وزعم بعض الاعيان الاطلاق من كلا الوجهين وخلط تفسير هذه الاية بالاية التالية وهى قوله تعالى «قل من حرم زينة الله» . . . الاية الاعراف/ ٣١ .

وزعم بعض الاعيان ان الاطلاق من كلا الوجهين وخلط تفسير هذه الاية بالاية التالية وهى قوله تعالى قل من حرم زينة الله . . . الاية (الاعراف ٣١) الصريحة بحسب المورد والمفاد فى جنس الملبوس والمأكول والمشروب وقال ان هذه الاية المبحوثة مؤكدة بهذه الاية .

وقال الجصاص ج٣ ص ٤١ فى كتاب احكام القرآن بعد ذكر الاية التالية وفيه تأكيد لما قدم اباحته فى قوله خذوا زينتكم الاية انتهى .

أقول : فاللازم تفكيك تفسير اليتين والخذ بصريح الاية التالية فى موردها فى جنس المأكول والملبوس ماعدا موارد التقييد والخذ بالاية المبحوثة بمقدار شمول اطلاقها من حيث خصوصيات الاكل والشرب والشاهد القطعى على ما ذكرناه ذيل الاية قوله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين فان النهى عن الاسراف لا يخلو من أن يكون باعتبار الاعيان والطيبات فلامعنى للنهى عنها بلحاظ انها اعيان طيبة واما باعتبار الاعيان التى لا يؤكل مثل الخبائث وامثالها فلامعنى للنهى عنها فانها كانت قبل الاسراف حراماً فتلخص ان مفاد قوله تعالى «كلوا واشربوا، اى ما طاب

واحل لكم ولا تسرفوا فيما يصرفون من المطاعم والمشارب وقد بينوا تفصيل ذلك في الكتب الموضوعه لذلك وكذلك الكلام بعينه في قوله تعالى خذوا زينتكم الاية على ما قدمنا تفسيرها .

قوله تعالى : « ولا تسرفوا » الاية قديتوهم في بدو النظر اختلاف معنى الاسراف بحسب الاستعمالات الواردة في الكتاب والسنة مثل قوله تعالى « ولا يسرف في القتل » ( اسراء ٣٣ ) « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم » . . الاية ( الزمر ٥٣ ) الاسراف فى المعصية وهكذا من الموارد وبديهي ان هذا الاختلاف ناشىء من ناحية متعلق الاسراف مثل القتل والطغيان والعصيان وغيرها من حيث المعنى الموضوع له فالاسراف على مافى القاموس ضد القصد وفي كلمات بعض المفسرين التجاوز عن الحد .

اذا تقرر ذلك فنقول ان محل البحث هو الاسراف فى الاكل والشرب والتجاوز عن الحد والقصد المطلوب ولا ريب ان ظاهر اطلاق النهى يقتضى التحريم وظاهر عبارة بعض المحققين الاستدلال على التحريم بقوله تعالى لا يحب قال اى يبغضه . وانت ترى مافيه من الضعف فان عدم المحبة اعم من البئض وعدمه وليس بنص ولا ظاهر فى التحريم ، والتعبير الاحسن عبارة البيضاوى قال اى لا يرضى فان عدم الرضا لا يخلو عن الظهور فى التحريم ، كما فى قوله تعالى : « لا يرضى لعباده الكفر » الا ان تفسير عدم المحبة بعدم الرضا يطالب بالدليل لعدم ترادف بين اللفظين وخاصة فى أفعال تعالى الخارجة عن حدود التصور والتوهم .

ولعل ما ذكرنا من الاستظهار كاف فى اثبات التحريم .

ففى تفسير العياشى عن ابان بن تغلب قال قال ابو عبد الله عليه السلام اترى الله اعطى من اعطى من كرامته عليه ومنع من منع من هو ان به عليه لا ولكن المال مال الله يضعه عند الرجل ودائع وجوز لهم ان يأكلوا قصدا ويشربوا قصدا ويلبسوا قصدا وينكحوا قصدا ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين ويلموا به من

شعثهم فمن فعل ذلك وكان ما يأكل حلالا وينكح حلالا ومن عدا ذلك كان عليه حراما ثم قال ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اترى الله ائتمن . . الحديث . تفسير العياشى ص ١٣ .

واما قوله تعالى « وآت ذا القربى والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان بربه كفورا » ( الاسراء ٢٧ - ٢٤ ) فلا يصح الاستدلال بهافى المقام فان الاية الكريمة فى مقام حدود البذل والعطاء وتبذير المال اى تفريقه .

فى البرهان عن ابى بصير قال سألت ابا عبد الله فى قوله تعالى ولا تبذرتبذيرا قال بذل الرجل ماله ويقعد وليس له مال قلت فيكون تبذيرا فى حلال ؟ قال نعم . وهكذا قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ( الاسراء ٢٩ ) واما قوله تعالى « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » ( الفرقان ٦٧ ) فلا يجوز الاشهاد بهذه الاية فى المقام فان المراد بالاسراف هو التجاوز فى الانفاق على نفسه وعياله زائدا على قدر المندوب مسن التوسعة على نفسه وعياله والاقتار هو التضيق على نفسه وعياله ما دون الحد المطلوب .

فحيث ان التبذير من انواع الاسراف وكذلك فى الانفاق مقابل الاقتار فلا مانع من الاستدلال بتحريمها بالاية المبحوثة عنها وبعمومها .

### الاية الثالثة

قال تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم وما اهل لغير الله » ( المائدة آية ٤ ) بيان : اول ما نزل تحريم الميتة فى سورة النحل وهى مكية قال تعالى « انما حرم عليكم الميتة والدم » الاية ( النحل ١١٥ ) ثم فى سورة الانعام قال تعالى « قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا » ( الانعام ١٤٥ ) ثم فى البقرة وهى مدنية قال تعالى « انما حرم عليكم الميتة والدم



ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله» . . . الآية ( ١٧٣ ) .  
 ثم فى هذه السورة وهى مدنية ايضا ويظهر من بعض الروايات انها آخر  
 سورة نزلت على النبى ﷺ وليس هذا التحريم تشريع جديد ولعل الفرق والعناية  
 المنظورة بين الايات ان الايات التى نزلت قبلها بعضها فى مقام الامتنان بعد ذكر عدة  
 من الطيبات وتحليلها وباحثها ذكرهم بأن الله انما حرم عليهم الخبائث مثل الميتات  
 والمضرات وخاصة ما ينافى التوحيد مثل اكل ما اهل لغير الله كما فى سورة النحل  
 والبقرة وفى بعضها بعد توبيخ الذين قالوا بتحريم عدة من المباحات افتراء على الله  
 ثم ذكر عقبيه « انما حرم عليكم » . . . الآية . كما فى سورة الانعام والفرق الاخر  
 الاجمال فى الايات السابقة والبسط والتفصيل فى هذه الآية على ما سيجىء والايات  
 السابقة متعرضة للحرمة من غير مستقيم ضمنا بخلاف هذه الآية فانها سبقت لافادة  
 الحرمة مستقيماً .

قوله تعالى : «الميتة» قيل انها كل حيوان مباح اكله اذا مات من غير تذكية  
 شرعية وقيل ان المراد منها كل حيوان طاهر العين مات من غير تذكية شرعية وعلى  
 كل تقدير فجميع ما ذكر بعد الميتة فى هذه الآية وعطف عليها من الدم وما اهل  
 لغير الله - الى آخره - من افراد الميتة والوجه فى ذكرها وبسط الكلام فيها لدفع  
 توهم اباحتها على ما هو المرسوم فى ادوار الجاهلية ومن السنن الثابتة عندهم وخاصة  
 ما اهل لغير الله وما ذبح على النصب .

لا يخفى انها لا بد من تقدير متعلق للتحريم ضرورة ان الاعيان مع قطع النظر  
 عن أكلها والانتفاع بها لا يعقل ان يكون حراما فمقتضى الاطلاق الذى لا ريب فيه  
 عموم الانتفاعات الدائرة عند القائلين بحليتها ولا وجه لتخصيص التحريم بالاكل  
 فانه خلاف الظاهر وخلاف اطلاق الآية وتخصيص من غير مخصص فيندفع ما احتمله  
 بعض المفسرين ان المنسب الى الذهن عند اطلاق اللفظ ما يراه من تلك الاعيان كما  
 ينسب الى الذهن فى قوله تعالى : «حرمت عليكم امهاتكم» الآية ( النساء ٢٢ )  
 تحريم النكاح .

وجه الانتفاع وضوح الفرق بين المقيس والمقيس عليه اولاً وعموم الانتفاعات مما ينسب الى الذهن ايضا هذا ثانياً ، وثالثاً ان الانسباق المذكور انسباق بدوى غير معتد به فالمتبع هو الاخذ بالاطلاق فى موارد الاطلاق وبالعموم فى موارد حيثما سرى .

نعم يمكن ان يكون ذكر الدم ولحم الخنزير قرينة ان المضاف المقدر هو الاكل ولا يخفى ضعفه وعلى فرض عموم المضاف فمن جملة الانتفاعات المتعارفة الانتفاع بجلودها وهو محرم بحسب اطلاق الاية سواء اتخذها فرشاً او ظرفاً او لباساً او اثاثاً او غيرها فيحرم لبسها والانتفاع بها والصلوة فيها واما بطلان الصلاة فيها فيتوقف على ارتكاب كل محرم فى الصلوة مبطل لها فبمعونة الروايات الواردة فى جلد الميتة واجزائها ومنع الصلوة فيها ولو بشع نعل يتم القول ببطلان الصلوة فيها . وبناء على ما ذكرنا من اطلاق التحريم فالاية الكريمة قاضية بالتحريم مطلقاً سواء دبغت او لم يدبغ وليس فى الكتاب والسنن المعتبرة ما يصلح للتقييد . قال الجصاص فى احكام القرآن فقال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح وسفيان الثورى وعبد الله بن الحسن الغبرى والاوزاعى والشافعى يجوز بيعه بعد الدباغ والانتفاع به وروى باسناده عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه اتى فى غزوة تبوك على بيت وبفنائها قرصة معلقة فاستسقى فقليل : انها ميتة فقال ذكاة الاديم دباغه وفى معناها روايات اخرى عن طريقهم وعندهم روايات اخرى ايضا مخالفة للطائفة الاولى وكيف كان فالمرجع هو اطلاق الاية .

وعن ائمة اهل البيت ( ع ) لا يصلى فيها وان دبغت سبعين مرة . ثم الظاهر من الاية الكريمة ان التحريم من حيث نفس الميتة لامن حيث كونها نجسة وان كانت النجاسة والخبائث محرمة فى القرآن ايضا قال تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . . الاية ( الاعراف ١٥٧ ) فالاية الكريمة ساكنة عن افادة اثبات النجاسة للميتة . فلا يمكن القول ان التحريم من ناحية النجاسة فقط .

فى الوسائل عن الكافى بالاسناد عن مفضل بن عمر قال قلت لابي عبد الله (ع)

لم حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير قال ان الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده واحل لهم ما سواه من رغبته منه فيما حرم عليهم ولا زهد فيما احل لهم ولكنه خلق الخلق فعلم ماتقوم به ابدانهم وما يصلحهم فأحله لهم وأباحه تفضلاً منه عليهم به لمصلحتهم وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرمه عليهم ثم اباحه للمضطر فأحله له فى الوقت الذى لا يقوم بدنه الا به فأمره ان ينال منه بقدر البلغة لا غير ذلك ثم قال امام الميتة فانه لا يدنو منها أحد الا ضعف بدنه ونحل جسمه وذهبت قوته و انقطع نسله ولا يموت آكل الميتة الا فجأة . . الحديث .

فالرواية الشريفة ناصة بأن التحريم من ناحية المفاسد الاخرى لا من أجل القذارة والنجاسة .

فقد تبين مما ذكرنا ضعف ما قيل يلزم من تحريم الانتفاع النجاسة اذ لو كان طاهراً ينتفع به وهو باطل انتهى . اقول: تحريم الانتفاع غير مستلزم للنجاسة بل هو أعم منها كما لا يخفى .

ويستثنى من تحريم الانتفاع بالميتة كل ما اتحله الحياة من الميتة مثل الشعر والقرن مما لا يجرى فيه الدم فيغسل منها ما يلاقى الميتة ويمسها ويجوز الانتفاع به .

### الاية الرابعة

قال تعالى : (والانعام خلقها لكم فيها دفة ومنافع ومنها تأكلون المحل آية ٤) وقال تعالى ( والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها اثاثاً ومتاعاً الى حين النحل آية ٨٠) وقال تعالى (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم بأسكم كذلك يتم عليكم لعلكم تسلمون النحل آية ٨١) .

(الانعام) قيل : كل ذى اربع من دواب البر والبحروفى أقرب الموارد الاابل والشاة وفيه ايضاً عن المصباح المال الراعى وهو جمع لا واحد له وأكثر مايقع

على الابل انتهى .

قوله تعالى ( دفاء ) ضد البرد والمراد ما يدفء به من الاكسية والالبسة (والظعن) بالسكون وقرء بفتح العين ايضاً الحركة والارتحال (الاثاث) ماينتفع به فى البيت والمتاع اعم منه (الاكنان) جمع كن الكهوف والمغامرات ( السرايل ) القميص ومطلق اللباس يقى من الحر والظاهران المراد الوقاية من حرارة الشمس لثلا يشوه الخلفة ويتأذى بها ولباس الحرب الذى يقى من بأس العدو .

قوله تعالى : « يتم نعمته » اى اتمام النعمة بما ذكر فى هذه الايات وكذلك المذكور فى غيرها رجاء ان تسلموا وتذعنوا لله جل شأنه وهذا الرجاء منه تعالى مصداق الايجاب وتذكر الى الحكم الضرورى ببدهاسة العقل من وجوب الانقياد والخضوع والتسليم فى مقابل ما عرف وعلم من الحقيقة وهذه التذكرة منه تعالى لايجاب التسليم اما ان الايات الواردة فى سوق الامتان تذكرة بآلائه و مواهبه ولا مناص للتشكر والتحميد من أولياء النعم فالله سبحانه يتحجب الى عبادته بنعمه الجليلة ويتسودد اليهم بآلائه الكريمة ويتعرف الى خلقه بمواهبه العظيمة فسبحانه من الله ما أبره وما أوصله .

واما ان هذه النعم من الايات و البراهين الدالة على وجود الاله الودود الرؤوف بحيث يشهد اعلام الوجود على اقرار قلب ذى جحود وقد اخذ بمجامع قلوبهم فى تعريفهم نفسه القدوس اليهم بآياته ونعمائه فلا يبقى لذى عناد مجال ولا مقال فقد استدلوا بهذه الايات على جواز لبس الصوف والشعر والجلود فى حال الصلوة وغيرها وجواز الصلوة فى الجبال والصحارى والبرارى الا ماأخرجه الدليل .  
اقول : قد مر مراراً ان الايات الواردة فى مساق الامتان لايستفاد منها الاباحة الشرعية المولوية وجميع ماذكر فيها من الاعيان متعلق للاحكام وليست هذه الايات عمومات ، وأدلة الاحكام مخصصة لها فلا بد ان يستدل بالحيلة بقوله احلت لكم بهيمة الانعام ويحل لهم الطيبات وأمثال ذلك .

### الاية الخامسة

قال تعالى : « ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين » (١٤) « لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم » (١٥) البقرة . تنقيح البحث فى الاية فى مسائل :

### الاولى :

اختلف المفسرون فى شأن نزول هذه الاية على أقوال : الاول : ان الاية نزلت فى بيت المقدس حين غزى بخت النصر بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس مع معاونة النصارى واغرائهم له على ذلك .

والثانى : فى بيت المقدس حين خربها ملوك النصارى .

والثالث : منع المشركين الرسول ﷺ عن المسجد الحرام ومكة فى الحديبية .

والرابع : اخراج المشركين الرسول والمسلمين عن مكة والجائهم الى الهجرة وخرابهم المساجد الصغار التى كانت للمسلمين بفناء الكعبة وارسل فى المجمع رواية عن ابى جعفر عليه السلام فى ذلك وفى البرهان رواية عن تفسير الامام ابى محمد العسكرى الا انها ظاهرة فى تطبيق تلك الحادثة على الاية لافى شأن نزولها .

والخامس : للراى ان الآية حق اليهود فى امر القبلة وفى شأن مكة وان اليهود يخالفون الرسول فى أمر القبلة وهمهم وغرضهم خراب مكة ومنع الناس عنها وانها ليس بمعبد .

واوردوا على الوجوه ان بخت نصر كان قبل المسيح ست مائة وايزيد وأين النصارى اليوم حتى تغريه على تخريب بيت المقدس والثانى ان النصارى كانت من سنتهم وتشريعهم احترام بيت المقدس ازيد مما كان يعتقده اليهود وذكر المنار

عن شيخه ان هذا ليس مستنداً الى اسناد تاريخي يشهد عليه وعلى الثالث والرابع ان المشركين وان منعوا الرسول والمسلمين عن المسجد الحرام والجأؤهم الى الهجرة ومنعهم عن زيارة مكة في عام الحديبية الا انهم ما سعوا في خرابها واما ما زعمه الرازي فلا يخفى ما فيه من التكليف .

### الثانية :

أقول : لا وجه ولا موجب للالتزام بما ذكره في شأن النزول فظاهر الآية ليس متعرضاً لامر حدث وحادثة ستقع حتى يتكلف في تعيين تلك الحادثة بل الآية الكريمة في سياق مبارزة الكفر مع التوحيد ومقاتلة الكفار مع الموحدين وان الكفار يحاولون اطفاء نور الله ويمنعون من اعزاز اسمه الكريم وانهم يجدون في تخريب المساجد والمعابد والمشاهد والبيوت التي يذكر فيها اسم الله وبنيت من اول يوم على التوحيد بنيانه واسست على التقوى اساسه وهذا عام شامل لكل معبد ومسجد ومشهد وبيوت وكنائس وصوامع وبيع يذكر فيها اسم الله بالغدو والآصال . ولا اختصاص بالمسجد المصطلح عند الفقهاء وهذه المبارزة مع الموحدين وابطال دعوة الانبياء حرام عقلي ضروري ليس بأمر تعبدى فالذين يحاولون ابطال شعائر الله وظهار توحيدهم من اى ملة ومن اى دين كان او شعائر الاسلام خاصة وشعائر التشيع خاصة بتخريب البيوت المعظمة ومنع الناس عن العبادة فيه فمن اظلم الناس ومن اراد ذل الجناة والعصاة فهم يريدون ان لا يعبد الله في ارضهم وان لا يتواضع لجلاله ومجده وكذلك تصرفاتهم في اعيان المعابد احجار او جدرانها واثائها وفرشها وسرجها حرام محرم بالضرورة والحوادث المنطبقة على ذلك قبل الاسلام وبعد الاسلام كثير .

قال في المنار نقلاً عن شيخه ولا ينافي ذلك ما عساه يطرأ على العبادة او يوجد في المساجد من الاشياء المبتدعة التي لم يأمر بها الكتاب فمن علم الارض لما في ذلك من الفساد الذي اشرنا اليه . وهذا هو السر في حكم الشريعة بهذه البدع

فعلية ان ينكرها ويسعى في ازالتها ولا يجوز له السعى في ازالة المعابد من  
الاسلامية باحترام كنائس أهل الكتاب وبيعهم وصوامعهم انتهى محل الحاجة .  
«أولئك ماكان لهم ان يدخلوها الاخائفين» .

الظاهر ان الآية تهديد لهؤلاء الجبابرة والمفسدين في الارض لافى مقام  
المنع التشريعى اياهم وامرهم بدخول المساجد خاضعين خائفين فإله سبحانه يخوفهم  
ان يصيبهم مثل ما أصاب الظالمين من قبلهم وتحل بساحتهم ما حل بساحة  
المتكبرين من أمثالهم لهم فى الدنيا خزى فان الظلم له تبعات ونكبات وضعية فى  
حياة الناس وعمران الارض ثم ينتقم الله منهم بسلب مواهبه المعنوية والروحية كما  
هو المشاهد المحسوس .

### المقام الثالث

قد استدلوا بهذه الاية على عدة من الفروع الفقهية : منها.. وجوب اتخاذ  
المساجد ووجوب عمارة مااستهدم منها ووجوب شغلها بالذكر وتحريم تخريبها  
واستحباب اتخاذها على الاعيان واستحباب دخولها بالخشوع والخضوع وفيه ان  
شيئاً مما ذكر لا يستفاد من الاية وتحريم التخريب عقلى ليس شرعى وخاصة بالمعنى  
الذى ذكرناه قال المحقق الاردبيلى ( فى زبدة البيان ص ٧٨ ) قيل فى الاية احكام  
ماعرفناها بل لم يظهر كون بعضها حكما .

### الاية السادسة

قال تعالى : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة  
وأتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » (التوبة ١٩) .  
تعريض للمشركين الذين كانوا يفتخرون بسقاية الحاج وعمارة المسجد  
الحرام مع اقامتهم على كفرهم و شركهم معترفين بالشرك شاهدين على انفسهم به  
انه كيف يصح ذلك وكيف يستقيم لهم ان يعمروا مساجد الله وهم لايقرون بالله الواحد

الاحد فأعمالهم من الحسنات الاجتماعى والعبادى كلها حابطة باطلة وانما يتمشى  
تعمير المساجد وتعظيم المشاعر ممن آمن بالله واليوم الآخر - الى آخره - .

قوله تعالى : انما يعمر مساجد الله . الاية . تعمير المساجد عام شامل وصادق  
بترميم ما انهدم منها وكنسها و تنظيفها و الاسراج فيها و فرشها واشغالها بذكر الله  
وتطهيرها من البدع والاباطيل والوفود اليها للعبادة ولا مانع من عمومها لاعادة بنائها  
ايضاً ولم يذكر المفسرون بنائها او تجديد بنائها كأنهم زعموا ان بناء المساجد غير  
تعمير المساجد وخارج عن عنوان عمارة المساجد ولا يخفى ضعف هذا التوهم فان  
ال عمران صادق على الاحداث والايجاد ايضاً ولكل واحد مما ذكرنا من مصاديق  
ال عمران فضيلة ومثوبات عظيمة قدوردت السنن المعتمدة بالامر بها والتشويق والتأكيد  
فيها وهى مدونة فى جوامع الحديث والاية الكريمة صريحة فى الحث عليها و ان  
العبادة المذكورة من سنن المؤمنين الاخيار .

قوله تعالى « من آمن بالله » ليس المقام مقام تصريف الايمان وبيان شرائطه  
وحدوده كى يتوهم ان الايمان عبارة عما ذكر فى هذه الاية وانما السياق سياق طرد  
المشركين وتبعيدهم عن هذه الساحة المقدسة وانهم غير مستأهلين لاقامة الشعائر  
وعمارة المساجد والتعبير ( بانما ) المفيدة للحصر ان هذه العبادات خاصة بأهل  
الايمان فقط دون غيرهم والايمان هو الاقرار والاذعان بالله بعد المعرفة بالله الحق  
المبين وهو من أشرف الفرائض واسناها فالاذعان بعد المعرفة والهداية هو الايمان  
وقد يطلق ويراد احد الجزئين الهداية او الاذعان تسمية للجزء باسم الكل وهكذا  
بالنسبة الى غيرهما من الاجزاء او الشرائط المقررة فى ابوابه وهذا بناء على ان  
الايمان كله عمل والاذعان الذى هو من اشرف اجراء الايمان عمل ايضاً غاية الامر  
ان يقال انه مركب من الاعمال اى عمل الروح و البدن وهذا هو المستفاد من  
الروايات المأثورة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام ومقابل هذا القول ان الايمان  
حقيقة بسيطة وهو الاذعان والاعمال شرط لصحتها وقبولها والقول الاول هو الحق  
الحقيق بالقبول .



قوله تعالى « واليوم الآخر » ، مقابل الاول فالدنيا اليوم الاول وما بعد الدنيا هو اليوم الاخر والمراد منه ما بعد الدنيا لا المعاد فقط كما قيل ويوم المعاد موقف من مواقف يوم الاخرة فالاخرا اذا وقع صفة لليوم فيذكر واذا وقع صلة للدار فيؤنث فيقال الدار الاخرة فأول هذا اليوم وطلبعته القبر فالقبر اول منزل من منازل الاخرة وفيها منازل ومواقف البرزخ والبعث والنشور والوقوف فى عرصات القيامة الى ان ينتهى الى الموقف الكبير وهم يرم العرض الاكبر على الله اى العرض على الله فالحساب ثم الى دار كرامة الله ونعيم مقيم أو دار هوانه وهى الجحيم .

قوله تعالى : « اقام الصلوة » - الى آخره - اقامة الصلوة اخص من فعل الصلوة فالمراد من اقامتها اتيانها على حدودها وشرائطها التى لاينفك عن كونها مقبولة عندالله سبحانه وآتى الزكوة قرن الصلوة بالزكوة غالباً فى القرآن مع كونها من أجل الفرائض وقريناً للصلوة .

قوله تعالى : « ولم يخشى الا الله » . . قال فى الصافى ملخصاً اى مايرجع الى أمر الدين فان الخوف من المحاذير جبلى لايمكن ان يتمالك عنه .

اقول : الخوف من الله والخشية منه سبحانه ليس من هوان النفس وذلتها ومن قبيل التأثيرات فى مقابل ما يهدده من الحوادث والمحاذير بل هى من أجل الكمالات الروحية ومن أعلى مراقى النفس الانسانية و مرجعه ان يعرف سبحانه نفسه القدوس بكبريائه وجلاله وعدله لعبد من عباده المؤمنين فيعرفه بالكبرياء فيخشى ويدهش فى عين كونه مكينا فى مقام القرب فيتعرف الله اليه تارة بكرمه فيرجو ويطمئن ويتعرف اليه تارة بأنه محسن متفضل فيسأل ويتملق فى عين انه عزيز بعزة ربه وهكذا بالنسبة الى كل واحد من نعوته وأسماءه جل ثنائيه فقلب المؤمن بين اصبعي الرحمن يقلبه كيف يشاء فيستغرق فى انوار معرفته نوراً بعد نور وعرفاناً بعد عرفان ولا تنهى لها .

فتبين ان مرجع الخشية والخوف استضاءة الروح واستنارة النفس بالمعرفة ونزول السكينة وانسراح الصدر وهذه الخشية التى عيّن اليقين والعرفان مباين

ذاتاً وسنخا مع الخوف من الامور المادية فى مرتبة ضعف النفس وعجزها .  
قوله تعالى : « فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين » تقدم فى الاية السابقة  
ان الرجاء والتمنى منه تعالى ايجاب لمورد الرجاء وتذكر الى حكم العقل الضرورى  
فالاهداء بهداية الله بعد هدايته واجب ضرورى وانكاره والاستنكاف عنه انكار للحق  
المبين والحجة الواضحة .  
قال فى كنز العرفان : وهناك آيات آخر يتعلق بالمساجد يحسن ذكرها تابعه  
لهذه الايات الى ان قال الاولى « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له  
الدين » (الاعراف ٢٨).

اقول : الظاهر ان اقامة الوجوه عبارة عن توجيهها على نحو الاستقامة من  
دون تمايل الى شىء من جانبيه فلا بد من تقدير المتعلق اى لاثبات ما يتوجه اليه قال  
فى الكشاف اقيموا وجوهكم اى اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى  
غيرها وقريب منه عبارة البيضاوى والمولى المحقق الاردبيلى (قده) وفى كنز العرفان  
تكون اقامة الوجه كناية عن الصلوة انتهى .

اقول : قد ذكرنا ان اقامة الوجه عبارة عن توجيه الوجه ولا شاهد فى الاية  
بشىء مما ذكره من التأويل وقوله تعالى « عند كل مسجد » على ماسيجىء شرحه  
ظاهر فى اثبات مكان التوجه وصريح قوله تعالى وادعوه فى اثبات العبادة التى  
فيها التوجه فاذن لامورد لتأويل اقيموا وجوهكم بالعبادة أو بالصلوة فتبين ان يكون  
المتعلق غير العبادة والصلوة ففى تفسير القيام عن ابى بصير فى قول الله اقيموا  
وجوهكم قال هو الى القبلة .

وفى البرهان عن التهذيب باسناده عن ابن مسكان عن ابى عبد الله (ع) قال  
سألت عن قول الله عزوجل واقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال هذه القبلة .  
ووفيه أيضاً عنه مسنداً عن الحلبي عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله : « واقيموا  
وجوهكم عند كل مسجد قال : مساجد محدثة فأمروا ان يقيموا وجوههم شطر المسجد  
الحرام .

قوله تعالى: «عند كل مسجد» قيل: ان مسجد مصدر بمعنى السجود او المراد منه الصلاة سميت به تسمية للكل باسم جزئه وقيل المراد به مكان السجود ومحلها وهي المساجد او مطلق وجه الارض وقد تقدمت رواية الحلبي ان المراد هي المساجد المحدثه ففى تفسير العياشى عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام فى قوله تعالى واقموا وجوهكم عند كل مسجد قال مساجد محدثة فالمراد ان يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام .

اقول : لا بأس بالاخذ بعمومه مسجدا كان او وجه الارض وحمل الرواية على بيان افضل الافراد .

قوله تعالى : «وادعوه» عطف على قوله تعالى «واقموا» وهذا قرينة اخرى ان المراد من المسجد هو ما ذكر فى الروايات ولو كان المراد هو السجود او الصلوة لكان الانسب بنظم الاية تأويله بالفعل وعطف وادعوه اليه بخلاف ما لوقيل: ان المراد منه المكان من دون احتياج الى تأويل على ان فى القول انه الصلوة ارتكاب مجاز بعناية علاقة الكل والجزء .

قيل فى قوله «وادعوه» اى واعبدوه وقيل انه الدعاء نفسه ولا تأويل وقوله تعالى مخلصين حال من فاعل اقيموا وادعوا اى مصونا ومحفوظا عن شائبة الرياء واستظهر بعض الاعاظم بهذا البيان استحباب الدعاء فى المساجد وشرط الاخلاص وعدم الرياء فيه .

اقول : لا ريب ان الدعاء مسن اجلى افراد العبادة وكذلك الصلوة ايضا ولا وجه لحمل الدعاء على العبادة بعدم الدليل عليه نعم لا بأس بحمل الدعاء على الصلوة فان من اهم اجزاء الصلوة الدعاء بعلاقة الجزئية والكلية لوقام دليل على ذلك واما القول بأن الاية تفيد اشتراط الاخلاص فى الدعاء فممنوع جدا وقد ذكرنا شرحا شافيا فى تفسير قوله تعالى «وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» (البينة٥) ان الاية وامثالها فى مقام ابطال الاوثان وخلع الانداد اى وادعوه موحدين ومعترفين بأن الدين لله لا شريك له فلا يصلح لاحد ان يضع دينا لاحد بل يجب على الجميع

التدين بالدين الذى قرره سبحانه .

فان قيل : فرق بين هذه الاية والاية فى سورة البينة فان الاية تأمر بتوجيه الموحدين وجوههم نحو القبلة وتأمرهم ان يدعوا ربهم فى مساجدهم مخلصين بخلاف الاية فى سورة البينة فانها فسى مقام توبيخ اهل الكتاب والمشركين بأنهم أمروا ان يعبدوا الله موحدين .

قلت : يجب على القائل ان يمعن النظر فى ان المتعلق والمفعول بقوله مخلصين هو الدين ويجب الاخلاص فى الدين لا فى الدعاء اى أمروا ان يدعوا ربهم حال كونهم مخلصين الدين لله سبحانه وموحدين فى ذلك فليس بمستنكر ان يأمر سبحانه العابدين والقانتين ان يخلصوا دينهم لله وحده ويكفروا بجميع ما سواه قال تعالى : « انا انزلنا اليك الكتاب فاعبد الله مخلصاً له الدين » ( الزمر ٢ ) .

قال تعالى : « قل انى امرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين » ( الزمر ١١ ) قال فى المجمع فى تفسير الاية الاولى اى توجه بعبادتك الى الله وحده مخلصاً له الدين اى من شرك الاوثان والاصنام انتهى وفى تفسير الاية الثانية اى موحداً له لا اعبد سواه انتهى .

اقول : الاخلاص بهذا المعنى من الوظائف المقررة لاعلى درجات الايمان فعن الصادق عليه السلام فى دعائه يوم عرفه اللهم انت اقرب حفيظ وادنى شهيد - الى ان قال - والمهتدى من هديت والحلال ما حللت والحرام ما حرمت والدين ما شرعت والامر ما قضيت .. الدعاء . قال تعالى « واذا ناداهم الى الصلوة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » ( المائدة ٥٨ ) . وفى الكشف قيل : وفيه دليل على ان ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده انتهى .

اقول : ليس فى ظاهر الكتاب ما يدل عليه واستدل بعضهم بها على مشروعية الاذان .

فى كتاب النص والاجتهاد للسيد المحقق شرف الدين (قده) وعن ابى العلاء كما فى سيرة الحلبيية قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لتحدث ان بدء الاذان كان

من رؤيا رآها رجل من الانصار فى منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل فى شرائع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه كان من رؤيا رجل من الانصار فى منامه يحتمل الصدق والكذب وقد يكون اضغاث احلام قال قلت هذا الحديث قد استفاض فى الناس قال هذا والله هو الباطل الى آخر كلامه . وقد كثرت رواياتهم فى بدء الاذان انه كان منشأ المنام ولا يخفى بضرورة من الدين انه لا يجوز لنبى ولا رسول الاعتماد فى تشريع حكم على رؤيا الاشخاص ولا موجب للالتزام ذلك وقد صرحت ائمة اهل البيت على بطلان هذه الخرافة وشددوا الانكار عليه .

فى البرهان ج ٢ ص ٣٩٤ عن الكلينى باسناده عن ابى اذينة عن ابى عبد الله عليه السلام قال ما ترى ( تروى ) هذه الناصبة قلت جعلت فداك فيما ذا قال فى أذانهم وركوعهم وسجودهم فقلت انهم يقولون ان ابى بن كعب رآه فى النوم - فى نسخة فقال كذبوا ان دين الله عز وجل اعز من ان يرى فى النوم فقال ، فقال : سدير الصير فى جعلت فداك فاحدث لنا منه ذكرا فقال ابو عبد الله عليه السلام ان الله عز وجل لما عرج بنبيه الى السموات السبع - الى ان قال - فقال جبرئيل اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله . الحديث .

وفى معناها روايات اخرى عن ائمة اهل البيت وهو المقطوع عن مذهب اوليائهم وفقهائهم .

واستشكل الجصاص عليه بأن معراجہ (ص) كان بمكة وبدا الاذان كان فى المدينة وفيه ان ذلك متوقف ان معراجہ كان مرة واحدة وان الاذان انما شرع فى المدينة بالنوم أو بالمشاورة وكلا الدعويين يطالب بالدليل بل الذى يظهر من روايات ائمة اهل البيت تعدد المعراج وان الاذان انما شرع بالوحى فى الصافى عن الكافى عن الصادق (ع) انه سأل كم عرج برسول الله ؟ فقال مرتين .

اقول : وتعدد معراجہ شواهد اخرى فى خلال روايات المعراج ولا دليل على ان معراجہ مرة واحدة عن كتاب أو سنة أو عقل ومما يشهد على مجعولية أحاديث

تشريع الاذان بالرؤيا ان البخارى ومسلم لم يخرججا تلك الاحاديث فى كتابيهما وتكلف الشارحون فى الاعذار عنهما بوجوه ضعيفة سخيقة لاينبغى التعرض اليها ، من ارادها فليراجعها .

ففى صحيح مسلم ص٧٥ فى الجزء الثالث باسناده عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر انه كان يقول ان المسلمين حين قدموا المدينة ( كانوا ) يجتمعون فيقيمون الصلوة وليس ينادى بها احد فتكلموا يوماً فى ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصرى وقال بعضهم قرنا مثل قرن اليهود فقال عمر اولاً تبعثون رجلا ينادى بالصلوة قال رسول الله(ص) يابلال قم فناد بالصلوة . ورواه البخارى فى صحيحه ايضاً .

ففى صحيح البخارى ص ٧٨ باسناده عن انس قال ذكروا النار والناقوس فأمر بلال ان يشفع الاذان ويوتر الاقامة .

ولم يذكرها الحاكم فى مستدركه ايضاً وانما المذكور فى المستدرک على ما ذكره السيد العلامة شرف الدين ( قده ) ان رسول الله شاور أصحابه فأشار عمر الى النداء فأمر رسول الله بلالا ان يؤذن للناس وذكر عن المستدرک ايضاً وانما ترك الشيخان حديث عبدالله بن زيد فى الآذان والرؤيا لتقدم فوت عبدالله بن زيد قلت هذا لفظه بعينه « انتهى » .

اقول : حديث عبدالله بن زيد الانصارى قد رواه مالك فى الموطأ ورواه المحشون عن ابى داود ايضاً وقد شاع واشتهر بينهم فى الموطأ قال مالك عن يحيى ابن سعيد انه قال كان رسول الله اراد ان يتخذ خشبتين يضرب بهما ليجتمع الناس للصلوة فأرى عبدالله زيد الانصارى ثم عن بنى الحرث بن الخزرج خشبتين فى النوم الى أن قال فقيل الا تأذنون للصلوة فأتى رسول الله حين استيقظ فذكر له ذلك فأمر رسول الله بالاذان .

اقول : مضافاً الى ما ذكرنا من اسناده الحاكم على مجعوليته أحاديث الرؤيا لكاذبها مع احاديث المشاورة وان عمراً أشار بذلك وان رسول الله رضى بقول عمر

وأمر بالاذان وهكذا لكاذب احاديث المشاورة مع حديث الرؤيا وروى الجصاص فى تفسيره احكام القرآن عن عمر انه قال طاف بى الذى طاف بعبدا لله بن زيد ولكنه سبقنى « انتهى » .

اقول : الحق فى المقام ان الاية الكريمة ليست فى مقام تشريع الاذان فى شىء وانما تحكى عن استهزاء الكفار بالاذان وقد سبق تشريع الاذان للاية وهى مثل قوله « واذا نودى للصلوة من يوم الجمعة » فالإتان حاكيتان ان الاذان كان مقرراً ومرسوماً قبل الايتين .

قد تحصل مما ذكرنا انه ليس على رسل الله الكرام وخاصة الرسول الاكرم (ص) ان يشاور احداً من الناس فى تشريع حكم من الاحكام فما ورد من هذا القبيل فمجموع على رسول الله (ص) جلت ساحة قدس الرسول الامين على أحكامه تعالى ان يدخل احداً فى حريم التشريع الخاص لله سبحانه ولا يجوز لاحد الاعتماد على رؤيا احد ولا على رؤيا نفسه ولا العمل به فضلاً عن رسول الله الحامل لانقال الرسالة بالقاء الروح الامين المكين والعالم نبياً النبوة بأخذه من الله سبحانه بلا واسطة احد.

### تشریح قول الصلوة خیر من النوم

ليس فى أحاديث المشاورة ولا فى احاديث الرؤيا قول الصلوة خیر من النوم فى زمن رسول الله (ص) ولا فى جميع ايام خلافة ابى بكر ولا فى شطر من ايام خلافة عمر فقد روى مالك وغيره ان المؤذن جاء الى عمر بن الخطاب فوجده نائماً فقال الصلاة خیر من النوم فأمره عمر ان يجعله فى نداء صلوة الصبح واما اسقاط حى على خير العمل قال الفاضل القوشجى فى شرحه على تجريد المولى العلامة الطوسى ( قدہ ) نقلاً عن عمر قال ثلاث كن على عهد رسول الله وانا انهى واحرمهن وأعاقب عليهن متعة النساء، ومتعة الحج، وحى على خير العمل قال الشيخ (قدہ) فى الخلاف الا وان عندنا ثمانية عشر كلمة الى أن قال وقال الشافعى الاذان تسع عشر كلمة فى سائر الصلوات وفى الفجر احدى وعشرون كلمة التكبير اربع

مرات والشهادتان ثمان مراتب مع الترجيع والدعاء الى الصلوة والى الفلاح مرتين والتكبير مرتين والشهادة اجهاراً وترديد الصوت فى الحلق ذكره فى القاموس والثيوب قول الصلوة خير من النوم .

### فى مقارنات الصلوة وفيه آيات

#### الاية الاولى

قال تعالى : « وقوموا لله قانتين » (البقرة ٢٣٨) صدر الاية هكذا « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين » فاستدل بالاية على فروع فى الصلوة الاول: وجوب القيام وشرطيته فى الصلوة وتقريب الاستدلال ان قوله تعالى « قوموا » بحسب اطلاق الامر ظاهر فى الوجوب ولا شىء من القيام بواجب الا فى الصلوة فاثبات الكبرى بحسب دلالة الاية وتعيين الصغرى بحسب الاستقراء وايضا قوله تعالى: قوموا عطف على حافظوا الدالة على وجوب المحافظة والمراقبة فيكون القيام ايضاً واجباً وايضاً القيام مقررون بالقنوت والقنوت فى عرف الفقهاء رفع اليدين بالدعاء حال القيام فتعين ان القيام الواجب بحسب الامر هو القيام فى الصلوة .

اقول : قدمنا جملة كافية فى تفسير الاية وخلاصة القول فيها ان المراد من القيام هو التصدى والانيان بالعمل لا الانتصاب والقيام المقابل للعقود كى يكون شرطاً أو واجباً فى الصلوة هذا أولاً ، ثم ان الاية الامرة بوجوب المحافظة للصلوة ليست فى مقام تشريع الصلوة وأجزائها وشرائطها وانما تأمر بالمحافظة للصلوات المكتوبات المقررة المرسومة بحسب أدلتها وبديهي ان هذا الامر أمر ارشادى فى مرحلة الطاعة والانبعث عن البعث القطعى والامر الارشادى لا يفيد حكماً تعبدياً مولويًا فيسقط جميع الوجوه الذى ذكروها لانبعث وجوب القيام .

و اما الاستدلال من ناحية القنوت بوجوب القيام فيه ان قوله تعالى قانتين نعت للمصلين ومعنى القنوت الرغبة والخشوع واقبال الرجل على صلواته لا القنوت



الاصطلاحى فعلى عهدة المصلى تحصيل القنوت فى جميع حالات صلواته مكبراً قارياً قانتاً راکعاً ساجداً متشهداً قائماً جالساً داعياً ذا كراً مسلماً مسبحاً فلا دلالة فى هذا القنوت على وجوب القيام ومما ذكرنا يعلم انه لا اشعار فيها بجزئية القنوت المصطلح فى الصلوة لاجوباً ولانديبا بل اللازم تحصيل القنوت بالمعنى الذى ذكرنا فى القنوت المصطلح أيضاً كما لا يخفى قال تعالى «أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه» الآية (زمر ٩) .

وأما الفرع الثالث: وهو وجوب النية استناداً الى قوله تعالى لله فيه ان الآية الكريمة مسوقة على الحث بالقيام لله فى باب الصلوات المفروضة المشروعة المفروعة عن جميع اجزائها وشرائطها فتكون تذكرة للمراقبة التامة للاخلاص والاحترام الاكيد بجلاله تعالى وشأنه سبحانه وليس فيها لشأن النية اشارة واشعار أصلاً .  
فمحصل مفاد الآية ان القيام لله فى الصلوات لابد فيها أن يكون المصلون قانتين .

### الآية الثانية

قال تعالى : «وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً» . . (الاسراء) .

### بيان

قد أمر الله سبحانه رسوله وصفيه (ص) بحمده تعالى ومعنى حمده تعالى كما أسلفناه مستوفى ومستقصى هو الثناء على الذات وعلى الصفات وعلى الافعال وليس المراد منه هو الثناء المطلق كى يكون متساوقاً ومرادفاً بالتمجيد بل المراد هو الثناء على غلو الذات والصفات والافعال عن كل ما يتوهم فيه من العيب ويستحيل تطرق نقص وشين فى كمال ذاته وصفاته وأفعاله والذين فسروا الحمد بأنه الثناء على الجميل الاختيارى أو قالوا انه بمعنى السكر اضطروا فى المقام ان يعترفوا ويقروا بما

ذكرناه في تفسير الحمد فينبغي أن يستدل بهذه الآية على صحة ما ذكرناه من التفسير ونقض ما قالوا عن البيان فقد أمر تعالى رسوله أن يوقع الحمد والثناء على نفس الذات المتوحد بالالوهية من حيث كونه مقدسا ومنزها عن اتخاذ الابناء والاولاد فهو سبحانه محمود وحميد بلحاظ هذا النعت التقديسي والتنزيهي ابطالا ورداً لما قال فيه الجاهلون والملحدون وقد قالوا عزير بن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله .

فهذا التقديس مسوق لنفى الجسمية ولو ازمها عنه تعالى وان مقامه تعالى أعلى وأرفع من اتخاذ الولد والبراهين القائمة على نفى الجسمية وآثارها ولو ازمها عنه تعالى قاضية وحاكمة في المقام ولا حاجة الى ابطال نفى الولد بخصوصه كى ينجر الكلام الى نفى الوالد ايضا .

قوله تعالى « ولم يكن له شريك فى الملك » تنزيه ثان وتصريح وتذكرة الى كمال آخر وتوحده وتفرد سبحانه بذلك لاشريك له فى الملك بالضم وقد صرح البيضاوى وغيره ان الملك بالضم اى التصرف بالتدبير والسلطنة على الشؤون العامة والامر والنهى واسم الفاعل منه ملك والملك بكسر الميم اى اختصاص التصرف فى الاعيان والفاعل منه مالك .

وقالوا : ان ملك ابلغ من المالك فى افادة المالكية لانه عبارة عن السلطنة فى الشؤون العامة والامر والنهى فمن المالكين من يجرى عليهم احكام الملوك . اقول : لادليل لهذه الدعوى ولا شاهد عليها لبحسب المادة ولا بحسب الهيئة وموارد الاستعمال لايساعد على ذلك فاستعمال الملك بالضم فى الاعيان والملك بالكسر فى غيرها غير عزيز فى موارد الاستعمال قال تعالى : « قل اللهم مالك الملك » آل عمران (٢٤) قال تعالى « مالك يوم الدين » الفاتحة قال : « وقالوا يا مالك ليقتض علينا ربك » (زخرف ٧٧) فى القاموس ملكه يملكه ملكاً مثلثة وملكه محررة ومملكه بضم اللام ويثلث احتواه قادراً على الاستبداد به « انتهى » .

والظاهر ان المراد فى المقام هو اقتداره تعالى ونفوذ سلطانه على جميع ما

سواه ايجاداً وابقاء ومنعا وعطاء وتشريعاً وتكويناً وقبضاً وبسطاً فله ملك السموات والارضين ملكاً ذاتياً وله الحكم ويده الامر فيها وفي اهلها بما شاء كيف يشاء طبق التدبير العلمى العمدى الحكمى .

قال السيد ( قدّه ) فى شرح دعائه بعد صلوة الليل فى تفسير قوله واستعلى ملكك علو الدعاء.. واستعلاه ملكه عبارة عن عظمته باعتبار كمال اقتداره وتمام استيلائه على مخلوقاته انتهى ما أردناه .

فتحصل ان الحمد لله بلحاظ الملك وتوحده تعالى فى ذلك ومالك وملك ومليك من اشرف نعوته واجل اسمائه وكل اسمائه جليلة .

قوله تعالى : « ولم يكن له ولى من الذل » الاية . قيل : فى معناه انه يستحيل ان يقع تعالى تحت ولاية احد لغنائه بذاته عن الاستعانة بالغير وعن الانتصار بالاولياء قلت : هذا معنى صحيح فى حد نفسه يجب تقديس الصانع جل مجده عن الوزير والمعاون وعن الولى المعاضد الا انه غير ملائم لتفسير الاية فان النفى متوجه الى عنوان القيدى اتحاد الولى لاجل الذل والمهانة لنى الولى على الاطلاق فقد اختار واصطفى سبحانه عن صفوة خلقه وكرام بريته اولياء لنفسه ليعتزوا به لا انه يعتز بهم فأولياؤه لعزه يعتزون وبولايته يفتخرون فعلى هذا يكون المراد من الولى وهو المحب كما ذكره فى سرد القاموس فى ضمن معانى الولى لا الولى الذى يتولى امر من يتولى عليه فأولياؤه تعالى احبائه اختارهم لكرامته واعزهم بقربه تفضلاً واحساناً فهو سبحانه يحب المحسنين ويتولى الصالحين .

قوله تعالى : « وكبره تكبيراً » اى عظمه وجلله عما قال فيه الجاهلون فانه سبحانه اكبر وأجل من أن يتخذ لنفسه ولداً أو يكون ماسياً واهياً ومن يشاركه فى الاقتدار والعظمة أو يتخذ لنفسه ولياً من فاقة ومن هوان وانما اعز اولياؤه بعزه جل مجده .

فقد استدل بقوله « وكبره » على وجوب التكبير فى الصلوة قالوا لا اشكال فى افادة الاية وجوب التكبير وليس بواجب الا فى الصلوة قطعاً فتعين ان الاية تفيد

وجوب التكبير فيها .

اقول : هذا التكبير ليس قول الله اكبر وانما هو تعظم وتجليل لله سبحانه والاية سيقم لتذكير العقول وتنبيه القلوب وللدعوة الى الحق القدوس المتعالى فهى بمعزل عن ايجاب قول الله اكبر بعنوان الجزئية التعبدية فى الصلوة وله الحمد كما هو أهله .

### الاية الثالثة

قال تعالى : «وربك فكبر» المدثر . اقول الكلام فى سابقتها وقد اسلفنا البحث فيها فى كتاب الطهارة من اراد فليراجعها .

### الاية الرابعة

قال تعالى : «ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقروا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة» الاية المزملة (٢٠).

### بيان

الاية الكريمة وسياقها فى مقام التقدير والتشكر مما كان يفعله (ص) واوليائه المؤمنون من القيام بالليل والتعبد فيها بالعبادة واحصائهم ساعات الليل وأوقاتها بما ذكر فى الاية بالثلثين والنصف والثلث وقد روى ان بعضهم لما لم يتمكنوا من احصاء ساعاتها يقومون الليل كله فشق ذلك عليهم فشكر الله سبحانه سعيهم وحمد موقفهم الجميل ورضى مقامهم الحميد وأمر بالتخفيف على أنفسهم والتسهيل عليها ورضى عنهم بالعمل القليل من الكثير واعتذر سبحانه عنهم بفضله

وكرمه انه سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض ابتغاء الرزق من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله احياء لدينه واعزاز الاسمه الكريم فقال جل مجده ارفاقا وترخيصا وتخفيفا فاقروا ما تيسر من القرآن . . الاية .

وضرورى عند اولى الالباب ان الاية المسوقة للتشكر من فعله صلى الله عليه وسلم وفعل المؤمنين ما سبقت في مرحلة التشريع وافادة الوجوب المولوى لصلوة الليل على المسلمين بل فيها ما يدل على عدم الوجوب فان قوله تعالى « وطائفة من الذين معك » ان القائمين معه كانت عصابة خاصة من المؤمنين فيسقط ما ذكره الجصاص في كتابه احكام القرآن ج ٣ ص ٥٧٧ ان الاية نسخ بها قيام الليل المفروض وما ذكره الكشاف ايضا حيث قال في تفسير المقام يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات المكتوبات . . انتهى .

اقول : لا دلالة في صدر الاية ولا في غيرها من الايات على وجوب صلوة الليل كى يكون منسوخا بقوله تعالى « فاقروا ما تيسر منه » قال الشيخ ( قد ه ) في التبيان ج ١ ص ١٦٩ وقد قلنا في ان الامر في اول السورة على وجه النذب فكذلك هيهنا فلا وجه للتنافى حتى ينسخ بعضها لبعض انتهى .

قوله تعالى : « ادنى من ثلثي الليل » اى ما يقل من الثلثين ويقرب منه ونصفه وثلثه بالنصب ورجوع الضمير الى الليل وفيه ايضا اشعار ان قيامهم كان على النذب وكذلك لوقرء بالجر اى يضيف الثلثين وثلثه فان عدم تعيين الوقت وارسال الحكم معلقا على احيائهم من حيث مقادير الليل وقيامهم فيها غير ملائم للواجب والوجوب . قوله تعالى : « والله يقدر الليل والنهار » الاية الظاهر ان هذه الجملة بمنزلة التعليل لقوله تعالى ان ربك يعلم فانه سبحانه خلق الليل والنهار وقدر ساعاتهما ولحظاتهما وآناتهما فهو تعالى يعلم ما يعمل العاملون فيهما .

قوله تعالى : « علم ان لن تحصوه » . . الاية اى لا تتمكنون من احصاء الليل من حيث مقادير اوقاتها او لا تتمكنون من احصاء الليل واستيعابه بالعبادة . قوله تعالى : « فتاب . . » اى رجع عليكم بالفضل والعطف والحنان بمعنى

الرجوع فهي لازم يتعدى بحروف الجر في تفاوت المعنى باختلاف الموارد فالثواب كما ذكره في القاموس وغيره من اسمائه تعالى الحسنی .

قوله تعالى : « فاقروا ما تيسر من القرآن » . . الآية قد استدلت بهذه الآية على وجوب القراءة في الصلوة وتقريب استدلالهم ان الامر يدلل على وجوب القراءة ولا واجب من القراءة اجماعا الا في الصلوة فالكبرى يجب دلالة الآية واحراز الصغرى بالاجماع . وأورد عليه بمعنى الموجب في غير الصلوة فيجب قراءة القرآن للاستطاع على المعجزة الباقية للرسالة الختمية وللإشراف بدلائل التوحيد وغيرها من المعارف الحققة وزاد بعضهم ما خلاصته لثلا يندرس القرآن ويترك .

« اقول : يحتاج تميم هذا الاستدلال الى بيان امور :

الاول: ان مخاطبة الرسول ﷺ ومن معه ليست على نحو القضية الشخصية بل يجب تحليلها وتفسيرها بما يؤل الى قضية حقيقية كلية فان اوامر القرآن وآياتها واحكامها حية لا تموت ولا يختص بزمان دون زمان ولا بأقوام دون آخرين بل يجرى كما يجرى الليل والنهار وكما يجرى الشمس والقمر .

الثاني: ان المراد من الوجوب المستفاد من الامر ليس هو الوجوب النفسى الاستقلالى بل المراد هى الجزئية المنتزعة من مفاد الامر فلا يتفصل بما قيل من التفصيل من وجوب القراءة للاطلاع على المعجزة وتحصيل المعارف واستنباط الاحكام والتفقه فى الدين فان هذا الوجوب لو سلم فانما هو نفسى استقلالى كفايى على ان الامور المذكورة ليست متوقفة على القراءة وانما تمكن منها بالنظر والتدبر والفكر وليس بواجب شرعى مولوى بل يمكن ان يقال انه من الواجبات العقلية وقول بعضهم لثلا يندرس ويهجر ويترك ففيه مغلطة واضحة فانه على فرض تسليمه يكون ترك القرآن والاعراض عن القرآن حراما وامثال ذلك انما يكون بالقراءة فالواجب فى مرحلة الامثال حكما مولويا بالضرورة .

فان قيل : غاية ما يمكن ان يقال ان الآية ترخيص وتخفيف فى صلوة الليل من الاشد الى الاسهل فتدل على جزئية القراءة فى النوافل فقط فأين هذا من وجوب

القراءة فى الصلوة مطلقا قلت لوقلنا ان القراءة شرط وجزء فى النوافل فىتم الاستدلال بعدم القول بالفرق بين الفرائض والنوافل .

الثالث : ان المراد بقوله تعالى « فاقروا » هى الصلوة عبر عن الصلوة بالقراءة لانها من اشرف اجزائها وهذا هو الظاهر من الاية وعليه اكثر المفسرين ويشهد على ذلك ويؤيده ان الظاهر من قوله تعالى : تقوم الاية هو القيام الى الصلوة لا القيام المطلق ولا القيام الخالى عن الصلوة فعلى هذا فالترفيف بالفاء فى قوله فاقروا هو التخفيف والتسهيل فى القيام الاشقى الى الاخف من سنخه لا الى ما ينافيه ويباينه.

### فرعان

ذكر العلامة فى البحار ص ٣٣٢ عن بعض الاصحاب ان كلمة ما فى قوله تعالى « فاقروا ما تيسر » - الى آخره - عام شامل لما زاد عن الحمد والسورة الا ان الزايد منفى بالاجماع فيبقى وجوب السورة سالماً عن المعارض انتهى .

اقول: خلاصة ما ذكره ( قد ه ) فى الجواب ان القول بالعموم متوقف على ان يكون ( ما ) موصولة بمعنى الذى فمن الجائز ان يقال انها نكرة موصوفة اى فاقروا شيئاً ميسوراً من القرآن على ما احببتم وكيف اردتم وهذا هو المناسب لغرض الاية وسياقها الواردة فى مقام التخفيف والترخيص فى ترك الاشقى الى الاسهل.

الثانى : روى عن ابى حنيفة وصرح به الجصاص ان الاية تدل على جواز ترك الفاتحة واجزاء قليل من القرآن غيرها والظاهر ان منشأ هذا الوجه هو توهم اطلاق فى الاية ولا يخفى وهن هذا الوجه وسقوطه فان الاطلاق فى امثال المقام اطلاق عامى بدوى فى معرض التقييد فلا ينعقد الاطلاق قبل الفحص عن القيد ولا يصح التمسك به بالضرورة فالاية الكريمة لاتدل على ازيد من جزئية السورة فى الصلوة واما اشتراط الفاتحة وعدمها وبيان مقدار ما تجزى من السورة فى النوافل والفرائض فخارج عن عهدة الاية يحتاج الى بيان آخر فالمتبع فى هذا الباب هو السنن القطعية من افعاله صلى الله عليه وسلم واقواله وما ورد من عترته الهادين .

وقيل : ان المراد من القراءة فى الاية هو قراءة القرآن لا الصلوة فمنهم من قال بالاستحباب وبعض على الوجوب لان القارىء يقف على اعجاز القرآن ودلائل التوحيد وارسال الرسل .

اقول : الوجه الارجح ما ذكرنا من ان المراد هو الصلوة تم انهم اختلفوا فى المقدار المأمور به عن القراءة على أقوال .

فمن سعيد بن جبير خمسون آية وعن ابن عباس مئة آية وعن جويبر ثلث القرآن لان الله يسره على عباده وقيل غير ذلك ايضاً وانت تعلم ان تعيين هذا المقدار يحتاج الى الدليل وما ذكره جويبر فانه بناء على العموم وان ما بمعنى الذى وقد ذكرنا مافيه من الوهن .

فى الوسائل عن الكلينى مسنداً عن حريز عن ابى عبدالله (ع) قال القرآن عهد الله فى خلقه فقد ينبغى للمرء المسلم ان ينظر فى عهده وان يقرأ منه كل يوم خمسين آية .

وفيه ايضاً عن الشيخ مسنداً عن معمر بن خلاد عن الرضا (ع) قال سمعته يقول ينبغى للرجل اذا اصبح ان يقرأ بعد التعقيب خمسين آية .

وقراءة القرآن من اهم العبادات ولها شرائط كثيرة مذكورة فى جوامع الاحاديث المروية عن ائمة أهل البيت عليهم السلام ولها اثر عظيم فى قرع القلوب القاسية الناسية لربها واللاهية بأباطيل نفسها وامنيتها الكاذبة وفى تأديب النفس وتطهيرها وسوقها الى المكارم والفضائل وكذا فى انشراح الصدر وشفاء السر وطمأنينة القلب فيجب على اولى الالباب والابصار الذين يعقلون جلاله تعالى وكبريائه ان يقرأوا القرآن منيبين الى الله بترتيل وتدبر وتفكر وخضوع وحزن واخبات ملتزمين ومتعهدين لقبول ما يعظه تعالى ويناصحه وخائفين من جميع ما يخوف به العصاة ويهددهم من سطواته وبأسه .

والاخبار والاثار فى ذلك الباب كثيرة فعليكم بمراجعتها والاستضاءة من انوارها فتتبركوا بما ورد عن على ( صلوات الله عليه ) فى وصف المتقين الى أن



قال تالين لاجزاء القرآن ىرتلونه ترتيلا يحزنون به انفسهم ىستبشرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركناوا اليها طمعاً وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً وظنوا انها نصب اعينهم واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامح قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها فى اصول آذانهم (الخطبة) .

### الاية الخامسة

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ، الحج/ ٧٧ .

### بيان

فى القاموس . ركع الشيخ .. انحنى كبرا او كبا على وجهه الى ان قال - وكل شىء ىخفض رأسه فهورا كع ، وفى مرآة الانوار ما يقرب منه والسجود لغة الخضوع . فى القاموس . . سجد طأطأ رأسه وانحنى - الى ان قال - وقوله تعالى «وادخلوا الباب سجداً اى ركعاً» فالمحصل فى معناها الخضوع وخفض الرأس والانحناء فعلى هذا لامانع من اطلاق الركوع فى مورد السجود وبالعكس لتصادق كل منهما فى مورد الاخر ويحتاج تشخيص المعنى المراد الفقهى الى قرينة بينة الا ان مقام وعنوان مقارنة الركوع بالسجود وتعقيب الركوع به قرينة جلية على ان المراد فى الاول غير المراد فى الاخر بل ارىد من كل منهما معنى خاصا فلامحصل لصدق كل واحد منهما على الاخر فى هذا المقام كما انه لا يمكن أن يقال ان المراد منهما الصلوة تسمية للشىء باسم اعظم اركانه كما قال به بعض المفسرين ضرورة انه يكفى احدى الكلمتين فى افهام ذلك من غير احتياج الى الاخر فظهر بحمد الله غاية الظهور ان المراد من المأمور به فى هذا المقام هو المعنى الخاص لكل من هذين اللفظين لا المعنى المشترك العام بينهما .

فان قيل سلمنا ان المراد المأمور به على سبيل الوجوب حسب اطلاق الامر وان كانت هى السجدة فمن الجائز أن يكون المراد هى سجدة التلاوة كما فى السجدة الواجبة عند قراءة الايات فى سورة العزائم لما عن الشافعى . وراعى منها ومن

سجدة الصلوات كما ذهب اليه في القلائد .

قلت : كلا فان السجدة في العزائم لها قرائن خاصة لا يجاب السجدة بعينها على الفور بخلاف المقام لمقارنة الركوع بالسجود فلا يمكن انطباق الآية على سجدة التلاوة فلما محالة يكون المراد من الركوع والسجود الواجبين هو الواجب في الصلوة بالبيان الذي تقدم في القراءة اي ان الركوع الواجب مع السجدة الواجبة لا يوجد لها مصداق الا في الصلوة .

وفي القلائد قال: روى الشيخ في الموثق عن سماعة قال : سأله عن الركوع والسجود هل نزل في القرآن قال نعم قول الله عز وجل «يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا» فقلت : كيف حد الركوع والسجود فقال اما ما يجزيك من الركوع فثلاث تسيبحات تقول سبحان الله سبحان الله سبحان الله ثلاثاً ومن كان يقوى ان يطول الركوع والسجود فليطول ما استطاع يكون في تسيبح الله وتحميده وتمجيده والدعاء والتضرع فان اقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد .

وفيه ايضا عن الكافي عن ابي عمر الزبيرى عن ابي عبد الله عليه السلام في حديث طويل - الى ان قال - ان الله فرض الايمان على جوارح بنى آدم وقسمه عليها وفرقه فيها وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلوة فقال : يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. وهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين . . الحديث .

فتحصل من جميع ما ذكرنا ان المراد في الآية الكريمة هو الركوع والسجود الواجبين في الصلوة وعلى نحو الاجمال وتفصيل الركوع والسجود وشرايطهما فموكول الى بيان آخر من الكتاب والسنة وهذه سنة القرآن فسي بيان الحقائق والاحكام فلا يستغنى المفسر والفقير بحسب الغالب في تفسير الآية من القرآن عن غيرها من الايات والسنن من حيث تقييد مطلقاتها وتخصيص عموماتها .

قوله تعالى: «واعبدوا ربكم» .. الآية العبادة في اللغة بمعنى التذلل والاطاعة والانقياد ومقابلة الاستكبار فأتيان جميع الواجبات وامثالها وكذا ترك جميع

المحرمات اذا كان لله فهو عبادة لله فالناس اما عبدة الرحمن او عبدة الشيطان قال: «الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان» . . الاية فتعين ان العبادة معنى عام شامل لطاعة جميع الفرائض العقلية والشرعية مثل الايمان بالله ورسله وبما جاءوا به والالتزام بالاتيان بما امروا وكذا ترك جميع المحرمات وكذا ترك الكفر والفسوق والعصيان فمرتبة العبادة مرتبة الامتثال للواجبات وترك المحرمات .  
وقد فسر العبادة فى الاية بأنها الحج والصوم وفسرها بعضهم وقال واعبدوا ربكم بفعل ما تعبدكم به من العبادات انتهى . اقول : الوجه ما ذكرنا وليعلم ان الامر امر ارشادى لا مولوى تعبدى .

### الاية السادسة

قال تعالى : « وان المساجد لله فلا تدعومع الله احدا » (الجن ١٨) اختلف المفسرون فى تفسير الاية على اقوال . الاول : ان المراد من المساجد هى المساجد الموضوعه لعبادة الله سبحانه وقد نهى الله سبحانه ان يعبد فيها غيره الثانى : الارض كلها مسجد لقوله ﷺ جعلت لى الارض مسجدا . الحديث . الثالث : انها المسجد الحرام فانه قبلة المساجد . الرابع : ان المراد السجود فان المساجد جمع مسجد وهو مصدر فيكون السجودات كلها لله . والخامس : ان المراد الاعضاء السبعة التى يسجد بها ولا يخفى ان الاقوال ما عدا الاول والاخير بعيدة عن حريم الاية واجنبية عن سياقها لا ينبغى الخوض فيها والتعرض لها .

اقول : اما القول الاول فمآله بملاحظة التفريع فى قوله فلا تدعوا - الى اخره - هو النهى عن عبادة غير الله والشرك به فى المساجد خاصة فلا يصلح هذا التفريع الا بتقدير الظرف اى لا تدعوا مع الله احدا فيها والاصل عدم التقرير لاسيما مع عدم ملائمتها لظاهر الاية واما القول الاخير فمرجه النهى عن عبادة غير الله والشرك به تعالى مطلقا متفرعا بأن الاعضاء السبعة لله خاصة فلا يجوز التصرف فيه بالعبادة فى غير ما خلق له بناء على ان المساجد جمع مسجد بالفتح لا بالكسر كما هو معنى

القول الاول وفي القاموس مسجد كمسكن الجبهة والاداب السبعة جمع مساجد انتهى .  
 اقول : اطلاق المساجد على الاعضاء السبعة اطلاق شايع . في الوسائل قال  
 الراوى : سألت ابا عبد الله (ع) عن الحنوط للميت فقال اجعله في مساجده ونحوه في  
 بعض الروايات ايضا فأجود الاقوال هو القول الاخير فان فيه النهى عن الشرك على  
 اطلاقه من حيث كونه فى المسجد وفيه ايضا عدم الاحتياج الى كلمة ( فيها ) وفيه  
 استقامة التفريع المذكور فى قوله تعالى فلا تدعوا - الى آخره - مع صدر الاية  
 وكمال ملائمة به .

فى القلائد عن الكافى بمسند حسن عن حماد بن عيسى عن ابى عبد الله عليه السلام  
 فى حديث طويل وفيه ( وسجد ) يعنى ابا عبد الله على ثمانية اعظم الكفين وابهامى  
 الرجلين والجبهة والانف وقال سبعة فرض يسجد عليها وهى التى ذكرها الله تعالى :  
 وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا . وهى الجبهة والكفان والر كبتان والابهامان  
 ووضع الانف على الارض سنة .

فى نور الثقلين ج ٥ ص ٤٣٩ عن العياشى عن ابى جعفر انه سأل المعتمصم  
 عن السارق من اى موضع يجب ان يقطع فقال ان القطن يجب ان يكون من مفصل  
 اصول الاصابع فيترك الكف فقال وما الحجة فى ذلك قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 السجود على سبعة اجزاء الوجه واليدين والر كبتين والرجلين فاذا قطعت عن  
 الكرسوع او المرفق لم يدع له يد يسجد عليها وقال الله ان المساجد لله يعنى به -  
 بهذه - الاعضاء السبعة التى يسجد عليها فلا تدعوا مع الله احدا وما كان لله فلا  
 يقطع . . الحديث .

اقول : لا يخفى ما فى الحديث من التصريح بالمقصود وقد صرح عليه السلام  
 ان قوله تعالى : السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما : لا يمكن الاخذ باطلاق اليد فيها  
 فانها مخصصة بهذه الاية فيكون المراد من اليد ما سوى الكف وخارجا عنه وهى  
 الاصابع من اصولها .

قوله تعالى : « لله » . . اى بالاستحقاق والاختصاص ومنشأ هذا الاستحقاق

والاختصاص انه سبحانه يملك ملكا ذاتيا حقيقيا بجميع ما سواه فلا يجوز لاحد التصرف في ملكه الا بعد الاذن والتشريع منه تعالى .

واما المساجد السبعة فلها شأن بخصوصها فانه قد سبق الحكم من الله سبحانه عدم جواز السجود لغير الله تعالى واختصاص هذا التكريم والتشريف لله تعالى فقط فلا يمكن ورود حكم آخر لهذا المورد منافيا ومبينا للتشريع الخاص السابق فتحصل من هذا البيان ان هذا الاختصاص والاستحقاق غير الاختصاص التكويني والمالكية الحقيقية ايجادا او ابقاء وانما هذا حق واقعي استخلصه لنفسه وارتضاه لذاته جل مجده وثناؤه .

واما السجود لادم : فليست سجدة عبادة له من دون الله او مع الله قال على امير المؤمنين عليه السلام في خطبة رواها العلامة المسعودي في مبتدأ كتابه مروج الذهب قال - الى ان قال - فلما خلق الله آدم ابان فضله للملائكة واراهم ما خصه به حيث عرفه عند استنبائه اسماء الاشياء فجعل الله لادم محرابا وكعبة وبابا وقبله سجد اليها الابرار والروحانيين الانوار . . الخطبة .

وليست سجدة يعقوب وبنيه سجدة ليوסף بل سجدوا لله شكراً لما جمع الله شملهم وقر عينهم بيوسف وبعزة الملك ، في تفسير العياشي عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابنا عن ابي عبدالله (ع) في قول الله «رفع أبويه على العرش» قال العرش السرير وفي قوله - وخرروا له سجداً - قال كان سجودهم ذلك عبادة لله وفي معناها أيضاً من الروايات الاخرى وفيها كان سجودهم شكراً لله وفي بعضها طاعة لله .

### الاية السابعة

قال تعالى : « فسبح باسم ربك العظيم » - الواقعة ٧٤ .

### بيان

التسبيح : معناه التنزيه والتقديس قال في القاموس وسبحان الله تنزيهاً لله من

الصاحبة والولد « انتهى » . فتسبيحه تعالى وتقديسه عما لا يليق بجنابه من صفات ما سواه من الخلق ومرجهه الى السلوب ونفى النقايض عنه من حيث ذاته وصفاته ونعوته وافعاله ويتحقق بلفظ التسبيح وبما سواه من الالفاظ المفيدة لذلك .

في البرهان عن الصدوق باسناده عن هشام الجواليقي قال سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله سبحانه الله : ما يعنى به ؟ قال تنزيهه - وفي معناها غيرها .

ويتحقق بالتكبير ايضاً فان معنى التكبير والله اكبر يعنى انه تعالى اكبر وأجل مما قال فيه الجاهلون وهو سبحانه اكبر من أن يوصف او يتوهم او يحد والفرق بين التسبيح والتكبير ان التسبيح انما هو بالسلوب مستقيماً مثل انه تعالى لم يلد ولم يكن له كفواً ولم يتخذ صاحبة ولا شريك له ولا ند له ولا ضد له وهكذا بخلاف التكبير فان مرجهه انه سبحانه واجد من الكبرياء ومن نعوت الكمال ما يجعل ويكبر عن ان يحد أو يوصف فهذا التسبيح والتنزيه انما هو بعد تحقق التمجيد وبعد تثبيت نعوت الكمال والجلال لامستقيماً وقد طلعه دعوة القرآن الكريم بالتكبير قال تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر ربك فكبر » (المدثر) فان سورة المدثر مما نزلت في اوائل الدعوة او انها أول ما نزلت .

ويتحقق التسبيح بالتحميد أيضاً - قال تعالى « ونسبح بحمدك ونقدس لك » البقرة (٢٠) قال تعالى « ويسبحون بحمد ربهم » (الزمر ٧٥) توضيح ذلك انه قد ذكروا في تفسير الحمد انه بمعنى الشكر وليس بشيء ومنشأ ذلك الوجه انه قد يستعمل الحمد في مورد الشكر ولم يتذكروا ان هذا الاستعمال بعناية خاصة روعيت في هذا المورد لا انه بمعنى الشكر والرضا وقالوا أيضاً ان الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى والظاهر بمعونة التتبع والفحص عن موارد استعماله ان الحمد لغة بمعنى الثناء ويعبر عنه بالفارسية (ستودن) ويقع على الذات وعلى الصفات وعلى الأفعال ومرجع ذلك الى الثناء والتمجيد على كمال ذاته وكمال صفاته وأفعاله جل ثنائه لاستحالة تطرق نقص وعيب في ذاته وصفاته وأفعاله فهو سبحانه حميد الذات - الى آخره - .

قال السيد السحقيق في شرح دعائه (ع) في التحميد الحمد هو الثناء على  
 ذى علم لكماله ذاتياً كان كوجوب الوجود والاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقايس  
 او وصفاً ككون صفاته كاملة واجبة او فعلياً ككونها مشتملة على الحكمة « انتهى » .  
 وقريب منه ما في كتاب علم اليقين للمولى المحقق الفيض (قده) في تفسيره  
 الاسماء الحسنى عن بعض في شرح الحميد - فتعين مما ذكرنا ان الحمد منه تعالى  
 على نفسه وكذلك من الملائكة ومن أوليائه العارفين به انما هو بلحاظ قدس ذاته  
 وصفاته وأفعاله عن كل نقص وعيب وبهذا الاعتبار يرجع الامر عند التحليل الى  
 الحمد الى نوع من التسبيح والفرق بينه وبين التسبيح .  
 ان التسبيح بلحاظ نفى كل نقیصة وطرد كل عيب عنه تعالى مستقيماً وبلا واسطة  
 عناية أخرى والتحميد انما هو بلحاظ علو الذات وارتفاعه عن النقائص ولازم ذلك  
 الامر الوجودى هو تنزيه الذات وتقديسه و يصح أن يقال ان التحميد نوع خاص  
 من التسبيح وسيجىء مزيد توضيح لذلك في تفسير ذكر السجود .  
 قوله تعالى : « باسم ربك » .. الاية الاسم العلامة وكل شىء تدل دلالة ما على  
 شىء آخر فهو اسم وعلامة وصفة ونعت لهذا الشىء سواء أكان لفظاً وكانت دلالته  
 على مسماه بالجعل والوضع مثل الاعلام أم تكوينياً مثل دلالة البناء على البانى  
 والصنيع على الصانع والظاهر ان المراد سبح ربك بذكر اسمائه الدالة على قدسه  
 وتنزيهه فيكون المراد تنزيه الذات وتسميحه لا تنزيه الاسم ولو كان المراد تسبيح  
 الاسم لما احتاج الى حرف التعدية فان باب التفعيل لا يحتاج فى تعديته الى مفعوله  
 الى الجار اما بناء على ما ذكرنا فيكون قوله تعالى « باسم » مفعوله الثانى .  
 ويشهد على ما ذكرنا مارواه فى البرهان عن التهذيب باسناده عن عقبة بن عامر الجهنى  
 قال لما نزلت « فسبح باسم ربك العظيم » قال لنا رسول الله (ص) اجعلوها فى ركوعكم  
 ولما نزلت « سبح اسم ربك الاعلى » قال لنا رسول الله اجعلوها فى سجودكم .  
 وفيه عن ابن شهر آشوب عن تفسير القطان قال ابن مسعود فقال على يا رسول

الله ما أقول في الركوع فنزل « فسبح باسم ربك العظيم » قال ما أقول في السجود فنزل « سبح اسم ربك الاعلى .

اقول : لا يخفى دلالة الخبرين على ما ذكرنا ودلالتهما ايضا ان التسبيح في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى انما وقع على الذات وان الاسم انما هو بعنوان المرآية والوسطية على المسمى والمدلول لابعنوان الموضوعية . فتحصل مما ذكرنا ان الظاهر في الاية الكريمة المبحوث عنها هو الامر بتسبيح الذات الاحدية اى سبح ربك بأسمائه الحسنى الدالة على قدسه ونزهه وكذلك بعينه الكلام في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الاية بالفرق الذى ذكرناه. قال فى المجمع فى تفسير المقام اى فبرىء الله مما يقولونه فى وصفه ونزهه عما لا يليق بصفاته وقال فى تفسير قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى - وقيل نزهه عن كل ما لا يليق به من الصفات المذمومة والافعال القبيحة لان التسبيح هو التنزيه عما لا يليق به « انتهى » .

فعلى هذا يكون معنى الذكر الواجب فى الركوع والسجود سبحان ربى العظيم وبحمده باضافة بحمده كما هو مفاد بعض الروايات ومورد فتوى الاعلام هو التسبيح بالحمد على ما شرحناه لا التسبيح المطلق بالسلوب والنفى ولا التسبيح بالتكبير وهذا الذكر الشريف من أوضح الشواهد على ما ذكرناه من ان التحميد نوع خاص من التسبيح لانه بمعنى الشكر لانه ثناء وتمجيد على الجميل الاختيارى من حيث انه تمجيد فمعنى الذكر اى سبحت الله سبحانا وسبحته بحمده ، وقوله ربك اقول: الرب من اسمائه تعالى مشتق من ريب والفاعل منه ريب مثل . خشن.. والمفعول منه مربوب .

ومن قال انه مشتق من التربية فقد وهم فان التربية مأخوذة من الربو فهو ناقص واوى فالفاعل من التربية من باب التفعيل مريبى ومن المجرى راب نعم لو اراد ان معنى الرب لغة هو المريبى لكان ادعاء معقولا كما هو احد الاقوال فى المسألة فهو نزاع لغوى سيأتى تحقيق الكلام فيه .



وقد اختلف في معناه على اقوال احدها انه بمعنى المالك وثانيها انه بمعنى السيد المطاع وثالثها انه بمعنى الصاحب ورابعها انه بمعنى المربي . اقول : لاشاهد لشيء مما ذكره و مرجعها الى دعوى الترادف فان المالك مثلا اسم مستقل من اسمائه تعالى وله معنى خاص في باب نعوته سبحانه فتفسير الرب بالمالك يرجع الى الترادف والغاء المالك عن معناه الموضوع له واعجب منه تفسير الرب بالمالك والمالك بالقيوم فلا مناص من حفظ العناية الخاصة التي تحكى عنها الاسماء مع وحدة المصداق لارجاع مفاهيمها بعضها الى بعض فمقابلة الرب بالمالك في قوله تعالى «رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين» وكذلك مقابله بالملك في قوله تعالى: «قل اعوذ برب الناس ملك الناس».. الاية اصدق شاهد على ما ذكرناه . ثم انهم اختلفوا في استعماله واطلاقه فقال بعضهم كما في القاموس ان الرب مع اللام لا يطلق على غيره تعالى وعن بعضهم ان المجرد عن اللام والاضافة ايضاً لا يطلق على غيره تعالى وقال : ان الذى يطلق على غيره تعالى ما كان بالاضافة واستثنى بعضهم عن هذا الاخير كما ذكره في المنار ان لا يرد نهى فيه عن استعماله مثل قول العبد لسيد ياسيدى .

اقول : وانت ترى ما فى كلامهم من الوهن والاضطراب فى هذا المقام وليت شعري كيف تكون الاضافة وعدمها ودخول اللام وعدمها فارقاً للمعنى الموضوع لها اللفظ كى يصح الاطلاق مع اللام ولا يصح بدونها وكذلك الكلام فى الاضافة أليست اللام انما ترد على اللفظ الموضوع للمعنى الخاص .

والذى يمكن استظهاره فى معنى الرب هو قيامه تعالى بأمر الخلقة والتكوين من حيث العنايات التى دبرها وأحكمها واتقنها واصلحها وانتظمها فهو سبحانه رب العرش العظيم ورب السماوات والارضين ولن تجد فى أمر الخلق صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها أمراً جزافاً فهذا التدبير العلمى العمدى فى أتقن نظام وأحكمه وأحسنه آية لربوبيته تعالى ومن علاماته وبيناته فهو سبحانه يتراءى للعقول وينجلي للقلوب من حيث ربوبيته بهذه البيئة الصادقة النيرة فالرب يتصادق مع المالك والمدير

والمربى والقيوم والمصلح من حيث المتعلق والمصداق الا انه ليس مترادفا معها  
والعناية المأخوذة فيه غير ما فى غيره .

عن محمد بن يزيد قال جئت الى الرضا أسأله عن التوجيه فأملى على فاطر  
الاشياء انشاءً ومبتدعها ابتداءً - الى أن قال - خلق ماشاء كيف يشاء لظهار حكمته  
وحقيقة ربوبيته . اقول علل ( ع ) الكيفية فى الخلق على ماشاء لظهار الحكمة  
والربوبية . وفى معناها غيرها أيضا .

قوله تعالى «العظيم» فى المجمع قال كل شىء سواه يقصر عنه وفى رياض  
السالكين (ص ٤٧٨) فى تفسير دعائه (ع) فى يوم عرفة فى شرح قوله العظيم المتعظم  
قل : العظيم الذى جاوز حدود العقول ان تقف على صفات كماله ونعوت جلاله .  
انتهى ما اردناه .

### الاية الثامنة

قال تعالى : « ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا »  
(الاسراء - ١١٠) .

ذكر المفسرون فى تفسير الاية وجوها وأقوالا أعرضنا عن ايراد جميعها فى  
المقام لضعفها وعدم استنساها بشى من ظاهر الاية والعمدة منها ماروى عن ابى  
مسلم واختاره فى كنز العرفان وادعى انه قريب من ظاهر لفظ الاية وهو ان الموارد  
لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلواتك  
كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلوة الليل وتخافت  
بصلوة النهار .

اقول : الظاهر من الاية الكريمة النهى عن الاجهار بالصلوات سواء كانت  
فريضة أو نافلة وسواء كان ليلا او نهاراً سواء كان فى القراءة او فى جميع الاذكار  
وكذلك الكلام بعينه فى التخافت وقد اختلط الامر على ابى مسلم ومن تبعه حيث  
لم يفرقوا بين وجوب الجهر فى القراءة والاختفات فى بعضها على نحو الشرطية فى

الفريضة وبين المنع عن الاجهار والتخافت في الصلوات كلها قراءتها واذكارها على نحو المانعية فلا وجه لحمل الاية الظاهرة في تحريم الاجهار والتخافت على الاطلاق سواء كان على نحو المانعية او من باب التحريم التكليفي على وجوب الجهر والاختفات على نحو الشرطية فلا جامع بين المعنيين بوجه أصلا .

توضيح ذلك ان التخافت كما في القاموس حيث قال خفت خفتاً وسكن وسكت وخفاتها فجأة والخفت اسرار المنطق كالمخافة والتخافت انتهى وفي مرآت الأنوار في تفسير التخافت قال اي مسارة بعض الى بعض انتهى .

فعلى هذا ليس التخافت بمعنى الاختفاء المتعارف بل الظاهر من بيان القاموس هو شدة الاختفاء بحيث يخرج عن صدق القراءة والذكر ويكون من مصاديق النجوى والذكر النفسى والظاهران المنهى والممنوع من الجهر بقريئة مقابلته مع التخافت هو الاجهار الخارج عن المتعارف مثل الصيحة

ويشهد على ذلك الامر بابتغاء السبيل بين طلاق الجهر والاختفات وهذا السبيل هو الشق الثالث فلو كان الممنوع هو ماهية الجهر وماهية الاختفات على الاطلاق لم يكن ابتغاء السبيل واختيار الشق الثالث بينهما فتعين ان يكون السبيل المطلوب هو الوسط من الجهر والاختفات والممنوع هو المرتبة الشديدة منهما فاذن لاجمال في الاية من حيث مورد النهى ومتعلقه فيشتمل الصلوات كلها انواعها وافرادها وقراءتها واذكارها كما ادعاه في كنز العرفان حيث حمل الاية على وجوب الجهر ووجوب الاختفات من غير تعيين موردهما .

ودعوى الاجمال فيها وكذلك لاجمال في السبيل المطلوب فان المطلوب هو المتعارف من كل واحد منهما على الاطلاق فالاية ساكتة عن بيان وجوب الجهر والاختفاء في القراءة فيحتاج الى بيان آخر يفيد وجوب الجهر المتعارف في بعض الموارد ووجوب الاختفاء المتعارف في بعضها فلولا وجود هذا البيان لكان الحكم على التخيير بين الجهر المتعارف والاختفاء المتعارف .

في نور الثقلين عن تفسير القمي مسندا عن اسحاق بن عمار عن ابي عبدالله

عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ « وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا » قَالَ : الْجَهْرُ بِهَا رَفْعُ الصَّوْتِ وَالْإِخْفَاتُ مَا لَمْ تَسْمَعْ نَفْسُكَ وَأَقْرَأُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْإِمَامِ هَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ مَنْ خَلْفَهُ وَإِنْ كَثُرُوا قَالَ لِيَقْرَأُ قِرَاءَةً وَسَطًا أَنْ اللَّهُ يَقُولُ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا قَوْلٌ قَدْ عُرِفَتْ أَنْ تَتَعَلَّقَ النَّهْيُ أَعْمٌ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالْإِذْكَارِ وَذَكَرَ الْقِرَاءَةَ أَنْهَا هُوَ مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْمَصْدَاقِ الْبَارِزِ وَاللَّهُ الْهَادِي .

وَحَيْثُ أَنْ هَذَا الْإِطْلَاقُ الْمُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ أَيْ الْإِطْلَاقُ مِنْ حَيْثُ السَّبِيلُ الْمَطْلُوبُ فِي مَعْزُضِ الْقَيْدِ فَيَكْفَى فِي تَقْيِيدِهِ صَحِيحَةٌ حَرِيْزٌ عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَجُلٍ جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ فَمَا لَا يَنْبَغِي الْأَجْهَارُ فِيهِ أَوْ اخْفَى فِيهَا لَا يَنْبَغِي الْإِخْفَاتُ فِيهِ فَقَالَ أَوْ فَعَلَ ذَلِكَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ نَقَضَ صَلَوَتَهُ وَعَلَيْهِ الْإِعَادَةُ وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ سَاهِيًا أَوْ نَاسِيًا أَوْ لَا يَدْرِي فَلَيْسَ شَيْءٌ عَلَيْهِ وَقَد تَمَّتْ صَلَوَتُهُ وَكَذَلِكَ مَا هُوَ الْمَعْلُومُ مِنْ فِعْلِ الْمَعْصُومِينَ فَفِي الْخِلَافِ رَوَى صَفْوَانٌ قَالَ صَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيَّامًا فَكَانَ يَقْرَأُ فِي قَاتِحَةِ الْكِتَابِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَإِنْ كَانَ صَلَاةً لَا يَجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ جَهَرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاخْفَى مَا سِوَى ذَلِكَ أَقُولُ مَفَادَ الْحَدِيثَيْنِ أَنْ فِي قِرَاءَةِ الْفَرَاثِضِ جَهْرًا وَإِخْفَاتًا لَا يَدُ مِنْ مَرَاعَاتِهِمَا وَأَمَّا تَعْيِينُ مَوَارِدِ الْجَهْرِ وَالْإِخْفَاءِ بِحَسَبِ ادْتِمَاعِهِمَا فَمَوْكُولٌ إِلَى الْمَطْوَلَاتِ الْفَقْهِيَّةِ .

### الآية التاسعة

قَالَ تَعَالَى « أَنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » ( الْأَحْزَابُ ٥٦ ) .

### بيان

الصلوة قيل : انه بمعنى اللين يقال صليت العود بالنار اذا لينته وقومته فان المصلى يلين بالعطف والحنو ويسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كذا افاده السيد

(قده) في شرح الصحيفة وفي القاموس صلى عصاه على النار وتصلها لوح وقال في تفسير لوح احماه وقدنوقش في مبدأ اشتقاقه فقال بعضهم ان التصلية ناقصة واوى مثل التزكية والتربية وقال بعضهم انه يائي سواء كانت مجردة او مزيدة فلا يقاس بالتزكية والتربية فانهما واويان - بعد تكرار عينه في باب التفعيل وتشديده وهو ظاهر .

وقيل : ان الصلوة بمعنى الدعاء ويظهر من بعض الكلمات انه المسلم بين الفقهاء واللغويين وهو كما ترى لوجود الاختلاف عند اهل اللغة كما ذكرنا عنهم واعرضنا عن ذكر اقوال جميعهم هذا اولا واما تفسير الصلوة بالدعاء فعلى ظاهره غير مستقيم فان الصلوة فعل لازم يتعدى بحروف الجر مثل صل عليهم ان صلوتك سكن لهم والدعاء متعد بنفسه وليست بمترادفين فالظاهر ان الدعاء هو التوجه والاقبال الى الغير بعناية جلب كتوجه الغير الى الداعي واجابته بخلاف الصلوة فان المراد هو التوجه المطلق من دون العناية بالمأخوذة في الدعاء والنداء وليست هذه العناية دخيلة في تحقق مفهوم الصلوة فعلى هذا يفسر الصلاة بالدعاء ايضا ويكون من افراد الصلاة من حيث ان في الدعاء توجه مع قطع النظر عن الخصوصية بالمأخوذة في الدعاء ومن فسره بمعنى اللين والخضوع والعطف كما هو مفاد القرل الاول لم يخالف القول انه بمعنى الدعاء بالتوجيه الذي ذكرناه ويختلف المعنى بحسب الموارد فالرحمة والعطف من الله سبحانه صلوة بالحقيقة والتعظيم وحسن الثناء من الملائكة من افراد الصلوة حقيقة فانه انعطاف وتوجه منهم الى رسول الله ﷺ وكذلك التماس الكرامة والمواهب الخاصة والدرجات الرفيعة من الله سبحانه لرسوله من افاضل امته صلوة بالحقيقة فانه انعطاف واشفاق وخضوع في ساحتهم ﷺ وايفاء شيء من حقوقه فانه الرحمة الواسعة من الله سبحانه علينا وعلى جميع اهل العالم .

فتحصل من جميع ما ذكرنا ان الصلوة ليست موضوعة للمعاني المذكورة لها على نحو الاشتراك اللفظي ولا على نحو الاستعارة والمجاز بل افراد للمفهوم العام الكلي نعم يمكن الفرق بين ما نسب اليه تعالى والى غيره من معنى الصلوة

واحتمال اشتراك اللفظ بالنسبة الى ما نسب اليه تعالى قريب جدا .

ومما ذكرنا يعلم ان الصلوة التي هي احدى الفرائض الشرعية في الاسلام من افراد المعنى اللغوى بالحقيقة فانها توجه وخضوع وثناء ودعوة من غير تكلف مجاز ولا توهم اشتراك . في القلائد عن معانى الاخبار بسنده الى ابن ابي حمزة عن ابيه قال سألت ابا عبدالله (ع) عن قول الله عزوجل ( ان الله ) الاية قال الصلوة من الله عزوجل رحمة ومن الملائكة تزكية ومن الناس دعاء . . الحديث .

في نور الثقلين ج ٤ ص ٣٠٢ عن كتاب ثواب الاعمال عن ابي المعرا في حديث عن ابي عبدالله (ع) الى ان قال (ع) صلوات الله رحمة من الله وصلوة الملائكة تزكية منهم له (ص) وصلوة المؤمنين دعاء منهم له (ص) الحديث . في القلائد روى في محاسن البرقى عن محمد بن سنان عن ذكره عن ابي عبدالله (ع) عن ذكره في قول الله عزوجل : ان الله - الاية - فقال اثنوا عليه وسلموا له .

اقول : المستفاد مما ذكرنا في صدر البيان ان صلوته على رسوله وصفيه افاضة الرحمات الخاصة والمواهب المكنونة لاوليائه الكرام والصلوة من ملائكته المقربين التزكية له (ص) اى الاقرار بكرامته ومكانته من الله عزوجل وحسن الثناء عليه وتعظيمه وتكريمه والملائكة قد اذعن لساحته تواضعاً لله قربها بالموالاة لوليه الاعظم والجملة الاسمية ظاهرة في الدوام والاستمرار اى ان الله يصلى وملائكته يصلون على قراءة رفع الملائكة وهكذا بناء على العطف .

ثم ان الله أمر المؤمنين أن يصلوا عليه (ص) وضرورى ان للمؤمنين والموحدين اسوة حسنة لله تعالى وللملائكته المقربين فعليهم الازعان والخضوع لساحته والاعتراف بكرامته على الله ومكانته منه تعالى والدعاء له (ص) بما يليق بجناحه من مواهبه تعالى ومن نظراته الرحيمة وكل ماورد في بيان كيفية الصلوة في تفسير هذه الاية الكريمة وفي غيرها من الموارد وخاصة الادعية المتواترة المشحونة بالصلوة عليه وآله وامتنال لهذا الامر واتباع لهذه السنة المقدسة الالهية واسوة بملائكته المسبحين المقدسين فى الملاء الاعلى وهذا غاية التشريف والتكريم من الله تعالى للرسول

الاعظم فانه تعالى بعد الاعلان انه يصلى على رسوله وملائكته يصلون، أمر في كتابه الكريم بتشريفه وتشريفاً دائماً مخلداً وجعل امثاله عبادة لنفسه وقرره على السنة اوليائه وملائكته في اذكارهم ومناجاتهم وعباداتهم في مقامات القرب ومواطن الانس به تعالى .

والمنقول عن بعض تشريف الله محمداً (ص) بقوله تعالى «ان الله وملائكته»..  
الاية أبلغ من تشريف آدم بالسجود له « انتهى » .

## فروع

الاول: مقتضى ما ذكرنا من معنى الصلوة انها رحمة من الله سبحانه وهي من الاكرام والثناء من الملائكة والتماس المؤمنين الرحمة والكرامة من الله سبحانه عدم تحديد هذه الحقيقة بحد معين محدود فلا مانع عقلا من تحققها ووقوعها بالنسبة الى غير الرسول الاكرم من اوليائه تعالى وعباده المؤمنين كل على قدر منزلته من الله سبحانه فيصلى تعالى عليهم ويفيض كراماته واحسانه اليهم والادلة الشرعية ناهضة على ذلك قال تعالى: هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما (احزاب ٤٣) قال تعالى « اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » الاية: البقرة / ١٧٥ - قال تعالى « وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » - التوبة ١٠٣ - .

وفي الكشف عن النبي ﷺ قال : اللهم صل على آل ابي اوفى - فعلى هذا الاشكال في جواز الصلوة على الرسل المكرمين والملائكة المقربين والائمة الصديقين وعباد الله الصالحين سواء افردوا به بالذكر في الصلوة عليهم او - ذكروا بالتبع لرسول الله ﷺ .

قال في الكشف القياس جواز الصلوة على كل مؤمن وساق الايتين والحديث ثم قال وللعلماء تفصيل في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت كما يفرد فمكروه

لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الانتهام بالرفض وقال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم - انتهى - .

وقال البيضاوى ويجوز الصلاة على غيره وتكره استقلالاً لانه في العرف صار شعاراً لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد ﷺ جل وعزوان كان عزيزاً جليلاً - انتهى - .

اقول: «فاعتبروا يا اولى الالباب» كيف عملت العصبية عملها النكير الفاحش فبعد تصريح الكتاب العزيز بالجواز وعمل الرسول الاكرم به سماه قياساً ثم تعلل في ترك الكتاب ورفض السنة المطهرة بان فيه اتهام بالرفض افلا يعقل هؤلاء الافاضل ان منشأ هذه البدعة السيئة انما هو اعداء آل الرسول من فراعة بنى امية وجبابرة بنى العباس، وتبعهم على ذلك علماء السوء الذين يلتهمون معهم اموال الدنيا ويتقربون اليهم بعداوة العترة الطاهرة وهضم حقوقهم صلوات الله عليهم ثم توارث هذه السنة الخبيثة الخلف عن السلف والى الله المصير وهو الحاكم بالعدل .

قال : المحقق الاردبيلي ولهم امثال ذلك كثيرة مثل ما ورد في تسنيم القبور ان المستحب هو التسطيع لكن هو شعار للرفضة فالتسنييم خير منه وكذلك فى التختيم باليمين وغير ذلك ومنه ذكر ( على آله ) بعد قوله صلى الله عليه وعلى آله وترك الال معه ﷺ مع انه مرغوب بغير نزاع وانما النزاع كان فى الافراد فانهم يتركون الال معه ويقولون صلى الله عليه انتهى ما اردناه .

الثانى: هل الاية الكريمة تفيد وجوب الصلوة على الرسول ام لا؟ وقد جنح بعضهم الى القول بالوجوب وفى الكشاف والذى يقتضيه الاحتياط الصلوة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار انتهى . المحقق الاردبيلي بعد الاشارة الى الاخبار الواردة عن طرق الخاصة ولاشك ان احتياط الكشاف احوط واختار فى كنز العرفان الوجوب . . انتهى .

اقول: محل الكلام انما هو دلالة الاية على الوجوب اما الاخبار فيشكل استفادة



الوجوب الشرعى منها فان التوعيد الواردة فى بعض الاخبار انما هو بالعنوان الثانى وافادة الاستحباب بالعنوان الاولى .

منها : ما رواه فى القلائد عن الكافى عن ابى بصير عن ابى عبد الله عليه السلام قال اذا ذكر النبى فأكثروا الصلوة فانه من صلى على النبى صلوة واحدة صلى عليه الف صلوة فى الف صلوة من الملائكة ولم يبق شيء مما خلقه الله الا صلى على العبد لصلوة الله و صلاة ملائكته ومن لم يرغب فى هذا فهو جاهل مغرور وقد برء الله منه وملائكته ورسله واهل بيته .

اقول : قوله عليه السلام اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فاكثروا الصلوة عليه - الى آخره - قرينة واضحة على الاستحباب فلو كان المراد الوجوب فى المقام فالواجب ليس الامامية الصلوة لالاكثران منه وكذلك الوعيد فى ذيل الرواية على من لم يرغب فى هذا الثواب انما هو على عدم الرغبة وعدم الاعتناء بهذه الكرامة الهنيئة من الله سبحانه ولشأن هذا الرسول المعظم (ص) لانه كما من حيث الرخصة فهذه الرواية وامثالها لا يمكن للفقهاء من استفادة الوجوب منها ومن العجب ان القائلين بالاحتياط وبالوجوب مثل الكشاف والمولى الاردبيلى تمسكوا فى اثبات الوجوب بالاخبار فى تفسير الاية عند ذكر الاسم الشريف دون الاية الكريمة وقال فى كنز العرفان والمختار الوجوب كلما ذكر لدلالة ذلك على التنويه بذكر شأنه والتشكر لاحسانه المأمور بهما ولانه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضا وهو منهى عنه فى آية النور وهى قوله « لا تجعلوا دعاء الرسول » الاية ( النور / ٤٣ ) .

اقول : ما ذكر من الوجهين لا يصلح لاثبات الحكم الشرعى المولوى واما الاية الكريمة فهى فى مقام المنع والنهى عن دعوة الرسول الاكرم من دون مراعات ادب الحضور والتكلم معه فى محضره وهى اجنبية عن افادة الحكم الايجابى فكم من فرق بين تحريم الاهانة وعدم مراعات ادب الحضور وبين ايجاب التشريف له (ص) على جميع الامة الاسلامية قال تعالى «الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون» الحجرات (آية ٤) فتحصل ان ما ذكره فى استفادة الوجوب ضعيف جداً

لا يمكن الركون اليه واما القائلين بعدم الوجوب فانهم استندوا الى الاصل قالوا ولو كان فريضة لوجب ذكره عند الاذان وفي اقامة الشعائر الاسلامية وفي الخطب والمواعظ وليس في تعليم ذلك للمؤذنين وغيرهم اثر عن النبي (ص) ولم يقع انكار على ترك ذلك كما هو كذلك الان ولو كان كذلك لنقل الينا هذا كله في صورة ذكر الاسم الشريف واما عند عدم الذكر فاثبات الوجوب فيه اشكال .

اذا تقرر ذلك فنقول الآية الكريمة مطلقة سواء ذكر الاسم الشريف ام لا ولا كلام في عدم وجوب الصلوة عليه ابتداء من دون ذكر الاسم الشريف واما عند الذكر فمع هذه الروايات الكثيرة المشحونة بقرينة الاستحباب ينهدم اطلاق الآية وظهورها في الوجوب بحسب الاطلاق فالمتحصل تأكد الاستحباب عند الذكر ودونه ابتداء وكذا الكراهة والتوبيخ على من بخل بالصلاة عليه عند ذكره (ص) .

الثالث : لا يخفى ان الآية الكريمة لا يمكن الاستدلال بها على وجوب الصلوة في التشهد وجزئته في الصلوة سواء قلنا بالوجوب او الاستحباب فان الآية سبقت لبيان رجحان النفسى الاستقلالى للصلوة لا الغيرى على نحو الجزئية ومع الغض عما ذكرناه لا يجوز تنزيل الآية مع اطلاقها على مورد خاص بالنحو الخاص لعدم الدليل على شىء من التقيدين على ان ذلك متوقف على ان الآية تفيد الوجوب وقد مر الكلام فيها فالاولى الاستدلال بوجوب الصلاة في التشهد بالادلة الخاصة التى تقرر في محلها .

قوله تعالى : « وسلموا تسليماً » التسليم هو الانقياد والاذعان بالطاعة أى التسليم له فى جميع ماجاء به من الشرايع والاحكام والتصديق بجميع ماجاء به من العلوم والمعارف والحقائق وبما بشر به وبما انذر به وحذف المفعول به والعدول الى الاطلاق وتأکید الفعل بقوله تسليماً فيه اشعار ان التسليم له (ص) لا التسليم عليه أى السلام اللفظى وقول السلام عليك فهذه الجملة فى الآية نظير قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فى ما شجربينهم ثم لا يجردوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » (النساء ٦٤) وهذا هو محض الاسلام وحقيقة الايمان .

فى نور الثقلين ج ٤ ص ٣٠٥ عن محاسن البرقى عن محمد بن سنان عن ذكره عن أبى عبد الله (ع) فى قول الله عز وجل - ان الله - الاية - فقال اثنوا عليه وسلموا له (ص). فى البرهان ج ٣ ص ٣٣٤ عن الكافى مسنداً عن ابى بصير قال سألت أباعبدالله (ع) عن قول الله عز وجل (ان الله) الاية قال الصلوة عليه والتسليم له فى كل شىء جاء به . فى المجمع عن ابى بصير قال سألت أباعبدالله (ع) عن هذه الاية فقلت كيف صلاة الله على رسوله فقال يا أبا محمد تزكيتة له فى السماوات العلى فقلت قد عرفت صلواتنا عليه فكيف التسليم فقال هو التسليم له فى الامور .

أقول : لا يصح حمل التسليم وتنزيل الاية على وجوب السلام عليه فى التشهد الثانى بقوله السلام عليك ايها النبى ولاعلى وجوب السلام الذى به يخرج المصلى عن الصلوة فان الاية - بناء على أن المراد هو السلام اللفظى لا الانقياد - مطلقة لا دليل على تقيدها بشىء من الموردین مضافاً الى ان السلام الاول قامت الادلة على استحبابه والاستشهاد بالعطف بأن الصلوة عليه هو الصلوة اللفظى المتعدين بعلى وعطف سلموا على الصلوة يقتضى ان يكون المراد من التسليم هو السلام اللفظى عليه لا التسليم له قلت : قد عرفت ما فيه وان الاية مشعرة بخلافه .

### فى المندوبات

#### الاية الاولى

قال تعالى : « قوموا لله قانتين » .

أقول : صدر الاية هكذا حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا

لله قانتين (البقرة - ٣٢٨) .

قد قدمنا فى الابحاث السابقة شرحاً شافياً فى تفسير الاية وتحليلها والنظر فى

المقام هو البحث عن القنوت وقد استدل فى كنز العرفان بالاية على شرعية القنوت

فى الصلوة كلها لذكره عقيب الامر بالمحافظة على جملتها وعطف القيام على حال

القنوت على ذلك .

وفي القلائد قال ابن بابويه في الفقيه القنوت سنة واجبة من تركها متعمداً فلا صلوة له قال الله تعالى «وقوموا لله قانتين» يعنى مطيعين داعين انتهى . وقيل معناه ذاكرين الله في قيامكم وقيل : الدعاء وقيل السكوت وكانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت الآية ونهوا عن ذلك رواه الجصاص عن ابى عمرو والشيباني وأطال الكلام فيه وأصر عليه قال وقد روى الحارث بن شبل عن أبى عمرو والشيباني قال كنا نتكلم في الصلوة الى عهد رسول الله (ص) فنزلت «قوموا لله قانتين» فأمرنا بالسكوت وأورد الجصاص أحاديث كثيرة في المقام في النهى عن التكلم في الصلوة وكلها خارجة عن حريم الآية وتفسيرها .

أقول : والذي يقطع اعراق الشبهة عن اراضى الاوهام ان يقال ان قوله «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى» الآية انما يأمر ويحث على التحفظ والمراقبة والمواظبة الصلوات المكتوبات المرسومة المقررة عن أدلتها المفروغة شرعيتها بجميع أجزائها وشرائطها وجوباً وندباً وليست الآية في مقام تشريع الصلوات ولا أجزائها وشرائطها وضرورى ان الامر بالتحفظ أمر ارشادى والامر الارشادى بمعزل عن افادة الحكم المولوى التشريعى وكذلك قوله تعالى: قوموا المعطوف على حافظوا ليس المراد منه القيام بمعنى الانتصاب والقيام المقابل للعود والمراد منه اما نفس الصلوة لشيوع اطلاق القيام على الصلوة والقائمين على المصلين أو المراد منه الاقدام والتصدى باتيان العمل لامثال الامر المتعلق بالطبيعة أى أدوها وأتوا بها والامر بالاتيان والاداء أمر ارشادى والقنوت في اللغة بمعنى الرغبة والخشوع واقبال الرجل على صلواته فقوله تعالى « قانتين » حال عن الفاعل في قوله «قوموا» وفي الحقيقة نعت للمصلين أى صلوا وأدوا الصلوة خاشعين راغبين وليس المراد هو القنوت المصطلح في عرف الفقهاء أى رفع اليدين بالدعاء حين القيام فعلى عهدة المصلى تحصيل القنوت بهذا المعنى في جميع حالات الصلوة مكبراً قارياً راكعاً ساجداً ذاكراً مسبحاً حتى في حال القنوت المصطلح أيضاً قال تعالى «أمن هو قانت الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » ( الزمر - ٩ ) فتحصل

ان الآية الكريمة لا اشعار فيها بوجه لشرعية القنوت وجوبا ولا استحباباً .  
 في تفسير العياشى عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله ( ع ) قال : الصلوة  
 الوسطى الظهر وقوموا لله قانتين اقبال الرجل على صلوته ومحافظته على وقتها  
 حتى لا يلهيه عنها ولا يشغله شيء وفيه أيضاً عن زرارة عن أبى جعفر ( ع ) فى حديث  
 - الى أن قال - قوموا لله قانتين مطيعين راغبين قال تعالى « فصل لربك وانحر »  
 ( كوثر - ٢ ) .

### الاية الثانية

قال تعالى : « فصل لربك وانحر » الآية . . ( الكوثر / ٢ ) قال فى زبدة البيان  
 قيل المراد صلوة العيد فتكون دليلاً على وجوبها وتكون الشرائط مستفادة من السنة  
 الشريفة وتؤيده « وانحر » على ان المراد نحر الابل انتهى ماأردناه .  
 وروى الجصاص عن عمل النبى (ص) فى يوم النحر وتصريحه بتقديم صلوة  
 العيد على الاضحية واستشكل فيه بعدم وجوب الاضحية على المسلمين فى الامصار  
 اجمالاً واجيب ان قيام الاجماع قرينة منفصلة باختصاص الوجوب فى الآية عليه  
 دون امته (ص) وتكون الاضحية سنة مستحبة مؤكدة على الامة، وعن ابن الجنيد القول  
 بوجوبها وعن الصدوق القول بوجوبها على الواجد فعلى هذا لا يكون فى الآية  
 دلالة على وجوب شيء من المندوبات فى الصلوة .

وقيل : ان المراد من الصلوة صلوة الفجر بالمشعر من النحر نحر البدن  
 وفى كنز العرفان قال أنس كان النبى ( ص ) ينحر قبل صلوة الغداة فأمره الله أن  
 يصلى ثم ينحر .

أقول: هذه الاحتمالات والاقاويل عن الآية الكريمة ما ذكرنا منها وما لم نذكره  
 انما هى بناء على أن الآية فى مقام ايجاب صلوة العيد وتشريعها وايجاب النحر بعد  
 الغداة وتشريع صلوة الغداة قبل النحر وهو توهم بارد لادليل عليه والاية الشريفة  
 سبقت بتكريمه وتشريفه (ص) وتسليته حيث عابوه اعدائه ومبغضيه بأنه ابتر فشرفه

تعالى باعطاء الكوثر والكوثر الخير الكثير بحذف الموصوف والامر بالصلوة والنحر تعريض لاعدائهم الوثنيين حيث يعبدون الاصنام أى اقبل على شأنك العظيم من تحمل اثقال النبوة واشتغل بالصلوة خالصا مخلصا لربك جل مجده واعرض عن اعدائك الشائنين فان الله سبحانه قد حكم وقضى قضاء حتماً بقطع دابرهم وتبار عمرهم وخمود ذكروهم ونبشر نداء مجدك وجلالتك وعظمتك وفصحتك مشارق الارض ومغاربها فى غابر الزمان وفى أعماق القرون الآتية فعلى هذا يكون المراد من الصلوة مطلق الصلوة أو التي كان رسول الله مداوماً عليها من الصلوة فتسقط جميع الاحتمالات التي ذكروها فى الآية فليس هنا من ايجاب صلوة العيد والغداة ومن ايجاب النحر اسم ولا رسم فيكون هذا البيان قرينة على ان النحر انما هو شيء يرجع الى الصلوة وخصوصياتها لانحر الابل وذبح الانعام والاغنام .

قال فى القاموس : ودار أن متناحران متقابلان ونحر الدار استقبالها والرجل فى الصلوة انتصب ونهد صدره أو انتصب نحره ازاء القبلة انتهى .

اقول قول القاموس نحر الدار الدار استقبالها ليس مراده مطلق استقبالها بل ارتفعت واستقبلها قال الشاعر :

ايا حكم انت عم مجالد      وسيد اهل الابطح المتناحر

فيكون النحر شاملا للانتصاب محاذيا القبلة ويكون شاملا للانتصاب بنحره ويكون باطلاقه شاملا لرفع اليدين مستقبلا ببطونهما حذاء القبلة أيضاً ولا بأس بالآخذ باطلاق النحر الشامل لجميع ما ذكرنا من المعانى فى تفسير الآية وتكون ماوردت فى الروايات الكثيرة عن أئمة أهل البيت (ع) ان النحر رفع اليدين مستقبلا ببطونهما بازاء الصدر والوجه والخذ أو بازاء الاذنين ولا يتجاوزانها من باب ذكر أفضل المصاديق ومن أفراد المعنى العام اللغوى .

ويؤيد هذا الاطلاق ما فى البرهان عن الكافى باسناده عن رجل عن أبى جعفر (ع) قال قلت له «فصل لربك وانحر» قال الاعتدال فى القيام أن يقيم صلبه ونحره .. الحديث . فهذه الرواية لاتنافى الروايات المفسرة النحر برفع اليدين ازاء للصدر

والوجه وغيرها بل هذه مؤكدها ومؤيدها ان المراد في الاية هو المعنى العام للغوى .

## فروع

الاول - نسب الى المرتضى (قده) القول بوجوب النحر نظراً الى ظاهر الامر في الاية بناء على ما ذهبوا اليه ان الاصل في الاوامر القرآنية الوجوب الا ما خرج بالدليل والى الروايات المفسرة اياه برفع اليدين والى الروايات الامرة بالرفع والى الروايات الحاكية لعمل المعصوم وأيده في الحدائق قلت: لافرق في الامر بين ما في القرآن والسنن وان الوجوب في كلا المقامين يستفاد من الاطلاق لا من صيغة أفعل الا ان في المقام قرائن يصادم ذلك الاطلاق ويوهنه منها ان ظاهر بعض هذه الروايات الامرة بالنحر في كل تكبيرة من دون اختصاص بتكبيرة الاحرام ولا يمكن القول به منها ظهور بعض هذه الروايات في استحباب الخرق .

في الوسائل عن العلل وعيون الاخبار عن الفضل بن شاذان عن الرضا (ع) قال انما يرفع اليدين بالتكبير لان رفع اليدين ضرب عن الابتهاج والتبتل والتضرع فأحب الله عز وجل أن يكون العبد في وقت ذكره متبتلاً متضرعاً مبتهلاً ولان في رفع اليدين احضار النية واقبال القلب على ما قال وقصد . . الحديث .

وفي بعض الروايات ان لكل شيء زينة وزينة الصلوة رفع اليدين فهذه الروايات شارحة وقرينة على المراد من الروايات الظاهرة في الوجوب بحسب الاطلاق منها ان في بعض الروايات اختصاص النحر بتكبيرة الاحرام ومن تتبع خلال هذه الروايات يظفر بقرائن أخرى غير ما ذكرنا فيسقط الاطلاق المتوهم في هذه الاية وفي هذه الروايات ويتعين الاستحباب حتى في تكبيرة الاحرام أيضاً .

الثاني : اختلفت الروايات الامرة برفع اليدين ففي بعضها الى الصدور وفي بعضها ازاء الوجه وفي بعضها ان لا يتجاوز الاذنين والامر عندنا سهل بناءً على ما ذكرنا في تفسير الاية فان هذه الفروض جميعها من مصاديق النحر الذي أمر به تعالى في كتابه ومنها ما ذكره في القاموس انتصب نحره ازاء القبلة ومنها ما ذكرناه في

رواية الكافى فى تفسير الاية الاعتدال فى القيام أن يقيم صلبه ونحره الحديث .  
 ومع قطع النظر عما ذكرنا فلا بد من التعرض بالجمع بين هذه المتباينات  
 أو الفحص والبحث عن قرينة الاستحباب لكل واحد منها والله الهادى .  
 الثالث : مقتضى ما ذكرنا من الرضوى حيث قال انما ترفع اليدين بالتكبير  
 ان الشروع بالرفع حين الشروع بالتكبير بحيث يبتدء بابتدائه وينتهى بانتهائه وهذا  
 الحديث اصرح ما فى هذا الباب ويظهر أيضا من غيره من الاخبار وقال بعضهم ان  
 مقتضى اقتران الرفع بالتكبير أن يكون التكبير بعد انتهاء الرفع . . انتهى .  
 أقول : ليس فى النصوص كلمة الاقتران واستظهار ما ذكره من الادلة لا يخلو  
 عن الاشكال وأضعف منه ما قيل ان الشروع بالتكبير بعد انتهاء الرفع وتحققه ويبتدأ  
 به حين ارسال اليدين فتحصل من جميع ما ذكرنا ان المراد بحسب الظاهر من الاية  
 استحباب رفع اليدين ازاء الصدر أو النحر أو الوجه أو الاذنين وان تبدأ بالرفع  
 حين يبتدأ بالتكبير وينتهيان معا والله العالم .

### الاية الثالثة

قال تعالى : «قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون» (المؤمنون ٢)

#### بيان :

اضافته تعالى الصلوة الى المؤمنين لبيان اختصاصهم بها وقيامهم بحققها واصطبارهم  
 عليها حين غفل عنها المترفون وأعرض عنها المستكبرون قوله تعالى خاشعون قد  
 ذكروا فى تفسيرها وجوهاً واقوالاً أعرضنا عن ايرادها للاختصار فالخشوع فى الصلوة  
 قلباً وقالباً وروحاً وبدناً قد وردت فى روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وتكلم  
 فيها فقهاؤهم قدس الله اسرارهم والاية مطلقة شاملة باطلاقها جميع الموارد التى يصدق عليها  
 الخشوع فالخشوع يتصف به القلب وبه الصوت والصبر فالنظر فان لكل من ذلك الذى  
 ذكرنا خشوعاً يناسبه قال فى الصوت والصبر والتذلل والسكون انتهى اما الخشوع  
 فى القلب قال تعالى «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» (الحديد) .  
 فأدنى الخشوع احساس الحاجة والافتقار الى الله والشعور والاستشعار بعظمته



بحيث يجتمع فيه الرغبة والريبة والخوف والطمع والسكينة والاستكانة ففي زبدة البيان قال وروى ان النبي رأى رجلا يعبت بلحيته في صلوته فقال أما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه .

اقول : وفي هذا دلالة على اثبات الخشوع في الجوارح فلا وجه لترديد بعض المفسرين في اثبات الخشوع لها .

واما الخشوع في الصوت قال تعالى «وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا له هماً» (طه - ١٠٧) فالخشوع فيه غضته في مقابل الاجهار به والخشونة به كما تضمنه الايات في أدب المكالمة مع رسول الله قال تعالى «ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، (الحجرات) .

ويتصف به البصر قال تعالى «خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة» (القلم - ٤٣) المعارج-٤٤ (قال تعالى «خشعاً أبصارهم - القمر»-٧) فالخشوع في البصر غضه في مقابل رفعه .

روى في كنز العرفان مرسلان كان رسول الله يصلي رافعاً نظره الى السماء فلما نزلت التزم ببصره الى موضع سجوده .

في الوسائل عن الكافي مسنداً عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال - الى ان قال - واخشع ببصرك ولا ترفعه الى السماء وليكن حذاء وجهك موضع سجودك . وقد توهم بعض المفسرين ان المراد من الغض اطباق الاجفان قال وفي ما ذكر من غض البصر مطلقاً تأمل اذ المستحب النظر الى موضع السجدة حال القيام انتهى .

أقول: قد عرفت ان النظر الى موضع السجود انما هو بغض البصر اي عدم رفعه فلا منافات نعم قد يتوهم المنافات بين ما ذكرنا من الادلة المطلقة وهي ما ذكر في رواية حماد بن عيسى المصراحة بغض العين في الركوع وخاصة مع رواية زرارة المصراحة بالنظر بين القدمين حال الركوع وقد اضطرب كلماتهم في الجمع بينهما والجواب عن الاشكال الوارد عليها .

اقول : منشأ الاشكال انما هو بناء على ان الغمض هو اطباق الاجفان بالكلية وليس كذلك بل قال في القاموس انغماض الطرف انغماضه انتهى . ومن أراد الاطلاع على أزيد من ذلك فعليه بالمطولات فتحصل ان قوله تعالى «في صلوتهم خاشعون» شامل باطلاقه جميع ما ذكرنا من افراد الخشوع والله الهادي .

### الاية الرابعة

قال تعالى : «واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» النحل - (٩٨) امرتعالى رسوله وحبيبه بالاستعاذة بالله سبحانه وبالأستغاثة به تعالى عندقراءة القرآن وقد امره تعالى بالاستعاذة به تعالى في غير مورد القراءة ايضا . قال تعالى «وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين» المؤمنون ( ١٠٠ ) « و اعوذ بك رب ان يحضرون» (١٠١)

تنقيح البحث في المقام في ضمن مسائل :

**الاولى :** امرالله سبحانه حبيبه وصفيه بالاستعاذة عندقراءة القرآن في هذه الاية وفي غيرها بالاستعاذة به تعالى من همزات الشياطين ومن حضورهم وهجومهم وتلبسهم والحال انه (ص) معتصم بعصمة الله المنبئة ومتحصن في حصن ولايته جل سبحانه ومصون في حرز امانه وليس هذه الاستعاذة والالجاء به والسؤال والتضرع اليه الا لاجل ادامة العصمة وبقاء الامان مثل قوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم» (الفاتحة ٤) وامثالها من الايات فان الناس كلهم واقفون موقف الافتقار والحاجة الى جوده واحسانه لا بد ان يلتمس منه تعالى ابقاء ماأفاض وادامة ما وهب وطلب المزيد منه تعالى الى ما لا يعلمه الاالله .

**الثانية :** قد قيل أن الامر بالاستعاذة لشخصه (ص) ويلزم على غيره بالتأسي له ، اقول هذا ليس بشيء فان آداب العبودية وعرض الافتقاراليه تعالى والتشبث بأذيال عطفه وامانه وحفاظته ليس من الاحكام التعبدية بل هو وظيفة علمية وعقلية مطلقة لكل موحد يدرك ويشعر شأن موقفه مع الله وبين يدي الله وخاصة في مقام تلاوة

القرآن فانه المناجاة مع الله والوقوف بين يديه لاستماع مواعظه والالتذاذ بخطاباته والاثمار بمنشور ولايته جل ثناؤه واوامره ونواهيه فالموقف من اجل مواقف الحضور والقرب منه تعالى ولا بد فيه من التحفظ الشديد والتوسل الصادق والالتجاء بالجد اليه تعالى لثلايحرم القارىء من بركات القراءة وانواره . نعم من حيث كون الاستعاذة جزء من الصلوة تدخل في باب التعبديات فحق القول فيه ايضا شمول خطابات القرآن للكل على نحو القضية الحقيقية الاماثبت بالدليل اختصاصه به (ص)

الثالثة : لاشكال بحسب اطلاق الامر لزوم الاستعاذة عند قراءة كل قرآن ولو كان في الصلوة الا ان هذا الاطلاق لا يكفي في ثبوت كونها جزء للصلوة بل يحتاج الى تعبد آخر ودليل آخر من قبل الشارع لاثبات جزئيتها فلولم يوجد دليل بأعمال المولوية في كونها جزءاً لا يمكن التمسك باطلاق الامر في الاية وقد قرر وثبت من فعله (ص) وفعل اوصيائه ان الاستعاذة في افتتاح الصلوة بعد التكبير عند الشروع في القراءة فماعن بعض العامة ان مقتضى القاعدة والقياس تكرر الجزاء عند تكرر الشرط ساقط جدا ولا يحتاج الى ما تكلفه بعض اعلام الشيعة ان المراد في الاية جنس القراءة والصلوة فعل واحد فيكفي الاستعاذة الواحدة في الصلوة الواحدة .

الرابعة: مقتضى اطلاق الامر وان كان يقتضى الوجوب قبل الفحص والبحث الواجب عن المقيدات الا ان القرائن والادلة المنفصلة قد قامت على هدم هذا الاطلاق وتبين بها ان المراد بالامر في الاية الكريمة هو استحباب الاستعاذة لا وجوبها في الوسائل عن الصدوق انه قال كان رسول الله ﷺ اتم الناس صلوة واوجزهم كان اذا دخل في صلوته قال الله اكبر بسم الله الرحمن الرحيم .

وفيه ايضاً عن الكافي مسنداً عن فرات بن احنف عن ابي جعفر عليه السلام في حديث قال اذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي ان تستعبد .

الخامسة : مقتضى اطلاق الامر في الاية الكريمة هو التخيير بين الجهر والاخفات بالاستعاذة وكذلك النصوص الواردة في مشروعيتها واستحبابها بين مطلق وبين مصرح بالاجهار فلا دليل يقيد به في لزوم الاسرار بها الا الاجماع الذي ذكره الشيخ

قده) في الخلاف ج ١ ويستفاد من كلام بعض الاجلة من الفقهاء انه يكفي هذا الاجماع في اثبات هذا الحكم نظرا الى التسامح في ادلة السنن .  
اقول: لافرق بين الاحكام سنة كانت او فريضة في انه لا بد في اثباتها وطور مشروعيته من دليل شرعي قاطع .

السادسة: مقتضى صريح الاية الامرة بالاستعاذة وكذلك بعض الروايات جواز الانشاء بالاستعاذة من دون احتياج الى توصيف وتعبد بصيغة خاصة فيسقط الابحاث الرجعة الى تعيين الصيغة في الاستعاذة والتي ورد في الروايات من نقل فعل المعصومين لا يضر اختلاف الصيغة فيها بما ذكرنا فانها مصاديق و افراد لهذا الكلام فالاولى الاتيان بها بما ورد بالتعبير الوارد في الاية الكريمة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

### الاية الخامسة

قال تعالى : «يا ايها المزمّل» (١) «قم الليل الا قليلا» (٢) «نصفه او انقص منه قليلا» (٣) «اوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا» (٤) «اناسنلقى عليك قولاً ثقيلاً ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قليلاً» (٥) «ان لك في النهار سبحاً طويلاً» (٦) «واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلاً» (٧) - المزمّل .

### بيان

السورة مكية وفي رواية عن ابن عباس ان اول ما نزل عليه بمكة « اقرأ باسم ربك » ثم « ن والقلم » ثم « المزمّل » وسيجيء الكلام في الايات التي في آخر السورة والمزمّل اصله متزمل قلبت تائه زاء وادغمت الزاء في الزاء .

قال في الكشاف وكان رسول الله ﷺ نائماً بالليل متزماً في قطيفة فنبهه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة واستعد للاشتغال في النوم كما يفعل من لايهمه امر ولا يغنيه شأن الى ان قال فزمه بالاشتغال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل والتشمر

والتخفف فى العبادة لله لاجرم ان رسول الله ﷺ قد شمر مع اصحابه حق الشمر انتهى ما اردناه .

اقول : قد اخطأ الزمخشرى و اساء الادب الى ساحة قدس الرسول الاعظم وليت شعرى كيف رضى الله تعالى ذم رسوله وصفيه بالتهجن اليه بالحالة التى كان يتكاسل فيها ويشغل بعبادة ربه وبعدم تمرنه وضعفه فى العبادة وقيام الليل واختياره النوم والفراغ عليها كيف وقد كان رسول الله قبل نزول الوحى عليه وبعده متعبداً ومنتسكا وقوياً و متمرنا وناشطا فى عبادة ربه واجتهاده فيها . يقوم بين يدى ربه فى آناء الليل واطراف النهار رغباً راهباً وليس متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً قبل نزول الوحى عليه وكيف بعد نزوله .

قال : فى الكامل طبع بيروت ج ٢ ص ٢٩ فى شرح حالة ( ص ) قبل البعثة الى ان قال ثم حجب اليه الخلا فكان بغار حراء يتعبدها الليالى ذوات العدد ثم يرجع الى اهله فيتزود بمثلها فجاءه الحق وجاء جبرائيل « انتهى » - فسنة الله سبحانه فى تربية اوليائه و تأديب اصفيائه انه يؤدبهم و يرببهم حتى يقومهم على ما اراد منهم ويستأهلهم لذلك فيتخذهم عبداً فيسددهم ويؤيدهم لذلك فاذا تمكن فى مقام العبودية وسلك تمام منازلها ومراحلها وقام بوظائفها وشؤونها على طمأنينة وسكينة من ربه فيتخذه نبياً ثم يتخذه كذلك رسولا ثم يتخذه كذلك اماماً فليس فى سنته تعالى وتربيته انبيائه وافاضته العلوم والحقائق وتحميل وظائف العبودية عليهم مجازفة ولا طرفة . فلا يزالون حملة العلم والوحى واقفون موقف العبودية مترصدون بحسب طبع روحانيتهم ونورانيتهم الى ما يلقي ويوحى اليهم من الاحكام والوظائف بما يناسب موقفهم كى يأخذوا بها ويمثلونها عن جد ونشاط ، وقيل : انه كان متمزلاً فى مرط عايشة فنزلت وخوطب بقوله ( يا ايها المزمّل ) اقول : هذا الوجه غير سديد ايضاً فليست اليوم كانت ثمة عايشة ولم يكن يتزوج بهار رسول الله بعد .

عن ابن ابى الحديد قال تزوجها رسول الله قبل الهجرة بسنتين بعد وفاة حديجة (رض) وهى بنت سبع سنين وبنى عليها فى المدينة وهى بنت تسعة ، و عشرة اشهر

والظاهر انه لاختلاف بين اهل السير ان رسول الله (ص) بنى عليها بعد الهجرة بالمدينة  
وذكر ان مولد عايشة كان في السنة الرابعة من النبوة .

وقيل : ايضاً في شأن نزولها كما في الكشف دخل على خديجة وقد جثت  
خوفاً اول ما أتاه جبرئيل وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له  
فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبرئيل يا ايها المزمّل انتهى - قوله جثت: اي فزع قوله بوادره  
البوادر اللحمية بين المنكب والعنق .

اقول : هذا القول في نهاية الرداءة والوهن اذ لا وجه لفزعه وخوفه من جبرئيل  
و اضطرابه و ارتعاده حين يشرف عليه جبرئيل فانه مع عظمة روحه وسعة وجوده  
وشدة عرفانه بالله تعالى ومعرفته بما سواه من الاشياء و اعيان الموجودات لم يكن  
لوحشته ودهشته من جبرئيل وجه معقول بل كان آنس شيء بجبرئيل وبما جاء به من  
الوحي فان الظاهر من بعض الروايات الواردة عن ائمة اهل البيت ان نزول ملك  
الوحي على الانسان الرسول انما بعد استكماله في مراتب النبوة ووفود الملك وكلام  
الانسان معه يسمى رسالة فحين نزل عليه الملك قد بلغ بحسب الكمالات والمعارف  
بحيث ان مشاهدة الملك وكلامه مرتبة ومتوقفة رتبة وزمانا على ماتقدمه من العلوم  
والمعارف الالهية وهذا هو الحق المبين .

وقد اساء الزمخشري الادب ساحة قدس رسول الله ولم يعرف انه (ص) يدعو  
الناس الى الايمان بالله وباليوم الاخر وبالدار الآخرة وواضح عند ارباب الشرائع  
ان الدار الآخرة مع جميع ما فيها من الحقائق والاعيان و سكانها كلها حقائق و اعيان  
مادية لطيفة قبل مرتبة الدنيا والدنيا واقعة في مرتبة متأخرة في طول الآخرة وقد كشف  
القرآن الكريم عن هذه الحقيقة العقلية و هذه من اجل العلوم و نفائس المعارف  
الالهية وقد تفرد القرآن الكريم بكشفها بأنحاء من البيان مجملاً و مفصلاً مع عناية  
واهتمام بالغ في شأنها ودعوة الناس اليها وقد عجز عن نبيل عالم الآخرة بهذا المعنى  
اعاظم الفلاسفة و اكابر الصوفية ووقفوا في مهاوى الخرافات العجيبة و ارتكبوا في  
تأويل الايات الكاشفة عن عالم الآخرة المادية اللطيفة و اعيانها تأويلات باردة ركيكة

واصروا عليها .

ولم يتفطن الزمخشري انه ( ص ) مشرف على عالم الآخرة و مشاهد اياها ويدعو الناس الى الايمان وانما يدعو اليها على علم وعيان بها و لامحصل لقوله انه دهش واضطرب عن مشاهدة الملك وحسب انه قد عرض له .

اقول : كان (ص) على طمأنينة وسكينة الهية وقد كان على بصيرة وبينة وبرهان من ربه تعالى و في معرفة ما نزل اليه من ملك الوحي ومعرفة ما ارسل اليه بوساطة الملك وانه امين من امنائه تعالى وعباده المصطفين وان ما ارسل به حق من عند الله سبحانه وكذلك في معرفة ما يأخذ من الله سبحانه مستقيماً من دون وساطة الملك وقد تقرر في محله انه ما صار رسول رسولاً ولا نبي نبياً ولا امام اماماً بالمقارنة بوجودان روح القدس وحمل الاسم الاعظم وهو الحجة الواضحة المصونة بذاتها بين الرسول (ص) والنبى وبين ما ينزل عليه من الملك ومن الوحي والحقائق الاخرى في ذلك الباب فيؤيد بهذا الروح وبهذا الاسم الكريم فبه يعرف حقيقة الرسالة والنبوة و به ياخذ النبوة والرسالة من الله وبه يعرفها ويحفظها ويحملها ويؤديها ويبلغها والمراد بهذا الروح وبهذا الاسم هو العلم المقاض من الله سبحانه على الانسان النبى والرسول مقارنة مع الرسالة والنبوة او مقديما على ذلك فهو (ص) اعرف وابصر بهذه الحقيقة يستحيل ان يعرض عليه اضطراب او دهشة عند اشرافه بمشاهدة الملك ومعابنته وهذه كرامة عجيبة قد خص الله سبحانه بها انبيائه ورسله وحججه هذا هو سر العصمة ووجه السكينة والطمأنينة الالهية فى الانبياء والرسل والحجج وعلى ذلك شواهد شافية كافية فى الكتاب والسنة وقد استقصيناها فى بعض ابحاثنا فى التفسير تحت عنوان الروح فى القرآن الكريم وبذلنا الجهد فى تفسير الايات الماسة بذلك حسب الوسع والمقدور واوردنا من الروايات الناصة ما فيها شفاء الصدور (انتهى) .

اقول: واما قول الزمخشري فى تقرير القول الثالث «وحسب انه عرض له» كلام ساقط لا يلائم بمقام الرسالة والنبوة فان اشرافه ﷺ على مشاهدة الملك وعيان ما فوق عالم المادة الدنيوية من اجل العلوم الالهية واشرف المعارف الربوبية

ولا يقاس علومهم بعلوم ماسواهم من البشر فان اعظم العلماء البشرية ليس لعلمهم عصمة ذاتية بل يعلمون ويخطئون ويصيبون بخلاف علوم الانبياء فان لهم علما بالواقعات وعلما باصابتهم فعلومهم مصونة بذاتها عن الخطاء بالعصمة والمصونة الذاتية وهل يرضى عالم منصف ان يقول ان رسول الله ﷺ حين اشرف على مشاهدة الملك وحين تجلى له الملك من حجب الغيوب (حسب انه قد عرض له) نعوذ بالله .  
وقيل: ان المراد به المتحمل وفي اقرب الموارد ازمل الحمل مرة واحدة وفيه ايضا فى معانى زمل الى ان قال الشىء حملة .

اقول : لا بأس بذلك لو كان هذا الاستعمال شايعاً وثابتاً فى اللغة أى المتحدل لا ثقال النبوة ولعظائم الامور كما انه لا بأس ولا مانع انه خو طب بهذا الخطاب حين كان متزماً بثياب أو قطيفة حسب احتياجه اليه بحسب العادة .

قوله تعالى : «قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه» .. الاية ، الظاهر ان المراد من القيام هو الصلوة لشيوع اطلاق القيام على الصلوة والقائمين على المصلين والظاهر ان الامر بالقيام كما فى أمثاله ونظائره هو انشاء الحكم على نحو الكلى وعلى نحو القضية الحقيقية مثل قوله تعالى «اقم الصلوة لدلوك الشمس» .. الاية ويشهد على ذلك الايات الواردة فى آخر السورة حيث قال تعالى « ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك » . . لعدم خصوصيته بهذا التكليف . قوله تعالى « الا قليلا » استثناء من الليل وقوله نصفه بدل من قليلا والضمير فى منه وعليه يرجع الى النصف .

فالمتحصل من الاية انشاء قيام الليل عليه ( ص ) وعلى المسلمين النصف أو مازاد على النصف أو ما ينقص منه على سبيل التخيير فى اختيار الوقت .

قوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » قال فى القاموس الرتل محرركة ، حسن تناسق الشىء - الى أن قال - ورتل الكلام ترتيلاً أحسن تأليفه ترتل فيه ترسل .  
وعن الكافى مسنداً عن عبد الله بن سليمان قال سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله عزوجل ورتل القرآن ترتيلا قال قال أمير المؤمنين (ع) بينه بياناً ولا تهذه



هذا الشعور لانتشره نثر الرمل ولكن افرغوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم احدهم آخر السورة. اقول: ترتيل القرآن سواء كان فى الصلوة أو فى الموارد الاخرى سنة مؤكدة وليس من الفرائض .

قوله تعالى : « انا سنلقى عليك ثقيلًا » اقول الاشبه بالمقام ان القول الثقيل هو القرآن الكريم فان له فى الاجتماع البشرى وزناً لا يساويه شىء وموقفاً لا يدانيه امر وقد قال ( ص ) فى الحديث المتواتر عنه بين الفريقين انى تارك فيكم الثقلين . . الحديث . فالقرآن المبين أكبر الثقلين وأعظم الخليفين فحيث ان هذه السورة المباركة نزلت فى أوائل المبعث يكون هذه الاية ابهى بشارة وأجل كرامة أكرم الله بها حبيبه وصفيه (ص) .

قوله تعالى : « ان ناشئة الليل هى أشد وطئاً واقوم قبلاً » . اى الناشئة فى الليل بمثل نوم الليل وسياحة النهار وهى صفة ونعت الناشئة لعبادة واقعة وناشئة فى الليل وذكر فى القاموس فى جملة معانى الناشئة وقال القومة بعد النومة فالظاهر ان العبادة الناشئة فى الليل عند ما هدأت الاصوات ونامت العيون وتفرغت وعند ما أخذت البدن من نوم الليل جماماً وقوة ونشاطاً ورغبة اتم موافقة وأشد مواطئة للقلب مع اللسان والسمع على قراء اعدوا ثبت للاقدام على قرائته وطأ اقدام القلوب وطمأنينة النفوس . وأقوم قبلاً قيل اصدق قولاً واسد مقالاً .

قوله تعالى : « واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتلاً » - واعلم ان الله سبحانه قد سمى نفسه بأسماء وأمر الناس ان يدعوه بها قال الله تعالى « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه » (الاعراف ١٨) فهذه الاسماء منها : ما يحكى عن نعوت ذاته مثل العلم والقدرة والحيات ومنها: ما يحكى عن نعوت افعاله الحكيمة الحميدة سواء كان من الاسماء التى يخاف مثل بأسه وانتقامه وقهره وسطواته على اعدائه او من الاسماء التى يرجى مثل الحلم والرحمة والاحسان وامثالها والقرآن الكريم قد تكفل لعدة مهمات من هذه الاسماء الكرام العظام ومرجع ذكر اسمه تعالى فى قوله « واذكر اسم ربك » ان دعائه تعالى وذكره سبحانه بهذه الاسماء تسبيح

وتقديس وتمجيد وتحميد وتكبير وتعظيم وثناء للذات المقدسة للالوهية وهو عبادة بالذات من غير احتياج الى جعل وتشريع محسنة بالضرورة والاوامر الواردة في الكتاب والسنة بالتسبيح والتقديس والتمجيد كلها امر ارشادي وكذلك التبتيل والانقطاع اليه بالدعاء والتضرع والذكر بهذه الاسماء الكريمة وغيرها تواضع وتخضع وعبادة بالذات وحسن جميل بالضرورة .

في القاموس تبتل الى الله انقطع واخلص « انتهى » وفي اقرب الموارد تبتل الى الله انقطع عن الدنيا اليه انتهى . وقد وردت في تفسير التبتيل روايات يقرب مفاد بعضها من بعض .

منها : ما قال في المجمع روى محمد بن مسلم وزرارة وحمران عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع) ان التبتيل هنا رفع اليدين في الصلوة وفي رواية ابي بصير رفع يديك الى الله وتضرعك اليه « انتهى » . ولاتنافي بين روايتي المجمع وغيرها من الروايات فان جمعها مصداق للتبتيل اذا تقرر ذلك فنقول :

ان الامر بترتيل القرآن والحث والتشويق على ناشئة الليل وبيان شيء من فوائدها وآثارها لتشويق السامعين والامر والارشاد الى ذكر اسم الله الكريم والانقطاع بكنهه الهمة وحقيقة الاخلاص الى الله سبحانه والادبار الى الدنيا كلها فضائل ومكارم يحاول القرآن الكريم تربية الناس بهذه الفضائل وتأديبهم بهذه المكارم وقرائن وشواهد عند الفقيه ان لحن تلك الايات الكريمة ليس لحن الايجاب والقرض بل سيقت في سياق الاستحباب والرجحان والفضل وتكون تلك الايات قرينة واضحة ان الامر بوليّه قم في صدر السورة مسوقة بهذا السياق امر نديب والمراد به قيام الرجل في الليل الى الصلوة وان قوله تعالى ان ناشئة الليل عبارة اخرى عن مفاد الامر وفي مرحلة التعليل وبيان شيء من حكمة هذا الامر « .

فاتضح بفضل الله سبحانه غاية الوضوح ان الاية الكريمة في مقام تشريع نافلة الليل وهي محكمة لم تنسخ فيسقط ما ذكره الجصاص انها كانت فريضة ثم نسخت بقوله تعالى « فاقروا ما تيسر من القرآن » فصارت طوعاً وتسقط ما ذكره

الزمخشري في تفسير «فاقرؤوا ما تبسر من القرآن» ان هذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوة المكتوبات انتهى ملخصا .  
واما تفسير فاقرؤوا فقد تقدم مفصلا .

### في احكام متعددة يتعلق بالصلوة

قال تعالى « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا » (النساء ٨٦) .

#### بيان

التحية مثل التذكرة والتخلية من باب التفعيل ومعناه مقدمة شيء من الدعاء والثناء والبر والاحسان الى الغير والباء للتعدي الى مفعول ثان وقيل : ان التنوين فيها للتنويع ومن العجيب كما في المجمع والقاموس ان معناه السلام وأعجب منه تفسير السلام بالبقاء والسلامة من الموت و وجه هذا التفسير والتوجيه انهم لما قالوا ان معناه السلام والتحية مشتق من حي فلا بد من تسرية حقيقة الحياة ومفادها الى السلام ايضا .

والتحقيق ما ذكرناه ان معناه تقديم شيء من العطاء والاکرام والدعاء والثناء الى الغير فعليه يكون السلام من افراد التحية ومصاديقها قال تعالى « اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما » (الفرقان ٧٥) فعطف سلاماً على تحية من باب عطف الخاص على العام فان لاهل الجنة مواهب وعطايا تحية من عند الله ولهم من الله او من الملائكة سلاما ايضا .

ففي كنز العرفان عن تفسير على بن ابراهيم عن الصادقين (ع) ان التحية هنا السلام وغيره من البر .

وفي القلائد عن المناقب عن انس قال جاءت جارية للحسن (ع) بطاقة ربحانة فقال لها انت حرة لوجه الله فقلت له في ذلك فقال ادبنا الله عزوجل فقال

« اذا حييتم » .. الاية.

وفيه ايضا عن الخصال فيما علم امير المؤمنين (ع) اصحابه اذا عطس احدكم فليقولوا یرحمکم الله ویقول هو یغفر لکم یرحمکم قال الله تعالی «واذا حییتم» .. الاية. فالایة الکریمة ظاهرة بحسب اطلاق الامر فی وجوب المقابلة بالاحسن اوردها بعین ما یمائلها کما اذا كانت التحية بتقدیم عین من الاعیان لبالقول واللفظ فقط . لاستحالة ردها بعینها فی بعض الموارد والتحیة ایضا مطلقة اطلاقا انواعا ای نوع کان منها فی جمیع الاحوال والاضاع

الماخرج بالتقید بحسب ادلة اخرى مخیرا بین الرد بالاحسن اوردها بما یمائلها فیکون الاحسن مستحبا عینیا وواجبا تخیریاً من غیر فرق بین السلام وغیرها من انواع التحیات لما ذکرنا ان السلام من الافراد الواضحة للتحية ومن غیر فرق فی السلام وغیره فی حال الصلوة وغیرها والمراد بالاحسن لیس ماکان بالزیادة فی الحروف والالفاظ بل المراد الحسن الزائد علی اصل التحية بحسب المقاد وفي افادة الاجلال والاکرام. غایة الامر ان لا یتجاوز الحروف والجملات عن المتعارف سیمما فی حال الصلوة وعلی هذا یشکل التمسک فی وجوب رد السلام بما یمائله فی حال الصلوة بالایة الکریمة هذا کله بحسب اطلاق الاية واما الاخبار الواردة فی هذا الباب وان ورد فی کیفیة الجواب ان یقال (بمثل ما قیل) الا انها قاصرة فی افادة المماثلة بحسب الالفاظ والصیغة وتعارضهما بما کان ظاهرهما عدم لزوم المماثلة . فیشکل اطلاق الاية بها وسنزید توضیحا لذلك .

فان قیل : لازم ما ذکرنا من عموم التحية فی الاية الالتزام بوجوب کل تحية قولی او عملی ولا اختصاص بالسلام وهذا خلاف السیرة القطعية المستمرة قلت کلا فان الوجوب لیس الا المقاد الاطلاق وملتزم بتقید الوجوب المستفاد من الاطلاق حسب ما وجد الدلیل علی عدم الوجوب ولا ضیر فی ذلك انما الاشکال فیما لو کان الوجوب مدلول اللفظ فیلزم منه استعمال اللفظ فی الوجوب والاستحباب . فتحصل ان الاية الکریمة لادلالة فیها علی وجوب الرد بالمثل من حیث الصیغة

والالفاظ في حال الصلوة بل ساكنة مطلقة من هذ الحيث وانما تأمر الاية بالرذ على الاطلاق او بأحسن منها على ماقدمنا شرحه .

واما الاخبار في هذ الباب منها : ماتدل على ان الجواب بمثل ما قيل ومنها ماتدل على ان الجواب سلام عليكم مطلقاً وهى لمكان تعارضها غير صالحة لتقييد اطلاق الاية بل الاية باطلاقها حاكمة على جواز رد السلام بكل صيغة صريحة في رد السلام فيكون مبرئة للذمة بشرط ان لا يكون خارجه عن المتعارف سيما في الصلوة والجمع الذى تكلفوه بين تلك الاخبار لا يخلو عن الخدشة بل من الممكن جدا ان يقال ان الجواب بمثل ما قيل اقل مايجرى من رد السلام وقول سلام عليكم هو الاحسن والافضل من افراد الواجب التخييري فان التنافس بينهما ليس بالايجاب والسلب بل كلها من افراد السلام ومما ينطبق على الاية غاية الامر ان الاتيان بصيغة الجمع في مورد المفرد يدل على التشرىف والتكرىم ما لا يدل عليه الاتيان بلفظ الافراد من مواهبه تعالى وعناياته الاتيان بلفظ الافراد .

من مواهبه تعالى وعناياته ومن الانبياء لامته الموحدين .

في البرهان عن الكلينى مسندا عن منصور بن حازم عن ابى عبدالله عليه السلام قال ثلاثة يرد عليهم رد الجماعة وان كان واحدا عند العطاس فيقول يرحمكم الله والرجل يسلم على الرجل فيقول السلام عليكم «الحديث» : فالمتحصل بحسب ظاهر الاية جواز رد السلام بكل صيغة متعارفة صريحة في الجواب في حال الصلوة وفي غيرها من الحالات والله العالم .

وبعبارة اخرى الاطلاق المسوق له الكلام في الاية الكريمة انما هو من حيث اصل التحية فلامحالة يكون الاطلاق انواعياً وتكون الاطلاقات هى الانواع اى هى نوع من التحيات سواء كانت بالالفاظ والاقوال او بالاعيان وكذلك الكلام في مقام المقابلة بالمثل او بالتحية الحسنى بها فلامجال لتوهم الاطلاق في الاية الكريمة من حيث اتيانها بأى صيغة كانت وكذلك الكلام في مقام المقابلة بالمثل ضرورة ان الظاهر من الاية هو الاطلاق من حيث انواع التحية فلا محصل لتوهم الاطلاق

في صيغة السلام انشاء وردا فان الفاظ السلام وجملاته افراد للنوع الخاص من التحية فيستحيل ان يكون افراد نوع خاص من التحية مصبا للاطلاق والتقييد .  
 هذا وثانيا ان الاطلاق بحسب الانواع كاف عن التثبيت بالاطلاق في الافراد سيما في نوع خاص من التحية فان الملاك هو تحقق التحية انشاء ورداً فيكتفى بها في مقام المقابلة او انها التحية الحسنى او مثلها فلا يبقى موضوع لتوهم الاطلاق وجريانه من حيث الفاظ التحية وحرورها التي هي من افراد النوع الخاص من التحية

### تنبيهه وتذكر

السلام من الله سبحانه على اوليائه وعباده المصطفين مثل قوله تعالى سلام على نوح في العالمين (الصافات ٧٩) سلام قولامن رب رحيم (يس ٥٧) هو الرحمة والكرامة وكذلك من الملائكة هو دعاء منهم للمؤمن بشرط ان لا يكون خارجا عن المتعارف من مواهبه تعالى وعناياته ومن الانبياء لامته الموحدين قال تعالى «واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (الانعام ٥٤) دعاء لهم بالخير وكذلك من المؤمنين على الانبياء والرسل والطيبين من مضى منهم ومن كان حيا طلب الكرامات والفيوضات لهم وكذلك التحية بين المؤمنين دعاء لهم وقد كان قبل الاسلام تحيات في الجاهلية ، وللسل والاقوام تحيات مرسومة قبل الاسلام وبعث فسن الله في الاسلام التحية عند الملاقات وفي الموارد الاخرى وتحية اهل الجنة فيما بينهم سلام قال تعالى «وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين:»  
 يونس (١٠) .

وسن فيهم التحية التي اكرم بها انبيائه واوليائه وهو السلام حيث قال «وسلام على المرسلين (الصافات ١٨٢) وامر رسوله ان يقول « وسلام على عباده الذين اصطفى» (النمل ٦١) .

ثم ان تشريع هذه التحية المباركة على نحو الرجحان والفضل من البادى بها وعلى نحو الفريضة والايجاب من المسلم عليه بالمبدء بها هو المتفضل والفضل لمن سبق

والمجيب قد ادى فريضة وعمل وظيفته وحيث ان سنته تعالى الابتداء لهذه التحية الطيبة كغيرها من مواهبه وعطاياه سبحانه وكذلك سنة ملائكته السفرة الكرام وانبيائه العظام فعلى اهل البصائر والاستبصار التأسي بسنة الله تعالى وسنة اولياته والتقدم والتكرم بهذه التحية على اخوانه المؤمنين وافشائه واسماعه والاجهار به عن رغبة وبهجة فالاحسن ان يتبدا من العالى وينتهى الى الدانى وان يشرع عن الشريف ويختتم على الوضيع فيسلم الراكب على الماشى والقائم على القاعد وهكذا فتبين ان تسنين هذه السنة ليست شعارا للتابعة والمتبوعية ولا علامة للرياسة والمرؤوسية بل اسست وبنيت على التعاطف والتراؤف وعلى الغاء الامتيازات اذ مسح صرف النظر عنها وحين يتبدا بالسلام على من دونه فلا يفرق فى المواجهة بين الفقير والغنى فى نور الثقلين ج ١ ص ٤٣٥ عن فضل بن كثير عن على بن موسى الرضا عليه السلام

قال من لقي فقيرا فيسلم عليه خلاف سلامه لقي الله عزوجل وهو عليه غضبان .

قوله تعالى - «ان الله كان على كل شىء حسيباً» الحسب من اسمائه تعالى الحسنى وقد اطلق واريد منه فى الكتاب والسنة والادعية والاذكار الكافية اى كافية فى جميع المهمات وعظائم الامور فى دفع الحساد والنصرة على الاعداء والاضداد قال تعالى - «عطاء حسابا» (النبا ٣٦) اى كافيا .

قال تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه (الطلاق ٣) وقد يطلق ويراد منه الحاسب والمحاسب قيل ان اصل الحساب العد و كل معدود محسوب قال تعالى «وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين» (الانبياء ٢١).

اقول:الظاهر ان المناسب فى المقام هو المعنى الثانى لاشتمال المقام واشعاره بالتهديد والتخويف اى ان الله تعالى هو الحسيب على كل شىء والمهيمن والمراقب على ما يعمله العباد وما تكن صدورهم وما يضمرون فى قلوبهم .

ففى النهج عن على عليه السلام فى خطبة - الى ان قال - وحاسب نفسك لنفسك فان غيرك من الانفس عليها حسيب غيرك . . الخبطة اقول : فالحسيب على النفس هو الله سبحانه «الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين» (الانعام ٦٢) .

## الاية الثانية

قال تعالى : ( ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين ) ( الانعام ١٦٣ ) ففي القاموس النسك مثلثة وبضمين العبادة وكل حق لله عزوجل الى ان قال الذبيحة . . انتهى .

اقول: استدلوا بهذه الاية على وجوب الاخلاص فى نية العبادة وتنزيه العبادة وتطهيرها عن الرياء وقالوا ان المراد من قوله : محياى ومماتى اى ما علمه من العبادات فى حياتى وما فعله من الوصية بالخيرات وامثالها بعد موتى ان تكون كلها لله سبحانه فقط .

أقول : هذا الذى ذكر وغير ظاهر من الاية بل الظاهر ان الاية الكريمة فى مقام توحيد الذات الاحدية ونفى الاضداد والانداد عنه سبحانه اى ما انا عامله وآتبه من افعالى وعباداتى وما اعتقده واذعن به فى حياتى وبعد موتى وابعث عليه من ايمانى وتوحيدي لله جل مجده لاشريك له عبادتى واقعة لله وبفضله وعنايته دون الاصنام والانداد قوله تعالى «وبذلك أمرت» اى بالاخلاص وتوحيد الذات وتنزيهه عن الشريك وهذا الامر ليس أمراً تشريعياً تعدياً وانما هو وجوب واقعى عقلى فان الاستسلام لله بحقيقة التسليم والكفر بما سواه من الاصنام والاضداد واجب ضرورى بذاته من دون احتياج الى جعل جاعل وتشريع شارع .

قوله تعالى : «وأنا أول المسلمين» .

الظاهر ان قرله «وبذلك أمرت» وقوله «وأنا أول المسلمين» مقول ومأموره «أن يقول» عطفاً على قوله تعالى ان صلاتى الى آخر الاية اى قل بذلك أمرت وقل أنا - الى آخر الاية- فقوله تعالى «لاشريك له» لظهوره فى نفي الشريك فى الألوهية وقوله وأنا أول المسلمين قرينة على ما ذكرنا أن الاية فى مقام التذكير بتوحيد الذات ووجوب الايمان والاسلام بذلك وان هذا الايمان والاسلام من سنة اوليائه وانبيائه وخاصة الرسول الاكرم سيد الموحدين ، أمره تعالى أن يظهر للناس ما كان عله من



الاخلاص التام في توحيد الله وتزكية نفسه المقدسة عن التقرب بالاوثنان والعبادة لهم وقد تكرر في القرآن هذا النمط من البيان والدعوة الحسنی الى الله قال تعالى « قل انى امرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين » ( الانعام ١٤ ) قال تعالى « قل انى نهيت أن أعبد الذين يدعون من دون الله لما جاءنى البيئات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين » ( المؤمن ٤٤ )

فلفظ الاسلام وان استعمل في القرآن الكريم في المراتب النازلة الابتدائية للاسلام قال تعالى « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ( الحجرات ١١ ) الا ان المراد في أمثال المقام الراجعة الى شخصه ﷺ ( وفي أمثال قصص ابراهيم ع ) ليس هو التسليم العادى الابتدائى او اللسانى بل هو تسليم ذاته بكليتها وبما فيها من مواهبه ونعمائه سبحانه قال تعالى « فلما أسلما وتله للجبين » ( الصافات ١٠٣ ) قال تعالى « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ( البقرة ١٢٨ ) فان هذا الدعاء منه ( ع ) حين يبنى الكعبة ويرفع قواعدها وقد كان رسولا ونبيا قال تعالى . « ولقد اصطفينا في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين » ( البقرة ١٣١ ) .

فالموقف بتصريح الآية السابقة بند تحقق الاصطفاء فأمره تعالى لخليله بقوله أسلم ليس هو الاسلام العادى بل هو ( ع ) بعد ما جلس على كرسى الاصطفاء ووقف موقف القرب وتمكن في مجلس المخاطبة والانس مع كمال مراقبته لشأن الموقف ومحافظته لشرائط الحضور حيث لم يسترسل نفسه ذاك الاسترسال ولم يقل أسلمت لك بل أجاب ربه وخاطبه بما يخاطب به الكبراء والعظماء وقال أسلمت لرب العالمين فتبين ان المستفاد من الآية الكريمة هو أمره تعالى لرسوله وصفيه أن يقول ويظهر للناس في سبيل دعوته الحققة الحسنی ما عاياه من التوحيد التام والتبرى من الاصنام وعبادتها وما عليه من الاسلام لله والاخلاص في توحيد الذات المقدسة اجنبية عما قيل من اشتراط النية وخلوصها في مقام العبادة . وبعبارة أخرى في مقام اخلاص العبودية لله سبحانه هي العبادة له تعالى .

فان قيل : سلمنا في مقام بيان توحيد الذات فأى مانع لشمولها باشتراط الاخلاص في نية العبادة وفي صحتها ايضا كما قيل .

قلت : كلا فان وجوب الازعان بتوحيد الذات لا يقاس بوجوب الاخلاص في العبادة فان توحيد الذات من قبيل الحقائق الثابتة بالعرفان والبرهان والاذعان به واجب عقلا بالضرورة العقلية . والثاني من قبيل المدلولات الادلة الظاهرية اللفظية بالوجوب الشرعى التعبدى فلاجامع بين المقامين . فالاية في مقام التذکر بما علم بالبرهان والايقان والارشاد الى الحكم العقلى واخلاص النية واجب شرعى على التعبد بالظواهر .

واما الفروع المذكورة في المقام فساقط على ما ذكرنا من تفسير الاية .

### الاية الثالثة

قال تعالى : انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون (المائدة ٥٨) .

### بيان :

الولى من أسمائه تعالى الحسنى وقد مجد نفسه وعظمه في كتابه الكريم بهذا الاسم في موارد شتى قال تعالى «وينشر رحمته وهو الولي الحميد» (الشورى-٢٧)

قال تعالى «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور» (البقرة ٢٥٧) قال تعالى «ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين» (آل عمران ٦٨) وغيرها من الايات حيث أنه تعالى مالك لجميع ماسواه ملكا ذاتيا ويملك جميع الشؤون الرجعة الى الخلق فله سبحانه السلطان المطلق فى التصرف والتدبير والقبض والبسط والابقاء والافناء وله تعالى ملك التشريع وولاية الامر والنهى فلا ولاية لاحد على احد الا له ولاحق لاحد من الناس تقلد شىء من امور الناس الا له وبأمره ونهيه ولما كانت الدنيا دار الحجاب والجهل ، فلا يعرف هذه الولاية التكوينية سيما التشريعية الا من كان

عالمًا بالله وعارفاً بنعوته وكمالاته وبحقه وسلطانه تكويناً وتشريعاً وأما ولاية الناس له تعالى فلا يتصور ولا يعقل بالمعنى الذي ذكرناه بالضرورة ومعنى كون بعض من الناس ولياً له تعالى أن يوالوه ويحبوه وينصروا دينه وينصروا من يواليه فكذلك فرق بين ولايته تعالى على الناس وولاية بعض من المؤمنين الكاملين له سبحانه فالمدكور في هذه الآية هي الولاية بالمعنى الأول الذي ذكرناه فاحتفظ بهذا فإن كثيراً من الباحثين قد خلطوا بين المعنيين . فلا ينافي ما ذكرناه ولايته لأوليائه بمعنى الناصر والمحب كما هو كذلك بين المؤمنين فإن المؤمنين أيضاً أولياء بعض أنما الكلام في اختصاص الولاية بالمعنى الأول لله تعالى .

إذا تقرر ذلك فنقول إن المراد بحسب الظاهر في الآية وبقريئة الحصر المذكور فيها هي الولاية الحق الخاص لله سبحانه فتلخص أن الله سبحانه هو الولي الحميد على الخلق بالحق فلا يجوز لأحد أن يتخذ ويعتقد ولياً من دون الله وبغير إذنه ويوم تظهر هذه الولاية باكمل مظاهرها وتتجلى بأتم مجاليتها وصارت المعارف ضرورية حين يقوم الناس لرب العالمين فعنت الوجوه للحى القيوم . ويتبين هنالك أن الولاية لله الحق .

ثم إنه تعالى لمكان مالكيته على الأمر والنهي له تعالى أن يأذن لأحد من أوليائه ويملكه سلطة الأمر والنهي والقبض والبسط في الأمور والتصرف في شؤون الاجتماع قال تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله » ( النساء ٦٤ ) فقد أكرم الله سبحانه رسوله وأعطاه حق التصرف في الخلق وتقلد أمور الناس وإياك أن تتوهم أن هذه الولاية تنافي ولايته تعالى لمكان توارد الولايتين على مورد واحد فإن ولاية الرسول قد تتحقق بعبثائه وتمليكها فلا محالة يقع في طول ولايته تعالى لا في عرضه .

قال تعالى « ومن يطع الرسول فقد اطاع الله » ( النساء ٨٠ ) وكل ما بالعرض ينتهي إلى ما بالذات فله صلى الله عليه وسلم الولاية والتصرف في شأن المجتمع على حسب الحدود والمقدار الذي أعطاه تعالى وكذلك الذين آمنوا بالنعت المذكور في

الاية فهؤلاء ايضا لهم الولاية المذكورة في صدر الاية لمكان وحدة السياق ويستحيل ان تكون الولاية بهذا المعنى مشتركاً بين المؤمنين اجمعين فان القول بالاشتراك الغاء الولاية بهذا المعنى فلا يكون هنا ولي ولا المولى عليه .

فاتضح من جميع ما ذكرنا انه لا بد من تقلد امر الناس والتصرف في شؤونهم من عطائه تعالى واذنه فلا يجوز ولا يصح وثوب احد من عند نفسه وتقلده على رقاب الناس وقبضه امر الناس من دون عطائه سبحانه .

و أما شأن النزول فلم يختلف احد بحسب الروايات الواردة المتكاثرة من طرق الفريقين ان الاية نزلت في علي عليه السلام وادعى الرازي بعد اقراره ان الروايات اتفقت انها في شأن علي عليه السلام انها في شأن أبي بكر أقول : اذا اثبت انها في شأن علي ( ع ) فلا يجوز اخراج مورد النزول عن مفاد الاية واما البحث على اختصاصها به وبآله الائمة الطاهرين ودفع الشبهات والمغالطات التي اوردها الرازي في تفسير الاية فخارج عما نحن بصدده عن بيان الاحكام .

## فروع

الاول : استدلوا بهذه الآية كما في كنز العرفان ان الفعل القليل لا يبطل الصلوة لان قوله « ويؤتون الزكوة وهم راكعون » اشارة الى فعل علي ( ع ) لما تصدق على السائل بخاتمه انتهى .

اقول : قد وقع الكلام في تحديد الفعل القليل الذي لا يؤثر في بطلان الصلوة والمتيقن الذي لا كلام فيه ان يكون مع قلته مشتغلاً بصلاته من دون اشتغال بغيرها من انفعال الصلوة واعطاء الخاتم للمسائل كذلك سواء اشار الى المسائل ان يخرج من اصبعه او يخرج به بنفسه المقدسة ويعطيه للمسائل فلا يمكن الاستدلال بالآية في مورد الخلاف بين الفقهاء .

الثاني : تدل الاية على عدم لزوم التلفظ بالنية وانها فعل قلبي لالسانى لانه اعطى الخاتم حسبة وتقرباً الى الله وليعهد منه (ع) انه تلفظ بالنية ويتفرغ على

ذلك صحة نية الصوم وهو مشغل بصلوة الليل ونية الوقوف بعرفة والمشعر وهو في حال الصلوة وهكذا ما كان من هذا القبيل واما لو كانت النيات مشروطة بفعل خارج مثل اقران نية الحج بالتلبية فيشكل نية الحج في اثناء الصلوة .

**الثالث :** استدلوا بالآية على كفاية استمرار النية حكما لا عيننا يعنون انه صلى الله عليه وسلم في عين اشتغاله بالصلوة و ادامة نيتها قد ادى الزكوة بنية الزكوة ايضا رلا يمكن استحضار كلتا النيتين في آن واحد .

وفيه ان الاستحالة المذكورة في حقه غير معلوم .

**الرابع :** استدلوا بالآية على اطلاق الزكوة للصدقة المندوبة فلو كانت هي الزكوة المفروضة لوجب تقديمها على الصلوة التي هي من الواجب الموسع وفيه اولا انه من الممكن ان اطلاق الزكوة على الصدقة المندوبة من باب المجاز ومن الممكن ايضا ان يكون تأخير الزكوة الى الحين لمصلحة لازمة ومن الممكن ان التصدق في الوقت التي ضاقت فيها وقت الفريضة أيضا .

### الاية الرابعة

قال تعالى : اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلوة لذكرى» (طه - ١٤)

### بيان

الآية الكريمة من جملة خطابه تعالى لموسى بن عمران عليه السلام و لعل موقف هذا الخطاب عند اول ما تنبأ موسى واختاره تعالى لنبوته واصطفاه سبحانه لمناجاته وكلامه ورسالاته فقد عرف تعالى نفسه في اول كلامه فى ما أوحى الى موسى بقوله: اننى انا الله فأتى فى مقام التعبير عن نفسه بضمير المتكلم المتصل المؤكد بالضمير المنفصل و بالجملة الاسمية المؤكدة بأن ليكون موضوع القضية مبينا مصونا عن الالتباس والاشتباه كى يحكم عليه ويخبر عنه انه هو الله جل مجده وثنائه فقوله «الله» اخباره عن الضمير المتصل ونعت وتمجيد له بالالوهية وتوطئة وتمهيد للجملة الثانية

التالية المسوقة لبيان الوجدانية على ماسيجىء بيانه عن قريب .

توضيح ذلك ان لفظ الجلالة « الله » مشتق ومأخوذ من اله يأله الها قال في القاموس: واصله اله كفعال بمعنى المفعول الى ان قال « والتأله » التنسك والتعبد « والتأليه » التعبد « واله » كفرح تحير وعلى فلان اشد جزعه عليه « واله » فزع ولاذ « والهه » اجاره وآمنه « انتهى » .

وقريب منه المحكى عن الصحاح فى الوافى عن الكافى مسندا عن هشام بن الحكم انه سأل ابا عبد الله (ع) عن اسماء الله واشتقاقها «الله» مما هو مشتق قال فقال لى يا هشام «الله» مشتق من اله والاله يقتضى مألوها .. الحديث .

اقول : فيه اشارة و عناية الى معناه الاشتقاقي فانه سبحانه اله كل مألوه وخالق كل مخلوق وفى هذا السياق وفى هذا المعنى روايات اخرى مما يمكن ان يستشهد به فى المقام فتحصل ان اطلاق لفظ الجلالة «الله» على الذات الخارج عن الحدين التعطيل و التشبيه انما هو بعناية تحير العقول فيه او با لعنايات الاخرى التى ذكرناها - والفرق بين هذا الاسم الشريف و غيره من اسمائه تعالى ان هذا الاسم من حيث انه حاك عن الذات بلحاظ ماقدمناه من العنايات المذكورة فلامحالة يتصف وينعت بجميع الاسماء الحسنى ولايوصف واحد من الاسماء به ولادليل على كونه علما شخصيا واسما جامدا ولادليل على انه علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال فلا عناية فيه غير العناية الملحوظة فى اصل معناه الاشتقاقي وليت شعري بأى عناية ادبية وعلمية يكون هذا الاسم حاكيا عن الذات المستجمع لجميع صفات الكمال ولايمكن ان يكون علما بالغلبة ايضا فان استجماع جميع الكمالات فى الذات عند الموحدين بحسب البرهان والايقان لا يوجب ان يكون جميع ذلك مدلولاً ومفهوما من «الله» وهذه المغالطة لاتخفى عند المحصلين من اهل البحث والنظر . قوله تعالى : «لاله الاانا» . . الاية - لما كانت الجملة الاولى مسوقة لاثبات الالهية للذات فلو كانت هذه الجملة لهذا الشأن ايضا للزم التكرار فلامحالة تكون هذه الجملة مسوقة فى مقام تنزيه الذات وتقديسها عن الشريك ونفى الانداد والاضداد

وحيث ان الجملة الاولى بمنزلة الموضوع لهذا التهليل والتقديس فلما حصل لان يكون الثانية لاثبات الموضوع وهي الذات اول الاثبات والنفي معا فعلى ما ذكرنا لا تكون (الا) للاستثناء بل بمعنى الغير وبمنزلة النعت اى لاله غيرى موجود .

قوله تعالى «فاعبدنى» قال فى اقرب الموارد: وعبد الله عبادة وعبودة وعبودية اطاع له وخضع وذل وخدمه والتزم شرائع دينه ووحده.. انتهى ما اردناه .

اقول : العبادة من اوضح المفاهيم واطهر الحقائق والمعانى فتفسيرها (بما يقال فى الفارسية پرستش) تفسير بالاخفى وهى كما صرح به اللغويون من مصاديق التواضع والتذلل فامثال جميع الاوامر والنواهي المولوية الشرعية عن بعث المولى ونهيه تواضع وخضوع فى ساحة المولى وعبادة بالحقيقة وكذلك الاقرار بوجود صانع تعالى وانه حق لا ريب فيه وتقديسه وتنزيهه عن الشريك والند والصد وعن كل ما لا يليق به والثناء عليه وتمجيده وتكريمه بما هو اهله امر حسن جميل بالضرورة وتواضع له تعالى فمرجع امره تعالى لموسى بن عمران (ع) بقوله: فاعبدنى تذكر باحترام ذاته وبالقيام بوظائف عبوديته لله سبحانه وان يتواضع ويخضع له تعالى خضوع الفانين المخلصين فليس الامر بالعبادة بعد التذكر بذاته تعالى ووحدانيته امراً تشريعياً تعبدياً سيما مع التعبير بفاء التفريع فى قوله فاعبدنى .

قوله تعالى «واقم الصلوة لذكرى» عطف على الجملة السابقة فهل الامر باقامة الصلوة فى مقام ايجاب الصلوة وتشريعها على موسى وامته اوفى مقام التذكير بوجود طاعته ما كان مفروضاً او ما سيفرضه عليه من الصلوة والظاهر من كلمات المفسرين وكلمات من تعرض من الفقهاء قدس الله اسرارهم بالا استدلال بالاية على وجوب قضاء الفوائت على الفور وكذلك القائلين بعدم الفور وهو الاحتمال الاول على ما سيجىء تفصيله عن قريب انشاء الله .

والاقرب : هو احتمال الثانى فان الظاهر من قوله تعالى «اقم الصلوة» هو اقامة الصلوة بحدودها وشروطها المقررة المرسومة بحسب ادلتها لا ايجاب الصلوة ووجوبها وقوله تعالى «لذكرى» فى مرحلة التعليل بالاقامة المذكورة اى ليكون ذا كراً لى لافان

الصلوة ذكر له لانها تسبيح وتكبير ودعاء وذكر وتهليل - الى آخره - .  
ويحتمل ان يكون بحذف المفعول اى لذكرى اياك قال تعالى «ولذ كر الله اكبر»  
(العنكبوت - ٢٥) .

وقد ورد في تفسيرها في رواية ابي الجارود عن الباقر عليه السلام قال ذكر الله لاهل  
الصلوة اكبر من ذكرهم اياه الا ترى انه يقول اذكرونى اذكركم (البقرة - ١٥٢) .  
قوله تعالى : (لذكرى - الاية) في مرحلة التعليل لقوله تعالى (اقم الصلوة)  
وقيل يمكن ان يكون تعليلا لكلتا الجملتين اعنى (فاعبدنى) و(اقم الصلوة) وهذا التعبير  
وان كان يصلح ان يكون حكمة لتشريع الصلوة الا ان الامر باقامة الصلوة قرينة  
واضحة على انه حكمة للطاعة وللقيام بأمر الصلوة لاتشريعها وواجبها .

والقرينة الاخرى قوله تعالى في ذيل الاية «ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى  
كل نفس بما تسعى» . ( الاية ) فان مجازات كل نفس ببيعها انما تلائم وتناسب  
للطاعات واعمال العباد لتشريع الصلوة وواجبها لذكره تعالى .

فتحصل في المقام ان الاية الكريمة في مقام الارشاد الى اقامة ما كان واجباً  
من الصلوات حاضرة كانت او فائتة والروايات الواردة في المقام منطبقة على ذلك  
كل الانطباق قال في المجمع : قيل : معناه اقم الصلوة اذا ذكرت ان عليك صلواتا  
أكنت في وقتها او لم تكن عن اكثر المفسرين وهو المروى عن ابي جعفر ( ع )  
ويعضده مارواه انس عن النبي (ص) انه قال من نسى صلواتا فليصلها اذا ذكرها لا  
كفارة لها غير ذلك وقرأتم الصلاة لذكرى رواه مسلم في الصحيح انتهى . وههنا  
اقوال لاجدوى في نقلها .

في نور الثقلين ج ٣ ص ٣٧٥ عن الكافي مسنداً عن عبيد بن زرارة عن ابيه  
عن ابي جعفر (ع) قال اذا فاتتك صلاة فذكرتها في وقت آخر فان كنت تعلم انك  
اذا صليت التى فاتتك كنت من الاخرى في وقت فابدأ بالتى فاتتك فان الله عزوجل  
يقول ( اقم الصلاة لذكرى ) وان كنت تعلم انك اذا صليت التى فاتتك فاتتك التى  
بعدها فابدأ بالتى انت في وقتها فصلها ثم اقم الاخرى .



اقول : واضح ان الامر باتيان ما فات مستند الى قوله تعالى « اقم الصلوة »  
ولادليل في الاية انها سيقت للتوقيت اى توقيت الفائتة وانما غرض الاية والاستدلال  
بها لاصل الوجوب واقامتها بعد فوتها .

ثم ان من قال : ان الاية فى مقام تشريع الصلوة على موسى وامته يشكل عليه  
المخرج من تفسير الاية بهذه الروايات فان موسى لما نام عن صلاته مانسى وما  
تركها متمعداً ولاارغب فى الخوض والبحث عن هذا القول والنقض والابرار فيها  
ففيما ذكرنا كفاية والحمد لله اولاً و آخرأً وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .  
قوله تعالى : « لتجزى كل نفس بما تسعى » . الظاهر ان الاية فى مرحلة  
التعليل لقوله تعالى ان الساعة آتية - الى آخره - وهذا وعد للمتقين بأنه تعالى  
شكور لانضيق لديه اجر المحسنين بل يجزى بفضلهم بالاحسان احساناً حتى تكون  
كل نفس لسعيها راضية وفى هذا البيان حث على العمل بماينتفع به يوم القيامة وقيل  
انها وعيد للمجرمين ايضاً .

اقول : لا تأبى الاية الكريمة عن شمولها وعمومها لوعيد المجرمين الا انها  
لما كانت فى موضع التعليل المذكور بعد الامر بالعبادة والامر باقامة الصلوة لذكر  
الله سبحانه فلامحالة تكون الاية ظاهرة للوعد فى الثواب والجزاء على العبادة والطاعة .  
وقد قيل كما فى كنز العرفان وغيره ايضاً ان فى الاية دلالة على ان الجزاء انما  
هو بما يسعى الانسان بنفسه لنفسه فلايفيد سعى احد ل احد ولاعمله للآخر وبنى على  
ذلك اصالة عدم صحة العبادة فى مورد تولية الغير عبادة الغير فى الاحياء فلايستقيم  
ان يباشر ويتولى وضوء غيره وغسله مثلاً وعدم صحة النيابة عن الاحياء والاموات  
فى الواجبات والمستحبات فعليه يكون ماورد من ادلة الجواز والصحة تخصيصاً فى  
عموم الاية ونظير هذه الاية قوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه  
سوف يرى » (النجم - ٤٠ - ٤١) .

اقول : لا يخفى عدم ظهور الاية فى شىء مما ذكره اما الاية الاولى المبحوثة  
عنها فليست الا فى مقام الاخبار عن سنة الله الفاضلة الحكيمة وفى مقام الوعد والوعيد

ان عمل العاملين المحسنين لا يهلك ولا يبطل عنده سبحانه وكذلك جرم المسيئين لا ينسى ولا يتغافل وليست فى الآية دلالة على المدعى نفيًا ولا اثباتًا وكذلك الثانية فانها بقرينة ذيلها « وان سعيه سوف يرى - الى آخره » فى مقام التشويق على العمل والانكار على الكسل والفشل فانما ينتفع به فى القيامة ويوجب رضاء الملك الديان لا ينبغي التسامح فيه والتهاون به .

ومن هنا يعلم ان الادلة الدالة على جواز اتيان العمل عن الغير الاحياء والاموات وكذلك تولية عمل الغير لامساس له بمفاد الآية الكريمة كى تكون مخصصة للاية واتضح ايضا وهن ماعن ابن عباس وعكرمة ان الآية فى سورة النجم منسوخة بالحكم .  
فى المجمع قال قال عكرمة ان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ماسعى غيرهم نيابة ومن قال انها غير منسوخة بالحكم قال ان الآية تدل على منع النيابة فى الطاعات الا ما قام عليه الدليل انتهى ما اردناه .  
والحق ما ذكرناه فى المقام ولا محصل للقول بالتخصيص ولا بالنسخ كما فصلناه .

### الاية الخامسة

قال تعالى: « وهو الذى جعل الليل والنهار لمن اراد ان يذكر او اراد شكوراً » (الفرقان ٤٢) بيان الظاهر ان الضمير فى صدر الآية راجع الى الغايب من الحواس والافكار والاهوام فى عين انه ظاهر بذاته وآياته وعلاماته والمتجلى بخلقه خارجا عن الحدين حد التشبيه والتعطيل والايات تذكرة الى العزيز القدوس الظاهر بذاته لانها معارفات اياه سبحانه .

قوله تعالى: « جعل الليل والنهار خلفه » - الى آخره - الظاهر ان المراد من الجعل فى المقام هو الجعل التشريعى لا الجعل التكوينى الذى بمعنى خلق الليل والنهار لغايات طبيعية قصدها جاعلها وخالقهما ومدبرهما بل جعل الله الليل والنهار المجمولين خلفه وهى المجموعة بنص الآية وهى مصدر مثل سبقة ونعمة بمعنى

الفاعل اى خليفة يخلف كل واحد منهما صاحباً قوله تعالى.. لمن اراد ان يذكر وهذا مفعول ثالث لجعل بواسطة الجار اى جعلهما خلفه لمن اراد التذكر او الذكر على ما فى بعض القراءات وذكر فى الصافى وقرأ بالتخفيف انتهى . . والمراد هو مطلق التذكر بالرب سبحانه الحاصل بالتدبر والتفكر فى آيات القدرة وعجائب التدبير واحكام الصنعة والحاصل بسبب الازكار والتسبيح والتمجيد والركوع والسجود والقراءة ايضا ويتعين هذا المعنى بناء على قراءة التخفيف فمقتضى ظاهر الاية ومحصل معناها انه سبحانه جعل الليل خليفة النهار وبالعكس فيما ينبغى من العمل المطلوب فى كل واحد منهما وهذا هو معنى الخلافة والبديلية المجعولة فى كل واحد منهما من الله سبحانه فيصح ان يأتى بعمل الليل فى النهار وبالعكس والتعبير بما ذكرنا من لفظ الخليفة قد وقع فى عبارة المولى المحقق الاردبيلي (قده) ايضا وهذا اقوم ما فى الباب من البيان وللمفسرين وجوه اخرى اعرضنا عن ذكرها .

ولا يخفى ان مقتضى البديلية والخلافة المجعولة ان الوقت الخليفة وقت ثان للعمل المطلوب فى الوقت الاول ودونه من حيث الفضل والرجحان والعمل مضروب عليهما على هذا النحو .

والظاهر من قوله تعالى « لمن اراد » ان المراد من الذكر والتذكر ما كان على نحو التطوع والندب فان الفرائض لا تدور مدار مشيئة الاشخاص واراياتهم بأن هى مكتوبة عليهم على جميع التقادير وعليهم ان يشاءوا ويريدوا .

والقرينة الاخرى على الاستحباب شمول الاية واطلاقها على التذكر الحاصل بالتدبر والتفكر فى ايقان التدبر واحكام النظام ايضا لعدم وجوبه على الاطلاق بل هو راجح وحسن عقلا بالضرورة والقرينة الاخرى التصريح بالشكر لمن اراده فان الشكر ليس واجباً على الاطلاق بالوجوب الشرعى التعبدى وان ابنت عما ذكرنا من البيان فنقول ان شمول الاية لفائتة الفرائض غير ظاهر فان مقتضى الاداة الواردة فى اوقات الفرائض انها مضروبة على تلك الاوقات ولا خليفة مجعولة لها ولا بدلاً فلا بد لمن يقول بشمول هذه الاية للفرائض وقضاائها التكلم فيها والجمع بين هذه

الاية والادلة الدالة على توقيت الفرائض بأوقاتها الخاصة لها والروايات الواردة على كثرتها بين مصرحة انها فى النوافل وبين ما هو شديد الانطباق بمفاد الاية ولاعموم ولا اطلاق فى البين كى يؤخذ بهما لدرج الفرائض فى مدلول الاية ولو كان هناك توهم اطلاق واجمال فلحن الاية الكريمة رافع لاطلاقها واجمالها .

ومن العجيب ان بعضا من المفسرين بعد تفسير الاية بفائتة الليل والنهار اشتغل ببيان عدة من الفروع الراجعة الى قضاء الفرائض . واعجب منه ما عن بعض الاعيان قال واستدل بها على مشروعية فعل فائتة الليل نهاراً والعكس فان معناها الليل خليفة النهار فيما يصح ان يقع فيه وبالعكس وفهمه من مشكل مجردا .

اقول : لعل الاشكال فى نظره ان القراءة المعروفة ان يذكروا التذکر بعيد الصدق على النوافل الا بمعونة الروايات وانت قد عرفت ان الاية مطلقة من حيث الاسباب الموجبة للتذکر وله تعالى الحمد كما هو اهله .

قال تعالى : « فاذا انساخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم » - الاية - التوبة (٥) .

## بيان

الظاهر ان المراد من الاشهر الحرم هى الاشهر المذكورة فى صدر السورة وهو قوله تعالى « فسيحوا فى الارض اربعة اشهر » .. الاية التوبة ومبدأ مدة الامان المذكورة يوم النحر بمنى فى ذى الحجة ومنتهاها عشرة مضين من الربيع الاخرة فى سنة التسع من الهجرة وخلاصة القصة ان رسول الله (ص) بعث ابا بكر بسورة البرائة ليقرأها فى الموسم ثم نزل عليه جبرائيل وقال انه لا يؤدى عنك الا رجل منك فعزل رسول الله (ص) ابا بكر وامر عليا (ع) ان يأخذ السورة منه ويقرأها على الناس فى الموسم فأخذها على وقرأها على المشركين فى يوم النحر وايام التشريق واخترط سيفه واعلن ونادى وقال لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك

ومن كانت له مدة فهو الى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر . . القصة « .  
وقيل : ان المراد من الاشهر هي الاشهر الحرم في لسان القرآن في قوله تعالى  
«ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم» الآية وهو رجب مفرد وذى  
القعدة وذى الحجة ومحرم متواليا على اختلاف في رجب وان مدة الايمان كانت  
خمسون يوماً والاظهر ما ذكرناه وهو المروى عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع)  
وقيل ايضا ان يوم النحر في سنة التسع من الهجرة كان في عاشر ذى القعدة بناء  
على السنة السيئة عند العرب من النسيء في الاشهر الحرم فمسحها وابطلها قوله  
تعالى « انما النسيء زيادة في الكفر » الآية التوبة . وفي سنة العاشر من الهجرة  
حج رسول الله (ص) حجة الوداع وكان في ذى الحجة واستقر الحج على ذلك  
ونسخت السنة الجاهلية .

قوله تعالى : «وان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكاة» .. الآية استدلال بهذه  
الآية على وجوب قتل تارك الصلاة مستحلاً لتركها تقرب الاستدلال انه تعالى امر  
بوضع السيف وهم مشركون مستحلون بترك الصلوة ورتب رفع السيف عنهم على  
امور ثلاثة التوبة من الشرك واقامة الصلوة وايتاء الزكاة وبديهي ان الرفع لا يتحقق  
الا بتحقيق الامور الثلاثة فعدم تحقق كل واحد منها كاف في حكم القتل وايجابه  
وهو المطلوب .

اقول : فيه اولا ان انتفاء كل واحد من الثلاثة لوقلنا به انما هو في بقاء الحكم  
المحقق من اجل الشرك وهو لا يستلزم ايجاب القتل لولم يكن واجبا من قبل بعبارة  
اخرى المطلوب هو ايجاب القتل حدوثا لا بقاء وثانيا ذكر بعض المفسرون ان المراد  
في الآية القبول و الالتزام باقامة الصلوة وايتاء الزكاة ومحصل المعنى ان من ترك  
الشرك والتزم باقامة الصلوة وايتاء الزكاة فقد اسلم وحقن دمه .

### (الآية السابعة)

قال تعالى «يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم

تتقون» البقرة (٢١) . قد استدل بالآية ان الكفار مكلفون بالفروع كما انهم مكلفون بالاصول.

اقول: مورد البحث والنزاع هو الاحكام الشرعية التعبدية لا الاحكام العقلية والا بطل السدين والايمان بالله وتوحيده ولعل مراد القائلين بتوجيه الخطاب نحو الكفار هو التوجيه بلحاظ العقاب لموهونية خطاب من لا يؤمن بالله ورسله وكتبه بالفروع وعدم صحة الفروع منه بخلاف توجيه العقاب فان الممتنع بالاختيار لا ينافى الاختيار .

وتقريب استدلالهم ان الناس عام شامل للمؤمن والكافر وقد امرهم جميعا بالعبادة بقوله اعبدوا وكذلك قوله لعلكم تتقون على ما سيحى توضيحه .

لا يخفى ضعف الاستدلال المذكور فان العبادة لله هو التذلل والتواضع فلا يكون الامر بالعبادة امر اولويًا تعبديا وانما يكون متعلق قوله اعبدوا ما كانت عبادة من قبل او امرها سواء كانت في المستقلات من الواجبات والمحسّنات والمحرمات العقلية او الشرعية فطبيعة الصلوة بعد تعلق الامر بها تصير من مصاديق العبادة في مرتبة امتثال امرها فتحصل في المقام ان قوله تعالى: اعبدوا ربكم لا يفيد تكليفا شرعيا مولويا بل هو امر ارشادي شامل لجميع الواجبات والمستحبات وكذا المحرمات العقلية والشرعية والامر الارشادي يدور مدار الامر المرشد اليه .

فالآية الكريمة في مقام التذكّر بالله سبحانه ووجوب التواضع في ساحته وترك الاستكبار في قبال كبريائه ووجوب الانقاء عن مساخطه والاجتناب عن الاهانة والمداهنة في شؤون ربوبيته فان قوله تعالى «لعلكم تتقون» يفيد رجائه تعالى التقوى من عباده ورجائه تعالى ايجاب للتقوى وارشاد الى ما هو الواجب ببداهة العقل فالاستدلال بالآية على المدعى ساقط وقد اكثر في الاستدلال على هذا المدعى من الايات والروايات اعرضنا عن ذكرها لضيق المجال والله الهادي .

(فى احكام ما عدا اليومية من الصلوة)

( الاية اولى )

قال تعالى : «يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون» (الجمعة - ٩) تخصيص الخطاب للمؤمنين قيل لانهم المنتفعون به واما عند من لم يقل بصحة تكليف الكافر حال كفره فالامر عنده اهن .

قوله تعالى «اذا نودى» - الى آخره - الظاهر ان المراد هو الاذان والاعلان بميقات الصلوة واقامتها قوله تعالى «من يوم الجمعة» قيل ان من بيان لاداء الجمعة كان معروفا عند المخاطبين وقت النزول وذكر بعض المفسرين وجه تسمية الجمعة جمعة وذكروا مبدا تسميتها ولا يخفى ان تفسير الاية لا يحتاج الى ذكرها .  
قوله تعالى: «فاسعوا الى ذكر الله» قال فى القاموس يسعى سعيا كرمى قصد وعمل ومشى وعدا ونم وكسب وسعا به باشر عمل صدقات «انتهى» .

اقول: قد توهم بعض ان المراد من السعى هو العدو وتكلف فى الجمع بين الاية وبين ما يدل على استحباب المشى على سكينه فى البدن ووقار فى النفس فلا يخفى عدم تعين السعى فى العدو بل الظاهر هو القصد والمشى ولعل العناية فى لفظة السعى هو الاهتمام وتحصيل الفراغ فى الميقات المعهود وذكر الله هو الصلوة ولامانع من شموله لتعقيب الصلوة من التسبيح والتحميد والخطبة .

قوله تعالى «وذروا البيع» اى اتركوه بالمعنى الاسم المصدرى اى ما حصل بالعقد وتبديل العوضين والسلطة الخارجية عليهما لا المعنى المصدرى فالظاهر بطلان البيع فى الاول دون الثانى فان حرمة العقد وهو السبب للسلطة الخارجية على العوضين لا ينافى جواز السلطة الخارجية على العوضين فى فرض وقوع العقد الحرام .

قوله تعالى: ذلكم اى السعى الى ذكر الله وترك البيع .  
اذا تقرر ذلك فنقول الاية الكريمة غير مسوقة فى مقام بيان جعل الحكم وانشاء

الفرض بل في مقام الحث والتأكيد على اقامة ما كان مجعولا ومشروعا قبل النزول نعم الاية الكريمة كاشفة ان المندوب الي اقامتها وطاعتها تشريع فرض سابق على وقت النزول ولا دلالة فيها ان المفروض صلوة خاصة بعينها ولم يتبين فيها حدود وشروط غير انها يوم الجمعة والناس مشتغلون في اسواقهم ومعاملاتهم فتنتطبق على الظهر ايضا الا ان الادلة المنفصلة قد قامت ودلت على ان المراد صلوة جمعة والنداء يوم الجمعة اليها والتعبير عن الصلوة بالذكر لاشتمالها عليه و لبيان اهمية الصلوة وحكمتها .

والذي يوضح ما ذكرنا ان الاية ليست في مقام التشريع ما ذكره المفسرون ان رسول الله ﷺ ورد قبا حين عزم عن مكة مهاجرا الى المدينة واقام فيها ايام ما ولما انفصل منها ادركته الجمعة في بنى سالم بن عوف في بطن وادلهم فنزل وخطب وجمع بهم في اول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الاسلام ونزلت سورة الجمعة بعد الحجرات والتحريم وهي السور الثالثة والعشرين من السور النازلة في المدينة فاتضح بما ذكرنا ان وجوب السعي يوم الجمعة وجوب مقدمي لاجل الذكر و دركه وهو الصلوة وهو غير وجوب الصلوة و تشريعها بحسب ادلتها والاطلاق في وجوب السعي لا يدل على اطلاق فرض الصلوة بحسب حدودها و قيودها وانما تدل على وجوب السعي اذا اقيمت لاعلى وجوب السعي اليها ووجوب اقامتها كيفما اتفق .

قال العلامة المجلسي : (في البحار ١٨ ص ٧٥٩) لاريب في نزول هذه الايات وهذه السورة في صلوة الجمعة واجمع مفسروا والخاصة والعامه عليه بمعنى تواتر ذلك عندهم والشك فيه كالشك في آية الظهر في الظاهر وغيرها من الايات والسور التي مورد نزولها معلوم «انتهى»

قلت : نعم هو كذلك الا انها لم تكن لتشريع صلوة بعينها وانما تأمر وتأكد في حضور الجماعة يوم الجمعة مسجد الرسول ﷺ معه ومورد النزول لا يكون مخصصا للاية وقياس هذه الاية مع آية الظهر في غير محله كما لا يخفى وغاية ما يمكن



ان يقال فى الاستدلال بالاية ان مورد النزول من اظهر مصاديق الاية وهى بعد قابلية الانطباق على صلوة الظهر ايضا والتخصيص بالجمعة انما هو بمعونة الروايات والادلة الخاصة المنفصلة لبحسب دلالة الاية فالعمدة فى هذا الباب الروايات الشارحة لمورد نزول الاية وتخصيصها بالجمعة وبيان حدود هذه الفريضة وشرايطها ومن العجيب ما فى الحدائق وقد بالغ واصر فى استفادة الوجوب من الاية وغفل ان الوجوب ضرورى عند علماء الاسلام والاية فى مرحلة سوق الناس الى امتثال الواجب على ما شرحناه .

ولو اغمضنا عما ذكرنا من البيان فالاطلاق المذكور لا يمكن الاخذ به قبل الفحص عن المخصصات والحدود فلا جدوى فى التمسك بالاطلاق فى ايجاب صلوة الجمعة على جميع التقادير بالنسبة الى قيودها وشروطها ومما ذكرنا يعلم حال الاخبار الواردة المسوقة لتشريع صلوة الجمعة ووجوبها فان جميع ما فى هذا الباب من اشتراط العدد وحضور الامام او مأذونه الخاص او العام على ما ذكره بعض الاعيان وقرائن الاستحباب غير معارضة لهذه المعلومات والمطلقات بل مخصصة وشارحة لها نعم لم نظفر بشيء من المقيدات فلانما من الاخذ بالعموم .

فى الوسائل عن الصدوق مسندا عن زرارة عن ابى جعفر عليه السلام قال انما فرض الله عزوجل على الناس من الجمعة الى الجمعة خمسا وثلاثين صلوة واحدة فرضها الله عزوجل فى جماعة وهى الجمعة ووضعها عن تسعة عن الصغير والكبير والمجنون والمسافر والعبد والمرأة والمريض والاعمى ومن كان على رأس فرسخين ونحوها روايات اخرى صريحة فى افادة الوجوب .

فان قيل ان صلوة الجمعة كانت سنة مستمرة دائمة من زمن الرسول الى اواخر سنين العباسيين وهذه الروايات ناظرة الى ما كل فى الخارج من السنة المستمرة فكان وجود الامام عادلا كان او جائراً شرط مسلم مفروغ عنه عند المخاطبين فلا عموم فيها ولا اطلاق من حيث اشترط العدد والامام وغيرهما من الشرايط .

قلت : كلا فانها ليست قضايا شخصية ناظرة الى ما فى الخارج ولا مانع من

التعويل فيها على قرينة منفصلة من حيث الشروط لهذا الوجه لا يصلح لتقييده هذه المطلقات اذا تقرر ذلك فيقع الكلام فسي مقامين الاول في الفحص والكلام في المخصصات والثاني في الكلام عن قرائن الاستحباب لهذه العمومات اما المقام الاول في الفحص والبحث عن المخصصات والشروط لهذه الفريضة قال في كنز العرفان السلطان العادل شرط في وجوبها وهو اجماع علمائنا «انتهى» .

اقول : قد عرفت مما تلونا عليك من رواية زرارة عن الباقر عليه السلام واشرنا الى ما في سياقها من الروايات الدالة على الوجوب ان صلوة الجمعة من الفرائض المسلمة بحسب الكتاب والسنة وعمدة ما يدعى فيها من تقييد اطلاق هذه الروايات اشتراط الامام في وجوبه ولعل المراد من قولهم اشتراط وجوبه بالامام كما ذكره في كنز العرفان اشتراط الواجب لا اشتراط الوجوب فان معنى اشتراط الوجوب بوجود الامام وحضوره هو انتفاء الوجوب عند عدم حضوره او تعذر اقامتها عليه بخلاف اشتراط الواجب فان معناه ان الفريضة شرعت على الاطلاق ويجب على الامام عقد الجمعة واقامتها ويجب على الناس الحضور عنده واقامة الجمعة معه ولا يجب على احد التصدي بهذا الامر واقامة الجمعة الا بامر واذنه بل يحرم عليه ذلك ولا مجال لبسط الكلام في هذه المسألة الا انا نشير اليها والى ادلتها ملخصا .

فقد استدل من طرف القائلين بالاشتراط بوجوه :

**الاول :** اجماع المنقول وهذا الاجماع وان تكررت في كلمات عدة من الاعاظم الا ان الظاهر انه تقيدي يدور اعتباره مدار الادلة التي صارت منشأ للاجماع المذكور فلا يصح هذا الاجماع لتقييد الادلة المطلقة المذكورة .

**الثاني :** استبعادهم انه لو كانت الجمعة فريضة في عداد سائر الفرائض دون اشتراط الامام في صحة اقامتها لوجب على النبي والخلفاء والائمة سوق الناس اليها والعمل بها والاقدام بتعليمها ونشرها في البلاد الاسلامية والقرى والبوادي والحال ان الناس لا يعرفون من هذه الفريضة الا انها من الشعائر الاسلامية القائمة لشخص الخليفة .

قلت : هذا لاريب فيه اجمالا الا انه لا يعد دليلا فقهيا يصح لتقييد الروايات وهذا الذى ذكرت من مفاصد غصب الخلافة حيث ان امير المؤمنين عليه السلام والعلماء الراسخين من آله لم يتمكنوا من تعليم الاحكام ونشرها - وبسط المعارف والحقائق على ما هو حقها وقد اظلمت علوم الاسلام بالاراء والاهواء ومداخلة الخلفاء الجهلة والمتشبهين بالعلماء الذين يأكلون معهم الدنيا وكم لهذه المسألة من النظائر وخاصة هذه المسألة التى هى من شؤون امامهم .

الثالث: ما ذكرناه فى صدر العنوان ان هذه المطلقات والعمومات انما لقيت على الناس وكانت السيرة المستمرة الدائمة القائمة عندهم اقامة الجمعة مع السلطان فكانت هذه السيرة قرينة قاطعة للمراد بهذه الروايات بحيث كانوا فى غناء عن ذكر هذا الشرط فلا اطلاق ولا عموم فيها كى يحتاج الى التقييد والتخصيص .

قلت: قد ذكرنا ان هذا الاستظهار والاستنباط ليس قرينة عامة يعتمد عليها فى مقام المحاوراة وقد ذكرنا ان من هذه الروايات بعضها قضية حقيقية من دون نظر الى اشخاص واحوال خارجية .

وبعبارة اخرى عمومات فى معرض التخصيص فلو لم نظفر بقيد ولا شرط لوجب تحكيم عمومها فلا يجوز تقييدها بما ارتكز فى اذهان الناس من السيرة المستمرة عندهم من اقامة الجمعة مع الخلفاء او ممن كان منصوبا من قبلهم وبعضها قد وردت فى موارد مختلفة فى جواب سؤال السائلين او مطلقا الا ان السيرة المستمرة لاتصلح لان تكون قرينة عامة فى جميعها بحيث يعتمد عليها فى المحاورات بحسب المقامات المختلفة .

الرابع : عدة من الروايات التى استظهروا منها اشتراط صحة اقامة هذه الفريضة بوجود الامام واصرح ما فى هذا الباب وعمدتها ما فى الصحيفة المباركة السجادية فى الدعاء الثامن و الاربعين حيث قال اللهم ان هذا المقام لخلفائك واصفيائك ومواضع امناءك فى الدرجة الرفيعة التى اختصصتهم بها قد ابتزوها . . الدعاء . قوله (ع) هذا اشارة الى المقام والقيام الظاهرى والتصدى لامر الجمعة

والاعباد واقامة الشعائر المرسومة فيها المختصة بهم من الله سبحانه .  
و الدرجة الرفيعة هى الشؤون الخطيرة الخاصة بمقام الامارة و الخلافة  
اختصوا بها تشريعا وتكوينيا ومكنوا منها بتمكينه تعالى اياهم منها قوله «قد ابتزوا»  
بالبناء للمفعول اى سلبوها فعن الزمخشري قال فى الاساس بزثيا به سلبه انتهى .

وفى القاموس: اخذ الشيء بجفاء وقهر كالابتزاز «انتهى» .

وليس المراد فى الدعاء ابتزاز ما امتن الله به على مقام الخلافة من الحقائق  
المعنوية التكوينية فانها من المعارف الواقعية و الكمالات الحقيقية فمقامها اعلى  
وأرفع من أن تصل اليها ايدى الوائين السارقين كيف وقد خصهم الله ببرهانه  
واصطفاهم لنوره وايدهم بروحه .

وقد تبين مما ذكرنا من شرح الدعاء المباركة وجه استدلالهم بهذه الفقرة  
منها فى صحة صلوة الجمعة وفيه ان هذا التصريح باختصاصهم باقامة هذه الفريضة  
ووجوب الحضور معهم فلا دلالة فيها على سقوطها عند تعذر اقامتها عليه او غيبته <sup>إللا</sup>  
عنها وبعبارة اخرى اوجب سبحانه عليهم وخصهم باقامة هذه الفريضة وحضور  
الناس معهم ايضا فلا يجوز ان يتقدمهم احد وعزلهم عن المراتب التى رتبهم الله  
فيها ومكنهم منها سيما فى المشهد العظيم .

ولهم فى هذا الاحتفال الكبير والملاء العام شؤون خطيرة اخرى من رتق  
الامور وفتحها وسوق الخطابة الى الناس وبيان الحقائق الرهينة بوجودهم وحضورهم  
من التذكر بالله سبحانه وبشيء من نعوت جلاله وكبريائه والوصية بالانقاء فى  
حضوره والمراقبة لجلاله والانذار والتخويف من مشهد القيامة ومواقفها سيما موقف  
العرض الاكبر على الله سبحانه فسياق الدعاء المباركة اثبات هذا المقام لهم والالتجاء  
والشكوى اليه تعالى من تغلب الظالمين والاشرار على مقام الابرار وهضم حقوقهم  
وتبديل الاحكام وتحريف الفرائض ونبد الكتاب وترك السنن ثم التقرب الى الله  
باللعن عليهم والبراءة واظهار التنفر من اعمالهم .

واما الاستدلال بها على سقوط هذه الفريضة وامثالها من الرظائف الموكولة

الى الرسول والامام بتغلب الضالين عليها فغير ظاهر فيلتمس من أدلة اخرى وقد عرضنا عن ايراد غيرها من الروايات التي ذكرناها في المقام لضعف ظهورها وضعف الاستدلال بها على المدعى بديهية ان الاستدلال بها متوقف على استظهار ان وجود الرسول ﷺ والامام عليه السلام شرط للوجوب الا انها شرط للواجب كما هو الظاهر ولعله المراد من مارواه في الوسائل باسناده عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال صلوة الجمعة فريضة والاجتماع اليها مع الامام فريضة . . « الحديث . فان قيل : لو اغمضنا عما ذكرنا من الوجوه الدالة على اشتراط الامام في صحة اقامة الجمعة واغمضنا عن الروايات الواردة في الاشتراط فلا دليل على مشروعيتها ورفع اليد عن فريضة الظهر فان اقصى ما تدل عليه الاية الكريمة وما في سياقها وجوب السعي اليها والحضور عند اقامتها لو اقيمت على شرائطها فعلى القائلين بعدم الاشتراط في صحة اقامتها اثبات جوازها ومشروعيتها فليس هناك عموم او اطلاق كي يتمسك في تصحيح هذه الصلوة ومشروعيتها .

قلت : نعم الاية الكريمة وما في سياقها من الروايات كما اشرنا اليه سابقا لا تدل الا على وجوب السعي والحضور بالوجوب المقدمي في مرتبة امتثال الواجب لو اقيمت على شرائطها المقررة الا ان هناك من الاخبار ما سيقت الاخبار عن تشريعها على نحو الاطلاق في تشريعها في عداد تشريع سائر الفرائض مثل رواية زرارة المتقدمة التي اوردها عن الوسائل قال عليه السلام فرض على الناس من الجمعة الى الجمعة خمسا وثلاثين صلوة منها صلوة واحدة فرضها الله في جماعة وهي الجمعة . . « الحديث » .

والرواية كما ترى ظاهرة في بيان حيث التشريع لا لافادة وجوب السعي والحضور فهذه الرواية ونظائرها باطلاقها الصريح بعد الفحص عن المقيدات وقرائن الاستحباب كافية في اثبات الجواز والمشروعية ويأتي مزيد توضيح لذلك فانظره .  
المقام الثاني : اعلم ان في مقابل القول باشتراط الامام او منصوبة في صحة صلوة الجمعة قولاً بالوجوب التعيني ومنشأ هذا القول على ما زعموا الاية الكريمة

وما في سياقها من الروايات طائفة اخرى من الروايات المطلقة التي قد اشرنا اليها انها سبقت للاخبار عن اصل تشريعها والانباء بوجوبها فقد عرفت ان الاية الكريمة وما في سياقها من الروايات اجنبية عن افادة الوجوب واما المطلقات التي ذكرناها وقلنا انها كافية في اثبات المشروعية والجواز في مقابل القائلين باشتراط الامام واحتمال التحريم فبديهي ان التمسك بها والاخذ باطلاقها لاثبات التعيين متوقف على الفحص عن مقيداتها واما يعارضها او ما يصلح ان يكون قرينة وشارحة لما يراد عن تعبير الفرض المذكور فيها .

في الوسائل عن الشيخ مسنداً عن زرارة قال حدثنا ابو عبدالله (ع) على صلوة الجمعة حتى ظننت انه يريد ان نأتيه فقلت نغدوا اليك قال لا انما عنيت عندكم .  
اقول: الحث والتأكيد والترغيب انما يلائم ويناسب الامر المندوب والراجح الذي كان متروكاً عند المخاطب ولو كان زرارة عاملاً بها لكان المناسب التقدير والتشكر والمدح وكذا لو كان واجباً متروكاً لكان المقام مقام الانذار والتخويف ولا يخفى ان لحن هذه الرواية ونظائرها ليس لحن الاجازة والاذن كما في بعض الكلمات بل لحنها لحن الجواز و الاستحباب ، وبينان واقع الامر وسوق افاضل اصحابهم الى المكارم والفضائل .

وفيه ايضاً عن الشيخ باسناده عن محمد بن مسلم قال سألته عن اناس في قرية هل يصلون الجمعة جماعة قال نعم يصلون اربعا اذا لم يكن من يخطب .  
اقول : الاستفتاء عن اقامة الجمعة جماعة نافتى (ع) بالجواز اذا كان فيهم من يخطب ولو كانت واجبة لوجب عليهم تعلم الخطبة او احضار من يحسنها فلو لم يكن فيهم خطيب فعليهم ان يصلوا اربعا سواء مكنوا من احضار الخطيب او مكنوا من تعلمها .

وفيه عن الفضل بن عبدالملك قال سمعت ابا عبدالله (ع) يقول اذا كان قوم في قرية صلوا الجمعة اربع ركعات واذا كان لهم من يخطب لهم جمعوا اذا كانوا خمس نفرأ وانما جعلت ركعتين مكان الخطبتين .

وتقريب الاستدلال فيها كما مر وفيه ايضا عن الشيخ عن زرارة باسناده عن عبد الملك عن ابي جعفر عليه السلام قال مثلك يهلك ولم يصل صلوة فرضها الله قلت كيف اصنع قال صلوا جماعة يعنى صلوة الجمعة.

اقول: الرواية الشريفة من اصرح مافى هذا الباب فان توبيخه (ع) عبد الملك ليس لانه عصى الله فى ترك فريضة من فرائض الله من اول عمره الى ان يموت بل عتابه ليس الا انه ترك امرأ راجحا لا يلىق بمثله من حملة الفقه والحديث ، ولذا استفسر عبد الملك بقوله كيف اصنع فافتى (ع) بقوله صلوها جماعة ولا احتياج فى تميم الاستدلال بقوله يعنى صلوة الجمعة حتى يقال ان هذه الجمعة لعلها من كلام الراوى وغير خفى عند الفقيه انه لا تعارض ولا تكاذب بين هذه الطائفة من الروايات وبين ما دل على الايجاب المطلق بل هذه قيد لاطلاقها و شرح لاجمالها وافادة انها فريضة من فرائض الله ايضا، فتحصل من جميع ما ذكرنا ان المستفاد من روايات الباب الحث والترغيب على صلوة الجمعة وعقدها وترجيحها على صلوة الظهر لا تقييد اطلاق ادلة صلوة الظهر بل الادلة باقية على اطلاقها بعد ولا دليل على تقييد هذه الفريضة بما عدا يوم الجمعة وله الحمد كما هو امله .

### (الاية الثانية)

قال تعالى : «واذا قضيت الصلوة فانثروا فى الارض» .. الجمعة ١٠ .  
قال فى مرآت الانوار ص ٢٨١ القضاء مدأ وقصر المعان منها الحكم والحتم و البيان والفصل و المروت والفراغ وقيل مرجع جميع معانيه الى انقطاع الشىء وتامه .. «انتهى» .

اقول : الظاهر فى المقام هو التمام والانتهاء واللام فى قوله تعالى « الصلوة » للعموم بحسب الظهور وقال فى كنز العرفان انها للعهد ومراده هى الصلوة التى وجب السعى اليها وفيه ان المورد لا يصلح ان يكون مخصصا للعموم الاية و سنزيد لذلك توضيحا فانظر .

قوله تعالى «فانتشروا» .. الآية قال في كنز العرفان اختلف الاصوليون في الامر الوارد عقيب النهى هل هو للوجوب او للاباحة الرافعة للحظر واحتج اصحاب القول الثاني بهذه الآية وهي «فانتشروا في الارض» فانه اطلق لهم ما حرمه من المعاملة والانتشار ليس بواجب اتفاقاً « انتهى » وقريب منه عبارة البيضاوي والكشاف ويقرب منه ما افاده المولى المحقق الاردبيلي (قدس سره) الا انه قال بعد ذلك ويحتمل الوجوب في بعض الاحيان مثل الكسب للنفقة الواجبة « انتهى ».

اقول : الحق في المقام ان الامر ليس بعد النهى والتحريم بل بعد العبادة والفراغ منها فالفاء في قوله تعالى فانتشروا وقعت في جواب اذا والامر بالانتشار سيما بمعونة قوله تعالى « وابتغوا من فضل الله » ظاهر في افادة الحث والترغيب واطلاق الامر وان كان يقتضى الايجاب الا ان انعقاد الاطلاق متوقف على استقصاء الفحص عن المقيدات وقرائن الاستحباب ثم ان الانتشار في الارض لا يتغيا فضله سبحانه لا ينحصر في طلب الحلال بل كل فرد من كل نوع من المكلفين يطلب فضله تعالى في حوائجه المشروعة على حسب اختلاف الناس في حوائجهم سواء كان فضل الدنيا أو فضله سبحانه الراجع الى الآخرة كما ورد هذا التعميم في بعض الروايات مثل زيارة أخ في الله أو عيادة مريض أو تشييع جنازة او كسب مندوب واجب .

ففي القلائد عن عمر بن يزيد عن ابي عبد الله ( ع ) قال انى لاركب في الحاجة التي كفاها الله ما اركب فيها الا التماس ان يرانى الله اضحى في طلب الحلال اما تسمع قول الله عزاسمه «فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله» أريت لو ان رجلا دخل بيته وطين عليه بابه ثم قال رزقى ينزل على الحديث .

فتحصل من جميع ما ذكرنا ان الامر بالانتشار وللابتغاء من الله سبحانه لافادة الحث والتشويق عقيب الصلوة المكتوبة على سبيل الرجحان والندب ولا يابى من الانطباق على الواجب ايضاً للافادة الترخيص بعد الحظر ومما ذكرنا يعلم ان المورد



وان كان فى يوم الجمعة بعد الصلوة المكتوبة فيها الا انه لا يصلح لتخصيص عموم الصلوة وتقييد الانتشار والابتغاء المطلق فلا محالة يكون الحث والترغيب بعد كل صلوة مكتوبة لكل حاجة مشروعة مندوبة .

ففى نور الثقلين ج ٥ ص ٣٢٧ عن الكافى باسناده الى ابن حفص العطار شيخ من أهل المدينة قال سمعت ابا عبدالله (ع) يقول قال رسول الله (ص) اذا صلى احدكم المكتوبة فليقف بباب المسجد ثم ليقول اللهم دعوتنى فاجبت دعوتك وصليت مكتوبك وانتشرت فى ارضك كما أمرتنى فأسألك من فضلك العمل بطاعتك واجتناب سخطك والكفاف فى الرزق برحمتك .

قوله تعالى : « واذكروا الله » . . الاية ذكره تعالى والاكثر منه حسن على كل حال .

قوله تعالى : « لعلكم تفلحون » اى بالعمل بوصيته تعالى وامره فى هذه الايات تناولون به فلاح دنياكم وآخرتكم .

### الاية الثالثة

قال تعالى : « واذا رؤوا تجارة او لهواً » . . الاية . مورد النزول ملخصاً ان دحية الكلبي دخل المدينة بتجارة من الشام يوم الجمعة فضرب بين يديه الطبل والدفوف لاعلام الناس بوروده والناس فى المسجد ورسول الله (ص) كان قائماً يخطب فانفضوا اليها الا عدة يسيرة فنزلت وقد كان البيع حراماً والسعى الى الصلوة واجباً وقد خرجوا من المسجد ولم يمتثلوا امر الصلوة الواجبة فعوقبوا على عصيانهم . فى المجمع ج ١٠ ص ٢٨٨ وروى عن ابي عبدالله (ع) انه قال انصرفوا اليها وتركوك قائماً تخطب على المنبر .

اقول : فالاية الكريمة تفيد وتدل على ان الخطيب يجب أن يكون قائماً حين يخطب .

قوله تعالى : « قل ما عند الله » . . الاية امر رسول الله ان يعظهم ويذكرهم

ان ما اعده الله سبحانه للذين امتثلوا امر الصلوة مع رسوله مع الاجر العظيم والكرامة الحسنی خير من اللهو ومن التجارة التي اسرعوا اليها .  
 وقوله تعالى «خير» ليس فيه نفى التفضيل والتفاضل بين عصيانهم لله ولرسوله وبين الكرامة التي ادخرت عند الله للمحسنين المطيعين وقد انسلخ اللفظ في أمثال المقام عن معنى التفضيل والتفاضل كما في قوله تعالى « رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه » / يوسف ٣٣ قال تعالى « الله خير أما يشركون » النمل (٥٩) قال تعالى « ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار » (يوسف ٣٩) فلا دلالة في الآية ان في عصيانهم لله بسبب التجارة واللهو خيراً ما دون الخير المعد للمطيعين ولا محصل لان يقال ان التفاضل بين الخير المتوهم عندهم والخير الواقعي .

### الآية الرابعة

قال تعالى : ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون - التوبة (٨٥) .

### بيان

قال في القلائد ص ٧٦ في تفسير الآية : المراد هنا صلوة الاموات - الى ان قال - وصلوة الاموات عبارة عن مجموع مركب من التكبيرات والاذكار على الوجه المنقول فالنهي متعلق بتلك الماهية انتهى .  
 ووجه اطلاق الصلوة على صلوة الاموات على ما يظهر من كلامه ( قدّه ) من اجل اشتغالها على الدعاء فيكون من باب تسمية الكل باسم الجزء او ان النهي والتحريم متعلق بالدعاء لهم خاصة دون التكبيرات والاذكار السابقة على الدعاء للميت جرياً على اللغة .

اقول : قد ذكرنا في صدر كتاب الصلوة بياناً يحسن ايراده في المقام لمسيس الحاجة اليه وهو انه قد اشتهر وشاع ان الصلوة في اللغة بمعنى الدعاء وكان هنا

هو المتسالم عندهم كما عرفت في ذيل كلام القلائد الا ان هذه الدعوى على فرض صحة نسبة ذلك الى المشهور غير مستقيم لابد من تأويله وتوجيهه فان الدعاء والصلوة ليسا بمترادفين فالدعاء متعد بنفسه والصلوة متعد بحروف الجر وقاصر ولازم في نفسه قل في القاموس: والصلوة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله على رسوله (ص) وعبادة فيها ركوع وسجود انتهى .

اقول : الظاهر ان مراد القاموس بيان موارد الاستعمال وهو كذلك عند من تتبع موارد الاستعمال فالمتحصل والظاهر انها بمعنى التوجه والانعطاف ويتحقق بالدعاء والاذكار والتسبيح والتكبير والثناء وقراءة القرآن ايضاً بما أنه عهد الله الى خلقه ومنشور ولايته وترسيم بوظائف العبودية له سبحانه فعلى هذا يكون الدعاء من مصاديق الصلوة لامن جملة معانيه فهذا من باب اشتباه المصداق بالمعنى والمفهوم فعلى عهدة الفقيه الاخذ بالمفهوم اللغوى المطلق للصلوة والتماس حدوده وقيوده وشرائطه من أدلة منفصلة اخرى او متصلة وتعيين متعلق الامر والنهى فى آية اورواية بتعدد الدال والمدلول حسب ما ظفر بها من القيود والحدود فيكون مراد المولى هو المعنى اللغوى المحدود بتلك الحدود وكذلك الكلام بعينه فى الالفاظ الواردة لافادة الحدود والشرائط .

وهكذا الكلام فى غير الصلوة من الحقائق المرسومة التى جاء بها الشارع فعلى هذا تكون الصلوة المشروعة جميعاً سواء كانت فى الشرائع السابقة أوفى هذه الشريعة المطهرة من أفراد المعنى العام اللغوى بالحقيقة وتحمل الصلوة على جميع تلك الانواع بالحقيقة فصلوة الغرقى مثل صلوة بالحقيقة وهكذا صلوة الجنازة وغيرها وبهذا يعلم وهن القول بالحقيقة الشرعية اى الوضع التعيينى للالفاظ فى مقابل مجاء به من الحقائق وكذلك وهن القول بالحقيقة المتشعبة اى الوضع التخصصى من ناحية كثرة الاستعمال والاطلاق .

اذا عرفت ذلك فنقول لادلالة فى الاية ولا ظهور فيها فى النهى عن الصلوة المتعارفة على الاموات وانما هى نهى عن الصلوة المطلقة عليهم آية صلوة كانت نعم هى شاملة

باطلاقها لتحريم الصلوة المتعارفة ايضاً فانها من أفرادها واطهر مصاديقها فاتضح بما ذكرنا ضعف ما ذكره في القلائد وغيره في غيره ان المراد في الآية النهى عن الصلوة المتعارفة على الموتى او ما قيل ان المراد النهى عن الدعاء بعد التكبيرة الرابعة خاصة ضرورة عدم وجه وجيه لشيء من هذه التقييدات ، وعرفت ان الآية باطلاقها دافعة لها وظاهرة في النهى عن كل ماتحقق به الصلوة من تشریفهم بالترحم والاستغفار والدعاء واکرامهم بالقيام على قبورهم وبالشفاعة وطلب الكرامة لهم من الله سبحانه .

والآية الكريمة وما في سياقها من الآيات التي قبلها وبعدها نزلت في شأن المتخلفين عن رسول الله (ص) في جيش تبوك وقد أجهر الله بكفرهم واطهر ما بطنوا من النفاق في سرائرهم وصدورهم هي مع ذلك قضية حقيقية سبقت لأفادة تحريم الانعطاف والترحم على موتى الكفار منه (ص) ومن كل واحد من أمته المؤمنين الى الابد والظاهر ان قوله ابدأً تأكيداً لدوام المنع واستمرار التحريم المستفاد من الجملة السابقة وفيه اشعار لما نشير اليه من ان المورد يقتضى ابدية التحريم وانقطاع الولاية والوداد بينهم وبين المؤمنين وفي الآية دلالة على ان وجه المنع كفرهم بالله وبرسوله ويؤيد المنع وعموم التحريم قوله تعالى «ما كان للنبي والذين آمنوا معه ان يستغفروا للمشركين من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم» (التوبة ١١٣) .

فقوله تعالى : «ما كان للنبي» : الآية ظاهرة انها في مقام التذکر له (ص) وللمؤمنين أن لا يبادروا الى الاستغفار للمشركين ولا ينبغي لهم ذلك فان الكفار قد خرجوا عن ولاية الله سبحانه فيجب التبري عنهم واللعن عليهم حفظاً لولايته تعالى على انفسهم وهذا الحكم حكماً عقلياً ابدى ولو ابيت مما ذكرنا من التذکر بمسألة عقلية فالآية ظاهرة في المنع والتحريم في الاستغفار للمشركين احياناً وامواتاً قال تعالى «استغفر لهم ولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين» (التوبة ٨٠) قال تعالى «سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين» المنافقون (٤) .

لا يخفى ان في الآيتين تصريحاً في المنع عن الاستغفار بلحن شديد وقد حکم تعالى بنفى المغفرة لهم ابدأ وان الاستغفار وعدمه في حقهم سواء والتعبير بسبعين لافادة الكثرة لالخصوصية في السبعين .

وفي سياق هذه الآيات ، الآيات الدالة على اختصاص الشفاعة للمذنبين من اهل التوحيد ولا يتجاوز عنهم الى غيرهم من اهل الشرك بوجه اصلا وفي بعض هذه الآيات تصريح ان العباد المكرمون لا يشفعون الا لمن ارتضى الله دينه .

### توضيح و تحقيق

قد وردت في تفسير الآيات روايات عن طريق اهل السنة لا بد من الاشارة اليها ليكون الناظر على بصيرة مما ذكرنا من البيان قد أورد في الكشاف ص ٢٣٣ حديثاً في شأن نزول الاية المبحوث عنها وانها نزلت في شأن صلوة النبي ﷺ على جنازة عبدالله بن أبي رأس المنافقين وساق الحديث - الى ان قل - ولما هم بالصلوة عليه قال له عمر اتصلى على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلى عليه ف جذب به جبرائيل انتهى .

اقول : قد عرفت ان الايات نزلت في شأن المتخلفين عن غزوة تبوك في سنة ثمان من الهجرة وذكر بعض المفسرين ان موت عبدالله كان في سنة التسع من الهجرة والآية قد نزلت قبل موت عبدالله وللمخشري توجيهات باردة في هذا الحديث وعن ابن عباس قال ما أدري ما هذه الصلوة الا انى اعلم ان رسول الله ﷺ لا يخادع « انتهى » .

اقول: ليست هنا صلوة، ولا دلالة في الاية عليها وانما نهى رسوله والمؤمنين عن مطلق الصلوة على الكفار ولو صح خروج رسول الله ﷺ الى جنازة هذا المنافق فما صلى عليه وما دعى له بل من الممكن انه دعى عليه وهو المنقول عن طرق ائمة اهل البيت ﷺ .

قال في الكشاف (طبعة القاهرة ص ٢٣٠) في تفسير قوله تعالى « استغفر لهم

او لاتستغفر لهم» الاية : سئل ابن عبد الله بن ابي رسول الله ﷺ وكان رجلا صالحا يستغفر لابييه في مرضه ففعل فنزلت فقال رسول الله ﷺ ان الله قد رخص لى فسأزيد على السبعين فنزلت «سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم» انتهى .

اقول : الاية الاولى صريحة في المنع عن الاستغفار وانه لم تغن عنهم شيئا ولا دلالة فيها على التخيير والتعبير بالسبعين لافادة التكثر وكيف نسبوا الى رسول الله (ص) انه كان مصراً على الاستغفار وفهم عن الاية الترخيص والتخيير و اراد ان يزيد على السبعين فنهاه الله ثانيا وانزل عليه (ص) سواء عليهم الاية وقد عرفت ان الاية الاولى نزلت قبل موت عبد الله بسنة والاية الثانية في سورة المنافقين نزلت في السنة الخامسة وفي الكامل انها في السنة السادسة من الهجرة في غزوة بنى المصطلق وعبد الله حى وهو القائل «لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل» المنافقون (٨).

### الاية الخامسة

قال تعالى: «واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً» (النساء ١٠٠).

### بيان

قال فى القاموس: الجناح بالضم الاثم وقال ايضا والقصر كعنب خلاف الطول - الى ان قال - والقصر خلاف السدانتهى. والفتنة بحسب موارد الاستعمال العذاب والمكروه وادعى بعضهم ان الفتنة فى الاية بمعنى القتل .

والظاهر من الاية الكريمة الترخيص فى ان القصر متوقف على السفر وتحقق الخوف ايضاً لتعليق الحكم على كلا الشرطين معا فلامحالة ينتفى الحكم بانتفاء احد الشرطين فلا قصر مع الامن وان كان مسافرا ولا على المقيم وان كان خائفا واجاب المحقق الاردببلى (قده) والجزائرى بما خلاصته ان دلالة الاية على نفى - الحكم عن المسافر مع الامن انما هو بالمفهوم وهو حجة ان لم يرد الشرط مورد الغالب

كما هو الشأن في مورد النزول فان اسفار النبي (ص) واصحابه كان الغالب فيها الجهاد ومظنة اصابة المكروه من الكافرين فلا يدور الحكم مدار هذا الشرط بل يعمه وغيره مثل قوله تعالى : « لا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا » . . الاية . فحرمة الاكراه لا تختص باللاتي يردن التحصن بل الغالب فيهن ذلك، وعلى فرض صحة المفهوم ودلالته على انتفاء الحكم عند انتفاء الخوف لا يمكن رفع اليد بهذا المفهوم عن السنن القطعية عملا وقولا عن النبي (ص) فيكشف كشفا قطعيا عن ثبوت الحكم مع الشرطين وبدون الخوف ايضا .

« اقول : ما ذكره لاريب فيه في الجملة الا ان التنظير بالاية في سورة النور لا يخلو عن الاشكال » و الظاهر من الاية بقرينة نفي الجناح ان حكم القصر ارفاق ورخصة من غير ايجاب وعزيمة وجنح الى ذلك فسي القلائد وقال في ما قال ان الرخصة والعزيمة انما تستفاد من دليل خارج وذكر بعضهم ان في الاية اجمالا والظاهر ان مراده من الاجمال احتمال افادة العزيمة وعدمها لا ظهورهما في الترخيص والاباحة وقد حاول بعض المفسرين استخراج الوجوب والعزيمة نظير قوله تعالى « ومن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » (البقرة ١٥٨) ويقوله تعالى « وان تصوموا خيرا لكم » (البقرة ١٨٤) فان المقام مقام التشريع وهو كاشف عن وضع الحكم وتحققه وارجاع بعض الخصوصيات الى الخارج .

اقول: وفيه تردد ايضا « فان السعي بين الصفا والمروة مسبوق بتوهم الحظر والتصريح بأن الصفا والمروة من شعائر الله مع التزام المشركين بالعبادة المرسومة لاصنامهم فيهما والطواف بهما دفع بما يتوهم من الحظر ان السعي والطواف بهما من سنن الجاهلية وبلاغ من الله سبحانه انهما من شعائر الله والخرافات من المشركين بادخال اصنامهم فيهما لا يخرجهما عما كانا عليه من كونهما من شعائر الله .

و خلاصة القصة على ما ذكره في البرهان ص ١٦٩ عن علي بن ابراهيم مسندا عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام في حديث الى ان قال والمسلمون كانوا يظنون ان السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون فانزل الله عز وجل « ان الصفا

والمروءة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما» وذكره بعض في نحو أبسط .

اقول: ما ذكروه لا يمكن ان يكون قرينة للوجوب والعزيمة وان الله سبحانه امرهم بالتزامهم السعي كما كان، فالمشركون ملتزمون به واما قوله تعالى «وان تصوموا خيرا لكم» فيشكل تنظير الآية المبحوثة عنها بها لاختلاف الاقوال في تفسيرها . فالانصاف ان استفادة الوجوب والعزيمة من الايتين في القصر والسعي في نهاية الاشكال .

فان قيل ان الرواية عن الباقر عليه السلام تعطى انه عليه السلام في مقام افادة الوجوب من الآية ففي الفقيه ص ١١٦ قال روى عن زرارة و محمد بن مسلم انهما قالوا قلنا لابي جعفر عليه السلام ما نقول في الصلوة في السفر كيف هي وكم هي فقال ان الله عزوجل يقول : «واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة» فصار التخصيص في السفر واجبا كوجوب التمام في الحضر قالوا قلنا انما قال الله عزوجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ولم يقل افعلوا فكيف اوجب التمام في الحضر فقال عليه السلام اوليس قد قال الله عزوجل في الصفا والمروة «ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما» الاترون ان الطواف بهما واجب مفروض لان الله عزوجل ذكره في كتابه وصنعه النبي (ص) كذلك التخصيص في السفر شيء صنعه النبي (ص) وذكره الله في كتابه.. الحديث.

اقول : ظاهره انه (ع) انما افاد ان الوجوب والعزيمة في كلا الموردين مستند الى فعل النبي (ص) وسنته القطعية ولو كانت الآية ظاهرة في العزيمة ودالة عليها بوجه الافادة (ع) فالسكوت عن الاستدلال بالاية والعدول عنها الى فعل النبي عليه السلام فيه دلالة على ما ذكرنا من المطلوب وفي الكشف بعد اتباع العزيمة بالروايات عن طريق اهل السنة قال فان قلت: فماتصنع بقوله «فليس عليكم جناح ان تقصروا» قلت: كأنهم القوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه انتهى .



## «فروع»

**الاول:** ظاهر اطلاق الاية ترتب القصر على السفر والضرب في الارض قليلا كان او كثيراً وحيث انها قضية حقيقية في مساق التشريع فهي في معرض التقييد من هذا الحديث وكذلك من الجهات الاخرى فلا يجوز الاخذ باطلاقها قبل الفحص عن مقيداتها فالسفر الذي يجب فيه القصر بحسب الروايات الواردة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ثمانية فراسخ وعند الشافعي ستة عشر فرسخا وعند ابي حنيفة اربعة وعشرون فرسخا ذكره الشيخ (قده) في الخلاف ص ٢٢٠.

**الثاني:** مقتضى اطلاق الاية جواز القصر بمحض الشروع في السفر قد قيدت بالسنن الدالة على اشتراط خفاء الاذان او خفاء الجدران او كليهما على ما قالوا .

**الثالث:** الاية الكريمة واردة في سياق الامتنان كرامة لهذه الامة و تسهيلا لهم في نيل حوائجهم و كسب معاشهم فلا يشمل السفر الاعم من المباح والحرام اذ لا معنى ولا محصل للارفاق والامتنان في امر يعصى الله سبحانه فيه .

## (الاية السادسة)

قال تعالى «واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا ليكونوا من ورائكم و لتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم و اسلحتهم و الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم و امتعتكم فيميلون عليكم ميلا واحدة» . الاية النساء (١٠١) .

## بيان

تنقيح البحث في الاية الكريمة في ضمن امور الاول : قد قيل ان الخطاب والحكم مخصوص بالنبي (ص) بقريئة لحن الخطاب في قوله اذا كنت فيهم وبسبب شأن النزول على ما سنشير اليه اورده المحقق الاردبيلي ان شمولها لغيره بالاجماع

وبالادلة الدالة على وجوب التأسى فيجوز للامام ايضاً فان حكم الامام عليه السلام حكمه ( ص ) واما بدونه فاذا وجد في هذه الصلوة ما يخالف القواعد فمشكل . . انتهى ملخصاً .

اقول : قد ذكرنا ان خطابات القرآن قضايا حقيقية جارية كما يجرى الليل والنهار عامة له صلى الله عليه وسلم ولغيره صلى الله عليه وسلم ايضاً ولا احتياج في تعميم خطاب القرآن الى غيره فهو (ص) قطب خطابات القرآن ومدارها والناس مخاطبون بوساطته الا ان يقوم دليل خارج باختصاصه (ص) ببعض الاحكام وليس في الاية الكريمة والصلوة التي تهدي اليها شيء يخالف القواعد المسلمة .

**الثاني** مقتضى اطلاق الاية جواز القصر في صلوة الخوف سواء كان مسافراً او مقيماً فان النظر الى اطلاق اللفظ و شأن النزول لا يصلح لان يكون مقيداً للمطلق او مخصصاً للعام و خلاصة القصة في شأن النزول انه (ص) خرج الى غزوة الحديبية و خيل المشركين تعارضه على رؤوس الجبال فصلى رسول الله (ص) الظهر بتمام الركوع والسجود فهم المشركون وقالوا لو حملنا عليهم وهم في الصلوة لاصبناهم فقال خالد بن الوليد بقي لهم صلوة اخرى احب اليهم من ضياء عيونهم فنزل جبرائيل بهذه الاية وقيل : انه كان سبباً لاسلام خالد و يؤيد هذا الاطلاق ما رواه في البرهان عن الشيخ مسنداً عن زرارة قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن صلوة الخوف و صلوة السفر فقصر ان جميعاً قل نعم و صلوة الخوف احق ان تقصر من صلوة السفر ليس فيه خوف . ويمكن الاستدلال بالحديث على جواز القصر عند الخوف في غير جماعة .

**الثالث:** المراد من اخذ السلاح حمل المقاتل اياه معه وهو واجب بحسب اطلاق الامر والجمع بينه وبين الحذر لعله من باب عطف الخاص على العام فيكون المراد من الحذر كل ما يتحرزون به من العدو من الدرع والخف والتحفظ الكامل بمواضع الخلل ومظان الخطر و الظاهر ان المأمورين بأخذ الحذر و السلاح هم الطائفة المصلية لا الذين يحرسون ولم يدخلوا في الصلوة فلا كلام انهم اخذوا حذرهم واهلحتهم .

### (الاية السابعة)

قال تعالى : « فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياماً و قعوداً و على جنوبكم فاذا اطمأنتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » (النساء ١٠٣).

### بيان

القضاء فى المقام بمعنى التمام اى الاتمام و الفراغ مثل قوله تعالى « فاذا قضيت الصلوة فانتشروا » (الجمعة - ١٠) .

وقوله تعالى « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه » (طه ١١٣) قوله تعالى « فاذكروا الله » .. الاية . اى عقيب الصلوة قائماً فى حال الطعن و الضرب و قاعدا فى حال الرمى و مضطجعين فى حالات اخرى كيفما دارت بكم الحرب فى مواقف القتال فىطبق الذكر باطلاقه على التعقيبات المأثورة و غيرها و على ذكره تعالى و دعائه لاجل الاستمداد و الانتظار على الاعداء فان على الغازى و المقاتل الصبر و الثبات فى مواقف القتال و النصر انما ينزل من الله سبحانه .

قوله تعالى : « فاقيموا الصلوة » .. الاية ، قد ذكرنا فى ابحاثنا سابقا ان المراد من اقامة الصلوة غير الاتيان بالصلوة لعدم صدق اقامتها الا عند ايفاء حقها و ادائها بحدودها و شروطها المقررة الراجعة الى قلب الانسان و روحه و بدنه من شرائط الصحة و شرائط القبول فرب مصل صلاحها و لكن استخف بها و ضيعها فلا بد من المراقبة بالاخلاص الصادق و الاقبال التام و مراعاة السنن المرسومة المأثورة فى آدابها .

قوله تعالى : « ان الصلوة كانت .. الاية ، هذا البيان فى مرحلة التعليل لجميع الاحكام المذكورة من اول الاية الى هنا و فى مقام الاهتمام البالغ فى شأن الصلوة و انها لا تسقط بوجه اصلا حضراً و سفيراً فى الخوف و الامن و قد اضطربت كلمات بعض المفسرين فى تحليل هذه الجملة و تطبيقها على التعليل المذكور و ما وقعهم فى ذلك الا لفظة موقوتاً و محصل كلامهم ان الصلوة كانت كتاباً موقوتاً اى فريضة موقوتة

وانت ترى ان هذا البيان لا يصلح للتعليل المذكور قال الجصاص فى احكام القرآن ج ٢ ص ٣٢٤ بعد سوق الاية وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال للصلوة وقنا كوقت الحج الى ان قال : قال ابو بكر انتظم ذلك ايجاب الفرض ومواقيته لان قوله تعالى كتابا معناه فرضا وقوله تعالى موقوتا معناه انه مفروض فى اوقات معلومة معينة فاجمل ذكر الاوقات فى هذه الاية وبينها فى مواضع اخرى من الكتاب انتهى ما اردناه .

اقول : قد مر تفسير الاية فى اول كتاب الصلوة وخلاصته ان بعض المفسرين صرحوا انه كتب بمعنى فرض والعناية بالمأخوذة فى اطلاق المكتوب على المفروض كما فى قوله تعالى « كتب عليكم الصيام » البقرة (١٨٤) ان المكتوب مثبت ومنقوش على الصحف و الاوراق كذلك المفروض مثبت ومكتوب على صحائف التشريع واوراق الجعل لكنه لا يخفى ان الكتابة مع جميع ما لوحظ فيها من تقرير المكتوب وتحققه فى وعاء التشريع لا يدل على ازيد من ثبوت المكتوب وتحققه والاحكام الشرعية كلها كذلك فانها مكتوبة ومقررة فى صحف الجعل والتشريع لا يزول ولا يعطل الابتناسخ من الله سبحانه ينسخها واستعمال الكتاب فى النذب والاحكام الوضعية شائع فى الكتاب العزيز قال تعالى « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس » .. الاية (المائدة ٤٥٥) واستعملها فى النذب قال تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقرين » . الاية (البقرة ١٨٠)

فتبين ان استعمال الكتاب فى المفروض كما هو الغالب انما هو بمعونة القرائن فى الموارد المذكورة لا بحسب اصل دلالة اللفظ .

واما تفسير قوله تعالى « موقوتا » وانها فى مقام تشريع اوقات الفرائض فمن العجائب فان الايات الكريمة مسوقة فى مقام الامتنان للمسافر والخائف فى بيان حكم القصر والتخفيف فى حقهما ثم الامر بذكر الله عقيبها ثم الامر باقامتها بعد رفع الخوف مثل اقامة القانتين والخائفين واين هذا من التعرض للاوقات وتبييد الصلوة بها وقد صرح ائمة اهل البيت (ع) على تفسير الموقوت بالمفروض تارة وبالثابت اخرى اى لانسقط الصلوة فى شىء من حالات الخوف والامن والسفر والحضر وغيرها من

الحالات لانها كتاب ثابت او كتاب مفروض اولانها مفروض ثابت وانكروا على من فسر الموقوت بالتوقيت فحينئذ يصح التعليل المذكور وتندفع الاشكالات جميعها في نور الثقلين ص ٤٥٢ عن الكافي مسنداً عن داود بن فرقد قال قلت لابي عبد الله (ع) قوله تعالى «ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» قال كتاباً ثابتاً وليس ان عجلت قليلاً او أخرت قليلاً بالذى يضرك مالم تضيع تلك الاضاعة.. الحديث وفي كثير من الروايات مفروضاً ومرجع جميعها الى امر واحد .

واما صلوة شدة الخوف فقد تقدم بيانها في تفسير قوله تعالى «وان خفتم فرجالاً اور كباناً» في اوائل كتاب الصلوة وشرحنا شرحاً شافياً ان الآية الكريمة باطلاقها شاملة لجميع انواع الخوف في الحرب عن العدو وعن اللص وعن السبع وغيرها .

تم كتاب الصلوة بفضل الله سبحانه وتأييداته وله الحمد كما هو اهله والصلوة والسلام على نبيه وآله .

## فهرس ما فى الكتاب

صفحة	عنوان
٢ - ٣	مقدمة الكتاب
٤	الاية الاولى : « ياايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة ... » المائدة ٤
٣٢	الاية الثانية : « لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى .. » النساء ٤٣
٣٨	الاية الثالثة : « وما امروا الا ليعبدوا الله ... » البينة ٥
٤١	الاية الرابعة : « انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ... » الواقعة ٨
٤٤	الاية الخامسة : « فيه رجال يحبون ان يتطهروا ... » التوبة ١٠٨
٤٨	الاية السادسة : « وانزلنا من السماء ماءً طهوراً ... » الفرقان ٤٨
٥١	الاية السابعة : « اذ يغشاكم النعاس امنة ... » الانفال ١١
٥٢	الاية الثامنة : « ويسألونك عن المحيض قل هو اذى ... » البقرة ٢٣٢
٤١	الاية التاسعة : « انما المشركون نجس ... » التوبة ٣٨
٤٨	الاية العاشرة : « ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والالزام » المائدة ٩٠
٧٣	الاية الحادية عشرة : « ياايها المدثر قم فانذر وربك فكبر ... » المدثر ٣
٧٧	الاية الثانية عشرة : « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ... » البقرة ١٢٤

## كتاب الصلوة

### فى الايات الدالة على تشريع الصلوة وفضلها والمراقبة عليها

- ١٤٧ الاية الاولى : « ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » النساء ١٠٢
- ١٥٢ الاية الثانية : « حافظوا على الصلوة والصلوة الوسطى » البقرة ٢٣٨
- ١٦٢ الاية الثالثة : « وأمر اهلك بالصلوة ... » طه ١٣٢
- ١٦٦ الاية الرابعة : « قد أفلح المؤمنون » المؤمنون ٢

### آيات تبحث فيها عن وجوب الصلوة وحدودها

- ١٦٨ الاية الاولى : « اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل .. » الاسراء ٧٨

### ابحاث الشفاعة

- ١٧٧ الاية الاولى : « قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ... » الانبياء ٢٨
- ١٧٨ الاية الثانية : « وكم من ملك فى السماوات والارض » النجم ٢٦
- ١٧٨ الاية الثالثة : « يومئذ لاتنفع الشفاعة ... » طه ١٠٩
- ١٧٩ الاية الرابعة : « ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ... » مريم ٨٦ - ٨٧
- ١٧٩ الاية الخامسة : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ... » سبأ ٢٢ - ٢٣
- ١٨٠ الاية السادسة : « ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة » زخرف ٨٦
- ١٨٢ الاية السابعة : « يا اباانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين » يوسف ٩٨
- ١٨٣ الاية الثامنة : « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك ... » النساء ٦٤
- ١٨٤ الاية التاسعة : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون ... » غافر ٩
- ١٩٠ الاية العاشرة : « واذا قيل لهم تعالوا استغفر لكم ... » المنافقون ٥
- ١٩٠ الاية الحادية عشرة : « فيما رحمة من الله لنت لهم ... » آل عمران ١٥٩
- ١٩٢ الاية الثانية عشرة : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ... » الاسراء ٧٩

صفحه	عنوان
١٩٢	الاية الثالثة عشرة : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ... » البقرة ٢٥٥
١٩٢	الاية الرابعة عشرة : « والضحى والليل اذا سجدى ... » الضحى ٥
١٩٩	الامر الاول : بحث فى عموم آيات الشفاعة فى الدنيا والاخرة
٢٠٢	الامر الثانى : فى جواز الاستشفاع بالرسول (ص) وبغيره من الانبياء
٢٠٣	الامر الثالث : فى عموم الشفاعة لغفران السيئات وقضاء الحاجات
٢٠٤	الامر الرابع : انحصار الشفاعة للمذنبين من اهل التوحيد
٢٠٤	الامر الخامس : الاشكالات بالشفاعة والجواب عنها
٢١٣	الاية الثانية : « اقم الصلاة طرفى النهار ... » هود ١٥
٢١٥	الاية الثالثة : « فسبحان الله حين تمسون ... » الروم ١٧
٢١٧	الاية الرابعة : « واصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك ... » طه ١٣٠
٢١٩	الاية الخامسة : « فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ... » ق ٤٠
٢٢٠	الاية السادسة : « فسبح بحمد ربك حين تقوم ... » طور ٤٨-٤٩
<b>فى القبلة</b>	
٢٢١	الاية الاولى : « سيقول السفهاء من الناس ماوليهم » البقرة ١٤٢
٢٢٥	الاية الثانية : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها ... » البقرة ١٤٣
٢٣١	الاية الثالثة : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ... » البقرة ١٤٤
٢٣٦	الاية الرابعة : « فول وجهك شطر المسجد الحرام . . » البقرة ١٤٤
٢٣٨	الاية الخامسة : « والله المشرق والمغرب .. » البقرة ١١٥
<b>فى مقدمات الصلاة</b>	
٢٤١	الاية الاولى : « يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباساً يوارى » الاعراف ٢٦
٢٤٤	الاية الثانية : « يابنى آدم خذوزينتكم عند كل مسجد ... » الاعراف ٣١
٢٥٠	الاية الثالثة : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ... » المائدة ٣



صفحة	شنوان
٢٥٣	الاية الاربعة : « والانعام خلقها لكم دفء ومنافع ... » النحل ٦
٢٥٥	الاية الخامسة : « ومن اظلم ممن منع مساجد الله ... » البقرة ١٤
٢٥٧	الاية السادسة : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله ... » التوبة ١٩
<b>فى مقارنات الصلاة</b>	
٢٦٦	الاية الاولى : « وقوموا لله قانتين .. » البقرة ٢٢٨
٢٦٧	الاية الثانية : « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ... » الاسراء ١١١
٢٧٠	الاية الثالثة : « وربك فكبر .. » المدثر ٣
٢٧٠	الاية الرابعة : « ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل » المزمّل ٢٠
٢٧٥	الاية الخامسة : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا . . . » الحج ٧٧
٢٧٧	الاية السادسة : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا » الجن ١٨
٢٧٩	الاية السابعة : « فسبح بحمد ربك العظيم .. » الواقعة ٧٤
٢٨٤	الاية الثامنة : « ولا تجهر بصلاتك » الاسراء ١١٠
٢٨٦	الاية التاسعة : « ان الله وملائكته يصلون على النبى .. » الاحزاب ٥٦
<b>فى المندوبات</b>	
٢٩٣	الاية الاولى : « قوموا لله قانتين .. » البقرة ٣٢٨
٢٩٥	الاية الثانية : « فصل لربك فانحر .. » الكوثر ٢
٢٩٨	الاية الثالثة : « قد افلح المؤمنون ... » المؤمنون ٢
٣٠٠	الاية الرابعة : « واذا قرأت القرآن فاستعذ .. » النحل ٩٨
٣٠٢	الاية الخامسة : « يا ايها المزمّل . . سبحا طويلا » المزمّل ١-٧
<b>فى احكام متعددة تتعلق بالصلاة</b>	
٣٠٩	الاية الاولى : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها . . » النساء ٨٦
٣١٤	الاية الثانية : « ان صلاتى ونسكى . . » الانعام ١٦٣

٣١٦	الاية الثالثة : « انما وليكم الله ورسوله . . » المائدة ٥٨
٣١٩	الاية الرابعة : « اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى . . » طه ١٤
٣٢٤	الاية الخامسة : « وهو الذى جعل الليل والنهار . . » الفرقان ٦٢
٣٢٦	الاية السادسة : « فاذا انسلخ الاشهر الحرم . . » التوبة ٥
٣٢٧	الاية السابعة : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم . . » البقرة ٢١
	<b>آيات فى ماعدا اليومية من الصلوات</b>
٣٢٩	الاية الاولى : « يا ايها الذين آمنوا اذا نودى . . » الجمعة ١
٣٣٧	الاية الثانية : « واذا قضيت الصلوة فانتشروا . . » الجمعة ١٠
٣٣٩	الاية الثالثة : « واذا راؤوا تجارة . . » الجمعة ١١
٣٤٠	الاية الرابعة : « ولا تصل على احد منهم فان . . » التوبة ٨٥
٣٤٤	الاية الخامسة : « واذا ضربتم فى الارض . . » النساء ١٠٠
٣٤٧	الاية السادسة : « واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة . . » النساء
٣٤٩	الاية السابعة : « فاذا قضيتم الصلوة . . » النساء ١٠٢
٣٥٢	الفهرس

## جدول الخطاء والصواب

الصواب	صفحة سطر الخطأ	الصواب	صفحة سطر الخطأ
تنفس	٥ ٢١	بذلت	٤ ٣
واف	٢٣ ٢١	ذالك اه	٩ ٣
واللمس	١٦ ٢٥	الحرب	٤ ٦
قسيماً	١٩ ٢٥	كنز الفرقان	٤ ٧
حيىء	٢ ٢٦	تقييدى	٥ ٧
يؤتين	٥ ٢٧	التقييد	٧ ١٢
على الرأس و	١١ ٢٨	ما تكلفوا	٦ ١٤
تخفيفاً	٨ ٣٠	قالت	١٨ ١٤
المنفى	٥ ٣١	عير	١٨ ١٤
نقى الحرج	٤ ٣١	الغاية	٢١ ١٤
الحرج المنفى	٤ ٣١	اما الغسل	٢٤ ١٤
المستقلات العقلية	٧ ٣١	مافى الاية من	١٦ ١٧
ابرّه	١٨ ٣١	الاطلاق	
تفضل الله	٧ ٣٢	ويؤيده	٩ ١٩
هذا اعلى	١٧ ٣٢	من المعنى	٩ ٢٠
الجنابة	٣ ٣٤	اللغوى	

الصواب	صفحة سطر الخطأ	الصواب	صفحة سطر الخطأ
وقوله يشكل وقوله: اذى يشكل	٢ ٥٣	في الخمر بيانا	١٣ ٣٤
او اسم زمان	٨ ٥٤	غلبة النعاس	١٣ ٣٥
او اسم زمان	١٣ ٥٤	الاثار	١٤ ٣٦
الحكم المعنى	٢٣ ٥٥	وضعى	٢ ٣٧
تثقيلا	٩ ٥٦	عاقلين	٣ ٣٧
من اللمم	٧ ٥٩	العامة	٦ ٣٦
دليلا	٩ ٦٠	فقيلا	١٨ ٣٨
حابس	١٠ ٦٠	المأمور به	٩ ٣٩
يأسه	٣ ٦١	فقال	٢٠ ٣٩
ووفورا احسانه	٥ ٦١	وما عرف	٩ ٤١
وضعه	١٦ ٦٣	٨ سطر از آخر ص ٤٣ زياده است وهمچنين	
فعليه	١٠ ٦٣	يك سطر از اول ص ٤٤	
لمفهوم اللفظ	١٤ ٦٣	فيه رجال	١٥ ٤٤
شرعوا	١٥ ٦٢	نظف	١٤ ٤٥
المعنوية	١٠ ٦٤	نظف	١٦ ٤٥
والحسية		قرائن	١٣ ٤٧
فيهما	١٤ ٦٤	حقيقه ينحل	٧ ٤٧
خبراً للخمر	١ ٧١	لا يموت	٥ ٤٧
فان المقدر	٢ ٧١	يفعل به	١١ ٤٩
من الروايات ويؤيده الروايات	٢ ٧٢	بمعنى المطهر	١٣ ٤٩
تفسير الطهارة	١٤ ٧٦	الى شدة	١٧ ٤٨
بلواً	١١ ٧٧	ثبتت	٩ ٥١
والاسم البلوى	١١ ٧٧	بشيء من امرهن	٢١ ٥٢

صفحة سطر الخطأ	الصواب	صفحة سطر الخطأ	الصواب
١١ ٧٧	واخبرته	٩٩ ٤	كان واجب
١٩ ٧٧	فيكون على		فالوفاء به واجب
١ ٧٨	تحليله	٩٩ ١١	لابجعله
٢١ ٨١	يعمها	١٠٢ ٢	في العالم
٧ ٨٢	غير الرسول والامام	١٠١ ١٨	العلق
	والنبي والامام	١٠٢ ١٣	ان يرتكب
٨ ٨٢	بداهة ليس	١٠٢ ١٦	منفصل آخر
١١ ٨٢	مرتبة الرسالة		منفصل و- متصل آخر
١٤ ٨٣	والامام المجمعول	١٠٢ ٢٤	بالنيل
٢١ ٨٣	قبل النبوة	١٠٤ ١٤	فاستخف
٩ ٨٤	اذا اتخذ	١٠٥ ٣	شؤون
٩ ٨٥	الامانة	١٠٥ ١٢	اما الكلام
١٤ ٨٥	والاكتفاء به	١٠٥ ١٧	فينحصر
٢ ٨٨	فالرسول رسالة	١٠٥ ١٨	لولا جعله تعالى
٢٠ و ١٩ ٩١	بل الظاهر ان قوله تعالى		لما كان واجباً
	يهدون بامرنا مسوقة في		سبحانه
	الايتين في الامام فيهما زيادة.	١٠٦ ٨	اي اعطاكم
٥ ٩٣	كتاب الله	١٠٧ ٣	راجع
٢ ٩٤	ارشاد	١١٣ ٥	الاطلاقها
١٣ ٩٤	فكانت خاصه	١٢١ ١٩	اجنبية ما
٩٧	وراء يعقوب اسحق	١٢٥ ٢	داخلا
	يعقوب	١٠٦ ٩	الرسول فخذوه
	وقد قلنا		القيء فخذوه
٣ ٩٩	سواء		

الاصواب	صفحة سطر الخطأ	الاصواب	صفحة سطر الخطأ
انما	١١ ١٣٥	ما امركم فافعلوه ما امركم به	٩ ١٠٦
اصل ثابت	١١ ١٣٥	فافعلوه	
حقيقية	١٤ ١٣٥	وامانهاكم عنه وامانهاكم عنه	٩ ١٠٦
امه	٢٠ ١٣٥	فانه فانتها عنه فانه	
فالعناية	٤ ١٣٦	اصحاب الواقع اصابوا الواقع	٢٠ ١٢٥
مورد ولايه	٧ ١٣٦	وبها يحملها وبها يحملها	٢٢ ١٢٥
الفائزون	١٢ ١٣٧	بحمل يحمل	٢٤ ١٢٥
عقبه	١٨ ١٣٨	بنيه وفيه بنيه وفيه	٣ ١٢٨
عليه ما حمل	١ ١٣٩	طاعة الرسول طاعة الله و-	٦ ١٣١
الاجزاء	١٧ ١٣٩	لانشاء وجوب	
الافدام	٢٤ ١٤٠	طاعة الرسول و	
بالاطلاق	١ ١٤١	طاعة اولو الامر	
وفى	١٤ ١٤٢	ان المراد اذا كان المراد	٨ ١٣١
وقت	١١ ١٤٤	والاية مطلقة مطلقة	١٤ ١٣١
عن ابيه	١٩ ١٤٤	وتركوا وترك	٢٢ ١٣١
نبيه	٢١ ١٤٤	والانكار والافكار	١١ ١٣٢
في جامع احاديث الشيعة ج ١	٢٢ ١٤٦	باقاعد الاجماع بالاجماع	١٤ ١٣٢
باب المقدمات ص ٣٨ زيادة		بطاعة الاولى بطاعة اولوا	٢٢ ١٣٢
المحدود	٦ ١٤٨	الامر الامر	
من مصاديق	٦ ١٤٨	بسنة بسنة	٦ ١٣٤
اليقيني	٨ ١٤٨	ان الفتوى ان الفتوى	٤ ١٣٥
اليقيني	٩ ١٤٨	الحجة والحجة	
اليقيني	١٠ ١٤٨	السنة الكتاب السنة والكتاب	٤ ١٣٥

الاصواب	صفحة	سطر الخطأ	الاصواب	صفحة	سطر الخطأ
غضه	١٧	١٦٧ غضة	فى مقام	١٣	١٤٨ مفاد
اذالمستحب	٤	١٦٨ اوالمستحب	مناقضة	١٢	١٥١ مناقضيه
ادائها	٢١	١٦٨ لادائها	بيان	٥	١٤٧ وبيان
اقام	٥	١٦٩ قام	ومن افراد	٦	١٤٨ من افراد
ظاهر الاية	٣	١٧٠ ظاهر آيه	قليلا	٩	١٥٠ ليلا
مترضه	٦	١٧٠ معترضه	المحافظة	١٥	١٥٢ المحافظة
مشيراً	١٢	١٧١ مبشراً	فى المقام		
اوللاخير	٦	١٧٤ وللاخير	اذ كان	٥	١٥٤ ان كان
وفى الامور	١٤	١٧٤ فى الامور	الصلوات	١٧	١٥٤ الصلوة
واول مشفع	١٢	١٧٥ اول مشفع	الصلوات	١٨	١٥٤ الصلوة
فى حق الكفار	٢	١٧٧ حق الكفار	الصلوات	١	١٥٥ الصلوة
عهد عند الله	١١	١٧٩ عهد الله	الصلوات	٣	١٥٥ الصلوت
فى شؤون الهية	١٨	١٧٩ فى شؤون الهية	محتفد	١٧	١٥٥ متحفه
ما يشهدون	١٣	١٨١ من يشهدون	انها	١٤	١٥٦ انما
استكاف	٩	١٨٣ استكشاف	وتجاراتهم	١١	١٥٨ وقاعاتهم
امواتاً او احيائاً	٦	١٨٩ امواتاً فى الدنيا	نفسه	٢٤	١٥٨ نفيه
فى الدنيا			تقصر ان جميعا	٢٣	١٦٠ تقصر ان
فى اى مواقف	٧	١٨٩ فى اى مواقف	اقول	٢٤	١٦٠ اقوى
من مواقف الاخرة			بتبعه	١٥	١٦٥ تتبعه
العوائل	٧	١٩٠ العوائل	التأسى	٧	١٦٦ التناسى
نفاقهم	١٢	١٩٠ تفاهتهم	ما علم وعرف	١٠	١٦٦ ما عرف وعلم
لايوالى	١٢	١٩٠ يوالى	الله		بالله
فاستحقوا	٣	١٩١ فاستخفوا	الحديد	١٤	١٦٧ الحميد

صفحة سطر الخطأ	الصواب	صفحة سطر الخطأ	الصواب
١ ٢١٠	واسجد	١٠ ١٩١	في ذلك وذلك
٤ ٢١٣	الناحية	١١ ١٩١	بالاية فالاية
١٥ ٢١٧	اما النوى	١٢ ١٩٤	مكذوبا مكذوب عليه
٢٠ ٢١٧	معرضه	١٦ ١٩٤	وبما بما
٢٠ ٢١٨	قدم الطرف	٨ ١٩٥	تليق لاتليق
٢٠ ٢١٨	لمزيد العناية	٦ ١٩٨	للامكان لامكان
	بالليل اشق	٩ ١٩٨	مشيئة الله مشية الله
	بالليل اشق	١٣ ١٩٩	اذا اذ
٢ ٢١٩	للغدات	١٥ ١٩٩	باختلافها باطلاقها
٥ ٢١٩	الى دليل ماطبق	٢٣ ١٩٩	اخيرين اخيرتين
	من آيه آية	٢٤ ٢٠١	شيئا شيئا
١٤ ٢١٩	وبناء على فرائد	١٥ ٢٠٢	والرواية المانعة والرواية المانعة
	المسنى للمعلول		الايه الايات
	اي لعل الله سبحانه. زايد	١ ٢٠٢	بقي يقر
٥ ٢٢١	تشبتك	٢ ٢٠٢	وبشرا مبشراً
٤ ٢٢١	ينقض	١ ٢٠٢	بالحق فيك الحق
٨ ٢١٥	في معرض	٢٠ ٢٠٥	على الحكم على الحاكم
	تشبيه الملحدين	١٥ ٢٠٨	الوثنيين الوثنيين
	الملحدين	١٥ ٢٠٨	المنتصرة المنتصرة
١٩ ٢٢٣	مطلقاً	٧ ٢٠٩	اما الدواعى الاخرى مثل
١١ ٢٢٦	فجمعها		خوفا من ناره وطمعا في
١٥ ٢٢٨	للاعراض		ثوابه زيادة
١٧ ٢٢٨	واياهم	١٧ ٢٠٩	بقصد يقصد



صفحة	سطر الخطأ	الصواب	صفحة	سطر الخطأ	الصواب
٢٢٩	٣	تحميصا	٢٤٢	١٧	رأسا
٢٢٩	٨	فى طرفه	٢٤٢	١٠	عن دلالة
٢٢٩	١٢	مبثوث	٢٤٢	٢٠	استحبابه على فرض استحبابه
٢٣٢	١٣	استشكاف	٢٤٢	٢٢	وليس
٢٣٣	٢٢	ثقيلا	٢٤٣	٢	تتحملون
٢٣٤	١١	ذكره	٢٤٤	١٥	تقييده بالله تعالى
٢٣٤	٢٠	الى مكة	الى المسجد	تقييده بالمسجد	
٢٣٤	٢٠	الى اصحابه	٢٤٥	١٨	خرقه
٢٣٨	٧	جزءاً	٢٤٦	٣	لكل
٢٣٨	٨	روح الشريفه	٢٤٦	٦	معایش
٢٣٩	٦	بتولية الوجوه	٢٤٦	٢٠	وقود
٢٣٩	١٧	تخصيصها	٢٤٦	٢١	امتع
٢٤٠	٨	تيسر	٢٤٦	٢٢	لا كفىء
٢٤٠	٩	حاصلة	٢٤٧	١٢	الامر باخذ
٢٤٠	١٠	الاثاث	٢٤٨	١٠٩	زعم بعض الاعيان الاطلاق
٢٤٠	١٠	والااثار	من كلال الوجهين	وخلط زيادة	
٢٤٠	١٦	وجوبا او قد	٢٤٩	٧	ناشىء
		يشعر	٢٥١	٥	ذكرهم
		يشعر	٢٥٣	٦	امام الميتة
٢٤١	٩	منه	٢٥٣	٢١	يتم عليكم
٢٤١	٩	استقلال الفعل	٢٥٤	٨	والله
٢٤١	١٣	صوف	٢٥٤	١٣	من الله
٢٤١	١٣	المعاش	٢٥٥	١٥	حق اليهود

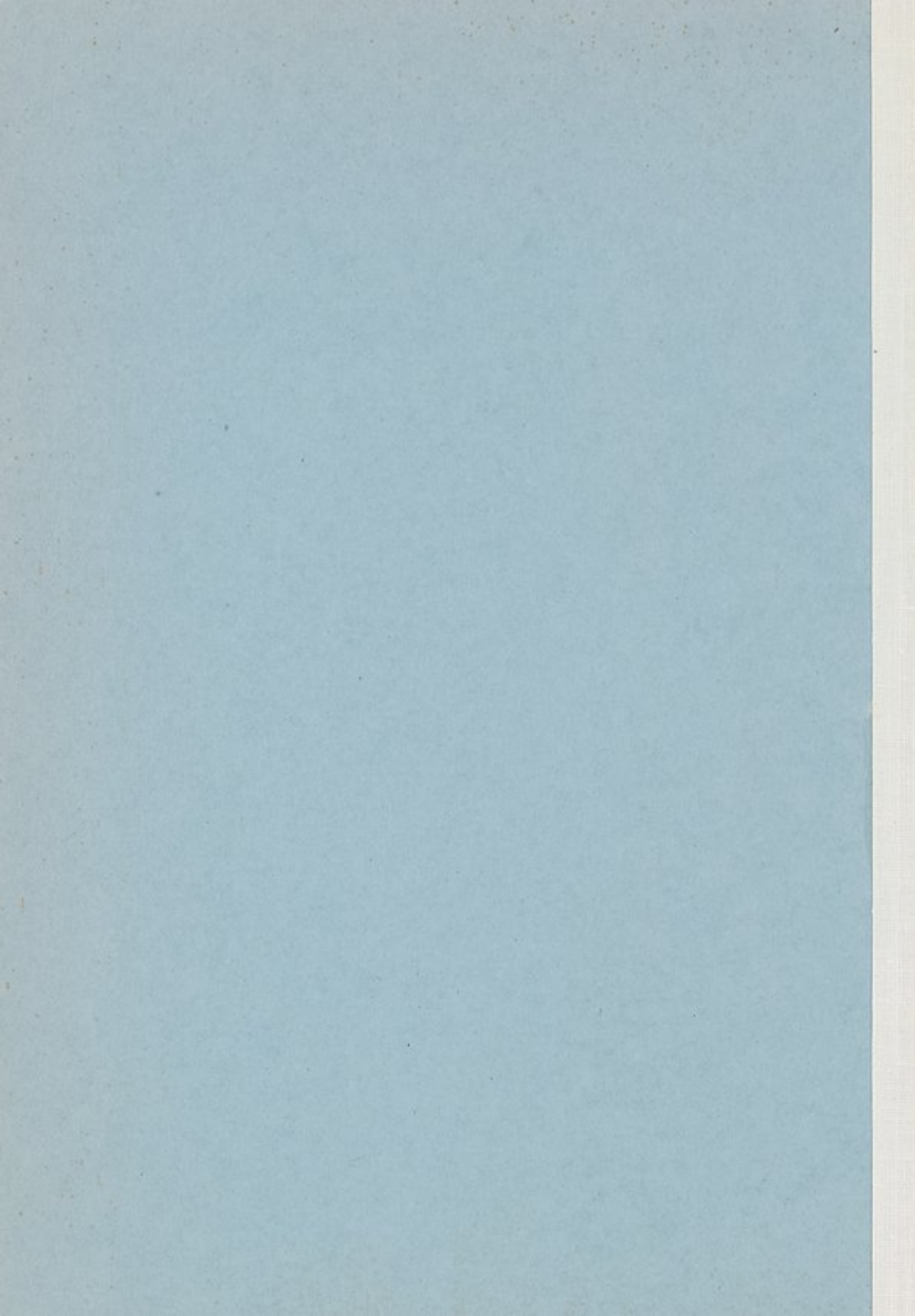
الصواب	صفحة سطر الخطأ	الصواب	صفحة سطر الخطأ
الايه	٢٤٠ ٧ الايات	من التكليف من التكلف	٢٥٦ ٤
فتعين	٢٤٠ ١٧ فتبين	يجدون	٢٥٦ ٨
لعدم	٢٤١ ١٩ بعدم	فمن اظلم الناس	٢٥٦ ١٦
فيتحننون	٢٤٤ ٦ فيقيمون	ومن اراذل الجناة	٢٥٦ ١٦
مجموليّة	٢٤٤ ٢٣ مجموعليته	وهم	٢٥٦ ١٦
تكاذبها	٢٤٤ ٢٤ لكاذبها	احجارها	٢٥٦ ١٧
وهذا تكاذب	٢٤٥ ١ وهكذا لكاذب	علم الارض علم بهذه البدع	٢٥٦ ٢١
ملكة	٢٤٨ ٢٢ ملكه	يجب ازالتها	٢٥٦ ١٦
مملكة	٢٤٨ ٢٣ مملكه	ويسعى في ازالتها	٢٥٧ ١
استعلاء	٢٤٩ ٥ استعلاء	محل الحاجة	٢٥٧ ٢
بعزه	٢٤٩ ١٥ لعزه	ملخصا	٢٥٧ ٢
اتخاذ	٢٤٩ ١٣ اتحاد	على الاعيان	٢٥٧ ١٢
تعظيم	٢٧٠ ٢ تعظم	ليس شرعى	٢٥٧ ١٣
القدوس	٢٧٠ ٣ القدوسى	تفسير	٢٥٨ ١٢
الكلام فى سابقتها	٢٧٠ ٦ الكلام فى سابقتها	اجزاء	٢٥٨ ٢٠
كما فى سابقتها	٢٧٠ ٦	هذا اليوم وطليعة	٢٥٩ ٤
المكتوبات	٢٧١ ١٠ المكتوبات	القبر	٢٥٩ ٤
نصف	٢٧١ ١٧ يضيف	الى الانسان	٢٥٩ ٤
اختيارهم	٢٧١ ١٨ احيائهم	الميت القبر	٢٥٩ ٤
فالتواب	٢٧٢ ٢ فالتواب	لكونها	٢٥٩ ١١
بحسب	٢٧٢ ٥ يجب	لم يخشى	٢٥٩ ١٢
ان الوجوب	٢٧٢ ٦ بمعنى الوجوب	ان يعرف	٢٥٩ ١٦
ثابت	٢٧٢ ٦	تابعة	٢٦٠ ٦

صفحة سطر الخطأ	الصواب	صفحة سطر الخطأ	الصواب
٢٨٧ ١٣	ويكون من لا يكون من	٢٧٢ ٧	للاستطلاع
	افراد الصلاة	٢٧٢ ١٦	فلا يتفصل
	على الاطلاق	٢٧٢ ٦	فالترفيح
٢٨٧ ١٤	توجه	٢٧٢ ٢٣	حكما
٢٨٩ ١٧	لا اشكال	٢٧٥ ٢٢	كما
٢٩٧ ٩	الخرق	٢٧٨ ١	والاراب
٣٠٠ ١٣	تلبسهم	٢٧٩ ١٣	اسجد
٣٠٢ ١٨	فى قطيفه	٢٨٠ ٢	النقايش
	واستعداده	٢٨٢ ١٩	رب
	للاستئغال	٢٨٢ ١٩	والفاعل منه
٣٠٣ ١	فى العبادة لله للعبادة والمجاهدة		رب
	فى الله	٢٨٣ ٢٣	يتجلى
٣٠٣ ١	قد شمر مع اصحابه حق الشمر	٢٨٣ ٢٤	بهذه الايات
	قد تشمر لذلك مع اصحابه		البيته
	حق التشمير	٢٨٤ ٣	عن التوجيه
٣٠٥ ١٢	انتهى	٢٨٤ ١٤	ان الموارد
٣٠٧ ٤	ثقيلاً	٢٨٥ ١٥ و ١٦	بان تجهر بصلوتك
٣٠٧ ١١	بمثل		ولا تخافت بها كلها وابتغ بين
٣٠٧ ١٥	على قراء اعدوا ثبت للاقدام		ذلك سيلا
	على قرائته وطا اقدام القلوب	٢٨٥ ١٢	اطلاق
	وطمأنينة النفوس	٢٨٧ ١١	كتوجه الغير
٣٠٨ ١	لالوهيه	٢٨٧ ١٣	يفسر الصلاة
٣١١ ٩	التنافس		لا يصح تفسير الصلاة

الاصواب	صفحة سطر الخطأ	الاصواب	صفحة سطر الخطأ
القائتين	الفانين ١٤ ٣٢١	بشرط ان لا يكون خارجا	١٠٩ ٣١٢
زيادة	لا ٢٤ ٣٢١	عن المتعارف من مواهبه تعالى	
لتكون	ليكون ٢٤ ٣٢١	وعناياته و من الانبياء لامته	
بعين ماتسعى	بيعيها ١١ ٣٢٢	الموحدين	زيادة
كنت	أكنت ١٦ ٣٢٢	وبعث الرسول	١٤ ٣١٢
وقرأتم	قرأتم الصلاة ١٨ ٣٢٢	من البادى بها	٢١ ٣١٢
الصلوة		نمل (٦١)	٢٠ ٣١٢
زيادة	انه ١٧ ٣٢٢	بالمبدء بها	٢١ ٣١١
خلقة لمن	لمن ١٤ ٣٢٤	اولياته	٣ ٣١٣
بل	بان ١٧ ٣٢٥	يتبدأ	٥ ٣١٣
اتقان التدبير	ايقان التدبير ١٩ ٣٢٥	الحسب	١١ ٣١٣
رافع لتوهم	لاطلاقها ٤ ٣٢٦	عليه	٢٢ ٣١٤
اطلاقها		لذاته	٩ ٣١٥
فاتت	فائت ٧ ٣٢٦	للسائل	١٨ ٣١٨
مشكل من	من مشكل ٨ ٣٢٦	الى المسائل	١٨ ٣١٨
ان يذكر	ان يذكر ٩ ٣٢٦	وليعهد منه	٢١ ٣١٨
بتحقيق	بتحقيق ١٥ ٣٢٧	من افعال الصلوة من الافعال	١٨ ٣١٨
المفسرين	المفسرون ١٩ ٣٢٧	يتفرغ	٢٢ ٣١٨
الاية الاولى	الايه اولي ١ ٣٢٩	عرف	١٦ ٣١٩
كما ذكره	ما ذكره ٨ ٣٣٠	اخبار	٢٠ ٣١٩
فى المظاهر	فى الظاهر ٢١ ٣٣٠	وعن الكافى	٦ ٣٢٠
العمومات	المعلومات ١٣ ٣٣١	صفات	١٧ ٣٢٠
لولم نظفر	لم نظفر ١٤ ٣٣١	الصانع	١٠ ٣٢١

الصواب	صفحة سطر الخطأ	الصواب	صفحة سطر الخطأ
شيئا	٣ ٣٤٤	ما كان	٢١ ٣٣١
تقول	١٠ ٣٤٤	شرطا مسلما	٢٢ ٣٣١
الحيث	٣ ٣٤٧	اشترط	٢٣ ٣٣١
الانتصار	٩ ٣٤٩	فهذا	١ ٣٣٢
وما اوقعهم	١٩ ٣٤٩	صلوة الجمعة	٧ ٣٣٢
تقرّر	١٠ ٣٥٠	تقييد	٨ ٣٣٢
زيادة	١٢ ٣٥٠	تقييدى	١٩ ٣٣٢
ثابتا	١ ٣٥١	الظالمين	١ ٣٣٥
وراء اسحق	١٦ ٩٧	منصوبه	٢٣ ٣٣٥
يعقوب	اسحق	طين	٢٠ ٣٣٨
الاقدام	١٤ ١٤٠	فعوتبوا	١٧ ٣٣٩
يسمعه يوافقه	٩ ٧٥	كان هنا	٢٠ ٣٤٠















Russell A. Plimpton

Class of 1914

Book Fund



Princeton University Library



32101 057499285